الجامعة الإسلامية – غزة
عمـــادة الدراسات العليــا
كليـــة أصـــــول الديـــن
قسم التفسير وعلوم القرآن



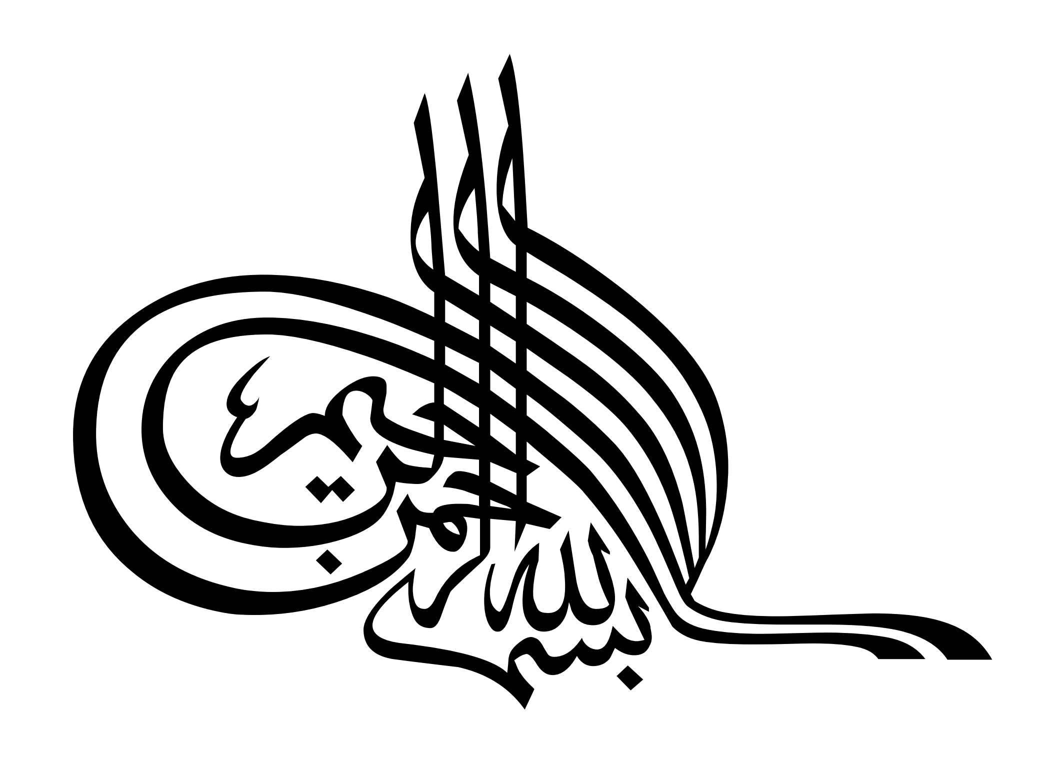
السماء بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية
(دراسة موضوعية)

إعداد الطالبة
أمل حمدي الكحلوت

إشراف الدكتور
محمود هاشم عنبر

قدمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1431هـ - 2010م


بسم الله الرحمن الرحيم


بسم الله الرحمن الرحيم
{اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ
نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي
زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ
يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ
وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ
لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [النور:35]

إهداء

إلى من عرج إلى السماء وحباه المولى بالاصطفاء حبيبي رسول الله ﷺ .

إلى من علموني حب العطاء والدي الأعزاء ،أمي الغالية التي أخذت بيدي ، وشدت من أزري ، وهيأت لي الإمكانيات النفسية والوقتية المقتطعة من واجبي نحوها لتمكنني من السير في طريقي العلمي .

وأبي الحنون الذي ضحى وما زال يضحي من أجلي ، فإني مدينة له بكل ما حزته من العلم ، فما نجاحي إلا ثمرة لتعبه معي فكان آية في العطاء .

إلى رفاق الدرب إخواني وأخواتي الذين أحبوني وأحببتهم في الله ، هم في الدنيا غرباء ، للرحيل استعدوا ، وللقاء ربهم أعدوا ،الذين أدركوا سر الحياة فرفعوا أكفهم اتجاه السماء ليقولوا متى اللقاء .

إلى حاملة لواء الحق والقوة والحرية الحركة الإسلامية الغراء ، قادة وجنداً ومن اقتفى أثرهم ، وسار على نهجهم بكل عزيمة وإباء .

إلى من تاقت أرواحنا للقياهم شهداؤنا الأوفياء ، الذين سطروا بدمائهم آيات الفداء ، ولم يتركوا سلاحهم حتى بلغوا بدمائهم المنى فكان لهم ثبات عند اللقاء .

وأخص بالذكر شيخ المجاهدين أحمد الياسين الذي هز بكرسيه أركان بني صهيون وزوج أختي الشهيد يحيى محيسن .

إلى القابضين على الجمر أسرانا البواسل ،الشامخين خلف القضبان ،الذين سجلوا بصبرهم أجمل معاني التحدي والصمود ، طريقهم شوك نهايته ريحان ، دليلهم قلب يحمل تقوى الله ورضى الرحمن ، أملهم أن تفك القيود ليحرروا الحدود .

إلى الجرحى البواسل أصحاب الهمة العالية ،الذين تأوهوا الألم ويتحملونه في سبيل الله ، رابطين الجرح ليسيروا على درب ذات الشوكة ليبقوا على العهد والوفاء .

إلى جمعية النور الخيرية رمز العطاء الراعية لذوي الجرحى والأسرى والشهداء والتي كان لي الشرف العظيم في العمل بها بكل فناء وأخص بالذكر مديرتي الحاجة زينات حمدان .

إلى مسجدي الذي أبى رغم القصف والدمار إلا أن يصدح بآذانه ويصل إلى عنان السماء ، معلناً كلمة التوحيد بكل عز وإباء مسجد القعقاع بن عمرو روادًا ودعاة .

إلى فارسات الإرادة (المعاقات) اللواتي تحدين إعاقتهن بكل عزيمة وإصرار ، والتحقن بقافلة الإيمان فارتدن المساجد رغم الصعاب أملهن أن ينهلن من زاد الإيمان ليرضين الرحمن .

شكر وتقدير

انطلاقاً من قول الله ﷻ : { رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ } [النمل:19] .

وقول المصطفى ﷺ : [من لا يشكر الناس لا يشكر الله] (1)

أتقدم في بداية شكري بالحمد والثناء لصاحب الفضل الأول والأخير ،الهادي إلى سواء السبيل ،إلى الله ﷻ ، لما فتح به علىّ من علم بلغني ما كنت أصبوا إليه ،فأعانني على إتمام هذا البحث المتواضع بعد أن كان حلماً يراودني .

وأثني بالشكر على من أمرني ربي بشكرهما في كتابه فقال { أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ } [لقمان:14]،

والشكر موصول لأهل بيتي الذين كانوا عوناً لي خلال فترة الدراسة والبحث .

واعترافاً بالفضل لأهله فإنني أتقدم بالشكر والعرفان وجزيل الامتنان

لفضيلة الدكتور: محمود هاشم عنبر

على تواضعه وسماحته، وحلمه عليّ، فقد علمني بصبره ودأبه ، وحباني بنصحه ، فكان لي حظاً من اسمه فهو محمود على إشرافه وجهده وإحسانه لي، حيث كسى بحثي عنبراً بتوجيهاته الندية ،وإرشاداته السديدة ، وآرائه الرشيدة ،

فجزاه الله خير ما جزى أستاذاً عن طالبته سائلة المولى أن يزيده من العلم والإيمان،

ويمنحني وإياه الفقه في السنة والقرآن .

كما وأتقدم بخالص الشكر والتقدير للعالمين الجليلين :

فضيلة الأستاذ الدكتور / عبد السلام اللوح . . . حفظه الله ورعاه .

فضيلة الدكتور / زكريا إبراهيم الزميلي . . . حفظه الله ورعاه .

لتكرمهما بقبول مناقشتي لهذا البحث ،فقد منحاني شرف الجلوس أمامهما لاستماع نقاشهما المعبق بالتوجيهات السديدة، بما حباهما المولى من علم وخبرة في ميدان البحث ،والتي تثري بحثي وتزيده جمالاً ، آخذة بتوجيهاتهما وكلي رضى ،

سائلة الله أن يحسن ثوابهما ويبقيهم ذخراً للإسلام والمسلمين ،وينفع بهما طلاب العلم أجمعين .

وكل الشكر لبيتي الثاني، منارة العلم والعلماء ، الصرح العلمي المتين ، رائدة التعليم ودوحة المستنيرين ،وقبلة الباحثين ، التي خرجت علماء وفقهاء ، ومفكرين وعظماء الجامعة الإسلامية الشماء ، رئاسة وعمداء ،وأكاديميين وإداريين ،

وكل الشكر لعمادة الدراسات العليا التي سمحت لطلبة العلم بإكمال الدراسات العليا ، والشكر موصول لكليتي الحبيبة، كلية أصول الدين التي تنقلت بين أروقتها كي أنهل من النبع الصافي والعلم الوافي ،ممثلة بعميدها

الدكتور محمد بخيت . . . حفظه الله .

---

1 – سنن الترمذي،كتاب البر والصلة ،باب ما جاء في الشكر لمن أحسن اليك، ص445،حديث (1954) ،قال الألباني:حديث صحيح .

وجميع العاملين فيها أكاديميين وإداريين ، وأخص بالذكر

الأستاذ عبد الله أبو موسى

الذي أشرف على تنسيق هذا البحث .

ولا أنسى تقديم أسمى آيات الشكر للمكتبة المركزية ممثلة بعميدها وموظفيها ،على تسهيلهم لي إمكانيات البحث بين أركانها وجنباتها ، وأخص بالدعاء

الشهيد المجاهد أبو مصعب أبو الخير

فإن الكلمات في حقه تتوارى خجلاً أمام عطائه ،وأمام تضحيات رجال عبقت دماؤهم الزكية ثرى فلسطين الحبيبة .

وأسجل شكري وجزيل امتناني بمداد العرفان لدكتور الفيزياء الفلكية بجامعة الأقصى

الدكتور سليمان بركة

الذي أسهم بعلمه الغزير بإسداء الملاحظات العديدة التي أسهمت في توسيع وتعميق الجانب العلمي للبحث ،بما أنعم الله عليه من علم نافع فقد منحني من وقته الكثير رغم كثرة انشغاله .

كما لا يفوتني أن أكلل شكري العطر المحمل بالتقدير والإجلال

للشيخ المربي إبراهيم درويش (أبي بلال)

المشرف على مساجد الوسطى بوزارة الأوقاف ،على ما أولاني من رعاية واهتمام ،ففتح لي بيته ومكتبته وحباني بالنصح والتوجيه ، فقد عهدت فيه سعة الصدر والعمل الدؤوب في الدعوة ، وفي العطاء الذي لا يحده حد ، وله أدين بالكثير في حياتي الدعوية مما يحار اللسان عن ذكر مناقبه ، فما أكنه في نفسي لا يمكن أن يكتبه قلم أو يسطره بيان .

ولا أنسى أن أخط بمداد قلمي الشكر الجزيل

لأخي الحبيب أكرم

الذي شاركني في طباعة وعمل العرض التقديمي للرسالة فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أن الوفاء والعرفان بالفضل والامتنان يدعواني لتقديم الشكر

لأختي الغالية رحاب غبان

التي عاشت معي صفحات الرسالة لحظة بلحظة ،وأخذت بيدي وشدت من أزري ،فقد مثلت أسمى معاني الأخوة في الله .

وعلى الرغم من كثرة ذوي الفضل فإن الشكر أقل معاني الوفاء اتجاه من وقفوا بجانبي وساندوني ،فلا أنسى من الشكر كل من ساهم معي ولو بجهد قل أو كثر لانجاز هذا البحث ،وهذا قلمي يخط بخجل أسماء بعضهن ليثبتها هنا عرفاناً لهن أخص بالذكر الأخوات

سحر الزعيم ، أماني المغني، فوزية البراوي، آمنه السكافي، صفاء الصفدي، وإيناس زوجة أخي.

وأوجه شكري الأخير إلى كل من قدم لي العون والنصح سواء بكلمة أو فكرة أو مساعدة أو طباعة أو إعارة كتاب أو دعوة حتى خرج هذا البحث المتواضع إلى حيز النور .

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الكون فنظَّمه، وخلق الإنسان فكرَّمه، وسن َالدين وعظمه، ووضع البيت وحرَّمه، ورفع النجم وسوَّمه، وسخر الطير وألهمه، وسيَّر السحاب وأنزله، ورفع القمر وقدره، وأنزل الكتاب وأحكمه، و خلق السماء من غير عمد نراه فما أعظمه، سبحانه من إله حكيم خلق كلَّ شيء بقدر فأحكمه.

والصلاة والسلام على خير الأنام، الحبيب المصطفى العدنان، وعلى آله الأطهار، وصحبه الأبرار، ومن سار على نهجه وهديه بعزيمة وإصرار ... أما بعد :

من الجميل أن ينشغل المسلمون عامة وطلاب العلم خاصة بهذا الكتاب العزيز بالبحث في آياته الباهرات، والاستزادة من علومه النافعات، و الاستفادة من لطائفه العظيمات، والنظر والتفكر في مخلوقاته العظيمة، وآياته الكونية البديعة في الأرض و السماوات .

فالقرآن الكريم كتاب انطوى على مكنونات بهية، وأسرار بليغة ندية ، في آياته الكونية ، من تفكر فيها وتأملها فاز بالرضوان والجنان ، ومن أعرض عنها باء بالخزي والخسران .

وانطلاقاً من قول الرحمن : ﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... ﴾ [يونس:101]

وقوله: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ *وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾[الغاشية: 17-18] ، كانت الاستجابة بقوة الإيمان في الخوض في غمار القرآن للتأمل والتفكر في آياته الكونية، وأسراره البهية، وحقائقه العلمية، فكان من نتاج التفكر والنظر ، والتدبر والسهر ولادة موضوع

(السماء بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية "دراسة موضوعية")

من رحم الآيات الكونية لتنير طريق نفوس أبيّة، ولتعزز صلتها بالله وتلجأ إليه بهمة قوية، لا يعتريها شك بالمتفرد بالألوهية ، فقد منّ الله عليَّ بأن عشت مع كتابه ، وهيأ لي الغوص في أعماقه ، وسبر أغواره ، للحصول على درره ولآلئه ، واستنباط بعضاً من روائعه وأسراره ، وحقائقه العلمية التي ساقها قلمي متدبرة فيها بالقدر الذي يسره الله لي ، فما كان هذا البحث إلا ثمرة لعمل ما زال يتواصل في ميدان التفسير العلمي .

سائلة المولى –عز في علاه– أن ييسر لي كل صعب، وأن يتقبل هذا العمل مني خالصًا لوجهه الكريم ، وأن أكون قد وفقت فيما كتبت ، وأسأله العفو عما به زللت ، فإنه خير مأمول وأكرم مسئول ، فهو وحده المستعان وعليه التكلان .

- **أهمية الموضوع :**

تنبع أهمية هذا الموضوع من خلال الاعتبارات التالية :

1- عناية القرآن الكريم بموضوع السماء، فقد ذكرها ﷻ في آيات كثيرة ومتفرقة بلغت ثلاث مائة وأربع آيات مما يدل على أهميتها .

2- حاجة الناس إلى فهم كتاب الله وذلك من خلال آياته الكونية وحقائقه العلمية .

3- اتصال هذا الموضوع بقضايا العصر الحاضر وامتداده على مر الأزمان وذلك لاشتمال القرآن على الحقائق والإشارات العلمية التي يكشف عنها العلم تباعاً .

4- ولهذا الموضوع أهمية بالغة كونه يثبت عالمية رسالة القرآن وذلك من خلال الحقائق العلمية في آيات السماء الكونية والتي تصدقها الحقائق العلمية في كل عصر .

5- اشتماله على مضامين وهدايات إلهية مختلفة في العقائد و العبادات والمعاملات، تؤكد كلها على وحدانية الله وصدق رسوله ﷺ .

- **أسباب اختيار الموضوع:**

1- بيان عظمة الخالق -سبحانه وتعالى- من خلال بيان عظمة مخلوقاته كالسماء .

2- الرغبة الإيمانية المخلصة في التبحر في كتاب الله والمساهمة في دراسة موضوعاته دراسة تفسيرية موضوعية.

3- استجابة وتلبية لأمر الله بالتأمل والتفكر في آياته والنظر والتدبر في عظيم صنعه.

4- افتقار المكتبة الإسلامية إلى دراسة علمية محكمة تغطي الموضوع من ناحية تفسيرية موضوعية .

5- كثرة الإشارات العلمية في القرآن الكريم التي تتعلق بالسماء والحاجة إلى جمعها ودراستها من أجل تقديم صورة حقيقية لها .

6- إيضاح الموضوعات المختلفة التي اشتمل عليها موضوع البحث وبيان الغرض منها موضحة بلاغة القرآن وشمولية موضوعاته .

7- بيان عظمة خلق الله في الكون وتسخير السماء للإنسان.

8- الاستفادة من الحقائق العلمية الحديثة في البرهنة على أن القرآن والسنة وحي سماوي وليس نتاجاً بشرياً .

- **الدراسات السابقة :**

بعد البحث والاطلاع على ما كتب حول موضوع السماء في العديد من المكتبات والمواقع الالكترونية لم أعثر على رسالة علمية تناولت هذا الموضوع كدراسة تفسيرية موضوعية مستقلة متخصصة ومحكمة .

ولكني وقفت على عدة كتب منها :

1- معاني السماء والأرض في القرآن الكريم ، لمحمد الحوفي.
2- آيات الله في السماء ، للدكتور زغلول النجار .
3- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في ضوء الدراسات الجغرافية والفلكية والطبيعية، للدكتور حسن أبو العينين.

وبعد اطلاعي على موضوعات الدراسات السابقة تبين لي أن هؤلاء العلماء تناولوا الموضوع من نواح جزئية كالناحية الفلكية والإعجازية ولم تكن دراسات أكاديمية محكمة.

أما هذا البحث فسيتناول موضوع السماء في القرآن الكريم من خلال دراسة موضوعية شاملة تجمع بين التفسير الموضوعي وأدلة صدق الوحي والنبوة المتمثلة بالحقائق العلمية ، وذلك في إطار دراسة تفسيرية موضوعية محكمة .

ومن الجدير بالذكر أني بحثت عبر شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) وقسم خدمات المعلومات بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، فلم أجد رسالة علمية كتبت في هذا الموضوع وقد أرسلوا لي كتابًا مفاده أن موضوع الرسالة لم يكتب فيه من قبل، فكان لي السبق في تقديم هذا الموضوع للدراسة والبحث .

- **منهج الباحثة :**

اتباع المنهج الاستقرائي الوصفي وذلك من خلال النواحي التالية :

1- استقراء آيات السماء وجمعها وترتيبها ودراستها دراسة تحقق تفسيراً موضوعياً متكاملاً.
2- كتابة الآيات بالرسم العثماني وعزوها إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية .
3- وضع العناوين المناسبة للفصول والمباحث والمطالب مستخدمة الألفاظ القرآنية ما أمكن.
4- الالتزام بقواعد التفسير بالمأثور لأنه خير ما يفسر به القرآن الكريم .
5- العمل بالضوابط التي وضعها العلماء للتفسير بالرأي المحمود الجائز .
6- الاستدلال بالأحاديث النبوية والآثار التي تخدم البحث وعزوها إلى مظانها وذلك حسب ضوابط وأصول التخريج ، ونقل أقوال العلماء في الحكم على الأحاديث من غير الصحيحين ما أمكن .
7- توضيح معاني المفردات الغريبة التي تحتاج إلى بيان في الحاشية من خلال المعاجم اللغوية
8- الترجمة للأعلام المغمورين والبلدان غير المعروفة الواردة في البحث مع تحديث المعلومات ما أمكن .

9- عزو النقولات والأقوال المقتبسة إلى أصحابها وتوثيقها حسب الأصول .

10- الاعتماد على المصادر الأصلية من كتب التفسير والإعجاز للعلماء القدامى والمحدثين مع الاستعانة بالمراجع العلمية المعاصرة التي كشفت عن بعض الأسرار والحقائق العلمية في الآيات الكونية في السماء .

11- مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق وذكر المصادر والمراجع في الحواشي مبتدئة بذكر اسم الكتاب ثم المؤلف والجزء والصفحة ، مع مراعاة عدم ذكر اسم المؤلف في الحاشية إذا ذكر في متن الرسالة والاكتفاء بذكر بيانات الكتاب كاملة في فهرس المصادر والمراجع حتى لا أثقل على الحاشية .

12- التركيز على جانب التفسير الموضوعي وربط الموضوعات المتعلقة بالسماء مع بعضها البعض.

13- عمل الفهارس اللازمة التي تخدم البحث وتسهل الوصول إلى المعلومات.

- **أهداف البحث وغاياته :**

لهذا البحث أهداف كثيرة وغايات عديدة أذكر أهمها :

1- ابتغاء مرضات الله أهم هدف وأعظم غاية أرجوها من كتابة هذا البحث .

2- إخراج بحث تفسيري موضوعي يتحدث عن السماء في ضوء القرآن الكريم.

3- إبراز عناية القرآن بموضوع السماء وبيان منهجه في الاستدلال على الهدايات الإلهية التي تمثل طابعًا خاصًا في التربية الإيمانية وتقويتها في الأمة .

4- إثراء المكتبة الإسلامية ببحث علمي محكم يتناول موضوعا جديدا تفتقر إليه .

5- تصحيح ما شاع بين الناس قديماً من أقاويل باطلة مثل القول بعدم جريان الشمس ، وعدم إمكانية الصعود إلى السماء وغيرها من الأباطيل التي صححها القرآن وأثبت صدقها العلم الحديث .

6- لفت الأنظار إلى ما تتضمنه بعض الآيات القرآنية من حقائق علمية اكتشفت بعد نزول القرآن بقرون مما يدل على أن هذا القرآن من لدن حكيم خبير .

هيكلية البحث :

وتحقيقًا لهذه الأهداف والغايات حذوت بتوفيق الله في كتابة هذا البحث وفق خطة تتألف من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة وفهارس

المقدمة :

وتشمل أسباب اختيار الموضوع، وأهمية البحث، والدراسات السابقة، ومنهج الباحثة، وأهداف البحث وغاياته، بالإضافة إلي هيكلية البحث .

المبحث الثالث :الهدايات في المعاملات في آيات السماء .

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : تعلم الطاعة من السماء .

المطلب الثاني : تعلم قيمة حمل الأمانة من السماء .

الخاتمة :

وقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة .

الفهارس :

قامت الباحثة بوضع الفهارس التالية :

1- فهرس الآيات القرآنية .

2- فهرس الأحاديث النبوية .

3- فهرس الأعلام المغمورين .

4- فهرس الأماكن والبلدان .

5- فهرس المصادر والمراجع .

6- فهرس الموضوعات .

الفصل الأول

السماء بين الاستعمالات اللغوية والقرآنية

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : معنى السماء في اللغة والاصطلاح .

المبحث الثاني : لفظة السماء في السياق القرآني .

المبحث الثالث : الاستعمالات القرآنية للفظة السماء .

المبحث الأول

معنى السماء في اللغة والاصطلاح

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف السماء في اللغة .

المطلب الثاني : تعريف السماء في الاصطلاح .

المطلب الثالث : العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي .

المبحث الأول

معنى السماء في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: تعريف السماء لغة.

السماء: اسم علـــى وزن فَعال ، أصله السماو وقعت الواو متطرفة وقبلها ألف زائـــدة وفتحـــة فقلبت همزة.

والسماء: من سما يَسْمُوُ سُمواً، والسمو: العلو والارتفاع تقول فيه: سَمَوْتُ وسَمَيْتُ مثل علـــوت وعليت، وسماء كل شيء أعلاه، والسماء سقف كل شيء .

وقيل: كلُ سماءٍ بالإضافة إلى ما دونها فسماء ، وبالإضافة إلى ما فوقها فأرض إلا السماء العليا فإنها سماء بلا أرض، وحُمل على هذا قوله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ...﴾ [الطَّلاق:12] .

والسماء: ما يقابل الأرض، تذكَّر وتؤنَّث وتستعمل للواحد والجمع، فقد وردت بصيغة التذكير والإفراد في قوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ...﴾ [المزمل:18] ، وبصيغة التأنيث والجمع في قوله تعالى: ﴿... فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ...﴾ [البقرة:29] ، وتجمع على سماوات وأسمية وسُمي.

والسماء: كل ما علاك فأظلك، ومنه قيل: للسحاب سماء لأنه عال، ولسقف البيت سماء، وكـــل عال مُطل سماء، وسمى المطر سماء لأنه ينزل من السماء، وسمى النبات سماء إما لكونه مـــن المطر الذي هو سماء وإما لارتفاعه عن الأرض، كما ويسمى ظهر الفرس سماء لعلوه(1).

المطلب الثاني: تعريف السماء في الاصطلاح.

تشـــابهت وتقاربـــت تعريفات المفسرين والعلماء قديماً وحديثاً للسماء في الاصـــطلاح وذلك على النحو التالي:

أولاً: تعريف المفسرين القدامى والمحدثين للسماء:

أ- تعريف السماء عند المفسرين القدامى .

1- **عرفها الإمام الطبري بقوله:** " كل شيء كان فوق شيء آخر فهو لما تحته سماء" (2) .

---

(1) انظر: (العين) أبو عبد الرحمن الفراهيدي، ص 318- 319، و(تهذيب اللغة) أبو منصور محمد بن أحمـــد الأزهري ، ج13 ، ص116، و(مجمل اللغة) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ص357، و(أســـاس البلاغة) جار الله أبو القاسم محمـــد بـــن عمـــر الزمخـــشري ، ص 309 ، و(لـــسان العـــرب) ابـــن منظور،(493/14) ، و(بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) مجد بن يعقوب الفيروز أبـــادي، (262/3) ، و(معجم مفردات الإبدال والإعلال) أحمد محمد الخراط ، ص144.

(2) جامع البيان في تأويل آي القرآن (215/1) .

2- **وعرفها كلٌ من الإمام** الألوسي والبغوي والقرطبي والخازن والشوكاني وسعيد حوى بأنها: "كل ما علاك فأظلك" [1] .

ب- تعريف السماء عند المفسرين المحدثين :

1- **عرفها الشيخ مصطفى المنصوري بقولــه:** " السماء ما نشاهده فوقنا كقبة زرقاء، محيطـــة بالأرض من الفضاء الواسع ، ويطلق على كل ما علاك فأظلك كسقف البيت" [2] .

2- **وعرفها الأستاذ محمد رشيد رضا:** "السماء مجموع ما فوقنا من العالم" [3] .

3- **وعرفها الأستاذ الطاهر بن عاشور بقوله:** "السماء تطلق على الجو المرتفع فوقنا الذي نخاله قبة زرقاء وعلى الهواء المرتفع" [4]. قال تعالى: ﴿... كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم:24] .

4- **وعرفها الدكتــور وهبــة الزحيلــي بقولــه:** "هي بناء محكم مع ما فيها من ملايين النجوم والكواكب وعوالم الأفلاك والأجرام الســماوية لا يسقط منها شيء ولا يختل لها نظام" [5] .

5- **وعرفها الدكتور عبد الله شحاتة بقوله:** " السماء كل ما علاك وهي قبة مرفوعة محكمـــة البناء" [6].

ثانياً: تعريف السماء عند علماء العلوم الكونية :

عرف بعض العلماء والباحثين في العلوم الكونية والإعجاز السماء بما يلي:

1- **عرفها محمد إسماعيل إبراهيم بقوله:** " هي الكرة الكونية الجامعة لكل الأفلاك والنجوم في مجرتنا أي حدود عالمنا المادي" [7] .

2- **وعرفهــا محمــد كامــل عبــد الصمد بقوله:** " هي كل ما يحيط بــالأرض مــن جميــع أقطارها" [8].

---

(1) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني (276/1) ، ومعالم التنزيل (49/1) ، والجامع لأحكام القرآن ، المجلد الأول (189/1) ، ولباب التأويل في معاني التنزيل (49/1) ، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (81/1) ، والأساس في التفسير (75/1) .

(2) المقتطف من عيون التفاسير (46/1) .

(3) تفسير المنار (187/1) .

(4) التحرير والتنوير (317/1) .

(5) التفسير الوسيط (17/1) .

(6) تفسير القرآن الكريم (37/1) .

(7) القرآن وإعجازه العلمي ، ص 61 .

(8) الإعجاز العلمي في الإسلام ، ص 58 .

رأي الباحثة :

تبين للباحثة من خلال التأمل في التعريفات الاصطلاحية والعلمية أن كل تعريف علـــى حده لا يعتبر تعريفاً حاصراً للسماء في الاصطلاح، وأن مجموع هذه التعريفات لا يمثل معنـــى متكاملاً وضابطاً لهذه اللفظة .

وعلي ضوء ما سبق من تعريفات يتضح ما يلي :

أ- أن المفسرين القدامى اقتصروا في تعريفهم للسماء على المعنى اللغوي، وهو كل ما عـــلاك فأظلك .

ب- أما المفسرون المحدثون منهم من وافق المفسرين القدامى في تعريفهم للسماء مثل مصطفى المنصوري ، ومحمد رشيد رضا، وعبد الله شحاتة ، ومنهم من اجتهد في وضع تعريـــف للسماء ، ولكني أرى أن تعريفهم لم يكن جامعاً مانعاً فهو أقـــرب للمعنـــى اللغـــوي مـــن الاصطلاحي .

وهناك بعض الردود علي تعريفاتهم أذكرها على النحو التالي :

1- من اقتصر على المعنى اللغـــوي لم يُعرف السماء بذاتها، إنما جعل تعريفه عاماً وشـــاملاً يدخل فيه السحاب والمطر وسقف البيت وغير ذلك مما علا وارتفع ، وبذلك يكون التعريف واسعاً وغير دقيق يدخل فيه مفردات كثيرة مما علت وارتفعـــت ، ولـــم يحقـــق المعنـــى الاصطلاحي المراد من السماء.

2- ذكر الشيخ المنصوري في تعريفه أن السماء زرقاء وهذا خلاف الحقيقة ، فالسماء حالكة الظلمة لقوله تعالى : ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النَّازعات: 27-29] ، وأما ما نراه من لـــون الزرقة فهو انتشار لأشعة الشمس ، فعنـــد غـــروب الشـــمس نرى السماء حمراء ، وعنـــد ذهابها نرى السماء مظلمة سوداء .

3- اعتبر الأستاذ الطاهر بن عاشور أن السماء هي الهواء ، واستدل بآية تدل على العلو فـــي طبقات الغلاف الجوي، ولم يقصد منها حقيقة السماء، ومن المعلوم أن الغلاف الجوي تابع للأرض لا للسماء، وأننا كلما صعدنا إلى أعلى قلت نسبة الهواء وأدى ذلك إلى الاختناق ، فكيف يكون الهواء هو نفسه السماء ، فلو صعدنا إلى الفضاء الخـــارجي الـــذي هـــو دون السماء لفقدنا الهواء تماماً ، ومن ناحية أخرى استعمل القرآن الكريم لفظة السماء في عدة

وجوه منها الهواء لأنه يرتفع عن الأرض ، وهذا هو المقصود من الآية ولم يقصد بها السماوات السبع الطباق .

4- نلاحظ أن تعريف الدكتور وهبة الزحيلي أقرب التعريفات للسماء ، إلا أنه جمع بين السماء وبين الفضاء الخارجي واعتبره بما يحتويه من نجوم وكواكب وأفلاك ضمن السماء وهذا خلاف الأصل ، لأنها بين السماء والأرض، جعلها الله زينة للسماء وزينة الشيء ليست جوهره ، فالنجوم شيء عارض على السماء تجيء وتذهب ، إذاً فالسماء شيء وزينتها شيء آخر.

5- جمع الدكتور عبد الله شحاتة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، وهذا خلاف الصواب لأن المعنى اللغوي أعم وأشمل ويدخل في طياته مفردات كثيرة ، ولو اكتفى بقوله هي قبة مرفوعة محكمة البناء لكان أفضل .

6- اقتصر كل من محمد إبراهيم ومحمد عبد الصمد في تعريفهما للسماء على ما دون السماء ولم يذكرا أي شيء عن حقيقة السماوات ، والتي هي موضوع البحث الذي بين أيدينا.

لذلك اجتهدت الباحثة في استنباط ووضع تعريف اصطلاحي للسماء وهو:

(السماء بناء محكم يبدو لنا على شكل قبة يظل الأرض والفضاء ويعلوهما ، وهو كيان حقيقي متقن له خواص ومميزات ، لا يسقط منه شيء ولا يختل له نظام).

المطلب الثالث: العلاقة بين المعاني اللغوية والاصطلاحية:

بالنظر إلى المعاني اللغوية والاصطلاحية لمعنى كلمة السماء تبين للباحثة أن بينها علاقة وثيقة وقواسم مشتركة أجملها في النقاط التالية :

1- تشترك المعاني اللغوية والاصطلاحية في أن معنى كلمة السماء كل ما أظلك وعلاك، ولا غرابة في ذلك ، فالقرآن الكريم قد نزل بلغة العرب وبلسان عربي مبين ، وهو أساس اللغة ، ومنه تستنبط أفصح أساليبها وأصول قواعدها.

2- أن المعنى اللغوي أشمل وأعم من المعنى الاصطلاحي ، وأن المعنى الاصطلاحي يمثل جزءاً من المعاني اللغوية، فقد ورد أن السماء مأخوذة من السمو والرفعة ، وهذا يتناسب مع واقع السماء فهي تسمو بارتفاعها وبنائها المحكم بلا عمد، وهي تسمو بزينتها ورونقها ومكانتها بين المخلوقات ، كما وتسمو بما فيها من ملائكة وأرواح وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله.

وبهذا يتبين أن المدلول اللغوي والقرآني لكلمة السماء ينحصر في معنيين:

الأول: الجهة العلوية التي فوق رؤوسنا ، ونراها بأمِّ أعيننا ، وهي السماء الدنيا واحدة السماوات السبع والتي لها كيان حقيقي وخواص ومميزات ذكر الله بعضها بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ...﴾ [الملك:5] .

الثاني: السماء كل ما علا وارتفع عن الأرض، فتطلق على السحاب والمطر وسقف البيت والفضاء.

وترى الباحثة أن السماء بالمفهوم الشمولي هي: إحدى السماوات السبع الطباق، المكونة من مادة الدخان والمرئية لنا، ذات بناء محكم، مرفوعة بلا عمد، مزينة بالنجوم والكواكب والأفلاك والأجرام السماوية، المحفوظة بسنة الجاذبية، يجري في مسالكها ومداراتها الشمس والقمر، ذات أبواب وطرق وعرض وارتفاع وبروج وسعة، لا تشقق فيها ولا تصدع ولا فروج، وهي من السبع الشداد، ينزل منها الماء والرزق والكتب والجند، ويسخر السحاب والرياح بينها وبين الأرض، مملوءة بالحرس والشهب، ويجري عليها التغيير والطي (1) ، والانشقاق والمور (2) ، والكشط (3) والانفطار والانفراج والتبديل وذلك يوم الوعيد، خلقت بالحق لتكون مصدر هداية للإنسان، وسخرت لقيام الحياة على الأرض، وفيها مسكن الملائكة وأرواح الشهداء والأبرار وميراثها لله الواحد القهار.

---

(1) الطي: من طوي الشئ طياً ، ضم بعضه على بعض ، أو لف بعضه فوق بعض ، وفي التنزيل : ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ...﴾ (الأنبياء: 104)، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية (593/2) .

(2) المور : مصدر مار الشئ يمور موراً: إذا تردد في عرض أي تحرك وجاء وذهب ، والمور الاضطراب، والمور السرعة ، ومنه قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ (الطور: 9) قال الضحاك : تموج موجاً، وقال أبو عبيدة والأخفش: تكفأ ، انظر : (لسان العرب) لابن منظور ، ص4299، (مختار الصحاح) لمحمد الرازي ، ص639، (المعجم الوسيط) مجمع اللغة العربية (927/2) ، (المحيط في اللغة) لإسماعيل بن عباد (286/10) .

(3) الكشط : أي قلعه ونزعه وكشفه عنه ، وفي التنزيل ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ (التكوير: 11) قال الفراء: يعني نزعت فطويت وقال الزجاج : معني كشطت قلعت كما يقلع السقف ، والكشط والقشط سواء في الرفع والإزالة والقلع والكشف. انظر: (لسان العرب) لابن منظور (438/7) .

المبحث الثاني

لفظة السماء في السياق القرآني

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : السماء في الآيات المكية .

المطلب الثاني : السماء في الآيات المدنية .

المطلب الثالث : حكمة إيراد لفظة السماء في الآيات المكية أكثر من المدنية .

المبحث الثاني
لفظة السماء في السياق القرآني

المطلب الأول: السماء في الآيات المكية:

القرآن المكي زاخر بالآيات الكونية، التي تستولي على النفس البشرية، فتثير الوجدان، وتتسلل إلى قلب الإنسان، فترتاد به آفاقاً وأكواناً، وعوالم وأزماناً، يدرك من خلالها وحدانية الرحمن، ولفظة السماء من الآيات الكونية التي كثرت في سياق القرآن، فقد وردت في القرآن المكي مائتين واثنين وعشرين مرة ، منها خمس وستون مرة مفردة ،ومائة وسبع وعشرون مرة جمعاً، في مائتين وست عشرة آية من كتاب الله موزعة على خمسٍ وخمسين سورة ، **نستعرضها من خلال الجدول الآتي:**

الترقيم	نص الآية	اسم السورة	رقم الآية	السماء مفرد وجمع
1-	﴿الحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾	الأنعام	1	جمع
2-	﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾	الأنعام	3	جمع
3-	﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾	الأنعام	6	مفرد
4-	﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ لله كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾	الأنعام	12	جمع
5-	﴿قُلْ أَغَيْرَ الله أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾	الأنعام	14	جمع
6-	﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾	الأنعام	35	مفرد

-7	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الحَقُّ وَلَهُ المُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ﴾	الأنعام	73	جمع
-8	﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ﴾	الأنعام	75	جمع
-9	﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ﴾	الأنعام	79	جمع
-10	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	الأنعام	99	مفرد
-11	﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	الأنعام	101	جمع
-12	﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	الأنعام	125	مفرد
-13	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُجْرِمِينَ﴾	الأعراف	40	مفرد
-14	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾	الأعراف	54	جمع
-15	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	الأعراف	96	مفرد

16-	﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	الأعراف	158	جمع
17-	﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾	الأعراف	162	مفرد
18-	﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾	الأعراف	185	جمع
19-	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	الأعراف	187	جمع
20-	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	يونس	3	جمع
21-	﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾	يونس	6	جمع
22-	﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	يونس	18	جمع
23-	﴿إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾	يونس	24	مفرد

24-	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾	يونس	31	مفرد
25-	﴿أَلَا إِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	يونس	55	جمع
26-	﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾	يونس	61	مفرد
27-	﴿أَلَا إِنَّ للهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾	يونس	66	جمع
28-	﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	يونس	68	جمع
29-	﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	يونس	101	جمع
30-	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾	هود	7	جمع
31-	﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	هود	44	مفرد
32-	﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾	هود	52	مفرد

33-	﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾	هود	107	جمع
34-	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾	هود	108	جمع
35-	﴿وَللهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	هود	123	جمع
36-	﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾	يوسف	101	جمع
37-	﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾	يوسف	105	جمع
38-	﴿اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾	إبراهيم	2	جمع
39-	﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾	إبراهيم	10	جمع
40-	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	إبراهيم	19	جمع
41-	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾	إبراهيم	24	مفرد
42-	﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ﴾	إبراهيم	32	جمع — مفرد
43-	﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾	إبراهيم	38	مفرد

44-	﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾	إبراهيم	48	جمع
45-	﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾	الحجر	14	مفرد
46-	﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾	الحجر	16	مفرد
47-	﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾	الحجر	22	مفرد
48-	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيلَ﴾	الحجر	85	جمع
49-	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	النحل	3	جمع
50-	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾	النحل	10	مفرد
51-	﴿وَللهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾	النحل	49	جمع
52-	﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللهِ تَتَّقُونَ﴾	النحل	52	جمع
53-	﴿وَاللهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾	النحل	65	مفرد
54-	﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾	النحل	73	جمع
55-	﴿وَللهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	النحل	77	جمع
56-	﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾	النحل	79	مفرد
57-	﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾	الإسراء	44	جمع
58-	﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾	الإسراء	55	جمع

59-	﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾	الإسراء	92	مفرد
60-	﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾	الإسراء	93	مفرد
61-	﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾	الإسراء	95	مفرد
62-	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾	الإسراء	99	جمع
63-	﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾	الإسراء	102	جمع
64-	﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾	الكهف	14	جمع
65-	﴿قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾	الكهف	26	جمع
66-	﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾	الكهف	40	مفرد
67-	﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾	الكهف	45	مفرد
68-	﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾	الكهف	51	جمع
69-	﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾	مريم	65	جمع

70-	﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا﴾	مريم	90	جمع
71-	﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾	مريم	93	جمع
72-	﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ العُلَا﴾	طه	4	جمع
73-	﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾	طه	6	جمع
74-	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾	طه	53	مفرد
75-	﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ القَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾	الأنبياء	4	مفرد
76-	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾	الأنبياء	16	مفرد
77-	﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾	الأنبياء	19	جمع
78-	﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾	الأنبياء	30	جمع
79-	﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾	الأنبياء	32	مفرد
80-	﴿قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾	الأنبياء	56	جمع
81-	﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾	الأنبياء	104	مفرد
82-	﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾	المؤمنون	18	مفرد
83-	﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ	المؤمنون	71	جمع

	وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾			
84-	﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾	المؤمنون	86	جمع
85-	﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾	الفرقان	2	جمع
86-	﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾	الفرقان	6	جمع
87-	﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالغَمَامِ وَنُزِّلَ المَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾	الفرقان	25	مفرد
88-	﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾	الفرقان	48	مفرد
89-	﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾	الفرقان	59	جمع
90-	﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾	الفرقان	61	مفرد
91-	﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾	الشعراء	4	مفرد
92-	﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾	الشعراء	24	جمع
93-	﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾	الشعراء	187	مفرد
94-	﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لله الَّذِي يُخْرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾	النمل	25	جمع
95-	﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ الله بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾	النمل	60	جمع — مفرد
96-	﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ	النمل	64	مفرد

	وَالأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾			
97-	﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾	النمل	65	جمع
98-	﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾	النمل	75	مفرد
99-	﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾	النمل	87	جمع
100-	﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾	العنكبوت	22	مفرد
101-	﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ القَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾	العنكبوت	34	مفرد
102-	﴿خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	العنكبوت	44	جمع
103-	﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللهِ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾	العنكبوت	52	جمع
104-	﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾	العنكبوت	61	جمع
105-	﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	العنكبوت	63	مفرد
106-	﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾	الروم	8	جمع
107-	﴿وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾	الروم	18	جمع
108-	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ	الروم	22	جمع

	أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾			
109-	﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	الروم	24	مفرد
110-	﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾	الروم	25	مفرد
111-	﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾	الروم	26	جمع
112-	﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾	الروم	27	جمع
113-	﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾	الروم	48	مفرد
114-	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾	لقمان	10	جمع — مفرد
115-	﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾	لقمان	16	جمع
116-	﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾	لقمان	20	جمع
117-	﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	لقمان	25	جمع
118-	﴿للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾	لقمان	26	جمع
119-	﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا	السجدة	4	جمع

	﴿... شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾			
120-	﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾	السجدة	5	مفرد
121-	﴿الحَمْدُ لله الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الحَمْدُ فِي الآَخِرَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ﴾	سبأ	1	جمع
122-	﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الغَفُورُ﴾	سبأ	2	مفرد
123-	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾	سبأ	3	جمع
124-	﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾	سبأ	9	مفرد (2)
125-	﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ الله لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾	سبأ	22	جمع
126-	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾	سبأ	24	جمع
127-	﴿الحَمْدُ لله فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾	فاطر	1	جمع
128-	﴿... يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ...﴾	فاطر	3	مفرد
129-	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ...﴾	فاطر	27	مفرد
130-	﴿إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	فاطر	38	جمع

131-	﴿ ... أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ ... ﴾	فاطر	40	جمع
132-	﴿ إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ... ﴾	فاطر	41	جمع
133-	﴿ ...وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ ... ﴾	فاطر	44	جمع
134-	﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ ... ﴾	يس	28	مفرد
135-	﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ... ﴾	يس	81	جمع
136-	﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ المَشَارِقِ ﴾	الصافات	5	جمع
137-	﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ ﴾	الصافات	6	مفرد
138-	﴿ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... ﴾	ص	10	جمع
139-	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ... ﴾	ص	27	مفرد
140-	﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا العَزِيزُ الغَفَّارُ ﴾	ص	66	جمع
141-	﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ ... ﴾	الزمر	5	جمع
142-	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ... ﴾	الزمر	21	مفرد
143-	﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ... ﴾	الزمر	38	جمع
144-	﴿ ... لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... ﴾	الزمر	44	جمع
145-	﴿ قُلِ اللهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... ﴾	الزمر	46	جمع
146-	﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... ﴾	الزمر	63	جمع
147-	﴿ ... وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ... ﴾	الزمر	67	جمع
148-	﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ ... ﴾	الزمر	68	جمع
149-	﴿ ... وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ... ﴾	غافر	13	مفرد
150-	﴿ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ... ﴾	غافر	37	جمع
151-	﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ ... ﴾	غافر	57	جمع
152-	﴿ اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ... ﴾	غافر	64	مفرد
153-	﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ... ﴾	فصلت	11	مفرد
154-	﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ	فصلت	12	جمع —

	أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾			مفرد (2)
155-	﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾	الشورى	4	جمع
156-	﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ...﴾	الشورى	5	جمع
157-	﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	الشورى	11	جمع
158-	﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	الشورى	12	جمع
159-	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	الشورى	29	جمع
160-	﴿للهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	الشورى	49	جمع
161-	﴿صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ...﴾	الشورى	53	جمع
162-	﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ...﴾	الزخرف	9	جمع
163-	﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ...﴾	الزخرف	11	مفرد
164-	﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	الزخرف	82	جمع
165-	﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ ...﴾	الزخرف	84	مفرد
166-	﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	الزخرف	85	جمع
167-	﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾	الدخان	7	جمع
168-	﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾	الدخان	10	مفرد
169-	﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾	الدخان	29	مفرد
170-	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾	الدخان	38	جمع
171-	﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	الجاثية	3	جمع
172-	﴿... وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ ...﴾	الجاثية	5	مفرد
173-	﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ...﴾	الجاثية	13	جمع
174-	﴿وَخَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ...﴾	الجاثية	22	جمع
175-	﴿وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	الجاثية	27	جمع
176-	﴿فَللهِ الحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ ...﴾	الجاثية	36	جمع
177-	﴿وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ ...﴾	الجاثية	37	جمع

178-	﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ...﴾	الأحقاف	3	جمع
179-	﴿... أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ...﴾	الأحقاف	4	جمع
180-	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ ...﴾	الأحقاف	33	جمع
181-	﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ ...﴾	ق	6	مفرد
182-	﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا ...﴾	ق	9	مفرد
183-	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ...﴾	ق	38	جمع
184-	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾	الذاريات	7	مفرد
185-	﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾	الذاريات	22	مفرد
186-	﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ...﴾	الذاريات	23	مفرد
187-	﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾	الذاريات	47	مفرد
188-	﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾	الطور	9	مفرد
189-	﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ...﴾	الطور	36	جمع
190-	﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ ...﴾	الطور	44	مفرد
191-	﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا ...﴾	النجم	26	جمع
192-	﴿وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾	النجم	31	جمع
193-	﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾	القمر	11	مفرد
194-	﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ...﴾	الملك	3	جمع
195-	﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ...﴾	الملك	5	مفرد
196-	﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ ...﴾	الملك	16	مفرد
197-	﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ...﴾	الملك	17	مفرد
198-	﴿وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾	الحاقة	16	مفرد
199-	﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾	المعارج	8	مفرد
200-	﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾	نوح	11	مفرد
201-	﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾	نوح	15	جمع

202-	﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا ...﴾	الجن	8	مفرد
203-	﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾	المزمل	18	مفرد
204-	﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾	المرسلات	9	مفرد
205-	﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾	النبأ	19	مفرد
206-	﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ ...﴾	النبأ	37	جمع
207-	﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾	النازعات	27	مفرد
208-	﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾	التكوير	11	مفرد
209-	﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾	الانفطار	1	مفرد
210-	﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾	الانشقاق	1	مفرد
211-	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾	البروج	1	مفرد
212-	﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	البروج	9	جمع
213-	﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾	الطارق	1	مفرد
214-	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾	الطارق	11	مفرد
215-	﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾	الغاشية	18	مفرد
216-	﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾	الشمس	5	مفرد

المطلب الثاني: السماء في الآيات المدنية:

لم يقتصر ورود لفظة السماء على الآيات المكية فحسب ، بل وردت في سياق الآيات المدنية أيضاً ، لتخاطب العقول بأساليب تثير التأمل والتدبر ، وتقدم براهين وأدلة مشاهدة تدل على عظمة الصانع ﷻ ، والمجتمع المدني رغم أنه كان مجتمعاً إيمانياً إلا أن أبناءه كانوا قريبي عهد بالجاهلية ، وهم بحاجة إلى توجيه أنظارهم إلى آيات الله الكونية ، ليزدادوا إيماناً على إيمانهم ، فالسماء حجة لكل ذي عقل سليم ، وفطرة صافية ، وحجة أيضاً لمن عطلوا عقولهم ، وأنكروا وحدانية الله .

وقد وردت لفظة السماء ثمان وثمانين مرة ، منها تسع وعشرون مرة مفردة ، وثلاث وستون مرة جمعاً ، موزعة على واحد وعشرين سورة مدنية من خلال واحد وثمانين آية من كتاب الله أذكرها على النحو التالي :

الترقيم	نص الآية	اسم السورة	رقم الآية	السماء مفرد وجمع
1-	﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ...﴾	البقرة	19	مفرد
2-	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ...﴾	البقرة	22	مفرد (2)
3-	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	البقرة	29	مفرد — جمع
4-	﴿... إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	البقرة	33	جمع
5-	﴿... فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ ...﴾	البقرة	59	مفرد
6-	﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	البقرة	107	جمع
7-	﴿... بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾	البقرة	116	جمع
8-	﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	البقرة	117	جمع
9-	﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ...﴾	البقرة	144	مفرد
10-	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	البقرة	164	جمع — مفرد (2)
11-	﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ﴾	البقرة	255	جمع (2)
12-	﴿لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾	البقرة	284	جمع
13-	﴿إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾	آل عمران	5	مفرد

14-	﴿... وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾	آل عمران	29	جمع
15-	﴿... وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	آل عمران	83	جمع
16-	﴿وَلله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾	آل عمران	109	جمع
17-	﴿وَلله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾	آل عمران	129	جمع
18-	﴿... وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ ...﴾	آل عمران	133	جمع
19-	﴿... وَلله مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	آل عمران	180	جمع
20-	﴿وَلله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	آل عمران	189	جمع
21-	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	آل عمران	190	جمع
22-	﴿... وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	آل عمران	191	جمع
23-	﴿وَلله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾	النساء	126	جمع
24-	﴿وَلله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ ...﴾	النساء	131	جمع
25-	﴿وَلله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾	النساء	132	جمع
26-	﴿... أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ...﴾	النساء	153	مفرد
27-	﴿... فَإِنَّ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	النساء	170	جمع
28-	﴿... لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾	النساء	171	جمع
29-	﴿... وَلله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	المائدة	17	جمع
30-	﴿... وَلله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	المائدة	18	جمع
31-	﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	المائدة	40	جمع
32-	﴿... أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾	المائدة	97	جمع
33-	﴿... أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ...﴾	المائدة	112	مفرد
34-	﴿... رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ...﴾	المائدة	114	مفرد
35-	﴿لله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	المائدة	120	جمع
36-	﴿... وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ ...﴾	الأنفال	11	مفرد
37-	﴿... فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ...﴾	الانفال	32	مفرد

38-	﴿ ... يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ... ﴾	التوبة	36	جمع
39-	﴿ إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... ﴾	التوبة	116	جمع
40-	﴿ اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ... ﴾	الرعد	2	جمع
41-	﴿ وَللهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... ﴾	الرعد	15	جمع
42-	﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... ﴾	الرعد	16	جمع
43-	﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ... ﴾	الرعد	17	مفرد
44-	﴿ ... فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ... ﴾	الحج	15	مفرد
45-	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ ... ﴾	الحج	18	جمع
46-	﴿ ... فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ... ﴾	الحج	31	مفرد
47-	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ... ﴾	الحج	63	مفرد
48-	﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ... ﴾	الحج	64	جمع
49-	﴿ ... وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ ... ﴾	الحج	65	مفرد
50-	﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ... ﴾	الحج	70	مفرد
51-	﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... ﴾	النور	35	جمع
52-	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... ﴾	النور	41	جمع
53-	﴿ وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللهِ المَصِيرُ ﴾	النور	42	جمع
54-	﴿ ... وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ... ﴾	النور	43	مفرد
55-	﴿ أَلَا إِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... ﴾	النور	64	جمع
56-	﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... ﴾	الأحزاب	72	جمع
57-	﴿ ... وَللهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... ﴾	الفتح	4	جمع
58-	﴿ وَللهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	الفتح	7	جمع
59-	﴿ وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... ﴾	الفتح	14	جمع
60-	﴿ ... وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ... ﴾	الحجرات	16	جمع
61-	﴿ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... ﴾	الحجرات	18	جمع

62-	﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ﴾	الرحمن	7	مفرد
63-	﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾	الرحمن	29	جمع
64-	﴿ ... أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ..﴾	الرحمن	33	جمع
65-	﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾	الرحمن	37	مفرد
66-	﴿سَبَّحَ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	الحديد	1	جمع
67-	﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	الحديد	2	جمع
68-	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	الحديد	4	جمع — مفرد
69-	﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى الله تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾	الحديد	5	جمع
70-	﴿ ... وَلله مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	الحديد	10	جمع
71-	﴿ ... وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ...﴾	الحديد	21	مفرد
72-	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾	المجادلة	7	جمع
73-	﴿سَبَّحَ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾	الحشر	1	جمع
74-	﴿ ... يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	الحشر	24	جمع
75-	﴿سَبَّحَ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾	الصف	1	جمع
76-	﴿يُسَبِّحُ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾	الجمعة	1	جمع
77-	﴿ ... وَلله خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	المنافقون	7	جمع
78-	﴿يُسَبِّحُ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾	التغابن	1	جمع
79-	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ...﴾	التغابن	3	جمع
80-	﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	التغابن	4	جمع
81-	﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ ...﴾	الطلاق	12	جمع

تبين للباحثة من خلال استقراء الجدول السابق ما يلي :

1- إن لفظة السماء (مفردة) وردت في مائة وست عشرة آية ، أما لفظة السماوات (جمع) وردت في مائة وثمانٍ وثمانين آية ، فعدد الآيات للفظة السماء (مفرد وجمع) يبلغ ثلاثمائة وأربع آيات ، وردت في ثلاثمائة وعشرة مواضع .

2- إن لفظة السماء مفردة تكررت مرتين في سورة البقرة آية (22 ، 164) وسورة سبأ آية (9) ، وسورة فصلت آية (12) .

3- إن لفظة السماء (جمع) تكررت مرتين في سورة البقرة آية (255) ، وسورة النساء آية (131)

4- إن لفظة السماء (مفرد) وردت في ستين سورة ، منها خمسون سورة مكية ، وعشر سور مدنية ، أما لفظة السماوات (جمع) وردت في واحدة وستين سورة ، منها واحدة وأربعون سورة مكية ، وعشرون سورة مدنية .

إذن لفظة السماء مفرد وجمع وردت في خمس وخمسين سورة مكية ، وواحدة وعشرين سورة مدنية ، فيكون المجموع الكلي ستاً وسبعين سورة .

5- إن السور التي لم ترد فيها لفظة السماء ثمان وثلاثون سورة ، وهذا يعني أن ثلثي القرآن وردت فيه لفظة السماء ، والثلث الذي لم ترد فيه لفظة السماء وردت فيه إشارات علمية وحقائق كونية لها علاقة بالسماء ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أهمية هذا الموضوع ، وعناية القرآن به ، فالسماء من أعظم الوسائل المؤثرة في النفوس .

6- إن لفظة السماء وردت في (304) آية ، وتعادل تقريباً 5% من آيات المصحف التي تبلغ (6236) آية .

7- جاءت لفظة السماء جمع مقترنة مع الأرض مما يفيد أنها مخلوق من مخلوقات الله التي تخضع لقانون الزوجية ، ويفيد عطف المخلوقات على بعضها الإحاطة والشمول .

8- إن الآيات التي وردت فيها لفظة السماء تدل دلالة واضحة على وجود الخالق العظيم ، وأن الأمر كله بيد الله الحكيم ، وهذه الآيات تدعو إلى التأمل والتفكر في عظمة ملك الله وإلى الاعتراف بوحدانيته .

المطلب الثالث: حكمة إيراد لفظة السماء في الآيات المكية أكثر من المدنية:

المتتبع لآيات السماء في السياق القرآني يجدها قد كثرت في السور المكية أكثر من السور المدنية ، حيث وردت في خمس وخمسين سورة مكية ، وواحد وعشرين سورة مدنية ، وذلك لحِكَم أجملها فيما يلي :

1- إن الوحي المكي نزل في وقت كان العرب في جاهلية عمياء وشرك مطبق، فنزلت تخاطب قوماً طغاة مشركين يعبدون الأصنام وينكرون البعث ويكذبون بيوم الدين لذلك كانت عناية القرآن الكريم تركز على تغيير عقائدهم، وتثبيت عقيدة التوحيد من خلال تحطيم أفكارهم الباطلة ، وفتح أعين المشركين على ما في الكون من أدلة تقودهم إلى الاعتراف بوجود الخالق سبحانه ، فالسماء مخلوق عظيم، وراءه خالق أعظم ، يستحق أن يعبد وأن تترك عبادة الأوثان التي كانت تعبد من دونه .

2- إن مكة أكثرها جبابرة ومشركين فتكررت آيات السماء المكية على وجه الإنكار عليهم ومحاجتهم بالبراهين العقلية والآيات الكونية لتنبههم إلى أنها آيات ودلائل على قدرة الله، لتنقل عقولهم من الاهتداء بها إلى الاعتراف بالخالق.

3- جاءت آيات السماء المكية لتستنهض الهمم للتأمل والتدبر ، والاقتداء بنبي الله إبراهيم عليه السلام كنموذج من المتأملين في الكون ، حيث أخذ يتأمل في ملكوت السماوات ليرشد قومه عن طريق الحوار إلى فساد اعتقادهم ، ودليل خطأهم ، في تأليه الكواكب والشمس والقمر ، لذلك جاء في آيات السماء ليستيقظ المشركون من غفلتهم ، ولتتفتح عقولهم لمشاهدة الآيات المبثوثة في ظواهر الكون وخباياه ، والقرآن الكريم يطوف بالنفس في ملكوت السماوات ، ويعمد إلى إيقاظ القلوب لتدبر هذا الحشد من السور والآيات ، وتأمل قدرة الله في اختلاف الليل والنهار والشمس والقمر ، وهذا الحشد الكوني الذي وراءه قوة خارقة عظيمة ، إذ إن عظمة الصنعة تدل على عظمة الصانع المبدع القدير .

4- إن القرآن المكي يخاطب العقول الكافرة وهذا يدل على عالمية الرسالة لذلك كثرت الآيات المكية ، أما القرآن المدني فهو يخاطب العقول المؤمنة وإيمانهم قد تمكن في قلوبهم لذلك كانت الآيات المدنية أقل .

المبحث الثالث
الاستعمالات القرآنية للفظة السماء

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: حكمة تفريق آيات السماء .

المطلب الثاني: حكمة إيراد لفظة السماء بصيغة المفرد والجمع.

المطلب الثالث: وجوه استعمال لفظة السماء في القرآن .

المبحث الثالث

الاستعمالات القرآنية للفظة السماء

المطلب الأول : حكمة تفريق آيات السماء :

من خلال ورود لفظة السماء في السياق القرآني لاحظت الباحثة تفرق هذه اللفظة بين آيات القرآن وسوره ، فعلى سبيل المثال لا الحصر وردت في سورة البقرة وحدها في اثنتي عشرة آية ، ووردت في سورة آل عمران في عشر آيات ، وفي سورة النساء في ست آيات ، وفي سورة المائدة في سبع آيات ، وفي سورة الأنعام في اثني عشرة آية ، وفي سورة الأعراف في سبع آيات ، وفي سورتي الأنفال والتوبة في أربع آيات ...الخ .

ومن المعلوم لدينا أن رسول الله ﷺ كان يُؤمر بوضع الآيات التي تتنزل عليه منجمة في مواضعها من السور ، وأن ذلك كان عن وحي يتلقاه ﷺ من جبريل عن الله رب العالمين ، فهل كان يأمر الله ﷻ بوضع آيات السماء والظواهر الكونية في مواضعها متفرقة في القرآن لحكمة ؟؟

يجيب على هذا التساؤل الأستاذ حسن البنا قائلاً : " إن القرآن الكريم جاء بهذه الظواهر واستعرضها وعرضها على الناس في كثير من المواضع لغرض واحد هو:

العبرة والعظة ولفت العقل والقلب إلى ما فيها من جمال ، وروعة ، ورقة ، وإعجاز ، وإبداع لا يكون إلا عن صانع حكيم متصف بالكمالات كلها لا يلحقه نقص ، ولا يناله قصور جل ربنا عن ذلك وتعالى علواً كبيراً ، يَسوق القرآن كل ذلك ليكون سبيلاً إلى معرفة الخالق والإيمان بالله ، وفي الوقت الذي يُقصد فيه إلى هذا المعنى نجد أن في ذكر هذه المخلوقات ولفت الأنظار إليها ، ومطالبة الناس بالتفكير فيها والتصريح بعلو منزلة العلماء بها دفعاً بكل مؤمن أن يتعلم وأن يحيط بأسرار هذا الكون العجيب "[1] .

وقد أورد الأستاذ محمد رشيد رضا في تفسيره المنار الحكمة من عدم تجمع الآيات الكونية في النقاط التالية :

أولاً : " إن أسلوب القرآن في بيان أصول الدين وفروعه المقصودة لذاتها هو إيرادها في آيات متفرقة في السور ممزوجة بغيرها من أنواع المسائل والفوائد لا في مكان واحد.

ثانياً : إن هذه السنن قد ذكرت في سياق الآيات الدالة على عقيدتي التوحيد والبعث ، فكان المناسب أن تذكر معها في مواضعها.

(1) مقاصد القرآن الكريم ، ص 289 .

ثالثاً : إن العلم التفصيلي بها ليس من مقاصد الوحي الذاتية وإنما هو من العلوم التي يصل إليها البشر بكسبهم وبحثهم وإنما يكون الوحي مرشداً لهم إليها .

رابعاً : لو جمعت هذه الآيات في موضع واحد على أنها بيان تام لجميع أطوار التكوين ، لتعذر فهمها قبل تحصيل مقدماته بالبحث العلمي ولكانت فتنة لبعض من فهمها بالجملة "(1)

وهناك حكم أخرى لتفريق آيات السماء تستنبطها الباحثة وتجملها على النحو التالي :

أولاً: تتابع آيات السماء في مواضع شتى يجعلها تتدرج في نزع المعتقدات الفاسدة وغرس العقيدة السليمة ، فتفرقها يلاحق القلب أينما توجه لتقرب لمدارك البشر شيئاً من حقيقة القوة المحيطة بالكون ، ظاهرة وخفية جليلة ودقيقة لتصور لهم سلطان الله المتفرد بالوحدانية ، وليدركوا أن السماء دالة على قدرة الخالق وحكمته وتدبيره في خلقه ، فيحرك وجدانه لتوحيد الخالق .

ثانياً : تفرقها وتكرارها يجعلها تُعرض في كل مرة بطريقة جديدة وثوب جديد ، يتناول عرضه مؤثرات وموحيات لها وقعها على النفس ، مما يحقق مقصد القرآن وهو الهداية والإرشاد وتكون أنشط له وأبعث على التحصيل ، فلو استمر على قراءة الآيات متسلسلة في سورة واحدة وموضع واحد وبالتفصيل لقطع ذلك على العقل البشري البحث والاجتهاد .

ثالثاً : من عادة القرآن أن يتخول الناس بالموعظة ، فلا نكاد نجد سورة من السور المكية إلا وفيها لفت الأنظار إلى السماء وما فيها من أسرار ، حتى السور المدنية التي تميزت بالتشريع وأحكام الأسرة ونظام الإسلام والجهاد وأخبار وأحوال المسلمين وأنباء اللاحقين يتخلل كل ذلك وصف القرآن للسماء واستنهاض الهمم إلى النظر والتأمل في السماء ليدرك كل ذي عقل رشيد وبعين ناقدة عظمة المبدع القدير .

رابعاً : بيان لإعجاز القرآن وأسلوبه في عرض الموضوعات وإيرادها متفرقة في السور، حيث تتنوع السورة في حديثها عن العقيدة والتشريع والآيات الكونية .

خلاصة ما سبق :

أن تفرق آيات السماء بين السور المكية والمدنية شاهد على صدق القرآن وبيان خصائصه في الإجمال والتفصيل ، فقد أجمل آيات السماء ، وأمر بالنظر والتفكر والسير في الأرض لنفهم هذا الإجمال بالتفصيل ، فلو جمعنا آيات السماء وفسرناها تفسيراً موضوعياً وبينا ماهيتها وعناصرها وأجزائها وخواصها ، وكشفنا عن أسرار نواميسها وحقيقة قوانين سيرها ، لكان ذلك أبين وأقرب للأذهان ، مما يزيدنا فهماً للقرآن .

---

(1) (22/12) .

المطلب الثاني: حكمة ورود لفظة السماء بصيغة المفرد والجمع :

جاءت لفظة " السماء " في القرآن الكريم في ثلاثمائةِ وعَشْرِ مواضع، منها مائةٌ وعشرون بالإفراد ، في مائةٍ وستَ عَشْرةَ آيةٍ موزعة على ستين سورة مكية ومدنية .

ووردت لفظة " السماوات " مائة وتسعين مرة بالجمع في مائة وثمان وثمانين آية ، موزعة على واحدٍ وستين سورة مكية ومدنية .

وذلك لحكمة جليلة ألا وهي : "خفة اللفظ وعذوبته الذي يسبق بسلاسته وعذوبته إلى القلب، قبل أن يسبق بحسن جرسه إلى السمع ، فهو يلج في السمع بغير استئذان لنصاعته ، وهذا ضرب من الفصاحة وهو في النظم الكريم ضرب من ضروب الإعجاز " (1) .

والحاصل أنه : متى أريد الجهة والوصف الشامل للسماوات وهو معنى العلو والفوق أتى مفرداً نحو قوله تعالى: ﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك:16] ، فأفرد هنا لما كان المراد الوصف الشامل وليس المراد سماء معينة ، وحيث أريد العدد أتى بصيغة الجمع الدالة على سعة العظمة والكثرة ، فإن الكلام متى اعتمد على السماء المحسوسة التي هي السقف وقصد به إلى ذاتها دون معنى الوصف جمعت جمع سلامة ، لأن العدد قليل وجمع القليل أولى به .

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ ...﴾ [الصَّف:1] ، أي :جميع سكانها على كثرتهم.

وقد علل الألوسي سبب جمع لفظة السماء قائلاً : "جمع الأشرف اعتناء بسائر أفراده... وأشرفية السماء لأنها محل الملائكة المقدسين على تفاوت مراتبهم ، ومعراج الأرواح الطاهرة " (2).

وهذه الحكم تتعلق بالمعنى ، أما من جهة اللفظ فالسماء وإن كان مثلها في المصادر كالعلاء فهي بأبنية الأسماء أشبه فلذلك جمعت (3) .

---

(1) الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ : محمد الأمين الخضري ، ص84 .

(2) روح المعاني : (80/7) .

(3) انظر : (البرهان في علوم القرآن) للزركشي ، ص6 ، و(الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي (595/2) ، و(بدائع الفوائد) ابن القيم ، ص57 ، و(الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ) محمد الأمين الخضري ص82-84 .

المطلب الثالث : وجوه استعمال لفظة السماء في القرآن :

وردت لفظة السماء في القرآن على خمسة أوجه أذكرها على النحو التالي :([1])

الأول : وردت بمعنى سقف البيت ، ومنه قوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج:15] .

قال الإمام الطبري : " فليمدد بحبل وهو السبب إلى السماء ، يعني سماء البيت وهو سقفه" [2] .

ويقول الإمام الشوكاني : "أي فليمدد حبلاً في سقف بيته (**ثُمَّ لِيَقْطَعْ**) أي ثم ليمدد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً" [3] .

والمعنى : من كان يعتقد أن الله تعالى لن يؤيد رسوله محمداً بالنصر في الدنيا بإظهار دينه ، وفي الآخرة بإعلاء درجته ، وعذاب من كذبه ، فليمدد حبلاً إلى سقف بيته ، وليخنق به نفسه ، ثم ليقطع ذلك الحبل ، ثم لينظر : هل يذهبن ذلك ما يجد في نفسه من الغيظ ؟ فإن الله تعالى ناصر نبيه محمداً ﷺ [4] .

الثاني : بمعنى السحاب ، ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد:17]، ومنه قوله : ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [المؤمنون:18] ، ونظير هذه الآية قوله تعالى:﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان:48] .

يقول الإمام الألوسي :" والمراد بالسماء جهة العلو أو السحاب أو معناها المعروف" [5] .

ويقول الإمام الرازي :" يقول بعض المفسرين :المراد السحاب وسماه سماء لعلوه" [6] .

ويقول الإمام الماوردي : "وأنزلنا من السماء ماءً يعني من السحاب مطراً" [7] .

والمعنى : أن الله تعالى وحده الذي رحم عباده وأدر عليهم رزقه بأن أرسل الرياح مبشرات بين يدي رحمته ، وهو المطر فثار بها السحاب ، وتآلف وصار كسفاً ، وألقمته ،

---

(1) انظر:(بصائر ذوي التمييز) للفيروز أبادي (264/3) ، (الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز) للدامغاني ، ص272 ، (منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم)لابن الجوزي ، ص 246، 247 .

(2) جامع البيان في تأويل آي القرآن ، المجلد العاشر (149/17) .

(3) فتح القدير (550/3) .

(4) انظر : (تفسير القرآن العظيم) ، لابن كثير ، (232/3) ، و(التفسير الميسر) جماعة من علماء التفسير المكتبة الشاملة (39/6) .

(5) روح المعاني ، المجلد العاشر (27/18) .

(6) مفاتيح الغيب (88/23) .

(7) النكت والعيون (148/4) .

وأدّرته بإذن ربها والمتصرف فيها ، ليقع استبشار العباد بالمطر قبل نزوله ، وليستعدوا له قبل أن يفاجئهم دفعة واحدة ، فجعل الرياح أولاً ؛ لأنه ريح ، ثم سحاب ، ثم مطر [1] .

الثالث : بمعنى المطر، ومنه قوله تعالى : ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [نوح:11] .

قال الإمـام الشـوكاني : "يريد المطر الكثير ، عبر عنه بالسماء ؛ لأنه ينزل من السماء" [2] ، ويقول الإمام القرطبـي : "أي يرسل ماء السماء ففيه إضمار ، وقيل : السماء المطر ، أي يرسل مطراً" [3] .

والمعنى : أن الله ﷻ أطمع عباده بالرزق الوفير الميسور من أسبابه التي يعرفونها ، وهي المطر الغزير الذي تنبت به الزروع فيرسل المطر متتابعاً ليروي الشعاب والوهاد ، ويحيي البلاد والعباد [4] .

الرابع : بمعنى الهواء (الغلاف الجوي) ، ومنه قوله تعالى : ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ [النحل:79] ،"وجو السماء" : أي الجو ما بين السماء والأرض" [5] .

يقول الإمام الشوكاني : "في جو السماء" أي في الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلو وإضافته إلى السماء لكونه في جانبها" [6] .

والمعنى : "نبه تعالى عباده إلى النظر إلى الطير المسخر بين السماء والأرض كيف جعله يطير بجناحين بين السماء والأرض في جو السماء ما يمسكه هناك إلا الله بقدرته تعالى التي جعل فيها قوى تفعل ذلك ، وسخر الهواء يحملها ويسير الطير" [7] .

ومنه قوله تعالى : ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام:125] ، "أي كحال من يصعد في طبقات الجو العليا" [8] .

---

(1) انظر : (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) النسفي (796/3) ، (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) السعدي ، ص 584 .

(2) فتح القدير (354/5) .

(3) الجامع لأحكام القرآن ، المجلد التاسع (221/18) .

(4) انظر : (في ظلال القرآن) لسيد قطب ، (3713/6) ، (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) للسعدي ، ص 889 .

(5) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، المجلد الخامس (111/10) .

(6) فتح القدير (231/3) .

(7) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، (638/2-639) .

(8) التفسير الميسر ، جماعة من علماء التفسير،المكتبة الشاملة (420/2) .

الخامس: السماء المقابلة للأرض المعروفة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة:29] ، وقوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:47] .

يقول الإمام ابن كثير : "فخلق الله السماء سبعاً ، والسماء ها هنا اسم جنس" [1] .

والمعنى : أن الله تعالى قصد إلى خلق السماء فسواهن سبع سماوات طباقاً غير متناثرة قوية متينة محكمة البنيان .

يقول الإمام الرازي : "ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وإخلاؤه من العوج والفطور وإتمام خلقهن" [2] .

---

(1) تفسير القرآن العظيم (72/1) .

(2) مفاتيح الغيب (156/2) .

الفصل الثاني

نشأة السماء وصفة خلقها وعلاقتها بالأرض

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: نشأة السماء و تكوينها.

المبحث الثاني: شكل السماء ومحتوياتها .

المبحث الثالث: صفات السماء وأفعالها .

المبحث الرابع: أحوال السماء يوم القيامة .

المبحث الخامس: العلاقة بين السماء والأرض .

المبحث الأول

نشأة السماء و تكوينها

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: نشأة السماء وأصل خلقها .

المطلب الثاني : مدة خلق السماء وترتيبها.

المبحث الأول
نشأة السماء و تكوينها

عندما ينظر الإنسان إلى السماء في ليلة صافية ، ينتابه شعور عارم ، لمعرفة خفايا هذا الكون وكيفية نشوئه ومدة خلقه ، وقضية أصل الكون ونشأته تعتبر من أمور الغيب التي يعلم الله وحده حقيقتها ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف:51] ، ولكن غيبية هذه القضية لم تمنع العلماء بحكم تعاليم الإسلام أن يواصلوا البحث والتنقيب في آيات الله في الكون ، ليزدادوا إيماناً بقدرة الخالق المبدع ووحدانيته ، وهذا ما سأوضحه جلياً خلال المطالب التالية ، فلنتجول بالتفسير بين ربوع آيات الرحمن، لنفهم نشأة السماء ومدة خلقها وترتيبها كما يصورها القرآن .

المطلب الأول: نشأة السماء وأصل خلقها:

خلق الكون مسألة جديرة بالتأمل، حيث تكشف قدرة الخالق العظيم ، وإن تفاوتت في الكبر والنوع ، فقد بين المولى ﷻ أن خلق الكون أكبر من خلق الناس ، لما فيه من الأسرار العلمية في جريان أجزائه وسعة أبعاده وكبر مجراته، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:57] ، وقد جعل المولى قدرته وعظمته في الخلق جميعاً اعتماداً على الماء كمادة أساسية في التكوين ، فالماء له أهمية كبيرة حيث يأتي ذكره دائماً مع ذكر الحياة والخلق قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ...﴾ [هود:7] ، وقال تعالى : ﴿... وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ...﴾ [الأنبياء:30] ، ومما يدل على أن الماء أول مخلوق قول الرسول ﷺ : **(كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض)** (1).

وذكر المولى ﷻ في كتابه المجيد نشأة السماء والكون مُبيناً الأطوار التي مر بها ، أذكرها على النحو التالي:

1- **الطور الأول (كتلة هائلة ملتصقة) :**

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:30] .

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في قول الله تعالى : [وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ...] ، ص 613 ، حديث (3191) .

المعنى الإجمالي:

جاءت هذه الآية مُفتتحة بالاستفهام التوبيخي، ينكر فيه ﷻ على الكفار الذين أشركوا معه غيره و جحدوا وحدانيته ، مع أنه المستقل بالخلق المستبد بالتدبير، فقال (أَوَلَمْ) أي أولم يعلم هؤلاء الجاحدون لألوهية الله العابدون معه غيره، أن هذه الكائنات من السموات والأرض كانت أجزاؤها ملتصقة متراكمة مرتوقة مضمومة بعضها إلى بعض ، والرؤية هنا رؤية قلبية أي ألم يتفكروا ويعلموا ما ينبغي أن يعلموه من أن السماء والأرض كانتا مادة واحدة لا فتق فيها ولا انفصال ، وقيل الرؤية هي رؤية البصر وذلك على الاختلاف في المراد بالرتق والفتق [(1)] ، والرتق في اللغة معناه السد ضد الفتق ، وهو مصدر بمعنى مرتوقتين وهو اتحاد الشيء واجتماعه، أي كان الجميع متصلاً متلاصقاً متراكماً بعضه فوق بعض، وقوله (فَفَتَقْنَاهُمَا) أي شققنا ما بينهما ، فالفتق هو الفصل بين شيئين ملتصقين [(2)] .

وفي الآية دلالة على وحدة الكون ،" بمعنى أن أرضنا كانت قطعة من السماء ملتصقتين ملتحمتين ففصلهما الله ﷻ بقدرته ، وجعل السماء مرتفعة بشموسها وأقمارها وكواكبها وسياراتها ونيازكها ومجراتها ، وجعل الأرض حيث هي منخفضة وجعل بينهما هذا الفضاء الواسع الفسيح الذي لا نهاية له بالنسبة إلينا" [(3)] .

ومما يدل كذلك على كون السماء والأرض كتلة واحدة ملتصقة قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:104] ، "تبين لنا هذه الحالة وبصورة أوضح أن في اليوم الآخر ستطوى السماوات كطي السجل للكتب، وبديهي أن الكتب عندما تطوى إلى بعضها في سجل فإنها لا تمتزج مع بعضها بل يبقى كل كتاب محتفظاً بكيانه، ولكنها جميعاً متصلة ببعضها ملتصقة مطوية" [(4)] .

وتنوع المفسرون في معنى الرتق والفتق على ثلاثة أقوال :

الأول: أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين ففتق الله بينهما بالهواء ، ورفع السماء فوق الأرض ، قاله ابن عباس والحسن[(5)] وأكثر المفسرين .

---

(1) انظر : (مفاتيح الغيب) للرازي (162/22-163) ، (البحر المحيط) لأبي حيان (424/7 ، 425) ، (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (196/3) ، (فتح القدير) للشوكاني (506/3) ، (المنار) لمحمد رشيد رضا (7/12) .

(2) (الكليات) : للكفوي ، ص450 (بتصرف).

(3) دلائل التوحيد انطلاقاً من القرآن والكون ،عبد الله التليدي ، ص190.

(4) الإسلام وحقائق العلم ، محمود قاسم ، ص 96.

(5) هو الحسن بن أبي الحسن البصري الأنصاري ، أبو سعيد ، سيد أهل زمانه علماً وعملاً ، كان إمام أهل البصرة ، ثقة فقيه إمام مشهور ، من سادات التابعين ، رأى عثمان وسمع خطبته ، ورأي علياً ولم يثبت.

الثاني: أن السماوات كانت مرتتقة مطبقة ففتقها الله سبع سماوات وكانت الأرض كذلك ففتقها سبع أرضين، قاله مجاهد (1).

الثالث: أن السماوات كانت رتقاً لا تمطر والأرض كانت رتقاً لا تنبت ، ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات ، قاله عكرمة (2).

وقد رجح بعض العلماء ومنهم الإمام الطبري الرأي الثالث لوجود قرائن على ذلك ، والتي منها :

أنه سبحانه أتبع ذلك بقوله : ﴿... وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيْ...﴾ والظاهر اتصال هذا الكلام بما قبله ، فلم يعقب بوصف الماء بهذه الصفة إلا لمناسبة ما تقدمه من أسباب (3) .

وترى الباحثة : أن هذا الرأي غير صائب لأن ذكر الماء في هذه الآية ليس للدلالة على مناسبته لمطر السماء ونبات الأرض ، وإنما جاء دليلاً آخر على قدرة الله ، ولأن المطر لا ينزل من السماء وإنما هو دون السماء فأصله بخار يتصاعد في الجو فيصبح سحاباً ثم ينزل المطر.

ويجمع الدكتور هشام زقوت بين الأقوال السابقة على أنها إخبار لمراحل خلق الكون فيقول : "التفسيرات السابقة لمعنى الرتق والفتق والتي ظاهرها التناقض كلها تفسيرات مقبولة ولا تناقض بينها لأنها تخبرنا بأن خلق السماوات والأرض تم في أطوار ومراحل مختلفة وهي :

أ- أن السماوات والأرض كانتا مادة واحدة ففصلتا إلى أرض واحدة وإلى سماء واحدة .

= سماعه منه ، كان مكثراً من الحديث ، ويرسل كثيراً عن كل أحد وصفه بتدليس الإسناد النسائي وغيره ، وهو رأس أهل الطبقة الثالثة ، توفي سنة 110هـ ، وقد قارب التسعين . انظر : (تقريب التهذيب) لابن حجر ، ص 160 ، (سير أعلام النبلاء) للذهبي ، (565/4) .

(1) مجاهد : ابن جبر المكي المقرئ المفسر أبو الحجاج المخزومي ، مولى السائب ابن أبي السائب ، كان أحد الأعلام الأثبات من الثالثة روي عن ابن عباس ، ولد سنة إحدى وعشرين من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب ، وكانت وفاته بمكة وهو ساجد سنة أربع ومائة على الأشهر ، وعمره ثلاث وثمانين سنة . انظر :(التفسير والمفسرون) للذهبي (79/1) ، (تقريب التهذيب) لابن حجر ، ص 520 ، (سير أعلام النبلاء) للذهبي (449/4 ، 450) .

(2) عكرمة : هو الحافظ العلامة المفسر أبو عبد الله القرشي مولاهم المدني ، ثقة ثبت من الثالثة لم يثبت تكذيبه حدث عن ابن عباس وعائشة وابن عمر وغيرهم ، وحدث عنه إبراهيم النخعي والشعبي وعمر بن دينار وغيرهم ، وهو أعلم الناس بالتفسير ، مات سنة خمس ومائة ، انظر : (طبقات الحفاظ) للسيوطي ، ص 43 ، (تقريب التهذيب) لابن حجر ، ص 397 .

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل آي القرآن) للطبري ، المجلد العاشر (24/17) ، (النكت والعيون) للماوردي (444/3) .

ب- أن الأرض فتقت إلى سبع أرضين وأن السماء فتقت إلى سبع سماوات ، قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ...﴾ [الطَّلاق:12] ، والمماثلة الواردة في الآية يراد بها المماثلة في العدد لا على الهيئة والشكل .

ج- أن الله فتق السماء بالمطر والأرض بالنبات بعد تسويتها .

فالفتق الأول كان لأصلهما ، والثاني لجنسهما ، والثالث بمعنى بعث الحياة فيهما وإخراج خيراتهما" (1) .

الحقائق العلمية في نشأة السماء:

لم يكن للكفار وقت نزول القرآن الكريم أي علم بهذا الرتق والفتق، ومع ذلك قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾ [الأنبياء:30] فكأنه تعالى يقول سَيرى الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا مرتوقتين ففصلنا بينهما ، وهو وإن ذكرها بلفظ الماضي (أولم ير) فقد يكون معناه المستقبل، حيث أبرزها المولى للعموم على أيدي الكفرة الغرب ، فالأبحاث العلمية في الفلك والفيزياء الفلكية توصلت إلى عدد من النظريات المفسرة لنشأة الكون ، وهي تتوافق مع الآيات القرآنية السابقة توافقاً عجيباً .

ومن هذه النظريات نظرية (الانفجار الكبير) (Big Bang):

طرح الفيزيائي البلجيكي (جورج لوميتر) عام (1927م) نظرية الانفجار الكبير، والتي تتلخص في أن المادة الكونية الأولى كانت محتواةً في حيز لا يكاد حجمه يعادل شيئاً، وكانت هذه البيضة الكونية كما يسميها العلماء كتلة هائلة من المواد الملتهبة المتجمعة والمؤلفة من أجزاء المادة والطاقة في حالة انضغاط شديد، رفع من كثافتها ودرجة حرارتها إلى حد كبير جداً ، وجعلها في حالة مواتية لجميع التفاعلات النووية، حينئذ حدث الانفجار الكوني الكبير في لحظة محددة من الزمن يرجع تاريخها حسب أرجح التصويرات العلمية إلى مابين (12- 20) مليار سنة ،انتشرت بسببها مادة الكون فيما حولها من فضاء وفراغ ، انتهى بتكوين أجرام السماء المختلفة ، ونتج عن ذلك تباعد وتخلخل الكثافة ونقصان درجة الحرارة تدريجياً ، وأدى هذا الانفجار كذلك إلى تفتت الذرات والجزيئات وتحولها إلى مواد أولية منها الالكترونات ، وبالإضافة إلى هذه العناصر كان الكون مليئاً بالضوء بعد زمن يسير من الانفجار العظيم (2) .

---

(1) الإعجاز العلمي في ضوء السنة النبوية ، هشام زقوت ، ص 148 .

(2) انظر: (الإنسان والكون) مرتضي أبو سمرة ، ص32، (تساؤلات كونية علي دروب البحث العلمي) يمني زهار ، ص11، (أصل الكون ونهايته) محمد الشهاوي:ص50،(القرآن وإعجازه العلمي) محمد إبراهيم ، ص62 .

الأدلة العلمية على نظرية الانفجار العظيم:

هناك أدلة وشواهد تدعم نظرية الانفجار العظيم مما يجعلها أكثر النظريات العلمية المفسرة لنشأة الكون قبولاً في الأوساط العلمية اليوم والمقبولة عقلاً عندنا ، فنحن المسلمون نرقى بهذه النظرية إلى مقام الحقيقة الكونية لورود ما يدعمها من كتاب الله ومن هذه الأدلة.

أ – التوسع الحالي للكون المشاهد:

إن ثبوت توسع الكون وتناثر المجرات وتباعد بعضها عن بعض لمسافات كبيرة، يدل على بدء الكون من جرم واحد ، لأن الكون قبل مليون سنة كان أصغر من اليوم ، فلو عدنا إلى بداية الكون قبل خمسة عشر مليار سنة تقريباً، فلا بد أن تلتقي كل صور المادة والطاقة في جرم واحد،" وقد توصل إلى هذه النظرية البلجيكي (جورج لوميتر) في سنة (1927م) وذلك في رسالة تقدم بها إلى(معهد ماشوسيتس للتقنية) بأمريكا دافع فيها عن حقيقة تمدد الكون" [1] .

"وأعلن الفلكي أدوين هابل (Habble)عام (1929م) الذي يحمل التلسكوب الفضائي اسمه ، أنه استطاع في رصده وأثناء تحليله للضوء المنبعث من المجرات البعيدة ، أن يكتشف تباعد جميع المجرات الممكن رصدها عن بعضها البعض، وأن سرعة انحسارها تتزايد مع تزايد المسافة التي تفصلها ، وكان هذا أول مفتاح على الطريق للكشف عن أسرار الكون، فإذا كانت المجرات تتباعد الآن عن بعضها البعض ، فلا بد إذن من أنها كانت في الماضي السحيق متحدة ، مما يدل على أن للكون بداية" [2] .

ب– اكتشاف الخلفية الإشعاعية للكون المدرك وتصوير الدخان الكوني :

أعلن (جورج جامو) وزميله (رالف ألفر) سنة (1948م) أن تركيز العناصر في الجزء المدرك من الكون يشير إلى أن الجرم الأولي الذي بدأ به الكون كان تحت ضغط ، وفي درجة حرارة لا يكاد العقل البشري أن يتصورهما ، وعند انفجاره انتقلت تلك الحرارة إلى سحابة الدخان الكوني التي نتجت عن ذلك الانفجار ، وسمحت بعدد من التفاعلات النووية التي أدت إلى تكوين العناصر الأولية مثل الهيدروجين والهيليوم ، ووضح أن عمليات التمدد والتبرد تؤدي إلى تشتت وهج خافت من الإشعاع الأساسي بشكل منتظم في جميع أرجاء الكون ، وتأكدت صحة هذا الرأي عام (1964م) عندما اكتشف العالمان (أرنو بنزياس) و(روبرت ويلسون) باستخدام جهاز ضخم لالتقاط الموجات الدقيقة تلك البقايا الأثيرية للإشعاع الحراري الكوني على هيئة ضوضاء لا سلكية محيرة منبعثة من الفضاء، وهذا الإشعاع بقية من الإشعاع الأصلي الناتج عن الانفجار الكبير.

---

(1) بداية الكون ونهايته في القرآن الكريم ، فراس الأسطل ، (مجلة الإمام) ، ص 88 .

(2) قراءة إيمانية في كتاب الكون من البداية إلي النهاية ، أحمد باشا (مجلة الأزهر) ، ص1443.

وفي سنة (1965م) قام كل من(بنزياس) و(ولسون) بتحديد قيمة البقايا الأثرية للإشعاع الحراري الكوني إلى(2.273) من الدرجات المطلقة وأثبت أنها من الموجات الكهرومغناطيسية المتناهية في القصر [1] .

وكان هذا الاكتشاف من أكثر الاكتشافات إثارة، وهو التقاط العلماء بواسطة مراصد الراديو الفائقة الحساسية لصدى الانفجار الكبير نفسه على هيئة أزيز ضعيف يأتي من جميع أنحاء الفضاء، وهو تفسير منطقي لسبب الأزيز اللاسلكي المنتظم الذي بقي على هيئة صدى لعملية الانفجار الكبير [2] .

" وقد منح كل من (بنزياس) و(ولسون) جائزة نوبل في سنة (1971م) على اكتشافهما الذي كان فيه الدليل المادي الملموس على نظرية الانفجار الكبير، والارتقاء بها إلى مقام الحقيقة شبه المؤكدة ، ودفع بالغالبية الساحقة من علماء الفلك والفيزياء الفلكية إلى الاعتقاد بصحتها.

وفي سنة (1989م) أرسلت وكالة ناسا الأمريكية في الفضاء قمراً صناعياً لجمع المعلومات حول الإشعاع الحراري الكوني أطلق عليه اسم (مستكشف الخلفية الكونية) والذي سمي اختصاراً (كوبي COBE) من ارتفاع يبلغ ستمائة كيلو متر حول الأرض ، وقد قاس درجة الخلفية الإشعاعية للكون، وقدرها بأقل قليلاً من ثلاث درجات مطلقة وزودت بأجهزة فائقة الحساسية أثبتت وجود تلك الأشعة الأثرية المتبقية عن عملية الانفجار العظيم، وقد أثبتت هذه الدراسة تجانس مادة الكون وتساويها التام في الخواص قبل الانفجار وبعده ، أي من اللحظة الأولى لعملية الانفجار الكوني العظيم ، وانتشار الإشعاع في كل من المكان والزمان ، مع احتمال وجود أماكن تركزت فيها المادة الخفية التي تُعرف باسم المادة الداكنة بعد ذلك، وكذلك قامت تلك المركبة الفضائية بتصوير بقايا الدخان الكوني الناتج عن عملية الانفجار العظيم على أطراف الجزء المدرك من الكون على بعد عشرة مليارات من السنين الضوئية تقريباً ، وأثبتت أنها حالة دخانية معتمة سادت الكون قبل خلق السماوات والأرض " [3] .

وهذه الأبحاث تبدو لنا أنها ذات مصداقية عالية من الناحية الشرعية،لأن كتابنا المجيد قد أشار إليها ووصف تلك الحالة الدخانية منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصّلت:11] ، وكان في اكتشاف هذا الدخان الكوني ما يدعم نظرية الانفجار الكوني العظيم.

---

(1) انظر:(بداية الكون ونهايته في القرآن الكريم) فراس الأسطل،(مجلة الإمام) ، ص89.

(2) انظر:(مجاهل الكون) أحمد والي ، (مجلة الإمام) ، ص13.

(3) بداية الكون ونهايته في القرآن الكريم، فراس الأسطل (مجلة الإمام) ، ص89.

ج- عملية الاندماج النووي وتآصل العناصر:

تتم عملية الاندماج النووي في داخل نجوم السماء بين ذرات الهيدروجين لتكوين نوى ذرات أثقل بالتدريج وتنطلق الطاقة ، وقد أدت هذه الملاحظة إلى الاستنتاج الصحيح لتآصل العناصر، فجميع العناصر التي يبلغ عددها أكثر من مائة عنصر ، قد تخلقت كلها في الأصل من غاز الهيدروجين بعملية الاندماج النووي ، فإذا تحول لب النجم المستعر إلي حديد انفجر النجم ، وتناثرت أشلاؤه في صفحة السماء ، حيث يمكن لنوى الحديد تلقي اللبنات الأساسية للمادة من صفحة السماء ، فتتخلق العناصر الأعلى في وزنها الذري من الحديد ، وقد منح العالم (وليام فاولر) جائزة نوبل في الفيزياء في سنة (1983م) تقديراً لجهوده في شرح عملية الاندماج النووي ودورها في تخليق العناصر المعروفة ومن ثم المناداة بتآصل العناصر، فالتدرج في تخليق العناصر المختلفة بعملية الاندماج النووي في داخل النجوم وأثناء انفجارها هو صور مصغرة لعملية الخلق الأول وهو يدعم نظرية الانفجار العظيم ويعين الإنسان على فهم آلياته [1] . ومما يدل على تآصل العناصر أن نفس العناصر التي تتكون منها الأرض هي نفسها التي تتكون منها الشمس ، ففي الشمس سبعة وستون عنصراً من عناصر الأرض البالغة نحواً من اثنين وتسعين عنصراً ، وهناك دليل آخر يشير إلى أن النيازك والصخور والأتربة القمرية التي حصل عليها العلماء من الفضاء ، تحتوي على نفس العناصر في الأرض وكذلك يعد تحليل الشهب الساقطة من النجوم والكواكب القريبة من الأرض ووصول المركبات الفضائية إلى الزهرة والمريخ وأخذ عينات منها، وجدوا أن كل تركيباتها هي نفس تركيبات صخور الأرض، وكذلك الصور التي تلتقط بالأقمار الصناعية وبسفن الفضاء للكواكب البعيدة تبين أنه ليس هناك أي مواد غريبة عما هو موجود على سطح الأرض أو في عمقها ، وهذا يدل على أن الكون موحد في نسيجه وبنيانه وقوانينه [2] . وهذا ما يذكره قرآننا الخالد عن رب السماء سبحانه .

وترى الباحثة : أن هذه الفرضيات ليست سوى نظريات فلكية تقوم اليوم وقد تنقض غداً ، وتقوم نظرية أخرى تصلح لتفسير الظواهر الكونية بفرض آخر ، وأن العلماء حاولوا معرفة كيفية نشوء الكون ولكن ما زالت محاولاتهم في طور الحدس والتخمين ، لذلك نجد قلة من علماء العصر الحاضر ممن يتصدى لوضع نظرية مبنية على أسس علمية من شأنها أن

---

(1) المرجع السابق ، ص90 (باختصار).

(2) انظر: (دلائل التوحيد انطلاقاً من القرآن والكون) عبد الله التليدي ، ص191،(الإعجاز العلمي في الإسلام) محمد كامل عبد الصمد ، ص78،(قصة الخلق) سميحة مسعود،ص23 ، 24،(الظواهر الجغرافية في القرآن) فوزي الشربيني ، ص7.

توضح نشوء الكون بأجمعه ، وأن ما وضع من نظريات ما يزال عرضة للتعديل فـي تفـسير الحوادث والظواهر الكونية المتزامنة معها.

ويذكر الأستاذ يوسف محمود السبب المباشر والأساس لنشأة الكون وهو الخالق ، حيث يقول : " فسبب هذا الانفجار يعود لسبب خارجي أثر عليه وباختصار فوجود بداية للكون تستلزم وجود سبب لهذه البداية ، وهذا السبب لا يعود لمادة الكون لأن الكون أصلاً لم يكن موجوداً كما هو عليه ثم وجد ، والله– تبارك و تعالى– وصف ذاته العلية بالصمد ، أي الذي تستند الموجودات في وجودها إليه ولا يستند في وجوده إلى أحد فسبب نشأة الوجود المحسوس هو الخالق ، والكيفية التي تمت بها النشأة في لحظة البدء أمر لا تتمكن العقول من معرفته" (1) . قال تعالى: ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ... ﴾ [الكهف:51].

2–الطور الثاني (الغازي) :

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصّلت:11] .

المعنى الإجمالي:

عمد المولى ﷻ إلى خلق السماء وهي على هيئة دخان فوجدت ،ثم إن خلقه للـسماوات والأرض على وفق إرادته هين عليه بمنزلة ما يقال للشيء احضر راضياً أو كارهاً فيطيـع ، وأتم خلق السماوات سبعاً في يومين ،يقول الإمام الزمخشري:" ثم دعاه داعي الحكمة إلى خلق السماء بعد خلق الأرض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك وفق ما أراد وقـدر مـن الشكل والوصف والحركة والدقة ، وقيل إن السماوات والأرض خلقت من الدخان" (2) .

وقد صور القرآن الكريم خلق هذا الكون بالدخان وهو الشيء الذي يفهمه العرب مـن الأشياء الملموسة وهو ما يقابل لفظ غاز، والبداية الدخانية هذه لا تنفي مطلقاً البدايـة الأولـى عندما كانت السماوات والأرض(رتقاً) في بيضة الكون الأولى ، لأن رب العـزة لا يقـول أن البداية الدخانية هي بداية البدايات بل استوى إلى السماء عندما كانت دخاناً أي في حالة السحابة الكونية الكبيرة بعد الانفجار الكوني، والسحب السديمية الدخانية مازالت سابحة بين المجـرات حتى الآن (3) .

---

(1) نشأة الكون بين التأملات العلمية والحقيقة العلمية (مجلة شبكة جامعة عجمان للعلوم) ، ص 142.

(2) الكشاف (104/4) .

(3) انظر: (الإعجاز العلمي في القرآن "الكون والماء") سليمان الطراونة ، ص51، (المعجزات والحقائق الكونية في القرآن الكريم) يوسف جمعة سلامة ،(مجلة نشرة أبحاث الجامعة الإسلامية) ، ص72.

الحقائق العلمية في الآية السابقة:

"تشير الأبحاث العلمية إلى أن السماء كانت دخاناً ، هذا ما قرره القرآن الكريم ويؤيده العلم الحديث مؤخراً ، حيث يقول العالم الفلكي(جيمس جينز):الراجح أن مادة الكون بدأت غازاً منتشراً خلال الفضاء بانتظام ، وأن السدائم خلقت من تكاثف هذا الغاز" (1) .

وفي هذا الطور نرى نجوماً و كواكب منفصلة عن بعضها متحركة كما نرى إلى جانبها قسماً من الكون ولعله القسم الأعظم بحالة غازية.

والعلم الحديث يعتبر الغاز الكوني الأول هو المادة الأولى التي نشأت عنها السماوات بمجراتها ونجومها وكواكبها، وكذلك جاء القرآن من قبل ليقول أن السماء كانت في البدء دخاناً ، والدخان لفظ يدل على حقيقة مادة الكون ، وقد توصل العلماء تقريباً إلى تلك الحقيقة بعد أن كان يعتقد أنها مكونة من الضباب، فالضباب خامد وبارد أما الدخان فهو حار وفيه حركة ، وهو قوام غازي تعلق به جزيئات دقيقة في وزن متناهٍ في الدقة يتكون من تركيبة من الغازات والماء والعناصر التي اكتشف منها 103 عنصراً، ومن صفاته تفكك أجزائه وأنه مظلم وخفيف منتشر في الفضاء وساخن إلى حد ما (2) .

يقول الدكتور(جورج جامو) أستاذ الطبيعة النظرية بجامعة واشنطن: إن الكون في بدء نشأته كان مملوءاً بغاز موزع توزيعاً منتظماً...، إنه غاز يبلغ من الكثافة ودرجة الحرارة حداً لا يمكن تصوره ، وفي هذا الغاز حدثت عمليات التحول النووي في مختلف العناصر ، وتحت تأثير الضغط الهائل لهذا الغاز الساخن المضغوط بدأ الكون ينبسط ويتمدد، وأخذت كثافة المادة ودرجة حرارتها تهبطان في بطء، وفي مرحلة معينة من مراحل التمدد تكثف الغاز المنتشر إلى سحب مفردة غير منتظمة في شكلها ولا متساوية في أحجامها، مكونة نجوماً مفردة (3) . وأخيراً بعد أن كانت السماء دخاناً أصبحت السماء بناءً محكماً .

ونحن بدورنا نتساءل هل في مقدور نبي أمي كالرسول ﷺ أن يدرك هذا، في وقت كان الناس لا يعرفون شيئاً عن هذا الكون وخفاياه ، ويأتي الجواب سريعاً، نعم إنها الحقائق

---

(1) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، عبد الرحيم مارديني ، ص46.

(2) انظر : (من وجوه الإعجاز القرآني) مصطفي الدباغ ، ص93، (قصة الخلق) سميحة مسعود ، ص34، (الإسلام وحقائق العلم) محمود قاسم ، ص96، (اجتهادات في التفسير العلمي للقرآن الكريم) محمد أبو الخير ، ص31، 66.

(3) انظر:(الكون والإعجاز العلمي للقرآن) منصور حسب النبي ، ص234،(المعجزات والحقائق العلمية في القرآن الكريم) يوسف سلامة ، (مجلة أبحاث الجامعة الإسلامية) ، ص72.

العلمية التي اتسم بها القرآن الكريم ، والتي أنزلت على خير البشر رسول الله – عليه أفضل صلاة وأتم تسليم – مما يؤكد صدق الوحي والنبوة .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- نشأة السماء دليل على وجود الصانع الحكيم ، وعلى تفرده بالخلق وقدرته المطلقة ، وحكمته الموجبة للإيمان به ، وإفراده بالعبادة .

2- فتق السماء عن الأرض حجة على المشركين بقدرة الله وبديع صنعه ، وإعراضهم عن آيات الله في الآفاق مثل إعراضهم عن آياته في القرآن ، وما هذا إلا لفرط جهلهم وبعدهم عن الحق.

3- في قوله : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأنبياء:30] فيه دلالة على أن أول من يرى هذا العلم ويكتشفه ويكتبه وينشره الذين كفروا مع أن المسلمين أولى بذلك .

4– أن السماء مرت بمرحلتين في نشأتها ، وهو طور الرتق والفتق ، ثم الطور الغازي.

5– أن الماء خُلق قبل السموات والأرض، وهو أساس الخلق والحياة .

6– أنه لم يتمكن بعد من الوصول لحقيقة حتمية لنشأة الكون ، وأن ما تم التوصل إليه من نظريات وفرضيات ما زالت في طور الحدس والتخمين .

المطلب الثاني : مدة خلق السماء وترتيبها .

أولًا : مدة خلق السماء .

ذكر القرآن الكريم في كثير من آياته أن الله تعالى خلق الكون في ستة أيام، منها قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ** ... ﴾ [الأعراف:54] ، وقوله : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ** ﴾ [ق:38] ، وهناك آيات أخرى نظائر لهذه الآية تشير إلى الخلق بشكل مجمل دون تفصيل لمراحل الخلق [1] ، والتعبير القرآني بستة أيام يدل على الأطوار والأحقاب الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض فالمقصود باليوم هنا: "الوقت مطلقًا لا المتعارف عليه إذ لا يتصور ذلك حين لا شمس ولا قمر" [2] .

---

(1) انظر سورة : (يونس:3) ، (هود:7) ، (الفرقان:59) ، (السجدة:4) ، (الحديد:4) .

(2) ما دل عليه القرآن ، محمود الألوسي ، ص66 .

يقول الشيخ محمد رشيد رضا:" أما هذه الأيام فهي من أيام الله التي يتحدد اليوم منها العمل من أعماله يكون فيه ... ولا يعقل أن تكون هذه الأيام الستة من أيام أرضنا ، وذلك أن أيام أرضنا إنما وجدت بعد خلق هذه الأرض" (1) .

وهذا يعني أن اليوم يأتي بمعنى مراحل أو حقب زمنية أو طور من أطوار الخلق والتكوين والتدبير والحركة، وقد يكون طورًا من الأطوار يمتد عشرات الآلاف أو الملايين أو البلايين من السنين وليست الأيام التي نعدها نحن البشر بدليل عدم وجود عبارة(مما تعدون) (2) .

وقد فصلت الآيات هذه الأطوار الستة لخلق الكون في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ [فصّلت: 9-12] .

المعنى الإجمالي:

يتضح من خلال الآيات السابقة أن المولى ﷻ أخبر أنه خلق الكون كله من السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وخلق الأرض في يومين كوحدة واحدة متكاملة قائمة بذاتها ، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام على قدر ما يستهلكون، والأقوات تحمل كل ما يلزم هذه الكائنات من غذاء وهواء وماء وعناصر ومواد ، وأصبحت مباركة ذات خيرات لما ولمن سيجيء عليها، وعلى هذا الظاهر فسر معظم الناس .

وقد بدأ بالخلق يوم الأحد ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة (3) ﷺ قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي وقال:**[خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلي الليل]** (4) .

---

(1) تفسير المنار (445/8) .

(2) الكون والإعجاز العلمي في القرآن ، منصور حسب النبي ، ص327 (بتصرف).

(3) أبو هريرة : عبد الرحمن بن صخر الدوسي الملقب بأبي هريرة ، صاحب رسول الله ﷺ ، وأكثرهم حديثاً عنه ، روى أكثر من (5374) حديث ، ونقل عنه أكثر من ثمانمائة رجل بين صحابي وتابعي ، مات سنة سبع وقيل : سنة ثمان ، وقيل : تسع وخمسين ، وهو ابن ثمان وسبعين سنة . انظر : (تقريب التهذيب) ، ابن حجر العسقلاني ، ص 680-681 ، ترجمة 8426 ، (الأعلام) للزركلي (308/3) .

(4) صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ابتداء الخلق وخلق آدم ﷺ ، ص1374 ، حديث (6948) .

وقد استشكل الحديث السابق على بعض العلماء ، واعتبروه متعارضاً مع نص الآيـــة ، ويوفق الإمام ابن الجوزي بين الحديث والآيات التي ظاهرها التعارض معه بقوله : "إن الـــذي صحح الحديث سنداً ومتناً رأى أنه لا تعارض بينه وبين نص القرآن ، فإن القرآن ذكـــر أن الله تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، وخلق الأرض وحدها فـــي يـــومين ، والحديث بين أن الله تعالى خلق ما في الأرض في سبعة أيام ، ويحتمل أن تكون هـــذه الأيـــام السبعة غير الأيام الستة التي ذكرها الله في خلق السماوات والأرض ، وحينئذ لا تعارض وإنما الحديث فصل كيفية الخلق على الأرض وحدها" (1) .

وقد زاد الأمر وضوحاً ما قاله التبريزي في هذا الشأن حيث قال : "ولا مطعن في إسناد الحديث البتة ، وليس هو بمخالف للقرآن بوجه من الوجوه خلافاً لما توهمه بعضهم فإن الحديث يفصل كيفية الخلق على الأرض وحدها ، وأن ذلك كان في سبعة أيام ، والحديث تحدث عـــن مرحلة من مراحل تطور الخلق على وجه الأرض حتى صارت صالحة للسكنى ، ويؤيـــده أن القرآن يذكر أن بعض الأيـــام عند الله تعالى كألف سنة ، وبعضها مقداره خمسون ألف ســـنة ، فما المانع أن تكون الأيام الستة من هذا القبيل ، والأيام السبعة من أيامنا هذه كما هو صـــريح الحديث ؟ وحينئذ لا تعارض بينه وبين القرآن" (2) .

ثم عمـــد المولـــى إلى السماء فسواهن سبع سماوات في يومين ، وهـــذان يومـــان أو طوران تم خلق سبع ســـماوات فيهمـــا فيصبح المجمـــوع الكلى للأيام الخاصة بخلق الكـــون ستة أطوار.

ويقول سيد قطب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ "ثم لا تكون للترتيب الزمني ولكن للارتقاء المعنوي ويقول إن خلق السماوات تم في زمن طويل في يومين من أيام الله" (3) ، إذن ثم لا تفيد الترتيب هنا بل تعني الزيادة على ذلك ، لأن السموات والأرض (كانتا رتقا) ولهـــذا يمكن اعتبار فترات خلق السماوات مصاحبة لخلق الأرض وخاصة أن القرآن لم يحدد ترتيبًا في خلقهما (4) .

---

(1) زاد المسير ، ص 500.

(2) مشكاة المصابيح (598/3) .

(3) في ظلال القرآن (3114/5) .

(4) انظر: (الكون والإعجاز العلمي للقرآن) منصور حسب النبي ، ص 328-329، (قصة الخلـــق) ســـميحة مسعود ، ص26.

ومما سبق تبين:

أن الأيام الستة للخلق قسمت كما أجمع المفسرون إلى ثلاثة أقسام متساوية كل قسم يومين من أيام الخلق بالمفهوم النسبي للزمن :

أولًا : يومان لخلق الأرض من السماء الدخانية حيث كانتا رتقا وفيها إشارة إلى طوري الانفصال من الشمس وتجمد القشرة الأرضية بالبرودة التدريجية حيث كانت كتلة واحدة ملتهبة وبردت قشرتها وأصبحت جرداء لا زرع فيها ولا ماء ولا رياح ولا سحاب مثل قمرها الذي انفصل عنها دون ماء وبقى كذلك حتى الآن .

ثانيًا : يومان لتسوية السموات السبع لقوله تعالى: ﴿**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ**﴾ [فصِّلت:12] ، إشارة إلى الحال الدخانية للسماء بعد الانفجار الكوني العظيم بيومين حيث بدأ تشكل السموات فقضاهن سبع سموات في يومين حيث علوها وارتفاعها وتماسكها وتتمة خلقها بما فيها، وأغطش ليلها وأصبح الكون ظلاماً .

ثالثًا : يومان لتدبير الأرض جيولوجياً وتسخيرها للإنسان قال تعالى: ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا** ...﴾ [فصِّلت:10] ، مما يشير إلى جبال نيزكية سقطت واستقرت في البداية على قشرة الأرض فور تصلبها بدليل قوله (من فوقها) وقيل الجاذبيات المختلفة التي تحافظ على توازن الأرض في الفراغ الفضائي ، مثل الجاذبية الكونية وجاذبية القمر الذي يدور معها في فلك خاص بسرعة خاصة عكس دورانها ،وبارك فيها أقواتها أي جعلها مبروكة قابلة للخير والبذر وقد أرزق أهلها ، في أربعة أيام (سواء للسائلين) أي تمام أربعة أيام كاملة متساوية بلا زيادة ولا نقصان للسائلين من البشر عن مدة خلقها وما فيها ويرى جميع المفسرين أن هذه الأيام الأربعة فيها إشارة إلى الاتصال والتداخل وبهذا فإن مجموع الأطوار الأربعة تشمل يومي خلق الأرض ويومي التدبير الجيولوجي لها [1] .

ويتضح مما سبق :

1- تساوي الأيام زمنيًا وإلا لما أمكن جمعها وتقسيمها إلى ثلاثة مراحل متساوية .
2- التدبير الجيولوجي للأرض حتى وصول السائلين (الإنسان) استغرق يومين من أيام الخلق الستة أي استغرق ثلث عمر الأرض.

---

(1) انظر:(الكون والإعجاز العلمي للقرآن) منصور حسب النبي ، ص328، (اجتهادات في التفسير العلمي في القرآن) محمد عادل أبو الخير ، ص32.

ثانيًا : ترتيب خلق السماء .

جاء في القرآن الكريم آيات يشير ظاهرها إلى أن الأرض خلقت قبل السموات [1] وآيات أخرى يشير ظاهرها إلى عكس هذا وهى أن السموات خلقت قبل الأرض .

واختلف المفسرون في أيهما خلقت قبل الأخرى باعتبار التقدم والتأخر لتعارض ظاهر الآيات في ذلك:

أ – فذهب بعضهم إلى تقدم خلق السموات على الأرض واستدلوا بقوله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: 27–33]، إذ ذكر فيها بعد بناء السماء دحو الأرض بكلمة (بعد) وهى ظاهرة في التأخير الزمني، وممن ذهب إلى هذا الرأي الإمام الطبري حيث اعتبر أن السماء خلقت قبل الأرض [2] .

ب – ذهب آخرون إلى تقدم خلق الأرض على السماء مستدلين بقوله : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:29] ، وقوله : ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصّلت: 9-11] ، إذ ذكرت فيها تسوية السماء سبعًا بعد خلق الأرض بكلمة (ثم) الدالة على تأخر زمن ما بعدها عن زمن ما قبلها ، وهذا ما هو شائع بين جمهور المفسرين [3] أن الله خلق الأرض أولًا ثم خلق السماوات ، ثم أكمل خلق الأرض بالدحو بعد ذلك ، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس فيما رواه البخاري: **(أن ابن عباس سئل عن هذا بعينه فأجاب بأن الأرض خلقت قبل السماء وأن الأرض إنما دحيت بعد خلق السماء)** [4] .

---

(1) انظر سورة : (البقرة:29)،(آل عمران:9)، (يونس:61)،(هود:44)،(إبراهيم:48،38)،(الإسراء:95) (طه:4، 53)، (الحج:65) ،(العنكبوت:22)،(سبأ:2)،(فاطر:40، 44)،(الزمر:67)، (غافر:64) ، (فصلت:9–12)،(الأحقاف:4) .

(2) انظر:(جامع البيان في تأويل آي القرآن) ، المجلد العاشر(255/1) .

(3) انظر: (المحرر الوجيز) لابن عطية (225/16) ، (التسهيل لعلوم التنزيل) ، محمد الكلبي (61/1) ، (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (72/1)، (أضواء البيان) للشنقيطي (118/7 ، 119) .

(4) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب سورة حم السجدة (41) ، ص 943 .

ويؤيد هذا الرأي أبو حيان حيث يقول:" والظاهر من هذه الآية أنه خلق الأرض وجعل فيها الرواسي وبارك فيها ، ثم أوجد السماء من الدخان فسواها سبع سموات ، فيكون خلق الأرض متقدمًا على خلق السماء ، و دحو الأرض غير خلقها ، وقد تأخر عن خلق السماء" (1) .

ويقول الإمام النسفي: "ويفهم منه أن خلق السماء كان بعد خلق الأرض و به قال ابن عباس ﵁ وأنه قال أول ما خلق الله جوهرة طولها وعرضها مسيرة ألف سنة في مسيرة عشرة آلاف سنة، فنظر إليها بالهيبة فذابت واضطربت ثم ثار منها دخان بتسليط النار عليها فارتفع واجتمع زبد فوق الماء فجعل الزبد أرضًا والدخان سماء" (2) .

ويقول حنفي أحمد:" وقال بعضهم إن خلق الأرض مقدم على خلق السماء ولأن في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النَّازعات:30] إن المقصود هنا البعدية الذكرية وليست الزمنية" (3) .

وبعض المفسرين جمعوا بين الآيات فقالوا:" إن قوله ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ {النَّازعات:31} بدل أو عطف بيان لقوله (دحاها) أي بسطها ، مبين للمراد منه، فيكون تأخرها ليس بمعنى تأخر ذاتها بل معنى تأخر خلق ما فيها وتكميله وترتيبه ، بل خلق التمتع والانتفاع به ، فان البعدية كما تكون باعتبار نفس الشيء ، تكون باعتبار جزئه الأخير وقيده المذكور"(4) .

ويقول بعض المفسرين ومنهم الإمام القرطبي: أن الدحو غير الخلق فيمكن أن تكون الأرض قد خلقت غير مدحوة، ثم أتم الله خلق السماوات، وبعد ذلك أتم خلق الأرض فدحاها وبسطها وسير لها الماء والمرعى والجبال (5) .

وهناك من المفسرين من ذهب إلى معنى (خلق) أراد ، حيث قالوا : فكأنه سبحانه قال أئنكم لتكفرون بالذي أراد إيجاد الأرض وما فيها من الرواسي والأقوات في أربعة أيام ، ثم قصد إلى السماء فتعلقت إرادته بإيجاد السماء والأرض، فأطاعا بأمر التكوين، فأوجد سبع سماوات في يومين وأوجد الأرض وما فيها في أربعة أيام (6) .

---

(1) البحر المحيط (9/290-291) .

(2) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (4/1057) .

(3) التفسير العلمي للآيات الكونية ، ص206.

(4) ما دل عليه القرآن ، محمود شكري الألوسي ، ص20.

(5) انظر: (الجامع لأحكام القرآن) ، المجلد العاشر (19/144) ، (تفسير الآيات الكونية) عبد الله شحاتة ص 95.

(6) انظر: (التفسير المنير) وهبة الزحيلي (24/194-196) ، (معالم التنزيل) للبغوي (6/363)،(روح المعاني)المجلد السادس عشر(30/56-57) .

واستشكل الرازي تأخر التدحية عن خلق السماء فقال: إن الأرض جسم عظيم فامتنع انفكاك خلقها عن التدحية، فإذا كانت التدحية متأخرة كان خلقها أيضًا متأخرًا [1] .

وقد رد الألوسي عليه بقوله:"إن هذا غفلة منه ، لأن من يقول بتأخر دحوها عن خلقها لا يقول بعظمها ابتداء ، بل يقول: إنها في أول الخلق كانت كهيئة الفِهر [2] ثم دحيت فيتحقق الانفكاك ويصح تأخر دحوها عن خلقها" [3] .

ويرى موريس بوكاي: "أن القرآن لا يحدد ترتيبًا في خلق السماوات والأرض، ويستثنى من ذلك الآية في سورة النازعات ، إذ إن هناك عددًا قليلًا من الآيات تشير إلى خلق الأرض أولًا، وعلى العكس من ذلك يوجد عدد كبير من الآيات يشار فيها إلى خلق السماوات قبل الأرض [4] ، و قال:إن هذه الآيات فيها تعدد نعم الله الأرضية على الناس بعبارة تناسب الناس ، وقد سبق ذلك دعوة إلى التأمل والتفكر في خلق السماء ، ولكن ذكر المرحلة التي بسط الله فيها الأرض وجعلها صالحة للزرع، وارد زمنيًا بالضبط بعد أن تحقق تكون الأيام والليالي ، فيفرض في العرض المذكور هنا وجود الأرض ضرورة قبل أن تبسط ، وبالتالي فوجودها كان قائمًا حين أقام الله السماء" [5] .

وترى الباحثة : أن الراجح هو أن الله خلق الأرض في يومين أولًا ثم خلق بعد ذلك السماء، ثم بعد خلق السماء دحا الأرض وأكمل خلقها لقوله تعالى: ﴿**وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**﴾ [النَّازعات:30]ولم يقل قبل ذلك ، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس وعليه أكثر المفسرين .

يقول الشيخ محمود شلتوت:" والحق الذي نؤمن به أن القرآن لم يعرض لخلق السموات والأرض وما أودع فيهما، إلا تنبيهًا للعقول على النظر فيهما والاستدلال بهما على قدرة الله وعموم علمه وتمام حكمته ، ومنابع نعمه ورحمته ، وأنه لم يكن من مهمته شرح حقائق الكون ، بل توجيه الإنسان إلى أدلة الإيمان الواضحة " [6] .

---

(1) مفاتيح الغيب (48/31) (بتصرف).

(2) (الفِهر) هو الحجر الذي يملأ الكف مع شبه الاستدارة،انظر:(لسان العرب) لابن منظور (77/5) ، (أساس البلاغة) للزمخشري ، ص349.

(3) روح المعاني ، المجلد السادس عشر(57/30) .

(4) منها سورة (الأنعام:73) ، (الأعراف:54) ، (التوبة:36) ، (يونس:3) ، (الحجر:85) ، (هود:7) ، (إبراهيم:19، 32).

(5) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ص169، 170.

(6) الفتاوى ، ص425.

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- عدم خلق السماوات والأرض دفعة واحدة دليل على كونه سبحانه قادرًا مختارًا مع ما فيه من الاعتبار للنظام والحث على التأني في الأمور .

2- أن يوم الله ﷻ ليس كأيامنا التي خلقها لنا في حياتنا الأرضية لقوله تعالى: ﴿... وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:47] .

3- أن السماء خلقت في يومين من أيام الله بعد خلق الأرض .

4- وجود خلق ما بين السماوات والأرض .

5- ذكر الإمام الألوسي نكتة في تغيير الأسلوب في الآيات السابقة فقال:" قدم في الظاهر في سورة البقرة وفي فصلت خلق الأرض وما فيها على خلق السماوات ، وعكس ذلك في النازعات ،وعلل ذلك بأن المقام في الأولين مقام الامتنان ، فمقتضاه تقديم ما هو نعمة ، نظرًا إلي المخاطبين ، فكأنه سبحانه دبر أمركم قبل خلق السماء ثم خلق السماء ، والمقام في الثالثة مقام بيان كحال القدرة فمقتضاه تقديم ما هو أدل على كمالها" [1] .

---

(1) روح المعاني ، المجلد الأول (346/1) .

المبحث الثاني

شكل السماء ومحتوياتها

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : شكل السماء .

المطلب الثاني : محتويات السماء .

المبحث الثاني
شكل السماء ومحتوياتها

إذا أمعنت النظر في بديع خلق الله في السماء، لا تجد في ذلك الخلق نقصاً ولا عيباً، بل يزيدك روعة أن تجد سماوات محكمة البناء، مرفوعة باستواء، ليس لها فروج، ولا يوجد فيها التواء، وتجد أن كل ذلك ينظمه قانون إلهي لا تحيد عنه السماوات، بل تأتي طائعة ملبية النداء، وقد حوت السماء على أسرار ندية ، فأودع فيها الخالق اللوح المحفوظ، ودعانا في كتابه المجيد للتعرف على هذا الخلق العظيم، في قوله تعالى : ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾ [يونس:101] ، وسنلبي دعوة الإله الحكيم مستعينين برحلتنا بما حدثنا به الخالق، مهتدين بنور آياته البينات ، التي تكشف الحقائق عن طبيعة شكل السماء ومحتوياتها من خلال المطالب التالية .

المطلب الأول : شكل السماء .

السماء جرم مستقل بذاته ، فهي بناء محكم، لها أبواب وطرق، وارتفاع ، ولون، وعدد ، وزينة، وسعة ، فلو أخذنا البصر إلى السماء،وحلق بنا النظر في أبعادها وعمقها نرى محكم بنائها وعظم أحوالها في رفعها وعلوها بلا عمد نراه ، واتساعها بلا حدود، وهذا ما ذكره المولى في محكم التنزيل واضحًا في الآيات التالية .

أولًا: بناء السماء :

قال تعالى : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ...﴾ [البقرة:22] ، ومنه قوله تعالي : ﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ...﴾ [غافر:64] .

المعنى الإجمالي :

يمن علينا -تبارك وتعالى- بأن جعل السماء من فوقنا بناءً محكمًا ، على ضخامة أبعادها وتعدد أجرامها ، وانتشار مختلف صور المادة والطاقة فيها ، وأصل البناء وضع لبنة على أخرى ، فجعل السماء سقفًا كهيئة القبة على الأرض ، والبناء يوحي بالقوة والتماسك والمتانة والتنسيق [1] ، ويُذكر المولى عباده بالنعم التي أنعم عليهم ويأمرهم بالنظر فيها ، ومن هذه النعم السماء قال تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق:6] ، وأقسم الجليل ﷻ بالسماء وبنائها المحكم فقال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس:5] .

---

(1) انظر: (فتح القدير) للشوكاني (85/1) ، (في ظلال القرآن) لسيد قطب (47/1) .

وللمفسرين في تفسيرهم لهذه الآية رأيان يُكمل أحدهما الآخر:

يقول الإمام ابن كثير:"يحتمل أن تكون (ما) ها هنا مصدرية ، يعنى والسماء وبنائها وهو رأي قتادة ، ويحتمل أن تكون بمعنى (من) يعنى السماء وبانيها وهو قول مجاهد ، فكلاهما متلازم" (1) .

ويقول الإمام الصابوني:" أقسم بالقادر العظيم الذي بنى السماء وأحكم بناءها بلا عمد نراه ، وأضاف: قال المفسرون (ما) اسم موصول بمعنى من ، أي والسماء ومن بناها ، والمراد به الله رب العالمين ، بدليل قوله تعالى : ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:8] " (2) ، فدل بناؤها وإحكامها على وجوده وكمال قدرته ، وهذا هو الصواب لأن القسم بالسماء وبخالقها العظيم يحوي بناءها المذهل في اتساعه وتعدد أجرمه وإحكام تماسكه وترابطه ، على الرغم من الطبيعة الدخانية الغالبة عليه ، وهذه الأمور وغيرها مما يشهد لله الخالق بطلاقة القدرة وإبداع الصنعة وكمال العلم وعظيم الحكمة ، فكان القسم بالسماء وبخالقها الأعظم وبنائها البديع .

ومن هنا تتضح أهمية القسم بالسماء وما بناها ، فهذا القسم التفخيمي الذي جاء تعظيمًا لشأن السماء ، وتقديرًا لخالقها ، وتنبيهًا لنا للتفكر في عظم اتساعها ودقة بنائها ، وانضباط حركتها وإحكام كل أمر من أمورها (3) .

يقول الإمام سيد قطب:" ولفظ السماء حين يذكر يسبق إلى الذهن هذا الذي نراه فوقنا كالقبة ، حيثما اتجهنا تتناثر فيه النجوم والكواكب السابحة في أفلاكها ومداراتها ، فأما حقيقة السماء فلا ندريها ، وهذا الذي نراه فوقنا متماسكاً لا يختل ولا يضطرب تتحقق فيه صفة البناء بثباته وتماسكه ، أما كيف هو مبني ، وما الذي يمسك أجزاءه فلا تتناثر فذلك ما لا ندريه ، وإنما نوقن من وراء كل شيء أن يد الله هي التي تمسك هذا البناء" (4) ، لقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر:41] ، وقوله : ﴿... وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ...﴾ [الحج:65].

ويخبر المولى ﷻ أنه بنى السماء بأييد فقال : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:47] ، حيث خلق السماء وجعلها سقفاً بقدرة عظيمة، ويذكر الإمام الرازي الحكمة من كثرة ذكر البناء في السماء قائلاً:" أن بناء السماء باق إلى قيام الساعة ، ولم يسقط منها شئ ،

---

(1) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (547/4) .

(2) صفوة التفاسير، للصابوني (565/3) .

(3) انظر:(السماء وما بناها) زغلول النجار، (الشبكة العنكبوتية)www.elnaggarzr.com .

(4) في ظلال القرآن (3916/6 ، 3917) .

ولم يُعدم منها جزء ، وأما الأرض فهي في التبدل والتغير كالفراش الذي يبسط ويطوى وينقل ، والسماء كالبناء المبني الثابت كما أشار إليه بقوله : ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النَّبأ:12] ، وأما الأرض فكم منها صار بحرًا وعاد أرضًا من وقت حدوثها ، وأيضًا فالسماء ترى كالقبة المبنية فوق الرؤوس ، والأرض مبسوطة مدحوة وذِكر البناء بالمرفوع أليق" [1] كقوله تعالى : ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ [النَّازعات:28] ، فالسماء مسكن الأرواح ، والأرض موضع الأعمال والمسكن أليق بكونه بناء .

الحقائق العلمية في بناء السماء :

يؤكد القرآن الكريم على أن السماء بنـــاء ، فالبناء لا يمكن إلا أن يكون تجميعًا لِلَبنات يربطها رابط فيما بينها ، فهي ليست فضاء كما كان يعتقد البعض، فالغلاف الغازي للأرض يتخلخل بالتدريج ويقل ضغطه حتى لا يكاد يدرك على مسافة (1000كم) من سطح البحر ، ويتخيل الناس أن بعد ذلك خلاء فضاء ، ولكن العلم الحديث يؤكد على أنه لا يوجد في الكون شيء اسمه خلاء ، فالمادة والطاقة تنتشران في فسحة الجــزء المدرك لنا من الكون انتشارًا كاملًا ولا يوجد شيء اســمه

الفراغ ، فالسماء بناء محكم دقيق [2] .

ثانيًا: عرض السماء .

قال تعالى : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:133] ، ومنه قوله تعالى : ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ...﴾ [الحديد:21] .

المعنى الإجمالي :

ندب سبحانه عباده إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارعة إلى نيل القربات ليفــوزوا بجنة عرضها الأرض والسماوات ، أي عرض الجنة كعرض الـسماء والأرض لــو وصــلت أحدهما بالأخرى ، والتعبير عنها بعرض السماوات والأرض المقصود فيه وصف سعة الجنــة، لأنهما أوسع مخلوقات الله ﷻ فيما يعلمه عباده ، ولم يقصد بذلك التحديد [3] ، وفي هــذه الآيــة يقرر المولى وجود عرض للسماء وذلك مما نعجز عن إدراكه .

يقول عبد الصبور شاهين:" اقتصار القرآن على ذكر العرض وهو دليــل علــى هــذه الكروية الكونية ، إذ لا طول للكرة ، وإنما هو بعد قطري عبر عنه القرآن بالعرض ، وفى هذه

---

(1) مفاتيح الغيب (225/28 ، 226) .

(2) انظر:(من آيات الإعجاز العلمي في القرآن) زغلول النجار (12/2 ، 57) .

(3) انظر: (فتح القدير) للشوكاني (513/1) .

الإشارة المعجزة التي طالما غفل المتحدثون في النص الكريم عنها ، فتساءلوا من باب تعظيم القدرة الإلهية : هذا العرض ، فما بال الطول ، وما كان القرآن بالذي يغفل هذه الإشارة لو كان لها موضع " (1) .

ثالثًا : رفع السماء .

قال تعالى : ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ...﴾ [الرعد:2] ، وقوله تعالى : ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ...﴾ [لقمان:10] .

المعنى الإجمالي :

تشير هذه الآية القرآنية إلى بعض الظواهر الكونية التي أخبر بها سبحانه، لتدل على كمال قدرته وبالغ حكمته وعظيم سلطانه ، ومنها أنه بإذنه وأمره رفع السماوات بغير عمد بل بإذنه وأمره وتسخيره رفعها عن الأرض بعداً لا ينال ولا يدرك مداه ، فالسماء الدنيا محيطة بجميع الأرض وما حولها من الماء والهواء من جميع نواحيها وجهاتها وأرجائها مرتفعة عليها من كل جانب ، لا تعتمد على شئ ونحن نراها ونشاهدها كذلك بغير دعائم تستند عليها ، والعمد هي الدعائم اسم جمع للعمود وأعمدة ، وهو ما تحمل عليه الأشياء الثقيلة العالية كالسقف (2) .

يقول الأستاذ أحمد فؤاد باشا:" ولو قيل (بغير عمد) فحسب لكان ذلك نفيًا مطلقًا للعمد ، مرئية وغير مرئية، والنفي المطلق يخالف الواقع الذي أودع الله تعالى فيه سننه ونواميسه وآياته التي وعد الله سبحانه بإظهارها مستقبلًا على أيدي من يشاء من عباده" (3) .

يقول الإمام ابن كثير:" روي عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة (4) وغير واحد أنهم قالوا : لها عمد ولكن لا ترى" (5) .

ويقول الإمام الرازي:" أن عمدها هو قدرة الله تعالى فنتج أن يقال أنه رفع السماء بغير عمد ترونها أي لها عمد في الحقيقة إلا أن تلك العمد هي قدرة الله تعالى وحفظه وتدبيره ، وإبقاؤه إياها في الجو العالي ، وأنهم لا يرون ذلك التدبير ولا يعرفون كيف ذلك الإمساك" (6) .

---

(1) الدلالة العميقة في الكلمة القرآنية ،(مجلة منبر الإسلام) ، ص 14.

(2) انظر:(تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (547/2) ،(من علم الفلك القرآني) عدنان الشريف ، ص 24 .

(3) قراءة إيمانية في كتاب الكون من البداية إلى النهاية (مجلة الأزهر) ، ص 1444.

(4) قتادة : هو قتادة بن دعامة بن عمرو بن ربيعة السدوسي ، أبو الخطاب ، عالم أهل البصرة ثقة ثبت ، آية في الحفظ وذا باع في اللغة وأيام العرب ، ولد أكمهاً وهو رأس الطبقة الرابعة ، توفي سنة 117هـ .
انظر: (شذرات الذهب) عبد الحي بن العماد الحنبلي (153/1) ،(تقريب التهذيب) ابن حجر العسقلاني: ص 453 .

(5) تفسير القرآن العظيم (547/2) .

(6) مفاتيح الغيب : (232/18 ، 233) .

الحقائق العلمية في رفع السماء:

انظر وتأمل في معنى (ترونها) لتصل إلى المعنى المراد حيث خلق المولى السماوات ورفعها وربط بين أجزائها وحفظ اتزانها في مواقعها التي قدرها لها من غير دعائم مرئية ، لأن هذه الدعائم من شأنها وطبيعتها أنها لا ترى أصلاً ، فرفعت بأعمدة لا نراها ، إنها عمد معنوية لا ترى بالعين المجردة ، وإنما تدرك بالعقل والتفكير والتدبير وهذه العمد هي قوى التجاذب التي لا ترى بالعين المجردة والتي تنظم الكون كله بدءًا من الذرة وانتهاءً بالمجرة .

ولنا أن ندرك عظمة هذا النظام البديع عندما نشاهد الملايين بل البلايين من هذه الأفلاك في السماء في حالة من الاتزان دون أن يحدث بينها أي خلل أو تصادم إلا فيما هو نادر أو شاذ ومقدر، وسمته الانضباط بين الأجرام الكونية سائدة وغالبة منذ خلق الله السموات ، لأن الأجرام السماوية تتحرك تحت تأثير قوى جاذبة للربط بينها وقوى رافعة لحفظها من السقوط فقد عادل وساوى المولى بين تأثير قوى التجاذب الرابطة للأجرام السماوية وتأثير حركاتها المكتسبة من قوى الخلق والرفع ، فحفظها بذلك من السقوط بتأثير القوى الرابطة كما حفظها من التفرق بتأثير القوى الرافعة وهكذا انتظمت مكونات الكون الهائل في نظام بديع يحكم حركتها ويمنع تصادمها ويحفظ اتزانها واستقرارها إلى ما شاء الله [(1)] .

ولنا هنا وقفة : فكلنا نقرأ هذه الآية ولكن أين المتأمل والمتدبر فيها ، وقد أمرنا الجليل بالنظر فيها فقال : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق:6] ، وقال : ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية:18] ، وأقسم بالسماء لعظم شأنها فقال : ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ [الطُّور:5] ، وقال : ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرَّحمن:7] ، علنا نصل إلى الحكمة التي من أجلها رفعت السماء فنزداد إيمانًا ويقينًا بالله .

وقد أخبر المولى أنه رفع السماء بتوازن محكم بين قوتين،" قوة الجاذبية وقوة الطرد عن المركز بسبب الدوران ، والميزان المتعارف عليه في الأرض لولا الجاذبية الأرضية لكان وجوده وعدمه سواء، فرفع السماء بوضع الأفلاك حيث هي ، وبناء العلاقة المحكمة بين النجوم والأفلاك هو شكل من الميزان الكوني المحكم القائم على العدل الكوني كما أن الميزان هو أساس العدل في البيع والشراء ، فليس من باب المصادفة أن تجمع الآية بين رفع السماء بالجاذبية ووضع الميزان القائم على الجاذبية فقوى الجذب

(1) انظر :(موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية) ،عبد الرحيم مارديني ، ص22 (من علم الفلك القرآني)عدنان الشريف ، ص28 ،(قراءة إيمانية في كتاب الكون من البداية إلى النهاية)أحمد فؤاد باشا(مجلة الأزهر) ، ص1444 ،(اجتهادات في التفسير العلمي) محمد عادل أبو الخير، ص75.

والطـــرد الموزونة هي أساس إمساك رب العالمين بالسماوات والأرض بـــشكل محكـــم كأنهـــا الميزان الدقيق " [1] .

قال تعالـــى : ﴿... وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ...﴾ [الحج:65] ، وقوله تعالى : ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾ [النَّازعات:28] ، فالرفع والإمساك شكلٌ من التوازن المحكم بين الأجرام السماوية ، وهكذا رفع المولى السماء وجعلها عالية فقال واصفًا إياها ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ العُلَا﴾ [طه:4] .

رابعًا :أبواب وطرق السماء .

قال تعالى : ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النَّبأ:19] .

المعنى الإجمالي:

للســماء أبواب تفتح وتغلــق ، والباب لا يفتــح في فراغ أبــدًا، والقــرآن الكريــم يؤكد علـــى أن الســـماء بنـــاء لـــه أبـــواب ولا يوجــد شيء اســمه الفراغ، فالباب لا يفتح إلا في بنـــاء محكـــم مـــن صنـــع الخالـــق العظيـــم ، لقوله تعالى : ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ أي ذات أبواب وطرق كثيرة فإذا قامت القيامة فتحت هذه الأبواب لنزول الملائكة [2] .

كما يخبر المولى –جل وعلا– أن أبواب السماء لا تفتح للكافرين فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف:40] ، ولو فتح لهم المولى بابًا من السماء فجعلوا "يصعدون فيه لما صدقوا وكذبوا وذلك لشدة عنادهم ومكابرتهم للحق وقوة كفرهم" [3] ، وقال تعـــالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [الحجر:14] .

وذكرت أبواب وطرق السماء بأسماء أخرى في القرآن وهي الأسباب والحبك ، قال تعالى : ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ﴾ [ص:10] ، والمعنى : فليصعدوا في الأسباب أي الطرق الموصلة للسماء .

---

(1) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (الكون والماء) سليمان الطراونة ، ص20.

(2) انظر:(تفسير القرآن العظيم) لابن كثير، (من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) زغلول النجار،الشبكة العنكبوتية www.qundcl.com/a3jazinquran

(3) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (602/2) .

قال الإمام الشوكاني :" والأسباب: أبواب السماوات التي تنزل الملائكة منها" [1] ، ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ...﴾ [غافر:36-37] ، فقد قال فرعون مكذبًا لموسى عليه السلام في دعوته: يا هامان ابن لي بناءً عظيمًا لعلي أبلغ أبواب السماوات، وما يوصلني إليها فأنظر إلى إله موسى بنفسي .

يقول الإمام الرازي: "أن المراد بأسباب السموات طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها " [2].

"وأقسم المولى بالسماء ذات الطرق فقال : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات:7] ، أي ذات الطرق الحسنة، ولكل طريق أبواب عدة" [3]، وذكر المفسرون أن للحبك معانٍ أخرى منها: أنها الاستواء، والشدة، والصفاقة [4] ، والحسن والزينة ، وأنها مثل حبك الماء إذا ضربته الريح ، لأنها حبكت بالنجوم [5] ، ويلخص الإمام ابن كثير كل هذه الأقوال بأنها ترجع إلى شيء واحد وهو "الحسن والبهاء ، فإنها من حسنها مرتفعة ، شفافة ، صفيقة ، شديدة البناء ، متسعة الأرجاء أنيقة البهاء ، مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات ، موشحة بالكواكب الزاهرات" [6] .

يقول الأستاذ فراس الأسطل : " نفهم من القسم القرآني بالسماء ذات الحبك شمول تلك المدارات المخططة بدقة فائقة ، بالإضافة إلي روعة البناء ، وإحكام الترابط ، وتباين الكثافات وكلها من معاني هذا الوصف المعجز للسماء بأنها (ذات الحبك)" [7] .

خامسًا: عدد السماوات .

يبين المولى في كتابه العزيز أنه خلق السماء وسواها سبع سماوات فقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:29] ، وجاء ذكر السماوات السبع في سبع آيات قرآنية [8] ، وكذلك جاءت الإشارة القرآنية

---

(1) فتح القدير (502/4) .

(2) مفاتيح الغيب (66/27) .

(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، ص 808 .

(4) الصفاقة : الصاد والفاء والقاف أصل صحيح يدل على ملاقاة شيء ذي صفحة لشيء مثله بقوة ، (معجم مقاييس اللغة) لابن فارس ، ص 568 .

(5) انظر:(النكت والعيون) للماوردي (362/5-363) .

(6) تفسير القرآن العظيم (245/4) .

(7) والسماء ذات الحبك ، (مجلة الإمام) ، ص65.

(8) انظر : سورة :(سورة الإسراء:44، المؤمنون :86، فصلت:12، الطلاق: 12 ،الملك:3، نوح :15، النبأ: 12).

إلى سبع طرائق في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [المؤمنون:17] ، واعتبرها عدد من المفسرين إشارة إلى السماوات السبع ، ولو نظرنا إلى الهدي القرآني ، لوجدنا أن السموات السبع لا نعرف منها إلا السماء الدنيا التي نراها بشمسها وقمرها ونجومها وكواكبها قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: 15-16] ، وصح قوله تعالى أن القمر فيهن ، مع أنه في السماء الدنيا ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿... وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ...﴾ [فصِّلت:12] لأن هذا كما نقول إن فلاناً في مدينة كذا وأنت تعلم أنه في ناحية منها ،أما السماوات الست الأخرى ، فلا نعلم عنها شيئاً إلا ما أخبرنا به المولى في كتابه المجيد عن السماء السابعة ، والتي هي أرقى وأعلى درجة فيهن جميعًا ، فعليها عرش الرحمن ﷻ ، علت قدرته وتقدست ذاته (1) . إذن حدود علمنا عن السماوات السبع هي السماء الدنيا والسماء السابعة فقط ، وهذا العلم استقيناه من النبع الصافي والمنهج الرباني كتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

سادسًا : لون السماء .

الكثير من الناس يظن أن لون السماء أزرق، ولكن الحقيقة العلمية التي ذكرها القرآن العزيز غير ذلك حيث يقول المولى–جل وعلا– : ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ ↓ [النازعات: 27–29] .

المعنى الإجمالي:

يبين لنا المولى ﷻ في هذه الآية أنه أظلم ليل السماء ،لا ليل الأرض فجعله مظلمًا ، والمفسرون جميعًا القدامى منهم والمحدثون أغفلوا دلالة مرجع الضمير المضاف إلى الليل، وصرفوه إلى ليل الأرض مع رجوعه صراحة إلى السماء ، فلو أنهم أخذوا بظاهر الآية كما كان ينبغي لقالوا إن للسماء ليلاً غير ليل الأرض وإن لم يعرفوه ، وهذا وحده سبق إجمالي إلى حقيقة لم يعرف العلم تفصيلها إلا حديثًا، عرفها فطريًا استنباطًا من أن الضوء لا يرى إلا منعكسًا عن المرئيات ، وأنه ليس فوق جو الأرض ما يعكسه لخلوه من الهواء وما يحمل ، فلا بد أن تكون السماء فوق جو الأرض مظلمة حالكة والأرض وجوها في إشراق وضياء بالنهار ، ومن باب أولى تكون السماء في ليل حالك أي أن السماء في ليل متصل، ونهار القمر إنما يكون على سطحه ويكون الظل على القمر كقطع الليل المظلم ، وسماؤه تكون أشد ظلمة لخلو جوه من الهواء ، ثم جاء عصر سفن الفضاء وصعود الإنسان إلى القمر وتصوير الفضاء

---

(1) انظر:(قصة الخلق) سميحة مسعود، ص42 ،(معاني السماء والأرض في القرآن) أحمد الحوفي ، ص27 .

من سطح القمر فرأى الإنسان ذلك بعينه، وقد نشرت الصحف صورًا للأرض من القمر أرسلتها السفن الفضائية الأمريكية والروسية وآخر صورة نشرت، فيها الأرض كوكب فضي في سماء حالكة هي سماء القمر، وظلمة ليل السماء يكفي في الدلالة عليها كلمة ليل ، أما شدة تلك الظلمة فقد دل عليها الفعل (أغطش) فلو كان يغني عنه الفعل أظلم الذي فسره المفسرون لنزل القرآن به لأنه آنس وأوضح ، ويؤكد القرآن على هذه الحقيقة العلمية مرة أخرى بقوله تعالى : ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ [الحجر: 14-15] رغم وصف الآية لحال المشركين ومكابرتهم على الحق، واستعلائهم على الحقائق المنظورة ، وجحد ما يستيقنون رغم هذا فإن للآية عطاء وإخباراً آخر يتمثل في اشتمالها على حقيقة علمية كبرى تحكي ظلمة السماء، وسوادها الحالك بعد النفاذ من الغلاف الجوي للأرض فظلمة السماء في الفضاء حقيقة علمية وردت في القرآن بينما لم يكشفها العلم إلا في عصر الفضاء (1) .

الحقائق العلمية في الآية السابقة :

يذكر العلم الحديث : إذا ارتفع الإنسان فوق مائتي كيلو متر عن سطح الأرض فإنه يرى الشمس قرصًا أزرقاً في صفحة سوداء حالكة السواد ، لا يقطع حلوكه إلا بعض البقع الباهتة الزرقة في مواقع النجوم لأن أضواءها لا تكاد تجد ما يشتته أو يعكسه في فسحة الكون .

فالصورة تتغير لا هي ظلمة السماء التي كان يشاهدها في الليل ، ولا هي الشمس التي كان يراها في النهار بما فيها من ضياء ، إنه ليس في ليل ولا نهار إنه في محيط حالك السواد يدعوه إلي الاعتقاد بأنه أعمى ، وهذا ما شهد به رواد الفضاء حينما تجاوزوا مائتي كيلو متر، يقول العالم الفيزيائي" جوزيف ألن " أحد رواد السفينة الفضائية (كولومبيا) في مقال نشره في صحيفة (واشنطن بوست) عام 1983م : [في الفضاء يحل الليل بصورة مفاجئة وبسرعة تقطع الأنفاس، وتغشي العيون وليس بصورة تدريجية كما هو الحال في الأرض ، فليل الفضاء الخارجي هو من أشد الأشياء السوداء التي رأيتها في حياتي]، هكذا نرى موافقة العلم الحديث وتطابق حقائقه مع القرآن الكريم ، حيث أشار إلى هذه الحقيقة وعبر عنها بقوله : ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا ...﴾ [الحجر:15] ، فذكر أثرها على من يصلها ولم يصرح بها ، جريًا على منهجه وأسلوبه في مراعاة مفاهيم البشر ومداركهم ، وهكذا نرى مناسبة القرآن لكل عصر في غير تعارض أو تناقض ونرى موافقة الحقائق لإشاراته وتصريحاته.

---

(1) انظر:(في تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم)، محمد أحمد الغمراوي ،(مجلة الأزهر) ص 976 ، (الكون والإعجاز العلمي للقرآن)، منصور حسب النبي ، ص233 ،(دلائل التوحيد)عبد الله التليدي ، ص 375.

ولقد تساءل علماء الفلك منذ قرون عن سبب سواد الليل بالرغم من مليـــارات النجـــوم والمجرات التي تلمع في الليل ، ولم يستطيعوا الإجابة عن هذا السؤال بصورة علميـــة إلا فـــي القرن العشرين من خلال مبدأ توسع الكون الذي يباعد ويشتت نور النجوم والمجرات ، فالليـــل أسود لأنه لا يوجد ما يكفي من النجوم لملئ السماء بالضياء ، فكلما توسع الكون تشتت ضـــوء النجوم ووصل إلينا ضئيلاً لذلك يبدو الليل أسوداً ، أما في كتاب الله فالإشارة واضحة إلـــى أن زيادة سماكة السماء أي توسع الكون هو الذي سوى السماء وأظلم ليلها وأخرج ضياءها [1] .

السماء ليست زرقاء :

أما تفسير ما نراه فوقنا كقبة زرقاء ، فإنه ظاهرة ضوئية وهمية يرجع إلى قاعدة (تبعثر الضوء) فضوء الشمس يتبعثر حول الأرض فقط دون الكواكب الأخرى نتيجة لوجود الغـــلاف الهوائي حول الأرض، ولو لم يوجد هذا الهواء لما كان هناك نهارٌ إطلاقًا، لأن اصطدام الضوء بجزيئات الهواء هو الذي يؤدي إلى انتشار الضوء حولنا، ولهذا السبب لا يوجد نهار على القمر لأنه لا يوجد هواء حوله ، وضوء الشمس لونه الطبيعي أبيض فعندما ترسل الـــشمس أشـــعتها يتحلل في الغلاف الجوي إلى الألوان السبعة (ألوان الطيف) بالترتيـــب حـــسب قـــوة الموجـــة (الأحمر– البرتقالي– الأصفر– الأخضر– الأزرق– النيلي– البنفسجي) وهذه الألوان أقـــصرها وأضعفها اللون الأزرق ، فحينما تمر أشعة الشمس البيضاء خلال أول طبقة من الغلاف الهوائي فإن اللون الأزرق يتبعثر وينتشر في أعلى طبقة من الجو وبهذا نرى الأفق كأنه قبـــة زرقـــاء فوقنا، رغم أنه لا يوجد لهذه القبة في صورة جسم مادي أو سماء صلبة كما يتـــصور بعـــض الناس، ولا تعدو هذه القبة في حقيقة أمرها كونها ظاهرة ضوئية، أما باقي الألوان فإنه يـــصل إلى الأرض حسب قوته وأقواها هو اللون الأصفر ، ولهذا تبدو الشمس دائمًا لنا باللون المائـــل للاصفرار ، وخاصة عند الشروق لأن الأشعة تدخل إلينا مائلة وتأخذ أطول فترة ، وأقصر فترة لها هي فترة الظهر ، وزرقة السماء تتوقف على صفاء الهواء من التراب والرطوبة .

إذن الفضاء الكوني مظلم حالك الظلمة والقبة الزرقاء مجرد ظاهرة ضوئية وهمية، والدليل على ذلك أن هذه القبة تتحول إلى قبة حمراء أو صفراء عندما يمتلئ الجو بذرات الغبار في حالة العواصف الترابية والرمال المتناثرة ، قال تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الرُّوم:51] ، وفى غياب الشمس تصبح السماء مظلمة ، وفى ضوء القمر تأخذ لونًا لازورديًا، وهى الألوان التي يعكسها الغلاف الهوائي، ويكون لون السماء أحمر عند غروب وشروق الشمس، حيث يحول بيننا وبينها طبقة من الهواء أسمك ، وذلك لأن أشعتها تدخل طبقة

---

(1) انظر:(من علم الفلك القرآني)عدنان الشريف ، ص133،(ارتياد السماء في القرآن)عبد الرحمن الـــشهري ، (مجلة الأزهر) ص1458، (من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) زغلول النجار ، ص15.

الهواء أفقية أو تكاد، فتمر في هواء أكثر وفى هذه الطبقة السميكة أكبر السمك يتشتت اللون الأزرق على عادته أكثر التشتت ولكنه يضيع في هذا السمك الكبير قبل أن يصل إلينا، وبذلك تظهر الشمس حمراء ، فسبحان أحسن الخالقين (1) .

سابعًا : زينة السماء .

قال تعالى: ﴿... وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ...﴾ [فصّلت:12] ، ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك:5] .

المعني الإجمالي :

زين الله ﷻ السماء الدنيا بمصابيح منها الشموس والنجوم والكواكب ، وجعل لكل منها مُلكًا وبروجًا ومدارات وطرقاً محددة ومقدرة لها.

يقول الإمام ابن كثير: " والمصابيح هي الكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض" (2) .

وتقول سميحة مسعود:" الكواكب والنجوم تابعة للأرض وكلها معلقة في تجويف السماء الدنيا والتي تحيطها من كل جانب تحكمها قوانين جاذبية خاصة فلا يمسكها إلا الله بقدرته" (3) .

"وتعرف النجوم صغيرة الحجم (المصابيح) بالنيازك أو باسم الرجم ، ولعل التسمية ناشئة عن وظيفة النجم في قوله ﷻ: ﴿... وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ...﴾ [الملك:5] ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ [الصافات:6-7]، فقد جاء ذكر الكواكب في القرآن العظيم على الإفراد والجمع فقط ، أما الإفراد فجاء على لسان الخليل إبراهيم عليه السلام حين ظل يُمعن النظر بالفكر والبصر في الملك والملكوت، للاستدلال على وجود الحي الذي لا يموت -جل شأنه- ما سجله له التنزيل في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ...﴾ [الأنعام:76] ، أما الجمع فجاء في ثلاث مواضع" (4) ، منها قوله : ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ﴾ [الصَّافات:6] .

---

(1) انظر:(القرآن والكون) محمد الشرقاوي ، ص139 ،(مع الله في السماء) أحمد زكي ، ص 102 (قصة الخلق) سميحة مسعود ، ص 39 ،(السماء لماذا هي زرقاء والشمس لماذا هي صفراء) يوسف عبد الجواد (مجلة المهندس الفلسطيني) ، ص 29.

(2) تفسير القرآن العظيم (99/4) .

(3) قصة الخلق ، ص35.

(4) مظاهر كونية في معالم قرآنية ، محمد عبد الله ، ص 100 ، 113.

الحقائق العلمية في الآية السابقة :

أثبت العلم أن الكواكب السيارة أجرام سماوية غير ملتهبة ، ما عدا الشمس المتوهجة ، وأن هذه الكواكب تحتوى على مقادير هائلة من الصخور والمعادن ، كما تحيط بمعظمها أغلفة جوية متباينة التركيب ، وهى تعكس ضوء الشمس الساقط عليها كما تعكس المرايا الضوء ، ولكن بدرجات متفاوتة تتوقف على طبيعة سطحها وتراكيب أغلفتها الجوية ،فتبدو مضيئة ، وهذا يخالف الاعتقاد الذي كان سائداً إلى عهد قريب بأن للكواكب إضاءة ذاتية [1] .

والكواكب تختلف عن المصابيح في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [الملك:5] لأن الكواكب ليست منيرة بذاتها، بينما المصابيح تشير إلى الشموس أي النجوم التي تتوهج ذاتيًا [2] ، فقوله تعالى: ﴿بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ﴾ [الصَّافات:6] أي بضوئها فسمي هذا الضوء زينة لها تزين به السماء الدنيا ، وبما أن الزينة ليست صفة لازمة للأجسام ، ومحلها دائمًا سطوح الأجسام ولا تتناول باطنها ، وبما أنه قال(بزينة الكواكب) ولم يقل بالكواكب كما قال (وبالنجم) فيستدل من ذلك أن ضوء الكواكب الذي هو زينتها ليس هو ذاتها ، وليس جزءاً منها بل هو عارض عليها ، أي هو ضوء مكتسب ومعكوس منها فالكواكب أجرام مظلمة تضئ بضياء النجوم" [3] ، وأخبر المولى –جل في علاه– أنه زين السماء كذلك بالبروج فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر:16] .

وللمفسرين في معنى البروج خمسة أقاويل :

الأول:" أنها قصور في السماء فيها الحرس ، قاله عطية [4] .

الثاني: أنها منازل الشمس والقمر ، قاله علي بن عيسى [5] .

الثالث: أنها الكواكب العظام ، قاله أبو صالح .

الرابع: أنها النجوم ، وقاله الحسن وقتادة.

---

(1) انظر:(الإعجاز العلمي في الإسلام) محمد عبد الصمد ، ص 60 ، (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) عبد الرحيم مارديني ، ص 59.

(2) الكون والإعجاز العلمي للقرآن ، منصور حسب النبي ، ص133.

(3) التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن ، حنفي أحمد ، ص 155 .

(4) عطية : هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي الكوفي ، أبو الحسن من الطبقة الثالثة من الوسطى من التابعين ، مات سنة 111هـ ، صدوق يخطيء كثيراً ، وكان شيعياً مدلساً ، تقريب التهذيب ، ص 393 .

(5) علي بن عيسى : علي بن عيسى بن علي بن عبد الله ، أبو الحسن النحوي ، معروف بالرماني حدث عن أبي بكر بن دريد ، كان من أهل المعرفة متفنناً في علوم كثيرة من الفقه والقرآن والنحو واللغة والكلام ، على مذهب المعتزلة ، توفي سنة 384هـ . انظر : انظر : تاريخ بغداد (17/12) .

الخامس: أنها البروج الاثنى عشر" [1] .

ويجمع الدكتور أحمد الحوفي بين هذه الأقوال الخمسة بقوله :" هذه البروج هي منـــازل الكواكب السيارة ، سميت بالبروج وهى القصور العالية ، لأنها لهذه الكواكب كالقصور لسكانها وهى اثنا عشر برجاً " [2] .

وفي كل الأحوال فالبروج شاهدة بالقدرة والدقة والنظام والإبداع للخالق العظيم، لذلك يدعو المولى إلى النظر إليها منبهًا العباد إلى قدرته فقال ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق:6] ، والاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ: أي كيف غفلوا عن النظر إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها بالمصابيح وبالكواكب والنجوم والبروج وما لها من تشقق ولا فروج [3] .

فنظرة مبصرة إلى السماء في الليلة الحالكة وقد انتشرت فيها الكواكب والنجوم، لكفيلـــة بإدراك حقيقة هذا الجمال الكوني ، حيث تبدو السماء مزينة لكل الناظرين إليها ينعمون بجمالها وروعة منظرها، وهذا الحسن في السماء ما هو إلا هبة ربانية لينظر الإنسان فيها ليزكـــى بـــه القلب وينير به العقل، ولبعث كوامن النفس البشرية على بذل المزيد من الطاعة والتأمل في آيات الله الكونية المرئية، للاستدلال على عزته وجلاله ووحدانيته [4] .

ثامنًا: سعة السماء.

قال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات:47] .

المعنى الإجمالي :

يلفت الحق ﷻ انتباهنا إلى سعة هذا الكون وامتداده العظيم في هذه الآية بقوله : ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي وإنا لموسعون أنحاء هذه السماء وأرجائها وإمدادها ورفعها بغير عمد حتى استقلت كما هي [5] ، ويستحثنا الخالق ﷻ ويستجيش هممنا لنتعرف على جوانب هذه السعة الهائلة وذلك الامتداد العظيم ، ولو رجعنا إلي الآية لوجدنا في اللفظ المستعمل فيها (موسع) اسم فاعل بصيغة الجمع أوسع، وهو يفيد الاستمرارية ويشير إلى رحابة الكون واتساعه ، فالله ﷻ خلق السماء واسعة، وعمل على ترتيب قوانين فيها تجعلها تمتد وتتسع زيادة على ما هي عليه

---

(1) النكت والعيون : للماوردي (152/3) .

(2) معاني السماء والأرض في القرآن ، ص 22.

(3) انظر:(تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (234/4) ، (فتح القدير) للشوكاني (87/5) .

(4) انظر:(من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) حسن أبو العنيين ، ص 65 .

(5) انظر:(تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (250/4) .

من سعة ، ولكن القرآن لم يبين تفاصيل الاتساع وإنما أورده مجملاً ، وبين قدرة الخالق في اتساع السماء في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنَّا لَقَادِرُونْ** ﴾[المؤمنون:18] (1) .

الحقائق العلمية في سعة السماء :

يقول عبد الرزاق نوفل:" وقد أثبتت الأبحاث الأخيرة أن حجم الكون آخذ في الزيادة شيئًا فشيئًا وكلما ازداد حجمه ازدادت المسافة بين أجرامه" (2) .

ففي عام (1912م) تبين للعالم (سليفر) أن المجرات تتباعد بصورة متزايدة ، وفي عام (1916 م) جاءت النظرية النسبية لأنشتين تؤيد نظرية توسع الكون، وفي عام (1929م) أكد العالمان (همسن) و(هابل) نظرية توسع الكون ، ووضع (هابل Habbel) القاعدة المعروفة باسمه أو قانون تزايد بُعد المجرات بالنسبة لمجرتنا وبالنسبة لبعضها البعض أي أن الكون في حالة تمدد ، ومع تقدم علوم الفيزياء الحديثة أمكن بواسطة دراسة طيف ضوء النجوم والمجرات وانزياحه نحو الأحمر أن تحسب السرعة التي تبتعد بها المجرات عن بعضها البعض، كلما تباعدت النجوم والمجرات عنا انزاح طيفها نحو اللون الأحمر وهو ما يسمى بظاهرة "الإزاحة الحمراء" ومعناها:أن هذه الأجسام تتحرك مبتعدة عنا، كما وجدوا أن سرعة هذه الأجسام تختلف في ابتعادها عن الأرض ، فبعضها يبتعد عنا بسرعة 15% من سرعة الضوء، وبعضها بسرعة21% ،وبعضها الآخر إلي 90% من سرعة الضوء (3) ، وبصورة عامة فإن المجرات وتجمعات المجرات وهى أشبه ما تكون بكتل غازية من الدخان ما تزال تتوسع وتنتشر، ويتوسع معها اللون من حصول الانفجار الهائل في الكتلة الغازية الأولى، وقانون هابل في التمدد هو الذي دعم نظرية الانفجار العظيم ، وهذا أمر منطقي فما دام الكون يتمدد فمن المرجح أن يكون في فترة سابقة من الزمن السحيق كتلة واحدة انفجرت وتبع هذا الانفجار الأعظم تمدد الكون وتباعد المجرات ، ومن المؤشرات المؤكدة على ذلك أن المجرات الأبعد تبتعد عنا بسرعة أكثر من المجرات الأقرب ، مما يدلل على أنها انطلقت من نقطة واحدة هي مكان بيضة الكون الأولى (4) .

---

(1) انظر:(القرآن والكون) محمد الشرقاوي ، ص 145 ،(من وجوه الإعجاز القرآني) مصطفى الدباغ ، ص 89 (الإعجاز القرآني والتقدم العلمي) محمد علوه ، ص 55 ،(أضواء على إعجاز القرآن الكريم) عكرمة صبري ، ص 94.

(2) الله والعلم الحديث ، ص 160 .

(3) انظر: (من علم الفلك القرآني) عدنان الشريف ، ص 33 ،(الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم) حميد النعيمي ، ص 46.

(4) انظر : (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (الكون والماء) سليمان الطراونة ، ص 17 ، (الكون المتمدد) عبد الرحمن بدر (مجلة آفاق علمية) ، ص 28.

وهذا التمدد يستمر حتى تفقد الجاذبية سيطرتها على هذه الأجرام فتتناثر في الفضاء محدثة نهاية العالم [1] .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- أن السماء مخلوق عظيم أحكم بناؤه ، وهذا يستدعي المؤمن أن يبني إيمانه على أساس التأمل والتفكر في هذا المخلوق العجيب .

2- السماء جرم محسوس حقيقة يدل على ذلك وجود الطرائق والطباق والرفع والسمك والسقف والطي ، فكل هذا لا يكون إلا في جرم موجود حقيقة .

3- بيان مظاهر القدرة الإلهية في خلق عرض وارتفاع وأبواب وسعة للسماء .

4- قرر القرآن الكريم أن السماوات هي سبع ، وكرر هذه الحقيقة تحديداً سبع مرات ، وبالعدد نفسه ، أي سبع مرات قرر خلق السماوات والأرض في ستة أيام .

5- إثبات وجود أبواب السماء ، ونفي وجود الفروج والفطور فيها .

6- أن السماء مظلمة حالكة السواد ، وأن النور ينتهي عند (200)كم من سطح الأرض ، وتبدأ بعد ذلك الظلمة الكاملة للكون ، وهي حقيقة لم يدركها العلماء إلا بعد الصعود للفضاء .

7- سعة السماء آية من آيات الله للناس ، يبين فيها أن ملكه لا حدود له ، وأن السماء في اتساع دائم دون قيود .

8- أن السماء والأرض عرضهما عرض الجنة ، وأن الجنة مخلوقة الآن لقوله تعالى : (أعدت) .

المطلب الثاني: محتويات السماء .

الكون الذي يستطيع الإنسان أن يبصر بعض أطرافه كون فسيح ، بالرغم من أنه بكل ما يحتوي لا يمثل سوى السماء الدنيا فقط ، فلا نعلم ولا يعلم أحد مهما أوتي من العلم عن غير هذه السماء شيء سواء كانت السماء الثانية أو الثالثة أو الرابعة ... الخ ، إلا ما أخبرنا به المولى في كتابه المجيد وما وضحته السنة النبوية عن السماء ومحتوياتها ، فقد أخبرنا المولى أن عرشه ليس في السماء إنما هو فوق السموات السبع لقوله تعالى : ﴿... **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ**﴾ [البقرة:255] ، كما بينت السنة النبوية أن الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة ، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول من يدعوني فأستجيب له،**

---

(1) انظر : (الإعجاز العلمي في الإسلام) محمد كامل عبد الصمد ، ص 55 ،(موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية) عبد الرحيم مارديني ، ص 57.

من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له) (1) ، وينزل المولى كذلك في النهار يوم عرفة ، فعن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(وما من يوم عند الله أفضل من عرفة ينزل الله إلى السماء الدنيا، فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، فيقول انظروا إلى عبادي شعثًا غبراً ضاحين (2) جاؤوا من كل فج عميق يرجون رحمتي ولم يروا عذابي ؟ فلم يُر يوم أكثر عتقًا من النار مثل يوم عرفة)** (3) .

تبين من هذا الحديث وجود كائنات في السماء ، هي أهل السماء، وهنـــاك موجـــودات أخرى في السماء غير الكائنات سنتناولها بالتفصيل، فلننظر إلى السماء العليا في حديثنا ، ولنلق معًا بعض الضوء على أخبارها بهدى كتاب الله القادر والمقتدر.

أولًا: كائنات السماء.

أشار القرآن الكريم في أكثر من موضع إلى أن في السماء أحياء عقلاء يسبحون له ويسجدون ، وقد أسلموا لله رب العالمين ، بل وصفوا بالفزع يوم القيامة أيضًا ، فالقرآن المجيد هو أول كتاب تعرض لوجود الأحياء في السماوات ، وأما العلم فما زال يَجِد في البحث في هذه الناحية (4) ، ووجود هذه الكائنات لهو آية من آيات الله لقوله تعالى : ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشُّورى:29] .

المعنى الإجمالي:

من آيات الله الدالة على عظمته وقدرته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة، فآية السماء لا تحتمل جدلاً لأنها تشهد بأن الذي أنشأها هو الله ، والدابة اسم لكل ما دب ، وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن وسائر الحيوانات على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم وطباعهم وأجناسهم وأنواعهم، وقد فرقهم في أرجاء الأرض وأقطار السماوات وهو مع هذا كلـــه علـــى جمعهـــم إذا يشـــاء قدير، أي يوم القيامـــة يجمـــع الأولين والآخرين وسائر الخلائق في صعيد واحد (5) .

(1) صحيح البخاري ، كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، ص 226 ، حديث (1145) .

(2) ضاحين : من ضحى وضاحيته ، أتيته ضحاء ، وفلان يضاحينا ضحو كل يوم : أي يأتينا ، وضحينا بني فلان أتيناهم ضحى مغيرين عليهم ، لسان العرب :لابن منظور (474/14) .

(3) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، ص 1052 ، حديث (3853) حديث صحيح .

(4) انظر: (الله والعلم الحديث) عبد الرزاق نوفل ، ص 212.

(5) انظر:(تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (121/4) ، (فتح القدير) للشوكاني (639/4) .

وللمفسرين في تفسير هذه الآية ثلاثة أوجه :

الأول: أن الدواب في الأرض وحدها ، ولكن نسبت إلى السماوات والأرض مثل قوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ﴾ [الرَّحمن:22] .

الثاني: أن الدبيب هو الحركة وفي اللغة المشي الخفيف على الأرض ، فيحتمل أن يكون للملائكة مشى مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الإنسان.

الثالث: أن الله تعالى خلق في السموات أنوعًا من الحيوانات يدبون دبيب الإنسان (1) .

وترى الباحثة : أن في الكون ألواناً من الحياة منها ما نعلمه ومنها ما لا نعلمه، لقوله تعالى : ﴿... وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:8] فهناك أشياء لا نعلمها خلقها المولى – عز في علاه–، وهناك أصناف من الأحياء غير الذين نعهدهم على الأرض، وهذا ما أوحت به الآية الكريمة ولكن لا يصل إليه إدراكنا ، لأنه من أمر الله ، الذي لا يدركه سواه .

يقول الدكتور محمد أحمد الغمراوى: " قوله : ﴿... وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ...﴾ [الشُّورى:29] يمكن إذن أن يكون في بعضها حياة ودواب ، وقوله : ﴿وَلله يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ...﴾ [النحل:49] ، ذكر اسم الموصول هنا مرتين ، لا مرة كما في الشورى ، مرة متعلقة بالسماء ومرة متعلقة بالأرض ليذهب سبحانه بكل شئ في أن قوله "من دابة" بيان لما في السماء ولما في الأرض ، ويكون ذكر الملائكة بعد ذلك فيمن يسجد، مانعًا من تأويل دواب السماء بالملائكة عند من يدركون أن الملائكة لا يليق بهم أن يعبر عنهم بالدواب، فالآية الكريمة إذًا تنبئ البشرية لما تجهله إلى الآن، وإن حدثت نفسها به فى هذا العصر عصر علوم الفضاء" (2) . والمتأمل في القرآن الكريم يرى أن هناك قسماً من الآيات يجد فيه تعبيرًا بكلمة (ما) وهى تدل في الغالب على غير العقلاء (3) ، وقد وصفت هذه المخلوقات بالتسبيح والسجود، وبالنزول من السماء و بالعروج فيها ، ومنها قوله تعالى : ﴿... يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ...﴾ [الحديد:4] ، وقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ [البقرة:116] ، فيجوز أن يكون في السماوات خلق تدب كما تدب الناس على الأرض ،ونجد في قسم آخر تعبيرًا بكلمة (من) وهى تدل في الغالب على العقلاء، وقد وصفوا

---

(1) انظر:(مفاتيح الغيب) للرازي (171/27) ،(لباب التأويل في معاني التنزيل) للخازن (386/5) .

(2) في تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم ، (مجلة الأزهر) ، ص 481.

(3) انظر : سورة :(البقرة: 248، 255، آل عمران : 29، 129 ، والنساء : 170 ، المائدة 120 ، يونس : 6–55 ، النحل : 49 ، النور: 64 ، لقمان : 20–26 ، سبأ : 1 ، الشورى : 4، 53 ، الزخرف : 85 ، الجاثية : 13 ، الحجرات : 16 ، الحديد : 1 ، المجادلة : 7 ، الحشر : 1، 24 ، الصف : 1، الجمعة : 1، التغابن : 1، 4).

بالدبيب وبالتسبيح وبالسجود وبالطاعة وبالفزع والموت (1) ، ومنه قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرَّحمن:29] ، أي يسأله أهل السماوات وما يتعلق بدينهم وأهل الأرض وما يتصل بدينهم ودنياهم ، وله ﷻ في كل يوم شئون يبديها فهو يحدث أمورًا ويجد أحوالًا ، ويغفر ذنوبًا ، ويفرج كروبًا ، ويرفع قومًا ، ويخفض آخرين ، ويحي ويميت ، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل (2) ،ثم نجد في قسم ثالث ذكرًا للملائكة في السماء (3) ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَللهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل:49] ، فنرى أن الله ﷻ خص الملائكة بالذكر في هذه الآية من بين الساجدين لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم.

ومما سبق يتبين:

1- أن فـي السـماء كائنات ذكرها القرآن الكريم مرة بما يدل على العاقل (من) ومرة بمـا يدل على غير العاقل (ما).

2- أن هذه الكائنات طائعة أسلمت أمرها لله لقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران:83] ، فعن شفيق بن سلمة قال: قال عبد الله : **كنا إذا صلينا خلف النبي ﷺ قلنا السلام على جبريل وميكائيل السلام على فلان وفلان، التفت إلينا رسول الله ﷺ فقال: (إن الله هو السلام فإذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد لله صالح في السماء والأرض)** (4) .

تبين من الحديث أن في السماء عباداً لله صالحين وما يؤكد ذلك حادثة معراج النبي ﷺ فقد رأى في كل سماء أناساً ورأى الأنبياء الصالحين .

3- أن الملائكة إحدى الكائنات التي في السماء، فالسماء مسكن الملائكة ومنها تنزل لقوله تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء:95] .

---

(1) انظر : سورة (آل عمـران : 83 ، يونس :22، الرعد : 15 ، الحجـر: 18 ، الإسـراء : 44-55 ، مريـم : 93-97 ، الحـج : 18 ، المؤمنـون : 71 ، النـور : 41 ، النمـل 65-87 ، الـروم: 26 ، الزمر :68 ، الشورى : 29 ، الرحمن : 29) .

(2) انظر :(معاني السماء و الأرض في القرآن الكريم) أحمد الحوفى ، ص 42 ، (هل في الـسماء أحيـاء) أحمد الحوفي (مجلة التصوف الإسلامي) ، ص 46 .

(3) انظر: سورة (الإسراء : 95 ، النجم : 26) .

(4) صحيح البخارى ، كتاب الأذان ، باب التشهد في الآخرة ، ص 286 ، حديث (897) .

4- أن الكائنات التي في السماء تسجد لله لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج:18] ، وقد ثبت في السنة أن أهل السماء يصلون ويدعون لمعلمي الناس الخير، قال رسول الله ﷺ: **(إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير)** [1] .

5- أن كائنات السماء تسبح بحمد الله لقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور:41] ، وقوله تعالى : ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [الحشر:24] .

وقد استهل المولى بعض السور بتسبيح هذه الكائنات ومن هذه السور التي افتتحها الله بالتسبيح :

أ- سورة الحديد قال تعالى: ﴿سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [الحديد:1] .

ب- سورة الحشر قال تعالى: ﴿سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [الحشر:1].

ج- سورة الصف قال تعالى : ﴿سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [الصَّف:1] .

د- سورة الجمعة قال تعالى : ﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ المَلِكِ القُدُّوسِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾ [الجمعة:1] .

هـ- سورة التغابن قال تعالى : ﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن:1] .

ومن خلال الآيات السابقة نلاحظ ما يلي :

أ- أن سورة الحديد والحشر والصف افتتحت بالفعل الماضي سبح، أما سورة الجمعة والتغابن افتتحت بالفعل المضارع يسبح الذي يدل على الاستمرارية ، وهذا يدل علي أن الله يُسبح له في كل وقت .

ب- أن سورة الحديد والحشر والصف افتتحت بنفس نص الآية .

---

(1) سنن الترمذي ، كتاب العلم عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، ص 605 ، حديث (2685) ، قال الألباني صحيح .

ج- أن السور السابقة ذُكرت فيها كائنات السماء التي دل عليها الاسم الموصول (ما) الذي يشير لغير العاقل .

ت- أن كائنات السماء تفزع وتصعق من يوم القيامة لقوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل:87] ، وقال رسول الله ﷺ: **(لا تفضلوا بين أنبياء الله فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخري فأكون أول من بعث فإذا موسى آخذ بالعرش فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور، أم بعث قبلي)** [1] .

ث- إحاطة الله وعلمه بما في السماء من كائنات [2] ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:29] .

ثانياً : خزائن السماء.

قال تعالى: ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَللهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ**﴾ [المنافقون:7] .

المعنى الإجمالي:

ذكر المولى ﷻ بعض قبائح المنافقين فهم الذين يقولون لأهل المدينة لا تنفقوا على أصحاب رسول الله من المهاجرين حتى يتفرقوا عنه، فأخبر المولى بسعة ملكه فقال:لله خزائن السماوات والأرض" أي أنه الرازق لهؤلاء المهاجرين لأن خزائن الرزق له فيعطي ما يشاء ويمنع من شاء ما شاء ، ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك ولا يعلمون أن الخزائن بيد الله ﷻ وأنه الباسط القابض المعطي المانع [3] .

يقول الإمام الماوردي : " في قوله تعالى : ﴿وَللهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ وجهان :

الأول: خزائن السماوات المطر والرزق ، وخزائن الأرض النبات .

الثاني: خزائن السماوات ما قضاه ، وخزائن الأرض ما أعطاه .

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ، ص 657 ، حديث (3414).

(2) انظر: سورة (النمل : 65 ، المجادلة : 7 ، التغابن : 4) .

(3) انظر : (فتح القدير) للشوكاني (276/5) .

وفيه لأصحاب الخواطر (ثالث) أن خزائن السماوات الغيوب وخزائن الأرض القلوب" [1] .

وقد جعل المولى لهذه الخزائن مفاتيح وأسماها بالمقاليد قال تعالى : ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾ [الزُّمر:63] ، أي لله مفاتيح خزائنها .

قال الإمام الشوكاني: " له مفاتيح السموات والأرض والرزق والرحمة" [2] .

وقال الإمام النسفي:" أي هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية ، لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها" [3] .

وقال تعالى : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ...﴾ [الأنعام:59] .

يقول الإمام الخازن:" يحتمل أن يكون المراد منه المفاتيح التي يفتح بها ، ويحتمل أن يكون المراد منه الخزائن ، فعلى التفسير الأول فقد جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة ، لأن المفاتيح هي التي يتوصل بها إلى ما في الخزائن المستوثق منها بالإغلاق فمن علم كيف يفتح بها ويتوصل إلى ما فيها فهو عالم ، وكذلك ها هنا لأن الله تعالى لما كان عالمًا بجميع المعلومات ما غاب منها وما لم يغب عن هذا المعنى في هذه العبارة ، وعلى التفسير الثاني : يكون المعنى وعنده خزائن الغيب والمراد منه القدرة الكاملة على كل الممكنات" [4].

ثالثًا: البيت المعمور.

قال تعالى: ﴿وَالبَيْتِ المَعْمُورِ﴾ [الطُّور:4] .

المعنى الإجمالي :

يقسم تعالى بأمور عظيمة منها البيت المعمور، وهو بيت في السماء السابعة، فهو معمور مدى الوقت بالملائكة الكرام الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يتعبدون فيه لربهم ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة [5] ، قال رسول الله ﷺ : **(البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه)** [6] .

---

(1) النكت والعيون (18/6) .

(2) فتح القدير (563/4) .

(3) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (1033/3) .

(4) لباب التأويل في معاني التنزيل (386/2-387) .

(5) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) السعدي ، ص 813.

(6) مسند أحمد بن حنبل ، مسند المكثرين من الصحابة ، مسند أنس بن مالك (154/3) ، حديث (12586) ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

رابعًا: اللوح المحفوظ .

قال تعالى: ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾ [الطُّور: 2-3] .

المعنى الإجمالي :

يقسم المولى بالكتاب المسطور وهو اللوح المحفوظ الذي هو إمام الكتب ، وهو كتـــاب ينطق بالحق محفوظ به القرآن الكريم الذي يقرؤه المؤمنون من المصاحف وتقرؤه الملائكة من اللوح المحفوظ وبه كذلك سائر الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء [1] .

وباللوح المحفوظ تعريف عن جميع المخلوقات قدرهم ورزقهم وأعمالهم ، فرغم علم الله الواسع(عالم الغيب والشهادة) فقد كتب في اللوح المحفوظ عدد المخلوقات منذ الأزل، وعدد ما ينقص وما يزيد إلى قيام الساعة : ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ [ق:4] ، وكل إنسان مقيد عنده ﷻ في سجلات دقيقة لا تمر مرحلة من مراحل حياته إلا بنظام دقيق : ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [مريم:94] ، وما تحمــل من أنثـــى في بطنها من جنين إلا بعلمه لا يخفى عليه شيء من أحوالـــه وأنواعه وأطواره ومستقبله ، ولا ينقص من عمر أحد فيموت في بطن أمه أو وهو صغير أو شاب أو عجوز إلا وهو في اللوح المحفوظ : ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر:11] ، وما من دابة في الأرض مما نعلم ومما لا نعلم إلا طوائف مخلوقة مثل البشر وأمم مقدرة أرزاقها وأعمارها وقدرها : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام:38] ، كذلك الرزق قدره الله تعالى في الأرض من يوم خلق الخلائق كلها فدبر لكل دابة رزقها في الأرض حتى رزق الدودة في الجحر يعلم مستقرها حيث تأوي من الأرض فيعطيها قوتها دومًا إلى لحظة موتها ، ويعلم الموضع الذي تموت فيه وتدفن : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود:6] ، فلا تغيب عنه مقدار ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من الذرة ولا أكبر منها إلا في الكتاب : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ:3] ، ويعلم ما في الماضي وما يطوي الحاضر وما يقبع في جوانب المستقبل ،ويعلم ما في البر والبحر، ولا تسقط ورقة من شجرة إلا بعلمه[2]

(1) انظر:(تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (252/4) ، (الأساس في التفسير) سعيد حوي (5541/10) .

(2) قصة الخلق ، سميحة مسعود ، ص46 ، 47 (بتصرف).

قال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام:59] .

خامسًا: سدرة المنتهى.

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴾ [النجم:13-15] .

المعني الإجمالي:

يقول المفسرون عن قول سيدنا رسول الله ﷺ إن سدرة المنتهى في السماء السابعة ، وقد رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى، وهنا تجري أمور لا يستطيع العقل البشري أن يستوعبها قد رآها سيدنا رسول الله ﷺ حين صعد به إلى السماوات العلى ليلة أسري به [1] كما جاء في حديثه عليه السلام أنه قال : **(رفعت إلى سدرة المنتهى في السماء السابعة ، نبتها مثل قلال هجر ، وورقها مثل أذان الفيلة ، يخرج من ساقها نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، فقلت : يا جبريل ما هذان ، قال : أما الباطنان ففي الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات)** [2] ، وبعد سدرة المنتهى عرش الرحمن.

وإن سألت عن الجنة فالجنة على ظهر السماء السابعة وتحت العرش وعرضها السماوات والأرض ، فقد ورد في صحيح الأحاديث أن الفردوس الأعلى وهي أعلى مرتبة في الجنة سقفها عرش الرحمن.

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- وجود حياة في السماء وكائنات تعبد الله ، ولا ندرك كنهها .

2- أن حدود معرفتنا بما في السماء مستقاة من القرآن والسنة ، وعليه لا يجوز أن نتأول ، ونذكر أسماء للسماء وما تحتوي ، وكيفية بنائها من فضة وذهب وزبرجد وغير ذلك من الأمور الغيبية ، خاصة عندما لا يكون لهذه التأويلات أي دليل أو إسناد ، وتكون خالية من الصحة .

---

(1) قصة الخلق، سميحة مسعود ، ص42 (بتصرف).

(2) مسند أحمد بن حنبل ، مسند المكثرين والصحابة ، مسند أنس بن مالك (165/3) ، حديث (12072) ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

المبحث الثالث

صفات السماء وأفعالها

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : صفات السماء .

المطلب الثاني : أفعال السماء .

المبحث الثالث
صفات السماء وأفعالها

يلفت القرآن الكريم أنظار العباد إلى جمال هذا الكون ، وبديع صنعته ، حيث خلق المولى السماء ، وأبدع في خلقها في نسق رائع ، وجمال بديع، فمن نظر إلى السماء في حسنها وكمالها وارتفاعها وقوتها عرف بذلك تمام قدرة الله ﷻ وقدست أسماؤه، فما أكثر الآيات التي يجب التدبر والتفكر فيها ، خاصة آيات السماء، حيث جعل المولى لها أفعالًا عظيمة ، وصفات جليلة أذكرها على النحو الآتي :

المطلب الأول: صفات السماء .

من طاف بعين البصيرة في الكون رأى إبداع الخالق ﷻ في دقة صنعه وإحكامه ، فقد جعل سبحانه هذا الكون كتابًا مفتوحًا ليقرأه أولو الألباب ، وليتلوا آيات الجمال التي في السماء ، حيث خصها المولى بعدة صفات ، ففيها عظمة خلق، وعظمة تكوين ، وعظمة صيانة تناسب قدرة الله ، ومن هذه الصفات :

أولًا : جعلها شدادًا :

قال تعالى : ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النَّبأ:12] .

المعنى الإجمالي :

يذكر المولى مظاهر قدرته في خلق السماء، حيث جعلها سبع سماوات في غاية القوة والصلابة والشدة ،وقد أمسكها الله بقدرته ، وجعلها سقفًا للأرض، وتشير الآية إلى أن السماوات السبع الشداد متينة التكوين، قوية البناء، مشدودة بقوة تمنعها من التفكك والانثناء [(1)].

يقول الإمام القرطبي:" سبعًا شداداً أي محكمة الخلق وثيقة البنيان" [(2)] .

ونلاحظ أن المولى عبر بلفظ البنيان عن معنى الخلق والنظام والترتيب في السماء، وعبر بمعنى الشدة عما جعل فيها من القوة على الحركة التي لا يفتر عنها ولا يلحقها من قبلها كلل ، ولا يخاف أن تخر كما تخر السقوف والمباني العالية [(3)] .

ثانيًا: جعلها طباقًا :

قال تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ [الملك:3] .

---

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) السعدي ، ص906 ، (في ظلال القرآن) سيد قطب (3806/1) .

(2) الجامع لأحكام القرآن ، المجلد الأول (122/19) .

(3) القرآن والكون ، محمد الشرقاوي ، ص59 (بتصرف).

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ [نوح:15] .

المعنى الإجمالي:

"أي ألم تعلموا أن الذي قَدِر على خلق السماء ، هو الذي يجب أن يذكر ويعبد ، وهـذا الخطاب المراد منه الاستدلال بخلق السماوات على كمال قدرته وبديع صنعه ، وأنـه الحقيـق بالعبادة ، والمراد بقوله (طباقـاً) أي بعضها فوق بعض ، كل سماء مطبقـة علـى الأخـرى كالقباب" [1] .

يقول الإمام الماوردى: " في معنى طباقًا وجهان .

الأول: أي متفق متشابه ، مأخوذ من قولهم هذا مطابق لهذا أي شبيه له .

الثاني: يعنى بعضهن فوق بعض" [2] .

ويقول الإمام أبو بكر الجزائري:"سبع سماوات طباقًا: كل سماء فوق سماء مطابقة لها ولكن من غير مماسة ، إذ بين كل سماء وأخرى هواء وفراغ مسيرة خمسمائة عام بالمطابقة المعادلة والمساواة في الجرم ،لا توضع سماء على الأخرى كغطاء القدر مثلا "[3] .

ثالثًا :جعلها سقفًا محفوظًا :

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء:32] .

المعنى الإجمالي:

من أعظم آيات وحكم الخالق أن جعل للأرض سقفًا يحميها ويحفظها ، حيث جعل المولى السماء سقفًا وغطاءً حافظًا ومحفوظًا، حفظه المولى من الخلل والفطور والتشقق كما حفظ الله سبحانه السماء من الشياطين بالشهب لقوله تعالى : ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [الحجر:17] ،وقوله : ﴿ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ [الصَّافات:7] .

وهذا السقف المحفوظ تمسكه قوى لا يعلمهـا إلا الله من أن ينهار أو ينتابه شيء مـن الخلل ، سقفًا محفوظًا لشدة تماسك أجزاء السماء، وترابطها مع بعضها البعض برغم أن الكون يتسع لكنه مترابط متماسك لا خلل فيه ولا فروج [4] .

وسقف من صنع الخالق العظيم ، سقف يغطي الأرض كلها ومحفوظ من البلى ، سقف مستو لا نتوء ولا فطور فيه ، كالقبة على الأرض لدليل على بديع صنع الباري .

---

(1) فتح القدير ، للشوكاني (355/5) .

(2) النكت والعيون (51/6) .

(3) أيسر التفاسير (442/5) .

(4) انظر:(تفسير الآيات الكونية)عبد الله شحاتة ،ص161، (من آيات الإعجاز العلمي) زغلول النجار ، ص58.

يقول الإمام الرازي:" سمى السماء سقفًا لأنها للأرض كالسقف للبيت" (1) .

وقوله تعالى (محفوظًا) "أي في بنية تكوينه لأنه محكم لا اختلاف فيــه، ولا يحفــظ إلا الشيء النفيس نحافظ عليه لنفاسته وأصالته" (2) .

وفي حفظ السماء أربعة أوجه :

الأول: "محفوظةً من أن تسقط على الأرض .

الثاني: محفوظةً من الشياطين .

الثالث: بمعنى سقفاً مرفوعًا" (3) .

الرابع: "أنها محفوظة من البلى والتغير على طول الدهر ولا ينافيه أنها تطوى يوم القيامة كطي السجل للكتب" (4) .

ويرجح الإمام الرازي الرأي الأول حيث يقول:" القول الأول أقوى لأن حمــل الآيــات عليه، مما يزيد هذه النعمة عظمًا ،لأنه سبحانه كالمتكفل بحفظه وســقوطه علــى المكلفــين ، بخلاف القول الثاني لأنه لا يخاف على السماء من استراق سمع الجن" (5) .

ويقول محمد جمال الفندي: " من أظهر حكم الخالق وآياته ، وعظم تدبيره ورعايته بالأرض وأهلها أن جعل للأرض سقفًا يحميها من أهوال الفضاء الكوني ويحول دون تسرب ماء البحار والمحيطات والأنهار في صورة أبخرة تنطلق إلى الفضاء الكوني ، وذلك حتى لا يصبح عالمنا ميتًا خربًا كما هو الحال على القمر الذي لا سقف له" (6) ، ويقسم الخالق –جل شأنه– بسقف الأرض فيقول : ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ [الطُّور:5] ، كما يُذكر الناس ويحضهم على دراسة آياته فيقول : ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:32] ، أي أن الله ﷻ قد حفظ السماء من أن تقع أو يقع ما فيها علينا ، فأجرام السماء تجري في أفلاكها دون تصادم كما أن الغلاف الجوى للأرض يحرق جميع الشهب ومعظم النيازك قبل أن تقع على الأرض ، ويمتص أيضًا معظم الجسيمات الضارة كالأشعة الكونية ومعظم الإشعاعات القاتلة كالأشعة فوق البنفسجية وغيرها القادمة من الفضاء ، وكذلك حفظ السماء من دخول الشياطين إليها وذلك بالشهب الثاقبة التي تصيبهم ومن شواظ النار والنحاس ، فالشهب جسيمات تتجول في الفضاء وتأتي كل يوم بالملايين إلى جــو الأرض ، وتتكــون من الصخــر أو الحديد المخلوط بالنيكل

---

(1) مفاتيح الغيب (165/22) .

(2) تفسير الشعراوى ، محمد الشعراوي ، ص 2497.

(3) النكت والعيون ، للماوردي (444/3) .

(4) روح المعاني ، للألوسي ، المجلد العاشر (58/17) .

(5) مفاتيح الغيب (165/22) .

(6) من آيات الله في الكون ، (مجلة منبر الإسلام) ، ص 83 .

أو النحاس ، وتتبخر وتتلاشى بعد دخولها الغلاف الجوي على ارتفاع أربعين إلى ستين كيلو متر من سطح الأرض، والنيازك تشق طريقها عبر الغلاف الجوي بدون أن يتم احتراقها تماماً وهي من أصل كويكبي، فالغلاف الجوي بمثابة حائل يحفظ أهل الأرض من كثير من أهوال الفضاء التي لا تستقيم معها الحياة بأي حال (1).

وترى الباحثة : أن هذا الكلام يُحمل على أن معنى السماء في الآية السابقة هو الغلاف الجوى وليست السماء ذات البناء المحكم إحدى السماوات السبع .

رابعًا : جعلها ذات حبك :

قال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات:7] .

المعنى الإجمالي :

يستهل ربنا – تبارك وتعالى– سورة الذاريات بالقسم بعدد من آياته الكونية الدالة على طلاقة قدرته وكمال علمه وتمام حكمته وشمول سلطانه ، ومن هذا القسم، القسم بالسماء ذات الحبك، أي ذات الجمال والبهاء، فهي محكمة البنيان والنظام .

وقد جاءت لفظة الحبك في القرآن الكريم مرة واحدة فقط ، وهى مستمدة من الفعل (حبك) بمعنى شد وأحكم ، والآية الكريمة تصرح بأن السماء ذات نسج محكم متقن ، وانظر إلى التصوير البديع فالنسيج المحبوك بإتقان يكون متداخلًا متشابكًا ولكن بجمال وتنظيم ، فالدلالة أن السماء ليست فقط ذات مسالك وطرق وأفلاك، بل أنها متداخلة ومتشابكة في تنظيم وإحكام وجمال، والقسم بالسماء ذات الحبك فيه إشارة إلى أنها ليست مجالاً حرًا للسبح ، بل لها طرق محددة ، فهو ليس مجرد مسير عبثي فوضوي ، بل هو سبح محدد لغاية معينة ، وفيه إشارة إلى أن الكون المحبوك لكل نقطة فيه مهما تضاءل حجمها تعمل فيه قوى الجذب والطرد بشكل متداخل فهي محبوكة بقوة الله ، لذلك يتساءل رب العزة ، كيف تكونون في كون محبوك متسق منظم الأجزاء ، وأنتم في قول مختلف (2) ؟

ويذكر ابن كثير في تفسير معنى الحبك :" قول ابن عباس ﷺ أي ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء ، وأي ذات الخلق الحسن المستوي" (3) .

ويقول الإمام الألوسي: " واستظهر في السماء أنه جنس أريد به جميع السموات، وكون كل واحدة منها ذات حبك بمعنى مستوية الخلق جيدته، أو متقنة البنيان ، أو صفيقة، أو ذات

(1) انظر:(الكون والإعجاز العلمي للقرآن) منصور حسب النبي ، ص 146 (اجتهادات في التفسير العلمي) محمد عادل أبو الخير ، ص 72، (الإعجاز العلمي في الإسلام) محمد عبد الصمد ، ص61.

(2) انظر:(وجوه من الإعجاز القرآني) مصطفى الدباغ ، ص87 ،(الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (الكون والماء) سليمان الطراونة ، ص21.

(3) تفسير القرآن العظيم (244/4) .

طرق" [1] .

"واختلف المفسرون في معنى الحبك على سبعة أقاويل :

الأول: أن الحبك الاستواء .

الثاني: أنها الشدة .

الثالث: أنها الصفاقة .

الرابع: أنها الطرق .

الخامس: أنه الحسن والزينة .

السادس: أنه مثل حبك الماء إذا ضربته الريح .

السابع : لأنها حبكت بالنجوم" [2] .

وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء كما قال ابـن عبـاس رضي الله عنهما "فإنها من حسنها مرتفعة شفافة صفيقة شديدة البناء متسعة الأرجاء ، أنيقة البهاء مكللة بـالنجوم الثوابت والسيارات موشحه بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات" [3] .

خامسًا: ليس لها فروج .

قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ [ق:6] .

المعنى الإجمالي :

يقول ربنا – تبارك وتعالى- منبهًا للعباد على قدرته العظيمة **(أفلم ينظروا)** أي كيـف غفلوا عن النظر إلى السماء فوقهم ، وهى صفحة من كتاب الكون تنطق بالحق الذي فـارقوه ، والاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ ، ألم ينظروا بعيونهم معتبرين بعقولهم حين أنكـروا البعـث ، فينظروا إلى السماء بما فيها من شموخ وثبات واستقرار فهي مستوية الأرجاء ثابتة البناء وإلى ما فيها بعد ذلك من زينة وجمال وبراءة من الخلل والاضطراب ، فان الثبات والكمال والجمال هي صفات السماء التي تتناسب مع السياق هنا ، مع الحق وما فيه من ثبات وكمال وجمال ومن ثم تجئ صفة البناء وصفة الزينة وصفة الخلو من الثقوب والفروج .

وقوله تعالى : ﴿ **أَفَلَمْ يَنْظُرُوا** ﴾ يشمل نظر البصر ، ونظر البصيرة ، ونظـر البـصر يكـون بالعيـن ، ونظـر البصيرة يكـون بالقلب أي التفكير ، فجـئ بـالنظر دون الرؤيـة استبعـادًا لاستبعادهـم فكأنـه قيـل: النظر كاف في حصول العلم بإمكان الرجع ولا حاجـة إلى الرؤية .

---

(1) روح المعاني ، المجلد الخامس عشر (7/27) .

(2) النكت والعيون ، للماوردي (362/5 ، 363) .

(3) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (234/4) .

ووصف المولى للسماء بأنها ما لها من فروج أي ليس لها شقوق ، وفتوق ، وفطور وصدوع يعيبها ، فهي سليمة من التفاوت والعيوب محكمة البناء ، لا ينافى القول بأن لها أبواباً [1] .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- إن السماء بنيت بيد الله لقوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ﴾ وجعل لها أوصافاً دالة على إتقانه في خلقه .

2- إن الله تعالى أوجد السماء بقدرته مرفوعة ومحفوظة، ورفعها فيه لفت للأنظار إلى مظاهر قدرة الله وإلى وجوب شكره وإخلاص العبادة له والتزام طاعته .

3- مشروعية النظر والاعتبار في السماء طلباً لزيادة الإيمان والوصول إلى مستوى اليقين .

4- قوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ ...﴾ [ق:6] قوله فوقهم مع أنه من المعلوم فوقية السماء، وذلك إشارة إلى عظمتها، وأنها مع علوها وارتفاعها وسعتها وعظمتها تدل على كمال خلقه وقدرته -جل وعلا- ، وتدل على وحدة الصانع جل شأنه .

المطلب الثاني :أفعال السماء .

اتجهت إرادة الله ﷻ إلى كون السماء فكانت ، وأودع فيها من أسراره العظيمة ، فجعل لها إدراكًا وانفعالات، فالسماء تتكلم، وتبكى، وتطيع ، وتتأثر بقيام الساعة، وتتفطر من خشية الله، وقد أشار القرآن الكريم إشارة واضحة إلى أفعال السماء بأسلوب يقنع العقل بالبرهان ، ويملأ القلب بالإيمان والاطمئنان أذكر منها :

أولًا : حديث السماء :

قال تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصِّلت:11] .

المعنى الإجمالي:

في هذه الآية بيان من الله ﷻ وتفصيل لبدء خلق السماء، وهى من الآيات الباهرة والمدهشة، ومن المدهش فيها أن الله خلق لها كلامًا ، فتحدث وتحاور المولى معها بعد أن سواها، وأمرها بالإتيان بما فيها وإعطاء الطاعة ، وما كان للسماء غير الإذعان وتلبية أمر الخالق ﷻ فتكلمت السماء والأرض وقالتا أتينا بما فينا وأعطينا الطاعة .

يقول الإمام الماوردى:" في قولهما وجهان :

(1) انظر : (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (234/4) ، (فتح القدير) للشوكاني (87/5) ، (روح المعاني) للألوسي ، المجلد الرابع عشر (263/26 ، 264) ، (في ظلال القرآن) سيد قطب (3359/6) .

الأول: أنه ظهور الطاعة منهما قائم مقام قولهما .

الثاني: أنهما تكلمتا بذلك ، فنطق من الأرض موضع الكعبة، ونطق من السماء ما بحيالها فوضع الله فيها حرمه " [1] .

وأرى أن القول الثاني أرجح وعليه أكثر أهل العلم ، فالله ﷻ خلق فيهما الكلام فتكلمتا كما أراد سبحانه، وجمعهما جمع من يعقل لخطابهما بما يخاطب به العقلاء ، وجعل لهما حياة وإدراكًا يقتضي نطقهما ، فالمولى لا يعجزه شيء، و العبرة في كلام السماء أتم ، والقدرة فيه أظهر [2] .

ومع هذا فإن عقولنا تعجز عن فهم وإدراك هذا الكلام ، ولكن نؤمن بقدرة الله على كل شيء ، فقد علم سليمان عليه السلام منطق الطير وأفهمه كلام النملة ، وجعل الجبال تسبح مع داوود ، وأسمع النبي ﷺ تسبيح الحصى [3] ، فقدرة الخالق العظيم الذي قدر أن يكون لمخلوقاته إدراكًا تجعلنا نخر ساجدين أمام عظمته سبحانه.

ثانيًا: بكاء السماء .

يقول المولى – تبارك وتعالى– حكاية عن فرعون وقومه : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدُخان:29] .

المعنى الإجمالي :

هذه الآية تهكم بفرعون وقومه وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده ، وهو تعبير يلقي ظلال الهوان ، كما يلقى ظلال الجفاء ، فهؤلاء الطغاة المتعالون لم يشعر بهم أحد في أرض ولا سماء ، ولم يأسف عليهم أحد في أرض ولا سماء ، وقد كانوا جبارين في الأرض يطأون الناس بالنعال ، وذهبوا غير مأسوف عليهم ، فالسماء والأرض لم تبكيا على فرعون وقومه لأنهم غير منسجمين معهما في قضية الخضوع للحق ، فهذا الكون يمقتهم لانفصالهم عنه ، وهو كون مؤمن بربه ، وهم به كافرين ، ولو أحس الجبارون في الأرض ما في هذه الكلمات من إيحاء لأدركوا هوانهم على الله وعلى هذا الوجود كله ، ولأدركوا أنهم يعيشون في الكون منبوذين منه ، مقطوعين عنه لا تربطهم به آصرة ، وقد قطعت آصرة الإيمان ، فلم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكى على فقدهم [4] .

---

(1) النكت والعيون (172/5 ، 173) .

(2) انظر: (البحر المحيط) لأبي حيان (289/9) ، (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (98/4) .

(3) انظر:(معجزة القرآن) محمد متولي الشعراوي (263/2) .

(4) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (49/4 ، 50) ، (في ظلال القرآن) سيد قطب (3214/5) ، (المعجزات الكونية التي صاحبت مولد الرسول ﷺ) محمد عبده مباشر (مجلة الشباب وعلوم المستقبل) ص6 .

ولو تأملنا هذه الآية لوجدنا أنها توحي بأن السماء والأرض قد تبكي على أحد ، ومن هذا الذي يستحق هذا البكاء ، وبم نال هذه الكرامة والمنزلة ، نعرف هذا من خلال حديث رسول الله ﷺ حيث قال: **(إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ ، ألا لا غربة على مؤمن ، ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض ، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾ ثم قال إنهما لا يبكيان على الكافر)** [1] .

فالأرض تبكي على كل عبد كان يعمرها بالركوع والسجود، والسماء تبكي على كل عبد كان لذكره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل ، إنها والله لكرامة عظيمة ومنزلة رفيعة أن يحظى بها الإنسان ، ولكنها ليست لكل إنسان ، وإنما هي للمؤمن الصالح الذي يؤدى حق ربه عليه ويسعى في عمارة الأرض بالباقيات الصالحات ، وبطاعة رب الأرض والسماوات ، فحيث تجده على الأرض فهو يذكر ربه ، هنا يمشى إلى المسجد وهناك يصلى ، وهنا يسبح وهناك يستغفر ، وهنا يعين محتاجًا وهناك يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وكل ذلك يرفع إلى السماء فتحبه السماء والأرض وتسعد به، وتكون شاهدة له على حسن عمله فإذا قضى المؤمن أجله ومات ، حق للسماء وللأرض أن تبكيا .

وأرى أنه ما دام للسماء عواطف تبكيها وتفرحها وإحساسٌ بالعبد المؤمن، فإن ذلك يوجب علينا أن نستعد ونعمل لكي نمشي مع السماء على وتيرة واحدة تربطنا آصرة الإيمان بالخالق والخضوع له .

ثالثًا: طاعة السماء :

قال تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصّلت:11] .

المعنى الإجمالي:

يأمر المولى –جلت قدرته– السماء بالإتيان ، فتلبى طائعة دون إكراه وتقوم بثبات واستقرار فلا تسقط على الأرض لقوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الرُّوم:25] .

فطاعة السماء في الإتيان وقيامها بأمر الله ملبيه لهذا الأمر طائعة له دون انحراف ولا تلكؤ ولا اضطراب ما هو إلا آية من آيات الله الدالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته الموجبة لتوحيده [2] ، وها هي السماء تكاد أن تنفطر وتنشق من كفر الناس وإشراكهم بالله، قال تعالى :

---

(1) شعب الإيمان ، باب في الصبر على المصائب ، فضل ذكر ما في الأوجاع والأمراض والمصيبات من الكفارات (172/7) ، حديث (9888) ، قال البيهقي هكذا وجدته مرسلاً .

(2) انظر: (في ظلال القرآن) لسيد قطب (3114/5 ، 3115) ،(أيسر التفاسير) للجزائري (565/4) .

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ...﴾ [الشُّورى:5] ، كادت السماء أن تنهدم على المشركين الذين اغتروا في الدنيا وظلموا وتظالموا، عبدوا غير الله وزعموا أن له ولداً ، تتزه سبحانه عما يقولون، وجاء في القرآن الكريم ما يفيد أن الجبال تكاد تخر هداً، وتكاد الأرض أن تنشق وكأنها تشارك السماء غضبها على هؤلاء الكفرة ، ولكن حلم الله يمنع السماء أن تنشق وتنفطر، وها هي تطيع أمر الله فلا تسقط عليهم (1) .

رابعًا: صعوبة تحملها شدة الساعة :

قال تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:187] .

سبب نزول الآية :

"قال ابن عباس : قال جبل بن أبي قشير، وشموال بن زيد وهما من اليهود: يـا محمـد أخبرنا متـى السـاعة إن كنـت نبيًا فإنا نعلـم متى هي ، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقـال قتادة : قالت قريش لمحمد: إن بيننا وبينك قرابـة فأسـر إلينـا متى تكون الساعة: فـأنزل الله هذه الآية" (2) .

المعنى الإجمالي:

يقول تعالى لمحمد ﷺ يسألونك عن الساعة ، أي المكذبون لك ، فقل لهم يا محمد: علم قيامهـا عنـد الله لا يظهرها لوقتها الذي قدَّره أن تقوم فيه ، ثقل علمها و خفي واشتد أمرهـا على السموات ، فلا يعلـم وقت قيامها ملك مقرب ولا بني مرسل ، لا تجئ إلا فجأة من حيـث لا يشعرون (3) .

وفي قوله تعالى : ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ **أربعة تأويلات :**

الأول: كبر على أهل السماء والأرض مجيء الساعة ، قاله الحسن .

الثاني: ثقل عليهم قيام الساعة ، لأنه لما خفي علمها على أهل السماوات والأرض كانت ثقيلة لأن كل ما خفي علمه ثقيل على القلوب ، قاله السدي (4) .

(1) انظر:(تأملات في آيات القرآن) ياسين رشدي ، ص146.

(2) أسباب النزول ، للواحدى ، ص 174 .

(3) انظر : (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) السعدى ، ص 311 .

(4) السدي : هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، تابعي ، حجازي الأصل سكن الكوفة ، صـاحب التفـسير والمغازي والسير ، كان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس ، توفي سنة 128هـ . انظر : (الأعلام) للزركلي (317/1) .

الثالث: عظم وصفها على أهل السموات والأرض ، قاله ابن جريج [1] .

الرابع: لا تطيقها السماوات والأرض لعظمتها ، فثقل مجيئها على السماوات لأن السماء عند مجيئها تنشق، وتكور الشمس والقمر، والنجوم تتناثر، والبحار تنضب ، قاله قتادة [2] .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة:

1- خلق الله إدراكًا للسماء وانفعالات تجعلها تبكي وتغضب وتتكلم وتطيع وتقوم بأمر الله ويثقل عليها قيام الساعة لدلائل واضحة على قدرة الله وعلمه وحكمته .

2- ذم العلو في الأرض والتكبر والإسراف الذي يوجب غضب الله وعدم بكاء السماء على المتعالين في الأرض .

3- عدم بكاء السماء على الكافرين فيه إشارة لعدم الاكتراث بهلاكهم، وهوان أهل الكفر والفسق على الله وعلى الكون كله ، وكرامة أهل الإيمان والتقوى على الله ، وعلى الكون كله .

4- علم الساعة يختص به المولى ﷻ دون أحد وإخفاء علم الساعة لحكمة لا يعلمها إلا الله .

---

(1) ابن جريج : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأسدي مولاهم المكي أبو الوليد ، أبو خالد ، محدث حافظ فقيه مفسر ، ولد بمكة بالبصرة وأكثروا عنه ، من آثاره : السنن ، مناسك الحج ، تفسير القرآن ، توفي رحمه الله سنة 150هـ . انظر : (سير أعلام النبلاء) للذهبي، (262/5) .

(2) انظر : (النكت والعيون) للماوردي (285/2) ، (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي المجلد الرابع (239/7 ، 240) ،(فتح القدير) للشوكاني (350/2) .

المبحث الرابع

أحوال السماء يوم القيامة

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : لله ملك السموات والأرض .

المطلب الثاني : وصف نهاية السماء يوم القيامة .

المبحث الرابع
أحوال السماء يوم القيامة

تتجلى عظمة الله -تبارك وتعالى- في ملكه ووراثته للسماء، فقد أرانا من آياته في الآفاق حتى تبين لنا أنه الحق المتفرد بالألوهية ، فأنزل لنا آيات تصف حال السماء يوم القيامة ، يوم الانقلاب الكوني حيث تتغير فيه السماء وتتبدل ، وذلك لصعوبة تحملها شدة الساعة لقوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ...﴾ [الأعراف:187] ، فالسماء التي كانت ستارًا للأرض قد كشطت وأزيلت، والشمس التي ترسل أشعتها قد انحسر ضوؤها وطويت ، والنجوم المتماسكة المنيرة قد طمست وتناثرت وخبا نورها فأظلمت .

ونتصور أن ينظر الإنسان فلا يرى هذه القبة فوقه نتيجة هذا الانقلاب الكوني ، حيث تنشق السماء فتصبح حمراء سائلة كالدهان ، ومنفرجة على هيئة لا عهد لنا بها ، وتتناثر الكواكب، فتخيل هذا المشهد العظيم كواكب مثل حجم الأرض تتناثر هنا وهناك وتنشق السماء لشدة هذا الأمر وهوله ، فكيف يكون حال الإنسان الضعيف من هول هذا الموقف العظيم ، عندما تتبدل السماء غير السماء ، وتوضع قوانين كونية إلهية ، ونظام لا يعلمه إلا هو سبحانه العلى القدير ، أما ما سيحدث بعد ذلك فهو شأن العظيم وحده مالك السماوات والأرض ومالك يوم الدين .

المطلب الأول: لله ملك السموات والأرض :

الكون وما فيه شاهد على قدرة الله ووحدانيته في ملكه، فله السلطان القاهر على جميع خلقه ، يتصرف فيه كيفما شاء إيجاداً وإعداماً ، إحياءً وإماتة ، فمنه المبدأ وإليه المآب ، وهو تعالى مالك السماء وما فيها من كائنات ، و خزائن ومطر ورزق ، فجميع هذه المخلوقات خاضعة لعظمته خاشعة لجلاله ، راجعة إليه ، فملكها وميراثها لله الحي القيوم ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾ [البقرة:107] .

المعنى الإجمالي :

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ يخبره فيه أنه المتصرف في خلقه بما يشاء فله الخلق والأمر، والمعنى :" ألم تعلم يا محمد أن لي ملك السماوات والأرض وسلطانهما دون غيري ،

أحكم فيهما وفيما فيهما بما أشاء " [1] والخطاب هنا للنبي ﷺ والمراد أمته .

وقوله تعالى : ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ أي له التصرف في السماوات والأرض بالإيجاد والاختراع ، والملك والسلطان ، ونفوذ الأمر والإرادة في جميع مخلوقاته [2] ، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:189] .

فالسماء وما فيها خاضعة لملكه لقوله تعالى: ﴿وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [آل عمران:109] ، فالجميع ملكاً وخلقاً وعبيداً مسخرين بقدرته ، خاضعين لقضائه ، فنشأتهم وميراثهم ومآلهم راجع لله رب العالمين ، قال تعالى: ﴿... وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾ [الحديد:10] .

يقول الإمام القرطبي :" إنهما راجعتان إليه بانقراض من فيهما كرجوع الميراث المستحق له" [3] فهو مالك السماوات وبيده مقاليدها وخزائنها وهو الباقي بعد فناء جميع خلقه.

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- تقرير عموم ملكية الله لكل المخلوقات وخاصة ملكه للسماء .

2- "أن الله ﷻ خص السماوات والأرض بالملك لأنهما من أعظم المخلوقات الظاهرة ولأن كل مخلوق لا يخلو من أن يكون في إحدى هاتين الجبهتين فكان الاستيلاء عليها إشارة إلى الاستيلاء على ما اشتملتا عليه" [4] .

3- ملك الله للسماء وقدرته على كل شيء يوجب الخوف منه والرغبة إليه ، وأن كل من فيها يحق عليه عبادته والخشوع له لقوله تعالى : ﴿... لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ [البقرة:116] .

4- ميراث السماء وجميع الخلق لله وحده ، والإنسان مهما بلغت قوته ليس له قدرة التملك أبداً ، وليس له المقدرة على استيفاء ما يملكه ، وإذا كان له الملك فإنه لا يدوم ،لأن الله ينزع الملك ممن يشاء ويعطيه لمن يشاء، لذلك حينما يأتي يوم القيامة ويهلك الله الأرض ومن عليها يقول سبحانه : ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر:16] ، ويرد -جل جلاله- بشهادة الذات للذات فيقول : ﴿ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر:16] .

---

(1) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (161/1) .

(2) انظر :(الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي المجلد الأول (54/2) ، (فتح القدير) للشوكاني (183/1) .

(3) الجامع لأحكام القرآن ، المجلد التاسع (175/17) .

(4) روح المعاني ، للألوسي (557/1) .

المطلب الثاني :وصف نهاية السماء يوم القيامة .

لكل بدايـــة نهاية ، فهذا الكون الذي نعهده بالاتزان والإحكام ،المتين الصنعة ، المبنـــى بأيد وإحكام، سيفرط عقد نظامه ، وتتناثر أجزاؤه ، وتذهب عنه صفاته ، وينتهي إلـــى أجلـــه المقدر، حينها يكون الانقلاب لكل معهود ، والثورة لكل موجود ، "إنه انقلاب مرهـــوب فأمـــا حقيقة ما يجرى لكل هذه الكائنات فعلمها عند الله ، وهى حقيقـــة أكبـــر مـــن أن نـــدركها الآن بمشاعرنا وتصوراتنا المقيدة بمألوف حسنا وتفكيرنا " (1) ، فقد وصف القرآن الكريم ما فيها من الشدة والكروب ، ومزعجات القلوب ، حين تصاب السماء بالانفطار والانشقاق العظيم، ويبطل معها قانون الجاذبية ، وتبدو السماء مرة كالدخان ومرة ملتهبة حمـــراء، فتتنـــاثر الكواكـــب ، وتتكدر الشمس ويذهب نورها ، وتختل المسافات فيجمع الشمس والقمر ، ويفقد الجميع كيانـــه فتنصهر تلك الأجـــرام الســـماوية فتكـــون كالنحاس المذاب ، وإذا بالعالم كله دخان كما كـــان قبل وجوده.

حينها تتبدل السماء غير السماء لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لله الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾ [إبراهيم:48] .

المعنى الإجمالي :

تذكر الآية الكريمة "مشهد التغيير الشامل لكل ما يعهده الناس في الدنيا ، فالموقف هنا جديد طارئ على أبصارهم وحواسهم ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ فكل شئ قد تبدل ، وهم اليوم في وضع جديد ﴿وَبَرَزُوا لله الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾ بلا وقاية ولا ستار وفي ذلك من الوحشة والهول ما فيه ، وحشة الغربة في عالم جديد ، ورهبة البروز للواحد القهار" (2) ، حينها تعلم كل نفس ما أحضرت معها من أعمال حيث لا ستر لشيء ولا خفاء .

يقول الإمام الرازي :"اعلم أن التبديل يحتمل وجهين :الأول : أن تكون الـــذات باقيـــة وتتبدل صفتها بصفة أخرى ، وهو تبديل السماوات بانتثار كواكبها وانفطارها وتكوير شمسها ، وخسوف قمرها ، وكونها أبوابًا ، وأنها تارة تكون كالمهل وتارة تكون كالدهان .

الثاني :أن المراد تبديل الذات " (3) .

وأرى أن التبديل سواء كان لذات السماء أو لصفاتها ، فإنه قد تعطل نظامها فأصـــبحت فانية لا بقاء لها .

---

(1) اليوم الآخر في ظلال القرآن ، أحمد فائز ، ص159 .

(2) مشاهد يوم القيامة : سيد قطب ، ص 167.

(3) مفاتيح الغيب (146،147/19) .

ويصور القرآن الكريم مشاهد هذا اليوم العظيم ، ونهاية هذا الكون الجسيم ، حيث يبدأ بمور السماء فتتحرك وتضطرب ، ثم تنشق وتنفطر وتنفرج فتصبح واهية ضعيفة ، فهذا التمزق في كيان السماء سيؤدى إلى انهيار قوى الشد والتمدد وينتهي بالسماء إلى حالة الضعف ، فتكون مرة كالمهل ومرة حمراء كالدهان ، ثم تطوى السماء وبعد ذلك تكشط أي تزول ، وعملية الفناء تكون دائرة في وقت واحد شاملة جميع ما في الكون.

وسأتحدث هنا عن نهاية السماء يوم القيامة بشئ من التفصيل :

أولاً : مور السماء :

قال تعالى : ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطُّور:9] .

المعنى الاجمالى:

"يبين المولى أن السماء يوم القيامة تدور وتضطرب وتدوم حركتها بانزعاج وعدم سكون" (1) ، "ولشدة ذلك التحرك والاضطراب أكد رب العزة ذلك بالمفعول المطلق (موراً) لأنه موران متكرر وعنيف" (2)، والتأكيد بالمفعول المطلق يشير إلى وقوع الأمر حقيقة .

يقول الإمام الماوردى موضحاً المراد بالمور :" فيه سبعة تأويلات:

الأول : معناه تدور دورًا ، قاله مجاهد .

الثاني : تموج موجًا ، قاله الضحاك (3) .

الثالث : تشقق السماء ، قاله ابن عباس .

الرابع : تجرى السماء جريًا .

الخامس : تتكفأ بأهلها ، قاله أبو عبيدة (4) .

السادس : تتقلب انقلابًا .

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي (379/5 ، 380) .

(2) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (الكون والماء)، سليمان الطراونة ، ص55 .

(3) الضحاك : الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبو محمد ، وقيل : أبو القاسم ، صاحب التفسير ، وكان من أدعية العلم ، ليس بالمجود لحديثه ، وهو صدوق في نفسه ، حدث عن ابن عباس وأبي سعيد الخدري وابن عمر = وحدث عنه عمارة بن أبي حفصة ، ونقل غير واحد ، توفي سنة اثنتين ومائة . انظر : (البداية والنهاية) لابن كثير(223/9) .

(4) أبو عبيدة : معمر بن المثنى ، أبو عبيدة التميمي ، مولاهم البصري النحوي اللغوي ، قد رمى برأي الخوارج من السابعة ثقة له تفسير في الزكاة ، توفي سنة ثمان ومائتين وقيل بعد ذلك ، وقد قارب المائة . انظر : (تقريب التهذيب) لابن حجر العسقلاني، ص 541 .

السابع : أن السماء ها هنا الفلك وموره اضطراب نظمه واختلاف سيره "[1] .

وترى الباحثة : أن المور يشمل جميع التأويلات سابقة الذكر حيث إن معنى المور في اللغة :الذهاب والمجئ والتردد والدوران والاضطراب ، فلا تعارض بين المعاني السابقة .

ثانيًا: انشقاق السماء .

ذكر القرآن الكريم انشقاق السماء في مواضع عدة وبصيغ متعددة منها " الانفطار والانفراج والانفتاح ، أذكرها على النحو التالي:

1- انشقاق السماء:

قال تعالى : ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ** ﴾ [الانشقاق:1] .

المعنى الإجمالي :

يخبر المولي ﷻ عن هول يوم القيامة ، وما يكون فيه من أمور عظيمة ، منها انشقاق السماء ، أي انفطارها وتصدعها ، بحيث تتغير هيئتها ويختل نظامها [2] .

يقول الإمام الماوردى:" في انشقاقها وجهان:

الأول: أنها فتحت أبوابها ، قاله ابن جريج .

الثاني: أنها تنشق من المجرة ، قاله علي ﷺ " [3] .

ويقول الإمام القرطبي :"أي انصدعت وتفطرت بالغمام مثل السحاب الأبيض ، وروى عن علي ﷺ قال : تشق من المجرة ، وقال : المجرة باب السماء ، وهذا من أشراط الساعة وعلامتها " [4] .

ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا** ﴾ [الفرقان:25] . فتنشق السماء عن الغمام " وهو ظلل النور العظيم الذي يبهر الأبصار" [5] .

يقول الإمام النسفي : " إن السماء تنفتح بغمام أبيض يخرج منها ، وفي الغمام الملائكة ينزلون في أيديهم صحائف أعمال العباد " [6] .

ونزول الملائكة يوم القيامة يوم التلاق، الذي يلتقي فيه أهل السماء والأرض يكون لغرضين: إما ليبشروا المؤمن بالجنة والكافر بالنار، وإما ليكون مع كل نفس سائق وشهيد [7] .

---

(1) النكت والعيون (379/5 ، 380) .

(2) انظر:(تفسير الوسيط) ، وهبة الزحيلي (2846/3) .

(3) النكت والعيون (233/6) .

(4) الجامع لأحكام القرآن ، المجلد العاشر (190/19) .

(5) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (347/3) .

(6) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (791/3) .

(7) النكت والعيون ، للماوردي (142/4) بتصرف .

ويقول الإمام السعدي: " ذلك الغمام ينزل من فوق السماوات فتنفطـــر لـــه الـــسماوات وتتشقق، وتتنزل ملائكة كل سماء فيقفون صفًا صفا ، إما صفًا واحدًا محيطًا بالخلائق ، وإمـــا كل سماء يكونون صفًا ثم السماء التي تليها صفًا هكذا .

القصد أن الملائكة – على كثرتهم وقوتهم – ينزلون محيطين بالخلق، مُـــذعنين لأمـــر ربهم لا يتكلم منهم أحد إلا بإذن من الله ، فما ظنك بالآدمي الضعيف خصوصًا الذي بارز مالكه بالعظائم ، وأقدم على مساخطه ثم قدم عليه بذنوب وخطايا لم يتب منها" (1) .

ويذكر الإمام الرازي : مسألة في نزول الملائكة قائلاً: " ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ﴾ صيغة عموم فيتناول الكل ، ولأن السماء مقر الملائكة فإذا تشقق وجب أن ينزلوا إلى الأرض... وأما نزول الملائكة إلى الأرض فعليه سؤال ، وذلك لأنه ثبت أن الأرض بالقياس إلى سماء الدنيا كحلقة في فلاه ، فكيف بالقياس إلى الكرسي والعرش، فملائكة هذه المواضع بأسرها كيف تتسع لهم الأرض جميعـــًا ؟ فلعل الله تعالى يزيد في طول الأرض وعرضها ويبلغها مبلغًا يتسع لكل هؤلاء ، ومن المفسرين من قال:الملائكة يكونون في الغمام منه ، والله تعالى يسكن الغمام فوق أهل القيامة ويكون ذلك الغمام مقر الملائكة ، قال الحسن : والغمام سترة بين السماء والأرض تعرج الملائكة فيه بنسخ أعمال بني آدم والمحاسبة تكون في الأرض" (2) .

2- **انفطار السماء :**

قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار:1] .

المعنى الإجمالي :

أي تشققت بأمر الله لنزول الملائكة وقيل: تفطرت لهيبة الله تعالى، والفطر:الشق، يقال: فطرته فانفطر، فتنفطر السماء وتتشقق لصعوبة تحمل شدة الساعة، ويقال: مثقلة به إثقالًا يـــؤدي إلـــى انفطارها لعظمته عليها وخشيتها من وقوعه، لقوله تعالى : ﴿... ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...﴾ [الأعراف:187] (3) .

يقول الإمام الماوردي :" فيه وجهان : **الأول:** انشقت ، **والثاني:** سقطت" (4) .

ويقول الإمام سيد قطب:" انشقاق السماء حقيقة من حقائق ذلك اليـــوم العـــصيب ، أمـــا المقصود بانشقاق السماء على وجه التحديد فيصعب القول به ، كما يصعب القول عـــن هيئـــة

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص 581 .

(2) مفاتيح الغيب (74/24) .

(3) انظر :(الجامع لأحكام القرآن) ، للقرطبي ، المجلد العاشر (172/19) ،(فتح القدير) ، للشوكاني (466/5).

(4) النكت والعيون (220/6) .

الانشقاق التي تكون ، وكل ما يستقر في الحس هو مشهد التغير العنيف في هيئة الكون المنظور وانتهاء نظامه هذا المعهود ، وانفراط عقده ، الذي يمسك به في هذا النظام الدقيق" [1] .

3-انفراج وانفتاح السماء :

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾ [المرسلات:9] .

المعنى الإجمالي :

"أي انفطرت وانشقت وتدلت أرجاؤها ودقت أطرافها "[2] ، ففتحت طرقها وأبوابها لنزول الملائكة لقوله تعالى: ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴾ [النَّبأ:19] .

ثالثًا : تكون السماء كالمهل :

قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴾ [المعارج:8] .

المعنى الإجمالي:

يخبر الجليل سبحانه عن يوم القيامة يوم تنشق السماء فتذوب كما يذوب الدردى[3] فتكون كالزيت المغلي والرصاص المذاب من شدة الأمر وهول يوم القيامة [4] .

رابعًا: تكون وردة كالدهان :

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ [الرَّحمن:37] .

المعنى الإجمالي :

ما زال السياق الكريم في عرض أحوال القيامة وأهوال الموقف، يقول جل جلاله وعظم سلطانه ﴿ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ ﴾ "أي تفتحت لنزول الملائكة فكانت أبوابًا بعد أن احمرت وتغيرت زرقتها لحمرة كحمرة الأديم الأحمر، أو الفرس الأحمر، أو الوردة الحمراء، كل ذلك صالح لتشبيه لونها به ، وذابت فكانت كالدهان كما جاء وصفها في سورة المعارج يوم تكون السماء كالمهل وهو دردى الزيت وعكره" [5] .

يقول الإمام الشنقيطى: " وقوله : ﴿ وَرْدَةً ﴾ أي حمراء كلون الورد ، وقوله: ﴿**كَالدِّهَان**﴾ فيه قولان معروفان للعلماء :

---

(1) في ظلال القرآن (3846/6) .

(2) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (485/4) .

(3) من مادة درد : دُردى الزيت وغيره ما يبقى في أسفله ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري (470/2).

(4)انظر: (النكت والعيون) ، للماوردي (92/6) ، (تفسير القرآن العظيم) ، لابن كثير (444/4) .

(5) أيسر التفاسير ، للجزائري (231/5) .

الأول: أن الدهان هو الجلد الأحمر ، وعليه فالمعنى أنها تصير وردة متصفة بلون الورد مشابهة للجلد الأحمر في لونه .

والثاني: أن الدهان هو ما يدهن به ... وحقيقة الفرق بين القولين أنه على القول بأن الدهان هو الجلد الأحمر، يكون الله قد وصف السماء عند انشقاقها يوم القيامة بوصف واحد وهو الحمرة فشبهها بحمرة الورد ، وحمرة الأديم الأحمر ، قال بعض أهل العلم : إنها تصل إليها حر النار فتحمر من شدة الحرارة .

وأما على القول بأن الدهان هو ما يدهن به، فإن الله وصف السماء عند انشقاقها بوصفين أحدهما حمرة لونها ، والثاني أنها تذوب وتصير مائعة كالدهن" (1) .

ويقول الإمام الماوردى:" زعم المتقدمون أن أصل لون السماء الحمرة ، وأنها لكثرة الحوائل وبعد المسافة تُرى بهذا اللون الأزرق ، وشبهوا ذلك بعروق البدن هي حمراء كحمرة الدم وترى بالحائل زرقاء ، فان كان هذا صحيحًا فإن السماء لقربها من النواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز ترى حمراء لأنه أصل لونها " (2) .

وترى الباحثة : أن هذا الكلام فيه نظر،لأن القرآن الكريم يخبرنا بأن السماء مظلمة حالكة السواد .

خامسًا: كشط السماء :

قال تعالى : ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التّكوير:11] .

المعنى الإجمالي :

يخبر المولى ﷻ أن يوم القيامة تنزع السماء من مكانها كما ينزع الغطاء عن الشيء ، فالكشط: قلع عن شدة التزاق ، فتكشط السماء كما يكشط الجلد عن الكبش وقيل :تطوى فكأن المعنى : قلعت فطويت (3) .

يقول الإمام سيد قطب: " كشطها إزالتها ، فأما كيف يقع هذا وكيف يكون فلا سبيل إلى الجزم بشيء ، ولكننا نتصور أن ينظر الإنسان فلا يرى هذه القبة فوقه نتيجة لأي سبب يغير هذه الأوضاع الكونية ، التي توجد بها هذه الظاهرة وهذا يكفى" (4) .

---

(1) أضواء البيان (751/7 ، 752) .

(2) النكت والعيون (436/5) .

(3) انظر:(الجامع لأحكام القرآن) ، للقرطبي ، المجلد العاشر (165/19) ،(فتح القدير) ، للشوكاني (460/5) .

(4) في ظلال القرآن (3840/6) .

سادسًا : طي السماء :

قال تعالى : ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:104] .

المعنى الإجمالي:

يخبر تعالى أنه يوم القيامة يطوي السماوات على عظمها واتساعها كما يطوي خـــازن الصحائف صحائفه ، فتنتثر نجومها ، ويكور شمسها وقمرها ، وتزول عن أماكنها ، وقد قضي الأمر ،وانتهى العرض، وطوي الكون الذي كان يألفه الإنسان [1] .

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : **(يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض)** [2] .

ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمر:67] .

واختلف العلماء في تحديد المراد بقوله (كطي السجل للكتب) على ثلاثة أقاويل :

الأول : أن السجل الصحيفة تطوى على ما فيها من الكتابة.

الثاني :أن السجل اسم ملك من الملائكة وهو الذي يطوي كتب أعمال بني آدم إذا رفعت إليـــه، ويقال : أنه في السماء الثالثة ، ترفع إليه الحفظة الموكلون بالخلق أعمال بني آدم في كل خميس واثنين ، وكان من أعوانه " فيما ذكروا" هاروت وماروت، وقيل إنه لا يطوي الصحيفة حتـــى يموت صاحبها فيرفعها ويطويها إلى يوم القيامة.

وعن ابن عمر ﷺ قال : السجل ملك فإذا صعد بالاستغفار قال اكتبها نورا .

الثالث: أن السجل صحابي ، كاتب للنبي ﷺ [3] .

وترى الباحثة : أن الرأي الثاني هو الراجح لأنه أقرب الأقوال لمفهوم الآية ، ولوجـــود قرينة وهو قول ابن عمر، أما الرأي الثالث فهو مستبعد .

الحقائق العلمية في طي السماء :

يقول الأستاذ محمد إبراهيم :" لقد وصل العلم أخيراً إلى أن هذا الكون الذي نعيش فيه قد بدأ من كتلة من السحاب تفجرت واتسعت لتكون وحدات الكون من مجرات وغيرها ، وأنها لابد

(1) انظر: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، للسعدي ، ص 531 .

(2) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الزمر ، ص 941 ، حديث (4811) .

(3) انظر: (جامع البيان في تأويل آي القرآن) ، للطبري ، المجلد الخامس عشر (119/17) ، (النكت والعيون) للماوردي (474/3) ، (تفسير القرآن العظيم) ، لابن كثير (221/3) .

ستعود إلى التراجع لتعود كما كانت أول الخلق ، وأن هذه السماوات المتسعة لابد أن تطوى يومًا لتصبح كما كانت أول مرة وأنه بذلك يكون فناء الكون" [1] .

ويقول العلماء إن الكون يتسع من الضربة الكبرى، ويعتقدون أنه سوف يتباطأ تمدده تدريجيًا ثم يقف وبعدها ينقلب على نفسه ، ويبدأ في التراجع في حركة تقهقرية وهذا مصداق لقول الله تعالى، والقرآن يخبرنا أكثر من هذا فيصف لنا أن حركته حلزونية وذلك من خلال تشبيهها بحركة طي السجل للكتب ،والسجل هو ورق البردي الذي كان يكتب عليه.

فكان يطوي بحركة حلزونية تدور حول محور البدء ، وهذا إعجاز كوني عظيم لم يكتشفه علماء الفلك إلا بعد ما قاموا بتصوير المجرات ، فوجدوا أنها تتباعد بحركة حلزونية عن بعضها ، كما أن كل المجرات تتوسع وتتباعد نجومها عن بعضها البعض بحركة متباعدة حلزونية تشبه حركة فتح كتاب ورق البردي القديم من أجل القراءة بعدما كان مطويًا ، وأنها تدور حول محور ثابت ، وسوف ينكمش الكون على نفسه بفعل قوى رد الفعل وقوى الجذب الداخلي على نفسه بشكل يعاكس شكل التمدد [2] .

هكذا تتجلى إرادة الله وقدرته على الإيجاد والإعدام ، فكما أراد المولى حفظ السماء وإبقاءها متماسكة ومسخرة لبنى الإنسان في الدنيا ، أراد كذلك فنائها وزوالها في الآخرة وتغيير نظامها بقدرته، فسبحان الذي خلق كل شئ فقدره تقديراً .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- أشار القرآن الكريم إلى فناء الكون بزوال السماوات والأرض، فإذا ما تم تغيير نظام هذا الكون، يعجز البشر حينها عن منع هذا الزوال عند حدوثه لقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر:41]

2- تميزت الآيات الكونية التي تصف نهاية السماء بألفاظ بالغة الإثارة ، قوية الوقع على النفس، فيها من الشدة والكروب ومزعجات القلوب ، وذلك في آيات قرآنية قصيرة تلقي في نفس السامع إحساسًا بجدية الموقف الحاسم وخطره ، بحيث لا يحتمل الإطالة والتأني كما في قوله تعالى : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار:1] .

3- أقسم الله ﷻ ببعض الظواهر الكونية لأهميتها ولبيان نظامها وبديع صنعها .

4- بيان عظمة الله وقدرته إذ يطوي السماء بيمينه ، والأرض جميعًا في قبضته يوم القيامة .

---

(1) القرآن وإعجازه العلمي ، ص128.

(2) انظر : (الكون والإعجاز العلمي للقرآن)، منصور حسب النبي ، ص377، (بتصرف) ، والشبكة العنكبوتية www.alrasail.com :

5- سور القرآن الكريم فيها بيان مفصل عن مبادئ يوم القيامة وخواتيمها، فمن قرأ سورة الانفطار والشمس يستشعر ويتصور يوم القيامة ، فعن عبد الله ابن عمر عن النبي ﷺ قال : **(من سره أن ينظر إلى القيامة رأى عين فليقرأ:** ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التَّكوير:1] ، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار:1] ، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ [الانشقاق:1]) (1) .

6- عرض مشاهد يوم القيامة كفيل بإثارة الخوف والإشفاق ، والتفكير مرة ومرة قبل العصيان وارتكاب ما يخالف شرع الله .

7- الإيمان بنزول الملائكة يوم القيامة ، فقد أكد المولى نزولهم بقوله : ﴿وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان:25] ،وذكر المفعول المطلق (تنزيلاً) فيه دلالة على إسراعهم في النزول، وفيه أيضاً تأكيد على نزولهم من خلال تأكيد الفعل(نُزّل) بالمصدر تنزيلاً .

8- "إن الله ﷻ خص طيَّ السماء بيوم القيامة ليدل على أنه كما ظهرت قدرته في الإيجاد عند عمارة الدنيا ، فكذلك أظهر كمال قدرته عند خراب الدنيا " (2) .

9- في قوله تعالى : ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النَّبأ:19] إشارة إلى كمال قدرة الله وعظمته كأن شق السماء هذا المخلوق العظيم، كفتح الباب بسهولة وسرعة .

10- وصف الشدة يوم القيامة ، وأن السماء على عظمتها وإحكامها تنفطر فيه ، فما ظنكم بغيرها من الخلائق .

---

(1) سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب سورة إذا الشمس كورت ، ص 756 ، حديث (3333) ، قال الألباني : صحيح .

(2) مفاتيح الغيب ، للرازي (17/27) .

المبحث الخامس

العلاقة بين السماء والأرض

وفيه مطلبان :

المطلب الأول :العلاقة اللفظية بين السماء والأرض.

المطلب الثاني : علاقة النزول والصعود إلى السماء.

المبحث الخامس

العلاقة بين السماء والأرض

السماء والأرض صورتان متلازمتان ،لا لأنهما متناقضتان بل لأنهما متكاملتان ، فكثيراً ما جُمعت السماء والأرض في آية واحدة ، وهذا الجمع ينم عن علاقة وطيدة بينهما ، حيث جَمعهم قانون الزوجية الذي ذكره المولى في قوله : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس:36] ، مع أن مفهــوم الأزواج يراد به عادة الذكر والأنثى ، إلا أن عبارة " ومما لا يعلمون " لها دلالات أوسع من ذلك، فالنبات أزواج ، والحيوان أزواج ، وهناك عوالم أخرى خلقها الله متكاملة متناسقة فهناك السماء والأرض ، والليل والنهار، والظلام والنور، والشمس والقمر ، قال تعالى : ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:49] ، ومن يدري فربما كانت هذه قاعدة الكون كله حتى الجماد ، فقد نال العالم البريطاني بول ديراك جائزة نوبل في الفيزياء عام 1933م على أثر طرح نظرية كون المادة مخلوقة بشكل ثنائي ، هذا الاكتشاف الذي سمي (التكافؤ) أو (التماثل) يُثبت أن المادة تكون ثنائية مع ضدها الذي يسمى (ضد المادة) [(1)] .

والمتتبع لآيات القرآن يجد العلاقة الوثيقة بين السماء والأرض من صعود ونزول وطباق وتماثل وتقديم وتأخير، وهذا ما سأوضحه من خلال ما يلي :

المطلب الأول : العلاقة اللفظية بين السماء والأرض :

السماء مخلوق عظيم ، وهو أعظم ما يتفكر فيه العاقل على الأرض، ومن تفكر في آيات السماء الواردة في القرآن يجد فيها التناسق والاتزان ، والبلاغة والإحكام ، وهذا دليل على أنها منزلة من عند خالق الأكوان ، وترتيب كلمات القرآن وآياته ليست مصادفة عشوائية عمياء، بل هو توازن مقصود دقيق في منتهي الربط والإحكام، حيث التعانق والجمع بين السماء والأرض في آية واحدة، ويغلب ذكر الأرض بعد السماء مباشرة .

ومن هنا نرى أن وجود العلاقة اللفظية بين السماء والأرض يتمثل فيما يلي :

أولًا : الطباق اللفظي :

وردت لفظة الأرض في القرآن الكريم أربعمائة وواحد وستون مرة، منها مائة وستة وسبعون مرة مقترنة بالسماوات ، ونلاحظ في هذه الآيات أنها أتت بلفظتي السماء والأرض

---

(1) انظر:(تفسير الآيات الكونية) ، عبد الله شحاتة ، ص250 .

معطوفة على بعضها البعض ، وفي ذلك طباق لفظي يَظهر في بنية الكلمة ، فلو رجعنا للأصل الثلاثي للفظة السماء نجده (سمو) بمعنى العلو والارتفاع ، والأصل الثنائي (سَم) بمعنى الابتعاد، وبالمقابل لو رجعنا للأصل الثلاثي للأرض لوجدناه (أَرَضَ) بمعنى اقترب ، وأصلها الثنائي (أر) بمعنى الاستقرار (1) .

ومن هنا نلاحظ أن بين السماء التي بمعنى الابتعاد والأرض التي بمعنى الاقتراب طباق لفظي، والقيمة الفنية لهذا الطباق هي إبراز المعنى وتوضيحه بالتضاد ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:22] ، عطف السماء على الأرض هنا يفيد الشمول، وهذا الشمول للخلق وحصر ما بين السماء والأرض على أنهم من خلق الله، لبيان مقدار إحاطة علم الله بكل شيء وسعة ذلك العلم .

ثانيًا : التقابل :

هناك علاقة تقابل بين السماء والأرض تعتمد على الترادف المعنوي، فالعلاقة بين السماء والأرض علاقة تنافر لأن السماء في الأصل لا تتضاد مع الأرض، وإنما التضاد يقع بين(فوق) و(تحت) والتضاد ينشأ من المرادف المعنوي لكل طرف، إذ إن المرادف (للسماوات) هو كلمة (فوق) و(للأرض) هو كلمة (تحت) فتصبح العلاقة بين المرادفين هي علاقة التضاد، وإذا تتبعنا آيات التقابل بين السماء والأرض وجدناها تشير إلى عدة أمور أذكر منها :

أ- **أن التقابل بينهما يدل على وحدانية الله** : مثال ذلك قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور:41] ، فنرى أن جميع المخلوقات في السماوات والأرض تسبح له وتوحده معترفة بوحدانيته ، وقد جاءت التقابلات مقتصرة على التضاد ومحصورة بين لفظين هما (السماء) و(الأرض) ، ولا شك في أن للتقابل بين السماء والأرض في هذه الآية أهمية خاصة لإظهار دائرة التسبيح والتوحيد الواسعة ،التي تشمل كل المخلوقات سواء أكانت في (السموات) أم في (الأرض) ومن فيهما.

ب- **أن التقابل بينهما يدل على القدرة الإلهية** : فالله وحده هو القادر على خلق الكون وتصريفه، وعلى إتقان صنعه والتصرف به وبما فيه كيفما شاء، وعلى الحفاظ على السماوات والأرض من أن تزولا أو أن تسقط السماء على الأرض ، وبالتالي فهو المسيطر على الكون وما فيه ، ومن هذا المنطلق أظهر التقابل بين السماء والأرض دلالة على القدرة الإلهية ، وبيان علمه الشامل المحيط بالكون ، وأشار التقابل إشارة صريحة إلى أن الله ﷻ

---

(1) إعجاز الكلمة في القرآن الكريم ، حسام البيطار، ص 279 (بتصرف) .

هو الذي خلق الكون لقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [الأعراف:54] ، فهذه الآية تتضمن معنى وحدانية الله ، وتؤكد وتقرر أن الخالق هو الذي خلق الكون وما فيه من(السموات) و(الأرض) وأحياء أخرى ، وقد جاءت الآيات في هذا المجال لتحدد بالدقة معنى التفرد الإلهي بخلق السموات والأرض كقوله تعالى : ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف:101] ، فهذه الآية جاءت اعترافًا على لسان يوسف عليه السلام بأن الله مبدع (السموات) و(الأرض) وخالقها على غير مثال ، وبهذا تتمثل القدرة الإلهية .

ج- **أن التقابل بينهما يدل على الربوبية** : مثال ذلك قوله تعالى : ﴿قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الأنبياء:56] ، فالله هو الذي خلقهن وأبدعهن لذلك فهو أحق بالربوبية من غيره .

د- **أن التقابل بينهما يدل على الملكية لله** : مثال ذلك قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:107] ، ونظيرها قوله تعالى : ﴿للهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:120] ، فهذه الآية تشير صراحة إلى ملكية الله للسماوات والأرض ، وهو جدير بهذه الملكية لأنه خالق الكون والمتصرف فيه [1] .

ثالثاً : بين السماء والأرض تقديم وتأخير :

القارئ لكتاب الله يلحظ أن القرآن يقدم ذكر السماء على الأرض تارة ، وتارة أخرى يقدم ذكر الأرض على السماء ، والأصل تقديم السماء على الأرض بالفضل والشرف ، ومعلوم أن الآيات في السموات أعظم منها في الأرض لسعتها وشمول خلق الله فيها، فما الأرض بالنسبة للسماء إلا كحلقة في فلاة ، و تأتي السماء في سياق الآيات مقدمة على الأرض بما يقارب مائة وثمانٍ وخمسين آية ، وذلك لأن الآية في السماء أعظم منها في الأرض وفي كل شيء له آية ، ومن المعلوم أيضاً أن تقديم السماء على الأرض أو العكس يكون لحكمة ، وكل واحد منهما تحته سر ورمز يرمز إلى لطائف غريبة ومعانٍ عجيبة يجعله يتقدم على الآخر.

وقد قُدِّمت الأرض على السماء في سبع عشرة آية أذكرها على النحو التالي :

(1) التقابل والتماثل في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية) فايز القرعان ، ص 232، 233 (بتصرف) .

الرقم	الآيـــــة	اسم السورة	رقم الآية
1-	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	البقرة	22
2-	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	البقرة	29
3-	﴿إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾	آل عمران	5
4-	﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾	يونس	61
5-	﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	هود	44
6-	﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾	إبراهيم	38
7-	﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾	إبراهيم	48
8-	﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾	الإسراء	95
9-	﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ العُلَا﴾	طه	4
10-	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾	طه	53
11-	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ وَالفُلْكَ تَجْرِي فِي البَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾	الحج	65
12-	﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾	العنكبوت	22
13-	﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الغَفُورُ﴾	سبأ	2

40	فاطر	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾	14-
67	الزمر	﴿ وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	15-
64	غافر	﴿ اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾	16-
4	الأحقاف	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	17-

ومن خلال الجدول السابق تبين للباحثة ما يلي :

1- قدمت الأرض على (السماء) مفردة في إحدى عشرة آية ، بينما قدمت على (السماوات) جمع في ست آيات .

2- إنَّ تقديم الأرض على السماء في الذكر كان لسبب اقتضاه الشارع الحكيم ، وإن خفي ذلك السبب على البعض فقد يستنبطه آخرون ، و يفهمه العارفون ممن فتح الله عليهم .

وسأذكر هنا بعض الأسباب لتقديم الأرض على السماء كما اتضح من الآيات السابقة :

أ- قدمت الأرض لبيان ترتيب الخلق حيث خلقت الأرض أولاً ثُمَّ السماء.

ب- قدمت لبيان أن الله ﷻ كما بدأ خلقها قبل السماء يبدأ بنهايتها كذلك .

ج- قدمت الأرض من أجل التنقل من الأقرب إلى الأبعد ، ومنه قوله تعالى : ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:22] .

د- قدمت لبيان سعة علم الله وإحاطته بالمعلومات ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ**﴾ [آل عمران:5] ، فقد عبر عن معلوماته بما في الأرض والسماء مع كونهما أوسع من ذلك لقصور عباده عن العلم بما سواهما .

هـ- قدمت الأرض للاستحقاق ومراعاة لسياق الآية مثال ذلك قوله تعالى : ﴿**...وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ [يونس:61] ، وقوله تعالى : ﴿**... لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾ [سبأ:3] ، نلاحظ أن الآية مختلفة والتذييل

متشابه ، فقد قدمت الأرض هنا على السماء لاستحقاقها التقديم وذلك لحكمة بالغة وهي أن الكلام في الآية عن أهل الأرض ففي السياق تحذير وتهديد للبشر وإعلامهم أنه سبحانه عالم بأعمالهم دقيقها وجليلها ، مخبراً عن شهادته على شؤون أهل الأرض وأحوالهم ، فناسب أن يقدم المكان الأرض، أما في سورة سبأ قدم السماء على الأرض لأنها جاءت تذييلاً وتعقيباً للحديث عن الساعة وإنما يأتي أمرها من الله وتبدأ بأهل السماء ولهذا قدم صعق أهل السماء على الأرض [1] ، فقال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ [الزُّمر:68] .

فتبارك من أودع في كلامه من الحكم والأسرار ما يشهد أنه كلام نازل من العزيز الجبار .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- وجود التلازم اللفظي بين السماء والأرض ، فغالباً ما نجد الأرض معطوفة علي السماء .

2- ترتيب كلمات القرآن وآياته ليست مصادفة عشوائية ، وإنما هي تناسق واتزان يدل على أنها نازلة من عند خالق الأكوان .

3- إن الطباق يكون بين لفظتين (السماء والأرض) ،أما التقابل يعتمد على المرادف المعنوي وقد يكون بين جملتين .

4- الأصل تقديم السماء على الأرض ، فأغلب الآيات التي جمعت بين السماء والأرض قدمت فيها السماء على الأرض ، إلا في سبع عشرة آية قدمت فيها الأرض على السماء ، وذلك لحكم ربانية جليلة .

5- إن السماء مقدمة على الأرض بالفضل والشرف ولسعتها وشمول خلق الله فيها .

6- إن ذكر السماء والأرض يكون غالباً في سياق الآيات الدالة على وحدانية الله وكمال قدرته .

7- اقتران السماء بالأرض دائماً في سياق يوحي بأنهما طرفا المعادلة الكونية ، وهذا صحيح من الناحية الإنسانية ؛ لأن حياة الإنسان تتصل بالأرض باعتبارها مسقط رأسه ، وبالسماء باعتبارها الطرف الآخر المقابل لمسقط الرأس ، وفيه تسجيل أعمال الإنسان ، والمغاير له رغم التفاوت بينهما .

(1) انظر:(أسلوب التقديم والتأخير المعنوي مقاربة جمالية) أسامة عبد العزيز جاب الله، الشبكة العنكبوتية www.odabasham.ent.

المطلب الثاني :علاقة النزول والصعود إلى السماء .

العلاقة بين السماء والأرض علاقة وطيدة ، تجلت فيها مظاهر القدرة والعلم والحكمة لله ﷻ ، فهو يعلم ما ينزل من السماء إلى الأرض من رزق ، وبركات ، ومطر، ورحمة ، وعذاب وملائكة ، وكتب، و قضاء، و أمر، و جنود، و يعلم كذلك ما يصعد إلى السماء من كلام طيب، وعمل صالح ، وما يعرج فيها من ملائكة وأرواح ، ويعلم كذلك رفع ونزول عيسى عليه السلام ، ومعراج سيدنا محمد عليه أفضل صلاة وأتم تسليم ، فإجراء الوصف في قوله تعالى : ﴿مِنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج:3] على اسم الجلالة لاستحضار عظمة جلاله ولإدماج الإشعار بكثرة مراتب القرب من رضاه و ثوابه ، فإن المعارج من خصائص منازل العظماء ، والعروج في السماء لا يتم إلا بقدرة الله وعلمه وإحاطته بكل شيء لقوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الغَفُورُ﴾ [سبأ:2] .

المعنى الإجمالي:

يكشف المولى ﷻ عن صفحة من صفحات علمه مجالها الأرض والسماء ، فهو يعلم ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾ أي ما يدخل فيها من مطر وكنوز و أموات و غير ذلك ، ويعلم كذلك ما يخرج منها من زرع ونبات وكنوز ومعادن وذهب وفضة وغير ذلك مما يعلمه الله ، فكم من نبتة تنبثق، وكم من نبع يفور، وكم من بركان يتفجر، وكم من غاز يتصاعد ، وكم من مستور ينكشف ، وكم من حشرة تخرج من بيتها المستور، وكم و كم مما يُرى و مما لا يُرى ، ومما يعلمه البشر ومما يجهلونه وهو كثير.

ويعلم كذلك ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من رزق وبركات وملائكة وجند وأمر وقضاء وكتب ، ورحمة وعذاب ، فكم من قضاء نافذ ومن قدر مقدور ، وكم من رحمة تشمل الوجود ، وكم من رزق يبسطه الله لمن يشاء من عباده ويقدر ، وكم وكم مما لا يحصيه إلا الله ، ويعلم المولى سبحانه ما يعرج إليه من ملائكة وأرواح ودعاء وأعمال ، فكم من دعوة إلى الله معلنة أو مستترة لم يسمعها إلا الله في علاه ، وكم من روح من أرواح الخلائق التي نعلمها أو نجهلها متوفاة ، وكم من ملك يعرج بأمره من روح الله ، وكم من روح ترف في هذا الملكوت لا يعلمها إلا الله ، فآية واحدة من القرآن كهذه الآية تكفي لأن يقول الإنسان لا إله إلا الله .

فهذه الإحاطة تتجلى فيها صنعة الله بارئ الوجود، وهو مع القدرة والجلال والكمال هو وحده الرحيم بعباده المؤمنين ، فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة ، وهو الغفور بالتائبين(1) .

---

(1) انظر : (النكت والعيون) ، للماوردي (432/4) ، (تفسير القرآن العظيم) ، لابن كثير (577/3) ، (روح المعاني) ، للألوسي ، المجلد الثاني عشر (151/22) ، (في ظلال القرآن) ، سيد قطب (2891/5 ، 2892) ، (أيسر التفاسير) ، لأبي بكر الجزائري (301/4) .

ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ ... يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:4] ، فهذه الآية فيها من المعية ما فيها ، من معية العلم والاطلاع والقدرة والحفظ والنصر، فله معية خاصة وعامة ، فالخاصة معيته بنصره لأوليائه ، والعامة علمه بكل عباده وسائر خلقه وقدرته عليهم وعلمه بهم ، وتبصره تعالى بكل أعمال عباده فلا يخفى عليه شيء منها ، وهذا تمثيل للإحاطة بما يصدر منهم أينما داروا في الأرض من بر وبحر، أو صعدوا إلى السماء لا يخفى عليه من أعمالهم شيء (1) .

ولقد ذكر القرآن الكريم الصعود إلى السماء بكلمة معراج، ووردت لفظة العرج بمشتقاتها سبع مرات، مطابقة لعدد السماوات السبع ، وهي من الفعل عرج يعرج عرجاً ، إذا رقى وصعد ، والمعارج المصاعد التي يصعد فيها،وسمي العروج عروجاً لانعراجه وانحنائه ، فهو ذهاب إلى أعلى مع الميل والانعطاف يمنة ويسره (2) .

يقول ابن منظور:" تَعَرُج الشيء مال يمنة ويسرة ، وانعرج انعطف" (3) .

ويعرف الراغب الأصفهاني(4) العروج بقوله :" ذهاب في صعود ، والمعارج المصاعد ، عرج عروجاً وعرجاناً ، مشى مشي العارج ،أي الذاهب في صعود " (5) .

والقرآن الكريم استعمل لفظة العروج في التعبير عن السير في الفضاء بعيداً عن الجاذبية الأرضية، حيث اكتشف العلم الحديث أن السير هناك يتم في خطوط منعطفة أو مسارات منحنية بعضها بيضاوي الشكل، وبعضها ينفرج إلى مالا نهاية ، وذلك أن الفضاء الكوني لا يعرف الخط المستقيم ، نظراً لانتشار المادة والطاقة في كل الكون ، وتأثير كل من جاذبية المادة والمجالات المغناطيسية للطاقة على حركة الأجرام في الكون ، في حين يستعمل القرآن الكريم للطيران قريباً في جو الأرض كلمة "يصعد" أو ما شاكلها (6) .

---

(1) انظر : (فتح القدير) ، للشوكاني (198/5) ، (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، للسعدي ، ص 838 ، (أيسر التفاسير)، للجزائري (260/5) .

(2) انظر: (مفاتيح الغيب) ، للرازي (166/19) ، (الجامع لأحكام القرآن) ، للقرطبي المجلد الخامس (7/10).

(3) لسان العرب (32/2) .

(4) الحسين بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (أبو القاسم) أديب، لغوي، حكيم ، مفسر، من تصانيفه كشف الظنون ، تحقيق البيان في تأويل القرآن ، مفردات ألفاظ القرآن ، انظر:(معجم المؤلفين) عمر كحالة المجلد الثاني(59/4) .

(5) المفردات في غريب القرآن ، ص 329.

(6) انظر:(موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) ، عبد الرحيم مارديني، ص73 ، (الإعجاز العلمي في الإسلام) ، محمد كامل عبد الصمد ، ص65 ، (ارتياد الفضاء في القرآن) ، عبد الرحمن الشهري (مجلة الأزهر) ، ص 2455 .

يقول الدكتور محمد جمال الفندي: " ولقد تساءلت كثيراً عن السبب الذي من أجله يسمي القرآن الكريم السبح في الفضاء الكوني عروجاً أو معراجاً إشارة إلى الانطلاق في خطوط متعرجة أو منحنية ، فلما عرفت أن الفضاء الكوني لا يعرف الخط المستقيم على عكس ما صوره إقليدس في هندسته التي ندرسها، وأن كل جسم مادي يعبر الفضاء الكوني أو حتى الضوء يسير في فلك متعرج ، على هيئة القطع الناقص أو الزائد أو المكافئ أو غيرها .

قلت: سبحان الله كيف عرف النبي ﷺ تلك الحقيقة منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ، إنه الوحي الصادق دون شك" [1] .

وفي هذا المقام سأبين الأمور التي تنزل و تصعد إلى السماء كما يلي:

أولاً : نزول وعروج الأمر:

قال تعالى: ﴿**يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾ [السجدة:5] .

المعنى الإجمالي:

يبين المولى ﷻ حكمته وعظمته في ملكه حيث يدبر أمر المخلوقات وينزل الأمر من السماء إلى الأرض ، ثم يرفع الأعمال الصالحة الصادرة عن موافقة ذلك الأمر، فإن العمل أثر الأمر، ومسافة ذلك العروج خمسمائة عام وصعوده خمسمائة عام ، ولكنه يقطعها في طرفة عين ، فيكون العروج إلى الله في يوم مقداره ألف سنة من أيام الدنيا التي نعدها [2] .

وأصل التدبير النظر في دابر الأمر والتفكر فيه ليجيء محمود العاقبة، وهو في حقه ﷻ مجاز عن إرادة الشيء على وجه الإتقان ومراعاة الحكمة ، وقيل أنه يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية كالملائكة وغيرها نازلة آثارها إلى الأرض ، وقيل المعنى يدبر أمر الدنيا بإظهاره في اللوح المحفوظ ، فينزل الملك الموكل به من السماء إلى الأرض ثم يرجع الملك أو الأمر مع الملك إليه تعالى في زمان هو نظراً للنزول والعروج كألف سنة مما تعدون ، وأريد به مقدار ما بين الأرض و السماء الدنيا ذهاباً وإياباً [3] .

يقول الإمام الماوردي: "وفي معنى يدبر الأمر وجهان :

الأول: قضي الأمر، قاله مجاهد .

الثاني: ينزل الوحي، قاله السدي" [4] .

---

(1) الله والكون ، ص323 .

(2) انظر: (مفاتيح الغيب) ، للرازي (172/25) ، (تفسير القرآن الكريم) ، لابن كثير (503/3) .

(3) انظر: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، للبيضاوي (355/4) ، (روح المعاني) ، للألوسي ، المجلد الثاني عشر (182/21) .

(4) النكت والعيون (353/4) .

وترى الباحثة :أن المراد بتدبير الأمر هنا هو إنزاله لقوله تعالى : ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ...﴾ [الطَّلاق:12] ، فيكــون المعنـــى قضى الأمر في السماء ثم أنزل قضاءه من السماء إلى الأرض .

ويقول الإمام الألوسي في قوله: ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ " أي يصعد ويرتفع ذلك الأمر بعــد تدبيره إليه ﷻ وهذا العروج مجاز عن ثبوته في علمه تعالى، أي تعلق علمه سبحانه به تعلقــاً تنجيزياً بأن يعلمه –جل وعلا– موجوداً بالفعل أو عن كتابته في صـــحف الملائكــة –علـــيهم السلام– القائمين بأمره ﷻ موجوداً كذلك" (1) .

وقد حدد المولى مدة العروج إليه في يوم مقدراه في ميزان الدنيا ألف ســنة ممــا يعــد البشر، وإن سأل سائل كيف يكون يوم كألف سنة ، يجيب الأستاذ محمد عبد الصمد على هــذا التساؤل قائلاً: "هذا صحيح أن الجسم كلما ازدادت سرعته أبطأ الزمن ، حتى إذا ســار الجــسم بسرعة الضوء يتوقف الزمن تقريباً ، وهذا ما أثبته أنيشتاين في نظريته عن النسبية عندما قــال النقطة الأقرب إلى مركز الأرض تسير ببطء ، والنقطة الأبعد عن مركز الأرض تسير أســرع لأن القوس الذي تقطعه الأولى أصغر من القوس الذي تقطعه الثانية من الزمن ذاته" (2) .

قلت:هذا يعني أن العروج إلى السماء يحدث في اللا زمن ،لأن اليوم عند الله غير يومنا في الدنيا.

ثانياً : نزول وعروج الملائكة والروح:

قال تعالى : ﴿تَعْرُجُ المَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:4] .

المعنى الإجمالي:

يبين المولى أن المعارج منازل من الرفعة الاعتبارية، ترتقي فيها الملائكة ليقرب بها من منازل التشريف ، فالله تعالى مُعرج إليه بإذنه، وبذلك الجعل وُصف بأنه صاحبها أي جاعلها في قوله : ﴿مِنَ اللهِ ذِي المَعَارِجِ﴾ [المعارج:3] ، وعروج الملائكة هو صعودها في المعارج التي جعلها الله لها ، والروح هو جبريل عليه السلام الموكل بإبلاغ إرادة الله تعالى وإذنه، وتخصيصه بالذكر لتمييزه بالفضل ولتشريفه ، ونظير هذا قوله تعالى : ﴿تَنَزَّلُ المَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر:4] ، أي ليلة القدر، والروح تطلق أيضاً على ما به حياة الإنسان وتصريف أعماله، وروح الميت حين يُقبض، وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ

(1) روح المعاني ، المجلد الثاني عشر (182/21) .

(2) الإعجاز العلمي في الإسلام ، ص70 .

رَبِّي ...﴾ [الإسراء:85] ، فيجوز أن يكون مما شمله قوله : ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ ، أي أرواح أهل الجنة على اختلاف درجاتها في المعارج ، وهذا العروج كائن يوم القيامة وهو اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة ، وهذه تقريبات لنهاية عظمة تلك المنازل وارتقاء أهل العالم الأشراف إليها وعظمة يوم وقوعها [1].

وقد ذكر القرآن الكريم نزول الملائكة لقبض أرواح العباد والعروج بها في السماء في قوله تعالى : ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة:11] ، فقد اقتضت حكمة الله أن يوكل قبض الأرواح إلى واحد من ملائكته المقربين ، وهو ملك الموت، وخلق جنوداً من الملائكة يكونون معه يعملون عمله بأمره، فملك الموت يقبض ، والأعوان يعالجون ، والله تعالى يزهق الروح فتصعد إليه [2] .

وهذا ما وضحته السنة النبوية ، فعن البراء بن عازب [3] قال: قال رسول الله ﷺ : **(إن العبد المؤمن ، إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء ، بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجئ ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه ، فيقول: أيتها النفس الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله و رضوان ، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فَي السقاء فيأخذها ، فإن أخذها لم يدَعوها في يده طرفة عين ، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن ، وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها ، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب ، فيقولون فلان ابن فلان ، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له ، فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة ، فيقول الله ﷻ : أكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال : فتعاد روحه في جسده)** [4] .

---

(1) انظر: (النكت والعيون) ، الماوردي (90/6) ، (التحرير والتنوير) ، لابن عاشور ، المجلد الرابع عشر (157/29) .

(2) انظر:(كبري اليقينيات الكونية) ، محمد سعيد البوطي ، ص308 .

(3) البراء بن عازب : البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي ، صحابي بن صحابي ، نزل الكوفة واستُصغر يوم بدر ، مات سنة اثنتين وسبعين ، (تقريب التهذيب) لابن حجر ، ص 121 .

(4) مسند أحمد بن حنبل ، مسند الكوفيين ، حديث البراء بن عازب (288/4) ، حديث (18733) ، قال الألباني : صحيح وقد صححه الحاكم .

ومن خلال هذا الحديث تبين صعود الروح إلى السماء ونزولها للجسد الميت ، وكــذلك نزول الملائكة و عروجها إلى السماء .

ثالثاً : عروج النبي ﷺ في السماء:

عرج النبي ﷺ مع جبريل عليه السلام إلى السماوات السبع فسدرة المنتهى ، وقد عد الله هذه الرحلة تكريماً له وتطيبياً لقلبه ، والقرآن الكريم لم يذكر هذا العروج صراحة ، بل فُهم هذا العروج من خلال الآيات التي في سورة الإسراء ،قال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:1] .

المعنى الإجمالي :

يستفتح المولى ﷻ سورة الإسراء بالتسبيح والتنزيه ، فهو منزه عن كل نقص ، في قوله وصفاته وأفعاله ، فسبحان من أسرى بعبده وأكرمه بالمسير والانتقال لــيلاً ، و رفعــه فــوق السماوات بقوته واقتداره ، وأراه ما في جنته وناره ، و أوحى إليه ما أوحى من أسراره ، ثــم أعاده في الليل إلى مسكنه وقراره ، وجاوز أفق الشمس والقمر ، وعَلا على الملائكة والبــشر، وفاز بالتقريب والنظر ، وما حضر أحد قط حيث حضر ، ارتقى إلى مقــام القــرب بقدميــه ، والملائكة تحف به من جانبيه ، والله قد أنعم بتقريبه إليه ، سبحان من قدمــه علــى الأنبيــاء ، وسبحان من أسرى بعبده محمدٍ ﷺ الذي اختاره لهذه المهمة العظمى ، هداية البشرية جمعــاء ، وقال تعالى " عبده " ولم يقل نبيه أو حبيبه ، لأن النبي ﷺ حقق مقام العبودية الخالصة له، فكان حقاً العبد الكامل روحاً وجسداً ، وفي قوله "ليلاً" دلالة على أن الإسراء والمعراج كان في جزء من الليل و لم يستغرق الليل كله ، وكان الليل هو وقت الرحلتين لأنه أحب أوقات الخلوة، وكان وقت الصلاة المفضل لدى الرسول ﷺ قبل أن تفرض الصلاة بالهيئة والأوقات المعروفة ، وكان المعراج ليلاً ليكون أبلغ للمؤمن من الإيمان بالغيب ، فلو كــان المعــــراج بالنهــــار لكــان مشاهداً ولأبصروا ذلك عياناً ، ولكن أراد ﷻ أن يكون امتحاناً للخلق .

ويذكر المولى سبب إسرائه ومعراجه بالرسول ﷺ في قوله " لنريه من آياتنــا " تعلــيلاً للإسراء والمعراج ، وهو أنه تعالى أسرى بعبده وعرج به ليريه من عجائب صنعه في مخلوقاته في الملكوت الأعلى ، ويريه بعض الآيات الدالة على قدرته وعظمته وليس كل الآيات ، وليكون ما علمه من طريق الوحي قد علمه بالرؤية والمشاهدة [1] .

---

(1) انظر:(النكت والعيون) للماوردي (225/3) ، (أيسر التفاسير) للجزائري (173/3) ، (التبــصرة) ، لابــن الجوزي ، ص459 ، (معجزة الإسراء والمعراج من منظور علمي) ، كارم غنــيم، الــشبكة العنكبوتيــة www.dahsha.com،

ولقد أتى النبي ﷺ بآيات باهرات ودلالات واضحات على صدقه ، ومع ذلك أنكر المشركون عروجه ، ولم يصدقوا، وطلبوا منه أمور تعجيزية، قال تعالى : ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء:93] .

طلب المشركون من النبي ﷺ معجزة ليصدقوا نبوته ، فاقترحوا عليه الصعود في معارج السماء ، ولم يكتفوا بذلك بل قالوا لن نصدقك في رقيك إلى السماء حتى تنزل علينا كتاباً منشوراً نقرؤه ، فيه أمرنا باتباعك والإيمان بك [1] .

ومع ذلك كان النبي ﷺ يحرص كل الحرص على إيمانهم ، فكان يود أن يُجابوا على اقتراحهم لتمادي حرصه على إيمانهم، وكان يكبر عليه إعراضهم و يتعاظمه ويحزن له، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأنعام:35] .

وقوم وصلت بهم الحال إلى هذا الإنكار فإنهم لا مطمع فيهم ولا رجاء، ورغم ذلك يتدخلون في شئون الخالق فيقول المولى فيهم : ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ [ص:10] .

ويخبر المولى عن قوة كفرهم وعنادهم و مكابرتهم للحق، فلو فتح لهم باباً من السماء وعرجوا بأنفسهم ورأوا عجائب ملك الله لأنكروا ذلك وادعوا أنهم سحرت أبصارهم ، قال تعالى : ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ [الحجر: 14-15] .

المعنى الإجمالي:

يخبر المولى – عزَّ في علاه – عن إصرارهم على الكفر وتصميمهم على التكذيب والاستهزاء ، فلو فتح الله عليهم باباً من أبواب السماء المعهودة ومكنهم من الصعود إليه، فظلوا في ذلك الباب يصعدون بآلة أو بغير آلة حتى يشاهدوا ما في السماء من عجائب الملكوت التي لا يجحدها جاحد، ولا يعاند عند مشاهدتها معاند، لما صدقوا ولقالوا سحرت أبصارنا حتى رأينا ما لم نر، ولأصروا على الكفر، فلو رأوا أعظم آية لقالوا إنها تخييل أو سحر، وجاء لفظ

(1) انظر: (مفاتيح الغيب) للرازي (56/21–58) ، (الجامع لأحكام القرآن) ، للقرطبي ، المجلد الخامس (238/10 ، 240) ،(تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (70/3–72)، (فتح القدير) ، للشوكاني (325/3) ، (البحر المحيط) ، لأبي حبان (113/7) .

(فظلوا) مشعراً بحصول ذلك في النهار ليكونوا مستوضحين لما عاينوا، علـــى أن ظـــل تـــأتي بمعنى (العمل نهاراً) [1] .

يقول الإمام الألوسي:" إنهم أرادوا أولاً سكرت أبصارنا لا عقولنا ، فنحن وإن تخيلنا هذه الأشـــياء بأبصارنا ، لكن لا نعلم بعقولنا أن الحال بخلافه ، ثم أضربوا عن الحصر في الإبصار وقالوا بل تجاوز ذلك إلى عقولنا " [2] .

"وقد أحسن الألوسي حين استفاد من الإضراب في الآية ، فرأى أن العقل قائم مع تخيل الإبصار وتسكيره ، ثم أضرب عن إدراكه إلى وقوعه هو الآخر في التخييل ، فكأن العقل أدرك الظلام وأدرك عدم الإبصار، ولكنه واجه مفاجأة أخرى وهي انعدام الوزن ، فأضرب عن العمى الذي سببه الظلام إلي السحر الذي سببه انعدام الوزن" [3] .

الحقائق العلمية في الآية السابقة :

ضعف الجاذبية وانعدام الوزن في حالة الارتفاع عن الأرض حقيقة علميـــة ، ونلمـــس الإشارة إلى هذه الحقيقة في الآية الكريمة من خلال أسلوب الإضراب عن تسكير الإبصار إلـــى السحر ، وإن المفاجأة بتغير السماء وتغير الشمس ، وتغير الكون وحلول الظلام الحالك الـــسواد يجعل المرتاد يعتقد أنه أعمى ، ثم يفاجأ بشيء أشد من ذلك وهو انعدام الوزن وتغير المألوفات والقوانين إذ لم يشعر بالفوقية والتحتية ، وتختلف عليه الأمور، من حركة وقيام وقعـــود وأكـــل وشرب ، وتبقى الأشياء سابحة دون السقوط والوقوع ، فيعتقد أن الأمر لا يتعلق بالمحيط الـــذي هو فيه ،بل في قواه الشخصية والعقليـــة فيضـــرب عن العمى إلى الاعتقاد بأنه مسحور، وهذا ما شعر به الرائد الأمريكي عندما صعد في الفضاء حيث قال كلاماً كأنه نص الآية الكريمة :

I have almost lost my eye sight or something magic has come over me.

أنا فقـــدت بصري تقريبـــاً أو شئ من السحر اعتراني ، كأنه نـــص الآيـــة الكريمـــة فسبحان الله ، هذا دليل ما بعده دليل على صدق الوحي والنبوة .

ونرى أن القرآن لم يصرح بحقيقة انعدام الوزن، وإنما أشار إليها من خلال بيان آثارها النفسية والسلوكية على الإنسان وذلك لخفائها من جهة ، ولمراعاة مفاهيم البشر وقت التنزيل من جهة أخرى ، وهكذا نرى تطابق الحقائق العلمية مع إشارات القرآن الكريم [4] .

---

(1) انظر: (البحر المحيط) لأبي حيان (469/6 ، 470) ، (فتح القدير) ، للشوكاني (157/3) .

(2) روح المعاني ، المجلد الثامن (30/14) .

(3) الكون والإعجاز العلمي ، منصور حسب النبي ، ص62 .

(4) انظر:(من آيات الإعجـــاز العلمي في القرآن) ، زغلول النجار ، ص48 ، (ارتياد السماء فـــي القـــرآن) ، عبد الرحمن الشهري ،(مجلة الأزهر) ، ص1460 .

رابعاً : رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ونزوله منها :

قال تعالى : ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران:55] .

المعنى الإجمالي:

" واذكر أيها المخاطب لتعتبر وتتعظ وقت أن قال الله تعالى لنبيه عيسى : ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي آخذك وافياً بروحك وجسدك من الأرض ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي ورافعك إلى محل كرامتي في السماء لتستوفي حظك من الحياة هناك إلى أن آذن لك بالنزول إلى الأرض" (1) .

يقول الإمام الماوردي في قوله:"متوفيك أربعة وجوه :

الأول: معناه أني قابضك برفعك إلى السماء من غير وفاة بموت ، قاله الحسن .

الثاني: متوفيك وفاة نوم للرفع إلى السماء، وهذا قول الربيع (2) .

الثالث: متوفيك وفاة بموت، وهذا قول ابن عباس .

الرابع: أنه من المقدم والمؤخر بمعنى رافعك ومتوفيك بعد ، وهذا قول الفراء" (3) ، (4) .

ويقول الإمام الرازي:" قوله : ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ يدل على حصول التوفي وهو جنس تحته أنواع بعضها بالموت وبعضها بالإصعاد إلى السماء ، فلما قال بعده : ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ كأن هذا تعييناً للنوع ، ولم يكن تكراراً " (5) .

وترى الباحثة : أن قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ فيه دليل على أنه لم يعنِ بذلك الموت إذ لو أراد بذلك الموت لكان عيسى عليه السلام كسائر المؤمنين ، فإن الله يقبض أرواحهم و يعرج بها إلى السماء ، و لكن عيسى عليه السلام رفع بجسده وروحه و مازال حياً في السماء الثانية، وسينزل في آخر الزمان ، وهناك أدلة على ذلك كثيرة ، فقد تظافرت الأدلة من الكتاب والسنة على أن

---

(1) التفسير الوسيط ، وهبة الزحيلي (198/1) .

(2) الربيع : الربيع بن أنس بن زياد البكري ، الخرساني ، المروزي ، كان عالم مرو في زمانه ، صدوق اتهم بالتشيع من الخامسة ، توفي سنة تسع وثلاثين ومائة . انظر : (سير أعلام النبلاء) للذهبي (169/6 ، 170) ، (تقريب التهذيب) لابن حجر العسقلاني ، ص 205 .

(3) النكت والعيون (397/1) .

(4) الفراء : يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي الكوفي ، أبو زكريا العلامة ، صاحب التصانيف النحوي ، صدوق من التاسعة ، صاحب الكسائي ، مات بطريق الحج سنة سبع ومائتين . انظر : (البداية والنهاية) لابن كثير(261/10) ، (تقريب التهذيب) لابن حجر العسقلاني ، ص 590 .

(5) مفاتيح الغيب (68/8) .

عيسى عليه السلام قد رفع إلى السماء بجسده الشريف وروحه، وأنه لم يمت و لم يصلب وتواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة في آخر الزمان فيكون عليه السلام إماماً عادلاً حكمًا مقسطًا فيقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام ، وثبت أن هذا النزول من أشراط الساعة ، وهذا يوجب الإيمان بنزول عيسى ووجود الدجال وخروجه ، وهذا هو مذهب أهل السنة و عامة أهل الفقه والحديث .

يقول الإمام الطحاوي (1) : " ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء" (2) .

وسأذكر هنا بعض الأدلة على نزول عيسى عليه السلام من السماء:

أ – أدلة نزوله من الكتاب:

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزُّخرف:57] إلى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾ [الزخرف : 57-61]، فهذه الآيات جاءت في الكلام عن عيسى عليه السلام وجاء في آخرها ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾ أي نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة علامة على قرب الساعة ، ويدل على ذلك القراءة الأخرى: "وإنه لعَلَم للساعة" بفتح العين واللام ، أي علامة وإمارة (3) .

وقال تعالى : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ الله وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا* بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:157-159] فهذه الآيات بالإضافة إلى دلالتها على أن اليهود لم يقتلوا المسيح عليه السلام ، فهي تدل على أن من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسى عليه السلام آخر الزمان ، وذلك عند نزوله وقبل موته .

ب – أدلة نزوله من السنة :

الأحاديث التي فيها دلالة على صفة نزوله و مكانه أنه بالشام وأن ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح كثيرة في هذا الشأن ، ولكن سأكتفي بذكر بعضها :

1- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم ﷺ حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ،**

---

(1) الطحاوي : علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي الحنفي ، توفي سنة 792هـ ، فقيه ، كان قاضي القضاة بدمشق . انظر : (الأعلام) ، للزركلي (313/4) .

(2) شرح العقيدة الطحاوية ، ص564.

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) ، لابن كثير (140/4، 183) .

ويقبض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها) [1] .

2- عن جابر ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : **(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم تعال صل لنا ، فيقول :لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة)** [2] .

3- قال رسول الله ﷺ : **(إذا بعث الله المسيح ابن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق** [3] **بين مرودتين** [4] **واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدر منه حمان كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه – أي يطلب الدجال – حتى يدركه بباب لد** [5] **فيقتله ، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوماً قد عصمهم الله منه فيمسح وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة)** [6] .

4- عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : **(ليس بيني وبينه نبي – يعني عيسى– وأنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين** [7] **، كان رأسه**

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام ، ص 664 ، حديث (3448) .

(2) مسند أحمد بن حنبل ، مسند جابر بن عبد الله الأنصاري (385/3) ، حديث (15194) ، صححه ابن حبان.

(3) دمشق : البلدة المشهورة قصبة الشام ، وهي جنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة بقعها ، وكثرة فاكهة ونزاهة رقعها ، وكثرة المياه ووجود مآرب فيها ، قيل : سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها ، أي أسرعوا ، وقال أهل السير : سميت دمشق بدماشق بن قاني بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح ﷺ ، قيل : أن الذي بناها جيرون بن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح ﷺ ، وسماها إرم ذات العماد . معجم البلدان ، شهاب الدين الحموي (527/2) (بتصرف) .

(4) مردوتين : من رود يدل على مجيء وذهاب وانطلاق من جهة واحدة ، والمُرْود من أروَدْت في السير إرواداً ومُرواداً ، ويقال مُروداً أيضاً ، وذلك في الرفق في السير ، ويقال : راد وسادُه : إذا لم يستقر كأنه يجيء ويذهب . انظر : (معجم مقاييس اللغة) ، لابن فارس ، ص 430 .

(5) لُدُّ : بالضم والتشديد ، وهو جمع ألدّ ، الألد الشديد الخصومة : وهي قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين ببابها يُدرك عيسى ابن مريم الدجال فيقتله . انظر : (معجم البلدان) ، شهاب الدين الحموي (17/5) .

(6) سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن ، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج ، ص 674 ، حديث (4575) ، قال الألباني : صحيح .

(7) ممصرتين :الممصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة ، والممصرة بين الحمرة والبياض ، لسان العرب ،لابن منظور (22/4) .

يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيقاتل الناس على الإسلام ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك المسيح الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون) (1) .

ومن خلال ما سبق تخرج الباحثة بالخلاصة التالية :

1- تقرير قبض الله تعالى لعيسى ورفعه إليه حياً ، ونزوله في آخر الزمان ليحكم زمناً، ثم يموت الموتة التي كتب الله على كل إنسان، فلم يجمع الله تعالى بين موتتين وهذا دليل أنه رفع إلى السماء حياً لا ميتاً، ومما يدل على أنه حي في السماء أن الرسول ﷺ في ليلة المعراج لما عُرج به رآه في السماء الثانية وارتقى إليه ورحب به.
2- إن نزول عيسى عليه السلام يكون على الطائفة المنصورة التي تقاتل على الحق وتكون مجتمعة لقتال الدجال فينزل وقت إقامة الصلاة ويصلي خلف أمير تلك الطائفة ، ويصبح فرداً من أفراد الأمة المحمدية ويعمل بشريعة محمد ﷺ وهذا فيه فضل وكرامة لأمة محمد عليه السلام .
3- إن زمن نزول عيسى يعم فيه الأمن والرخاء حيث يجمع الجزية فيفيض المال ويذهب التباغض والتحاسد ويعم الخير على الأمة .
4- إن الحكمة من نزول عيسى عليه السلام هو الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه ، فيبين الله تعالى كذبهم و أنه هو الذي يقتلهم ويقتل زعيمهم الدجال ،وكذلك يكذب النصارى ويظهر زيفهم في دعواهم الأباطيل فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية.
5- إن نزول عيسى عليه السلام يكون لدنو أجله ، ليدفن في الأرض إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها .

خامساً: صعود الكلام الطيب ورفع العمل الصالح إلى السماء :

قال تعالى : ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَللهِ العِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ...**﴾ [فاطر:10] .

المعنى الإجمالي:

يخبر المولى – عزَّ في علاه – بأن من يريد أن يطلب عزة الدنيا أو الآخرة فليطلبها منه ، فإنه لا ينال هذه العزة إلا بطاعته فله العزة جميعاً ، فليتعزز بطاعة الله والتي منها التزام الكلام الطيب والعمل الصالح فإنها تصعد إليه ، وفسر العلماء الكلام الطيب بالتوحيد ، وقيل

---

(1) سنن أبي داود ، كتاب الملاحم ، باب خروج الدجال ، ص 644 ، حديث (4324) ، قال الألباني : صحيح.

الثناء بالخير على صالحي المؤمنين ، وقيل ذكر الله تعالى ، وقيل التلاوة ، وقيل الدعاء ، والمختار هو كل كلام فيه ذكر الله ، أو هو لله ﷻ كالنصيحة والعلم وغيره [1] .

يقول الرسول ﷺ :**[الذين يذكرون الله من جلال الله من تسبيحه وتكبيره وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوي كدوى النحل يذكرن بصاحبهن ، ألا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الله شيء يذكر به]** [2] . والعمل الصالح هو أداء الفرائض والطاعات والقربات لله ﷻ .

"**والمراد برفع العمل الصالح ثلاثة أقاويل:**

الأول: أن العمل الصالح يرفعه الكلم الطيب ، قاله الحسن.

الثاني: أن العمل الصالح يرفع الكلام الطيب ، قاله الضحاك.

الثالث: أن العمل يرفعه الله بصاحبه ، قاله قتادة " [3] .

يقول الإمام القرطبي: "والكلام الطيب عمل صالح ، وإنما يستقيم قول من يقول أن العمل هو الرافع للكلم ، بأن يتأول أنه يزيده في رفعه وحسن موقعه إذا تعاضد معه، كما أن صاحب الأعمال من صلاة وصيام وغير ذلك إذا تخلل أعماله كلم طيب وذكر الله تعالى كانت الأعمال أشرف فيكون قوله:" والعمل الصالح يرفعه "موعظة وتذكرة وحضاً على الأعمال" [4] .

ويقول الإمام الشوكاني: "معنى صعود الكلم الطيب إليه قبوله له أو صعود الكتبة من الملائكة بما يكتبونه من الصحف ،وخص الكلم الطيب بالذكر لبيان الثواب عليه ، وهو يتناول كل كلام يتصف بكونه طيباً من ذكر الله وأمر بمعروف ونهي عن منكر وتلاوة وغير ذلك فلا وجه لتخصيصه بكلمة التوحيد أو التحميد أو التمجيد" [5] .

وقيل المراد بصعوده علم الله به ، وقيل صعوده إلى السماء الدنيا، والمتأمل في هذه الآية ينتابه تساؤل لماذا عبر المولى في هذه الآية عن الكلام الطيب بالصعود، وعن العمل الصالح بالرفع ، ولم يعبر عنهم بالعروج إلى السماء؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال ، يجدر بنا أن نتعرف على معنى الصعود.

---

(1) انظر: (معالم التنزيل) ، للبغوي (192/5) ، (الجامع لأحكام القرآن) ، للقرطبي ، المجلد السابع (239/14) (تفسير القرآن العظيم) ، لابن كثير (603/3) ، (روح المعاني) ، للألوسي ، المجلد الثاني عشر (259/22) .

(2) مسند أحمد بن حنبل ، حديث النعمان بن بشير (269/4) ، حديث (18552) ، قال الألباني : صحيح .

(3) النكت والعيون ، للماوردي (464/4) .

(4) الجامع لأحكام القرآن ، المجلد السابع (241/14) .

(5) فتح القدير (406/4) .

يقول ابن فارس: " الصاد والعين والدال أصل صحيح يدل على ارتفاع ومشقة من ذلك الصعود خلاف الحدور، ويقال: صعد يصعد، والإصعاد مقابله الحدور، والصعود:العقبة الكؤود والمشـــقة مـــن الأمر ، ومن الباب الصعـــداء وهـــو تنفس بتوجع ، ويقال تصعدني في الأمر إذا شق عليه" (1) .

ووردت مادة (صعد) في القرآن الكريم في تســعة مواضـــع ، ثلاثـــة منها بصيغة الفعل المضارع "يصعد ويصّعد وتصعدون" وخمسة بصيغة الاسم ، ومنه : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر:10] ، فالصعود أعم من العروج ، وإن صعود الكلم الطيب والعمل الصالح ليس معراجاً لأنهما ليسا جسيمين يتبعان معارج معلومة ، هي المعارج المعروفة للسماء ﴿مِنَ اللهِ ذِي المَعَارِجِ﴾ [المعارج:3] ، والصعود والرفع هنا أشبه بتسجيل الصالحات في عليين .

أما العروج فهـــو عمليـــة مادية لأجسام تتحرك ، كما كان معراج جبريـــل عليه السلام مـــع رسول الله ﷺ والبراق ، والمشقة التـــي تتفرع في مشتقات مادة (صعد) غير موجودة مع مـــادة عرج ، هذه المشقة التي يجدها المتصعد في السماء كشف عنها العلم الحـــديث حيـــث يـــنقص الأكسجين عند الارتفاع عن سطح الأرض ،مما يسبب ضيق التنفس والاختناق .

وهذا العذاب موجود كذلك في استعمالات أخرى للمادة كما في قوله: ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ [المدَّثر:17] ، وقوله : ﴿ ... يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجنّ:17] ، إن معاني المشقة والعذاب التي تولدت في بعض مشتقات مادة صعد غير موجودة في العروج و مشتقاته (2) .

ومن هنـــا نخـــرج بنتيجـــة وهـــي : أن الكلام الطيب يصعد إلى الـــسماء، والعمـــل الصالح يرفع إلى الله بطريقة لا يعلمها إلا هو ، فلو قلنا أنها ترفع بواسطة الملائكة فالملائكـــة تصل إلى السماء عن طريق المعارج التي جعلهـــا الله لهـــا، فهي تعرج إليه كل يـــوم فكيـــف يكـــون لهـــا العـــروج في المعارج والصعود في آن واحد وقـــد علمنـــا أن العـــروج شـــيء والصعود شيء آخر.

ثانياً : عدم إمكانية الصعود إلى السماء إلا بأمر الله:

بعد هذا العرض للأمور التي تنزل وتصعد إلى السماء ، وبيان أن السماء تستقبل الملائكة و الأرواح و الأنبياء وتفتح لهم أبوابها ، تبين بالمقابل أن السماء لا تقبل توجه المشركين إليها ، وقد مثل المولى ذلك في قوله تعالى: ﴿ ... وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:31] .

---

(1) مقاييس اللغة ، ص 567 .

(2) انظر:(من الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم"دراسة في ظاهرة الترادف اللفظي") ، السيد خضر ، ص98، 99.

وتحدى المولى الجن والإنس أن ينفذوا من أقطار السماء ، وأكد أنهم لن يستطيعوا أبداً إلا بسلطان من الله ، وأن مجرد محاولة ذلك بغير هذا التفويض الإلهي سوف يعرض المحاول لشواظ من نار ونحاس فقال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرَّحمن:33] .

المعنى الإجمالي:

يقول المولى ﷻ يا معشر الجن والإنس إن قدرتم على النفاذ والخروج من أمري وحكمي هاربين بين جوانب و أطراف السماوات والأرض هرباً من قضائي وقدرتي فانفذوا منها، وخلصوا أنفسكم ، فحيثما كنتم أدرككم الموت، فلا يستطيع الإنس والجن أن يهربوا من أمر الله لأنه محيط بهم ، فلا ينفذون إلا بسلطانه وفي ملكه ،لأنه مالك السماوات والأرض وما بينهما، هكذا تحداهم ، ويخبر المولى أنهم إذا أرادوا الفرار وعدم الإذعان لقضائه أرسل عليهم شواظاً من نار ونحاس فلا ينتصروا إذاً أبداً، فالملك والقدرة والحجة والبرهان سلطان وهذا كله لله وحده [(1)] .

يقول الإمام الألوسي: "وقيل المعنى:إن قدرتم أن تنفذوا لتعلموا بما في السماوات والأرض فانفذوا لتعلموا، لكن لا تنفذون ولا تعلمون إلا ببينة وحجة نصبها الله تعالى فتعرجون عليها بأفكاركم " [(2)] .

ويقول الإمام الرازي: "هذا الخطاب الظاهر فيه أنه في الآخرة ، فإن الجن والإنس يريدون الفرار من العذاب فيجدون سبعة صفوف من الملائكة محيطين بأقطار السماوات والأرض ، والأولى ما ذكرنا أنه عام بمعنى لا مهرب ولا مخرج لكم من ملك الله تعالى ، وأينما توليتم فثم ملك الله ، و أينما تكونوا أتاكم حكم الله" [(3)] .

الحقائق العلمية في الآية :

تبلغ أبعاد الجزء المدرك من السماء الدنيا من الضخامة ما لا يمكن أن تطويها قدرات كل من الإنس والجن ، مما يشعر كلًا منهما بضآلته أمام أبعاد الكون وبعجزه التام عن مجرد التفكير في الهروب منه، أو النفاذ إلى المجهول من بعده ، وقد ثبت حتى الآن ضخامة المجهودات والطاقات المطلوبة للنفاذ من نطاق جاذبية الأرض ، وحيث اقتضى النجاح الجزئي في ريادة الفضاء لمدة محددة جداً بالنسبة لعظم الكون ، بذلت الكثير من الجهود العلمية الضخمة في شتى الميادين ، فضلاً عن التكاليف المادية الخيالية التي أنفقت في ذلك وما زالت تنفق ،

---

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) ، لابن كثير (289/4) ، (فتح القدير) ، للشوكاني (164/5) .

(2) روح المعاني ، المجلد الخامس عشر (172/27) .

(3) مفاتيح الغيب (113/29) .

ويدل ذلك دلالة قاطعة على أن النفاذ المطلق من أقطار السماوات والأرض التي تبلــغ ملايــين السنين الضوئية لإنس أو جن مستحيل [1] .

يقول الدكتور عبد الرحيم مارديني:" قد يتوهم البعض أن الإنسان قد حقق أعظم إنجــاز علمي وعملي بالصعود إلى القمر، وأنه تمكن بفضل مخترعاته و أجهزته أن يسير فوق ســطح القمر ، وأن يحضر معه في عودته عينات من صــخوره وترابــه لتحليلهــا والتعــرف علــى عناصرها، وأنه حقق هذا النفاذ بسلطان العلم وحده ، في حين أنه في حقيقة الأمر سلطان الله ﷻ الذي نفذ بقوته النبي ﷺ إلى أقطار السماوات ليلة معراجه...لأنه هو السلطان القاهر القادر على إخضاع سنن الكون وقوانينه" [2] .

ويقرر العلم الحديث في هذه القضية أن القمر الذي وصل إليه الإنسان بقوة صواريخه، إنما هو جرم صغير تابع للأرض وكأنما هو ضاحية قريبة من ضواحيها ،إذ لا يبعد عنها بأكثر من (240.000) كيلو متر فأين هذا البعد من أقطار السماوات التي يبلغ أبعاد القريب منها عــن الأرض بألــف سنة ضوئية ، مع العلم بأن الضوء يسير بسرعة(300.000) كيلو متــر فــي الثانية .

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لو أرادت البشرية كلها بقوتها وتقنيتها أن تنفذ وتخرج من مجرة درب التبانة وهي بين السماء والأرض وهي جزء يسير في الفضاء وهــي بالنــسبة للسماء كحبة في صحراء ما استطاعوا ، فكيف بالنفاذ من السماء التي لا يعلم ســعتها وعظمــة خلقها إلا الله ﷻ ، هذا بالنسبة لما يتعلق بتحدي الخالق لمخلوقاته بالنفاذ من أقطار السماء، أمــا أقطار الأرض فنجد أنه من المستحيل للإنسان مهما بلغ من التطور والكمال فــي التكنولوجيــا والعلم أن يخترق أقطار الأرض لعدة أسباب أهمها، أنه كلما اتجهنا داخل الأرض زادت الحرارة حتى نصل إلى قلب الأرض حيث تتحول الأرض إلى جحيم فتبلغ حرارتهــا (3000) درجــة مئوية فأي آلة وجهاز يستطيع أن يخترق كل هذه الطبقات مع هذه الحرارة العالية التي تنصهر فيها كل أنواع المعادن الصلبة ؟

وفي ذلك تحدٍ قائم أمام البشرية جمعاء مستمر إلى يوم القيامة ، وحسبنا بذلك إعجــازاً إلهياً لم تستطع العلوم الحديثة أن تواجهه بسلطان علمها و أحدث أجهزتها الدقيقة [3].

وتوعد المولى لمن أراد النفاذ أن يرسل عليه شواظاً من نار ونحاس .

---

(1) النفــاذ مــن أقطــار الــسماوات والأرض،زغلــول النجــار ،الــشبكة العنكبوتيــة (بتــصرف) www.elnaggarzr.com

(2) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، ص 46.

(3) انظر : (الإعجاز العلمي في الإسلام) ، محمد كامل عبد الصمد ، ص 78 .

يقول الدكتور زغلول النجار: "والنحاس تعني الدخان الذي لا لهب فيه، أو تعني فلز النحاس الذي نعرفه جميعاً وهو فلز معروف بدرجة انصهاره العالية(1083 م) ودرجة غليانه الأعلى (2567م) ، ولفظة النحاس في الآية الكريمة تعني فلز النحاس لأن التأويل هنا لا داعي له على الإطلاق ، فالنحاس وهو منصهر وتغلي قطراته في صفحة السماء يعد عقاباً رادعاً لكل محاولة إنسية أو جنية لاختراق أقطار السماوات والأرض ، ويضيف الدكتور زغلول النجار: اتصل بي أخ كريم هو الدكتور عبد الله الشهابي وأخبرني بأنه زار معرض الفضاء والطيران في مدينة واشنطن دي سي الذي يعرض نماذج الطائرات من بداياتها الأولى إلى أحدثها ، كما يعرض نماذج لمركبات الفضاء ، وفي المعرض شاهد قطاعاً عرضياً في كبسولة أبوللو وأذهله أن يرى على سطحها خطوطاً طويلة عديدة غائرة في جسم الكبسولة ومليئة بكربونات النحاس(جنزار النحاس) وقد لفتت هذه الملاحظة نظره فذهب إلى المسئول العلمي عن تلك الصالة وسأله :هل السبيكة التي صنعت منها الكبسولة يدخل فيها عنصر النحاس ؟ فنفي ذلك نفياً قاطعاً ، فأشار إلى جنزار النحاس على جسم الكبسولة وسأله: من أين جاء هذا ؟ فقال له : من نوى ذرات النحاس المنتشرة في صفحة السماء التي تضرب جسم الكبسولة طوال حركتها صعوداً وهبوطاً من السماء ، وحينما تعود إلى الأرض وتمر بطبقات بها الرطوبة وثاني أكسيد الكربون ، فإن هذه الذرات النحاسية التي لصقت بجسم الكبسولة تتحول بالتدريج إلى جنزار النحاس، ويقول الدكتور الشهابي إنه على الفور تراءت أمام أنظاره الآية القرآنية الكريمة التي يقول فيها ربنا تبارك وتعالى : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴾ [الرَّحمن:35]" [1].

ومن العلماء من اعتبر السماوات في الآية هي الفضاء الخارجي وأن المراد بالسلطان هو سلطان العلم ، والمعنى أن الآية فيها إشارة إلى إمكانية صعود الإنسان للفضاء الخارجي بواسطة سلطان العلم كما تنبئ بأن النفاذ من أقطار السماوات يبقى محفوفاً بالمخاطر ومنها تعرض المركبات ومن فيها لشواظ من النار والنحاس والنيازك والأشعة الضارة ، ولكن أخذ كافة الاحتياطات يمكن أن يجنب المرتاد هذه المخاطر [2] .

يقول الدكتور عبد الرحمن الشهري: "المفسرون لهذه الآية اعتبروا الخطاب للجن والإنس يوم القيامة ، واعتبروا شواظ النار والنحاس مانعين للثقلين من النفاذ والهروب من ملكوت الله ، قلت : قد مر بنا توضيح زمن النفاذ وأنه في الدنيا وأنها فتح للآفاق أمام البشرية لارتياد الفضاء ، و دعوة لاتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة للنفاذ ، ومر بنا أن الآية على ضوء

---

(1) النفاذ من أقطار السماوات ، زغلول النجار، الشبكة العنكبوتية www.elnaggarzr.com .

(2) انظر : (من علم الفلك القرآني) ، عدنان الشريف ، ص125.

تعريف السماوات لغة ليست للتعجيز وإنما هي للإمكانية ، إمكانية النفاذ وضرورة أخذ الحيطة والحذر " [1] .

ومما سبق تبين التالي : أن العلماء في تفسير هذه الآية انقسموا إلى فريقين :

الأول: من اعتبر السماء بمعناها اللغوي وهو كل ما علا وارتفع و أنها الفضاء الخارجي قال بإمكانية الصعود إلى السماء ، وأن هذا الصعود محفوف بالمخاطر، والله أعلم بذلك .

الثاني : من اعتبر السماء بناء محكماً وأنها إحدى السماوات السبع قال بعدم استطاعة الإنس والجن الصعود والنفوذ من أقطارها، وفي ذلك تحدٍ وتعجيز للوصول إليها.

لذلك كان صعود أهل الضلال في السماء عاقبته وخيمة حيث يواجه أخطار جسيمة ، وقد أشار القرآن الكريم إلى استحالة صعود الإنسان إلى السماء بقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام:125] .

المعنى الإجمالي :

يقول تعالى مبيناً لعباده علامة سعادة العبد وهدايته ، وعلامة شقاوته و ضلاله أن من انشرح صدره للإسلام أي اتسع وانفسح فاستنار بنور الإيمان وحيى بضوء اليقين ، فاطمأنت بذلك نفسه، وأحب الخير، وطوعت له نفسه فعله ، متلذذاً به غير مستثقل ، فإن هذا علامة على أن الله قد هداه ، ومن عليه بالتوفيق ، وسلوك أقوم طريق [2] ، وقد روى عن عبد الله بن مسعود قال: **(يا رسول الله ، وهل ينشرح الصدر ، فقال نعم ، قال نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح ، قالوا : فهل لذلك من أمارة يُعرف بها ؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت)** [3] . وإن علامة من يريد الله أن يضله عن سبيل الهدى لشغله بكفره أن يجعل صدره ضيقاً حرجاً ،أي في غاية الانقباض والضيق عن الإيمان والعلم واليقين وقبول الهدى، قد انغمس قلبه في الشبهات والشهوات فلا يصل إليه خير ، ولا ينشرح قلبه لفعل الخير كأنه من ضيقه وشدته يكاد يصعد في السماء أي كأنه يكلف الصعود

---

(1) ارتياد السماء في القرآن الكريم ،(مجلة الأزهر) ص1549 .

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) ، لابن كثير (195/2) ، (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، للسعدي ، ص 272 .

(3) المستدرك على الصحيحين ، كتاب الرقائق ، (346/4) ، حديث (7863) ، قال الذهبي في التلخيص عدي ابن الفضل ساقط .

إلى السماء الذي لا حيلة له فيه وهذا سببه عدم إيمانهم هو الذي أوجب أن يجعـل الله الـرجس عليهم لأنهم سدوا على أنفسهم باب الرحمة والإحسان [1] .

والمراد بقوله : ضيقاً حرجاً : أي لا يتسع لقبول الحق ولا لنور الإيمان.

يقول الإمام الطبري: " والحرج: أشد الضيق ، وهو الذي لا ينفذ من شدة ضيقه ، وهو هنا المصدر الذي تصل إليه الموعظة ، ولا يدخله نور الإيمان لرين الشرك عليه" [2] .

ويقول الإمام القرطبي: " يصعد " أي يتكلف ما لا يطيق شيئاً بعد شـيء" [3] . ولفـظ يصعد فيها من العسر والقبض والجهد .

وفي قوله تعالى : ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ **أربعة أوجه :**

الأول: " كأنه كلف الصعود إلى السماء في امتناعه عليه وبعده منه.

الثاني: كأنه لا يجد مسلكاً لضيق المسالك عليه إلا صعوداً في السماء يعجز عنه .

الثالث : كأن قلبه بالنفور منه صاعداً إلى السماء.

الرابع : كأن قلبه يصعد إلى السماء بمشقته عليه و صعوبته عنده" [4] .

والمفسرون اعتبروا الآية ضرب مثل ، يقصد به استحالة صعود الإنسان في الـسماء، ولم ينظروا على أن الآية وصف واقع قائم ، وهو نقص الأكسجين في الطبقات العليا.

الحقائق العلمية في الآية:

تقدم هذه الآية الكريمة حقيقة علمية ثابتة بأسلوب بلاغي دقيق ، فقد أثبت علـم الطـب والطيران أن الإنسان حين يتعرض للارتفاعات العالية في الطبقات العليا في السماء ، تحدث له أعراض فسيولوجية تتدرج من الشعور بالضيق الذي يتركز في منطقة الصدر إلى الدخول فـي مرحلة حرجة إذا استمر في التعرض للارتفاعات العالية وانخفاض الضغط الجوي، ومن هنـا نجد الصلة بين ما جاء في الآية الكريمة وما اكتشفه العلم الحديث، حيث تحدث مـن الغـلاف الجـوي وطبقاته وتأثيره فسيولوجياً على الإنسان ، وقسم العلماء الغلاف الجوي فسيولوجياً إلى ثلاثة أقسام :

أ – منطقة كافية (فسيولوجياً) من سطح البحر إلى ارتفاع (10000) قدم ، كميـة الأكـسجين الموجودة في هذه المنطقة تكفي فسيولوجياً لحياة الإنسان.

---

(1) انظر :(تفسير القرآن العظيم) ، لابن كثير (195/2 ، 196) ، (فتح القدير) ، للشوكاني (205/2) ، (تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، للسعدي ، ص 272 ، (في ظلال القرآن) ، سيد قطب (1203/3)

(2) جامع البيان في تأويل آي القرآن (33/8) .

(3) الجامع لأحكام القرآن ، المجلد الرابع (60/7) .

(4) النكت والعيون ، للماوردي (166/2) .

ب- منطقة غير كافية (فسيولوجياً) من (10000- 50000) قدم يوجد في المنطقة نقص في كمية الأكسجين بالإضافة إلى الانخفاض في الضغط الجوي ونتج عن ذلك آثار واضحة على جسم الإنسان ، فتظهر أعراض نقصان الأكسجين وأعراض انخفاض الضغط الجوي.

ج - منطقة الفضاء التقريبي من ارتفاع (50) ألف قدم إلى حوالي (633) ألف قدم ، حيث لا يمكن للإنسان من الناحية الفسيولوجية أن يعيش في ارتفاع (50000) قدم فأكثر ، حتى لو تنفس 100 % أكسجين ، بل لابد له من ارتداء ملابس الفضاء ليتحمل الانخفاض في الضغط الجوي ونقص الأكسجين في هذه الارتفاعات ، وفي ارتفاع (10000) قدم إلى (16000) قدم تبدأ ظهور أعراض نقص الأكسجين فنجد في هذه المرحلة تفسيرًا واضحاً لضيق الصدر الذي يشعر به الإنسان عندما يصعد إلى هذه المرتفعات ، حيث يشكو الإنسان من اضطرابات عديدة في أجهزة مختلفة من جسمه ، فيشعر بالإجهاد والصداع والشعور بالرغبة في النوم ، ونقص الأكسجين وصعوبة التنفس نتيجة تورم الشعب والرئتين الناتج عن تبخر الماء في أنسجة الجسم كلها ، وبما في ذلك الجهاز التنفسي، وكذلك عدم ثبات درجة الحرارة وانخفاض الضغط الجوي.

وفي ارتفاع (25000) فأعلى يفقد الإنسان الوعي تماماً بسبب فشل الجهاز العصبي ، فتصل التغيرات التي تحدث في الصدر في هذه المرحلة من الارتفاع إلى أقصاها وبعدها يحدث فشل كامل في وظائف القلب والجهاز التنفسي الفسيولوجية [1] .

خلاصة ما سبق :

أن العلم الحديث يُرجع سبب الضيق والحرج لمن يصعد في السماء إلى أمرين:

الأول : انخفاض نسبة الأكسجين في الارتفاعات العالية :

فهي تعادل 21% تقريباً من الهواء فوق سطح الأرض وتنعدم نهائياً في علو (67) ميلاً ويبلغ توتر الأكسجين في الأنساج الرئوية عند سطح البحر (100) مم ، ولا يزيد عن (25) مم في ارتفاع (8000) متر حيث يفقد الإنسان وعيه بعد (2-3) دقائق ثم يموت .

---

(1) انظر: (الإعجاز العلمي في الإسلام) ، محمد كامل عبد الصمد ، ص66 ، (من وجوه الاعجاز القرآني) ، مصطفي الدباغ ، ص102 ، (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) عبد السلام اللوح ، ص 173 ، (الإنسان في الارتفاعات العالية بين العلم الحديث والإعجاز العلمي في القرآن) ، صلاح الدين المغربي ، الشبكة العنكبوتية ،www.maknoon.com

الثاني: انخفاض الضغط الجوي :

إن أول من اكتشف الضغط الجوي ، هو العالم تورشيلي وقدره بما يعادل ضغط عمود من الهواء المحيط بالأرض على سطح واحد سنتيمتر مكعب منها، وهو يساوي ضغط عمود من الزئبق طوله (67) سم ، وينخفض هذا الضغط كلما ارتفعنا عن سطح الأرض مما يحدث مجموعة من الأعراض ناتجة عن تمدد حجم الغازات وزيادتها في جسم الإنسان ، فالغازات المحبوسة في تجاويف الجسم مثل المعدة إذا ازداد حجم الغازات داخلها فإنها تضغط على الرئتين مما يسبب اضطراباً شديداً في التنفس وضيقاً في الصدر ، يحدث نفس الشيء أيضاً في القولون والرئتين ، والأسنان ، والأذن الوسطى ، والجيوب الأنفية ، وكل هذا يتسبب في آلام شديدة في الجسم ويسبب تصاعد الغازات الذائبة في خلايا الجسم (النيتروجين) اختناقاً ينتج عنه آلاماً شديدة بالصدر، وقد يحصل نزيف بالأنف والفم يؤدي إلى الوفاة [(1)] .

قلت : إذا كانت هذه المخاطر تحيط بالإنسان إذا صعد للفضاء الخارجي، فما بالنا إذا أراد أن يصعد إلى السماء الدنيا ، وجملة القول أن هذه الآية تتضمن حقيقة علمية تشير إلى مخاطر الصعود إلى السماء وذلك يدعو إلى أخذ الحيطة والحذر لمواجهة تلك الأخطار، مما يجعلها تثبت قطعاً أنها من وحي العليم القدير، وأن القرآن الكريم معجزة خالدة في عصر العلم حيث أخبر عن أمور علمية لم تكن معروفة زمن نزوله على رسول الله -ﷺ- وأظهرها التقدم العلمي فيما بعد.

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة:

1- بيان جلال الله وعظمته وقدرته وقوة سلطانه ، وعجز الخلائق أمام هذه القدرة .

2- إن الصعود إلى السماء نوعان ، صعود مادي وصعود معنوي ، أما الصعود المادي فيقال عنه عروج ، ومن هذا الصعود رفع عيسى عليه السلام ، وعروج النبي ﷺ ، وعروج الملائكة -عليهم السلام- ، أما الصعود المعنوي مثل صعود أعمال العباد والكلم الطيب من توحيد وتسبيح ودعاء وتلاوة وغير ذلك .

3- العلم الحديث يتفق مع القرآن الكريم في حتمية الانحناء عند صعود السماء الذي وصفه المولى بالعروج ، فالقرآن يحدد شكل خط السير في السماء بالانحناء ، وهذا السير على هيئة منحنية خاص بالأشياء المادية لا المعنوية .

(1) انظر: (من أوجه إعجاز القرآن الكريم) ، نبيل إسماعيل ، ص54 ، (أخطار الصعود إلى السماء)زين العابدين متولي ، ص46 ، (مع الطب في القرآن الكريم) ، عبد الحميد دياب، الشبكة العنكبوتية ، www.qandol.com

4- استحالة صعود الإنسان إلى السماء مهما بلغ من العلم والقدرة ، فقضية العروج فيها دعوة للتطلع إلى السماء ، وفيها إشارة إلى إمكانية صعود الفضاء الخارجي لا السماء ، والتعرف على مظاهر إبداع الخالق وإتقانه وإعجازه .

5- بيان سنة الله في الهداية والإضلال ، فمن أعرض عن الإيمان يعاني من الصعوبة والشدة ما يعاني .

6- لولا معرفة حقيقة عروج الأجسام لما تمكن الإنسان من إطلاق الأقمار الصناعية ، وما استطاع ريادة الفضاء .

7- القرآن الكريم يشير إلى انعدام الوزن وقلة الجاذبية في الفضاء ، ويشير كذلك إلى ظلمة الكون خارج نطاق الغلاف الجوي للأرض ، ويوافقه العلم الحديث في ذلك .

8- إشارة القرآن إلى عدم إيمان غالبية من يعرجون إلى الفضاء الخارجي .

9- قال تعالى : ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ولم يقل : (يعرج إليها) " لأن قوله يعرج فيها يفيد الصعود والدخول ، فمن الأشياء ما يصل إلى السماء الدنيا ويقف ، ومنها ما يعرج في السماء حتى يصل رب العزة ، وقوله : ﴿يَعْرُجُ فِيهَا﴾ إشارة إلى قبول الأعمال الصالحة ومرتبة النفوس الزكية ، وهذا لأن كلمة (إلى) للغاية فلو قال : (إليها) لفهم الوقوف عند السماوات، فقال : ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ليفهم نفوذها فيها وصعودها فيها ، ولذلك قال في الكلم الطيب ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ لأن الله هو المنتهى ولا مرتبة فوق الصعود إليه" (1) .

10- عيسى عليه السلام آية من آيات الله ومعجزة دالة على كمال قدرته أرسله الله لبني إسرائيل فكذبوه وأرادوا قتله وصلبه ، فنجاه الله منهم ورفعه إليه ويدل ذلك على جرائم اليهود في حق الأنبياء .

11- إحياء ليلة الإسراء والمعراج ، والوقوف على قدم الشكر تارة لما أنعم الله على نبينا ، وتارة للإنعام علينا بالإيمان بمعراجه والذي ناله المصطفى من الارتفاع والعلو يحث أمته على التماس القرب والدنو من الله ، فالسعيد من تأهب للقاء ربه بتأديب نفسه وتطهير قلبه .

12- عروج النبي ﷺ مظهر من مظاهر القدرة الإلهية وتكريم لسيدنا محمد ﷺ ، ويبين لنا عدة دلالات أذكر منها :

أ- إن عروج النبي ﷺ من المسجد الأقصى إلى السماء فيه دلالة واضحة على أهمية ومكانة المسجد الأقصى ، فهو مهد الأنبياء ، والقبلة الأولى للمسلمين ، وقد فضله الله بالصلاة فيه

(1) مفاتيح الغيب ، للرازي (240/25) .

حيث تعدل خمسمائة صلاة في غيره من المساجد وبارك حولــه ، وهــذا يلفــت أنظارنـــا ويستنهضنا لإنقاذ أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين من براثن الصهاينة الغاشمين الذين لعنهم الله ، والأنبياء أجمعين ، ومقتهم الشعب الفلسطيني إلى يوم الدين .

ب- إن عروج النبي فيه دلالة على تقرير عقيدة العروج بالجسد والروح معاً ، فالعبــد يكــون بشقيه الجسد والروح .

ج- إن عروج النبي ﷺ كان ليلاً دون النهار دلالة على أنه لو كــان نهــاراً لكــان مــشاهداً ولأبصروا ذلك عياناً ، وأراد الله سبحانه أن يكون ذلك امتحاناً للخلق .

د- العروج بالنبي ﷺ من بيت المقدس وليس من مكة ذو دلالات منها الأمــر بنــشر الإســلام وتوسع إطاره ، وفيه أمر ضمني كذلك ، وهو نبذ الخلاف فيما بين المــسلمين ، والأمــر بتوحدهم ، واجتماع مصالحهم .

هــ- فرض الصلاة على المسلمين في رحلة المعراج ليلاً ، دليل على أن الصلاة صــلة بــين العبد وربه ، وهي معراجه الذي يعرج فيه إلى الله ﷻ ، وأنها الوقت الذي يناجي فيه العبد ربه ، ويبث إليه ما يرنو إليه .

الفصل الثالث

نعم الله وعقوباته النازلة من السماء

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نعمة الإنزال من السماء .

المبحث الثاني: النعم المسخرة بين السماء والأرض .

المبحث الثالث: العقوبات النازلة من السماء .

المبحث الأول
نعمة الإنزال من السماء

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: نعمة إنزال الرزق من السماء .

المطلب الثاني: نعمة إنزال الجند من السماء .

المطلب الثالث: نعمة إنزال الكتب من السماء .

المطلب الرابع: نعمة إنزال الملائكة من السماء .

المبحث الأول
نعمة الإنزال من السماء

أنزل المولى– تبارك وتعالى– على عباده من السماء نعماً كثيرة ، لا تعد ولا تحصى لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا ...﴾ [النحل:18] ، وكثرة النعم تدل على عناية الله تعالى ورحمته بالإنسان ، إذ سخر له ما في السموات ، فهو صاحب النعم وواهب المنن بيده الخير كله ، فلا راد لفضله ولا مانع لعطائه مقسم الأرزاق على العباد، ولو تأملنا نعم الله تعالى التي أشار إليها القرآن لوجدنا أنها نعم عظيمة ، نازلة من السماء لينتفع بها العباد ، فقد أنزل الرزق والكتب والجند والملائكة ، وسخر الشمس والقمر والنجوم والكواكب والسحب والرياح والمطر ، وهذه النعم النازلة من السماء توجب علينا شكر المنعم وحمده ، ولكن قليلاً من الناس من يدرك الحقيقة فيرعاها حق رعايتها رجاء حفظها ، ويداوم على شكر المنعم ليزداد إنعامًا . ولنستمع إلى القرآن الكريم وهو يذكر كل ذلك لنصل إلى صدق البيان من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : نعمة إنزال الرزق من السماء :

اعتنى القرآن الكريم بموضوع الرزق اعتناء كبيراً ، فقد ورد الفعل (رزق) بمشتقاته في كتاب الله مائة وثلاثًا وعشرين مرة، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على عطاء الله وكرمه على عباده ، فمن أسمائه الحسنى (الرزاق) فهو خالق الرزق ومسببه ومعطيه وموزعه بعلمه وحكمته ، وهو خير الرازقين فما من دابة إلا على الله رزقها .

والمتأمل في آيات الرزق يجدها تنسب إلى الله تعالى ، وإن كان بعضها يشير إلى إمكانية أن يرزق الإنسان غيره من البشر، ومنها ما يشير إلى الرزق بمعنى ما يُطعم وما يُشرب أو بمعنى المال ،أو العلم ، أو الجاه والسلطان ، أو الأولاد والزوجات ،أو العطاء ،أو النفقة ، أو الثواب والجنة ، أو ما تنتجه الأرض من ثمار، أو ما يرزق الله من بهيمة الأنعام، أو المطر، أو غير ذلك من الثروات الأرضية منها والسماوية ، أو من الأرزاق الأخروية مثل رزق الشهداء عند ربهم، ورزق أهل الجنة في الجنة ، فأرزاق الله كثيرة والحديث عنها يفيض ، لكني سأقتصر في الحديث على الرزق النازل من السماء .

قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آَيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [غافر:13] .

المعنى الإجمالي :

يُظهر المولى قدرته لخلقه بما يرونه من الآيات العظيمة الدالــة علــى كمــال خالقهــا ومبدعها ومنشئها ، ويَذكر من هذه الآيات إنزال الرزق من السماء .

يقول الأستاذ سيد قطب في الرزق : "عرف الناس منه المطر، أصل الحياة فــي هــذه الأرض وسبب الطعام والشراب ، وغير المطر كثير يكشفه الناس يومًا بعد يوم ، ومنــه هــذه الأشعة المحيية التي لولاها ما كانت حياة على هذا الكوكب الأرضي ،ولعل من هذا الرزق تلك الرسالات المنزلة ، التي قادت خطى البشرية منذ طفولتها ونقلت أقدامها في الطريق المستقيم ، وهدتها إلى مناهج الحياة الموصولة بالله وناموسه القديم " [(1)] .

وهذه الآيات لا يتذكرها ويتفكر فيها ويستدل بها على عظمة خالقها إلا من كان بصيراً بتلك الآيات الباهرة راجعاً إلى طاعة الله ومخلصاً له العبادة بما يستفيده من النظر في آياته .

وفى هذه الآية لطيفة جميلة وهى : "أنه ﷻ جمع بــين الآيــات وإنــزال الأرزاق لأن بإظهار الآيات قوام الأديان ، وبالأرزاق قوام الأبدان " [(2)] .

يقــول الإمام الرازي : " واعلم أن أهم المهمات رعاية مصالح الأديــان ، ومــصالح الأبدان ، فهو ﷻ راعى مصالح أديان العباد بإظهار البينات والآيات ، وراعى مصالح أبــدانهم بإنزال الرزق من السماء ، فموقع الآيات من الأديان كموقع الرزق من الأبدان ، فالآيات حيــاة الأديان والأرزاق حياة الأبدان ، وعند حصولهما يحصل الإنعام على أقوى الاعتبارات وأكمــل الجهات " [(3)] .

لذلك يَذكر المولى في كتابه الحكيم آيات كثيرة تُذكر الناس بنعمته عليهم ، فهو وحده الخالق وهو وحده الرازق ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر:3] .

يقول الإمام الرازي : " وهذه النعم مع كثرتها منحصرة في قسمين نعمة الإيجاد ونعمــة الإبقاء فقوله : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾ إشارة إلى نعمة الإيجاد في الابتداء.

وقوله تعالى : ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ﴾ إشارة إلى نعمة الإبقاء بالرزق إلى الانتهاء " [(4)].

يقول الإمام الألوسي : " لما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة الإيجاد ونعمة الإبقاء نفى سبحانه أن يكون في الوجود شيء غيره تصدر عنه إحدى النعمتين

---

(1) في ظلال القرآن (3072/5) .
(2) فتح القدير ، الشوكاني (576/4) .
(3) مفاتيح الغيب (26/4) .
(4) المرجع السابق(26/4) .

بطريق الاستفهام الذي هو لإنكار التصديق وتكذيب الحكم فقال ﷻ : ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ﴾ (1)
فأقام المولى الحجج على المشركين بتقرير التوحيد بتفرده بالخلق والرزق فقال –عز في علاه – : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ ...﴾ [سبأ:24] ، فهذا تبكيت وتوبيخ لمن لا يُعمل عقله ويتفكر في منعم هذه الأرزاق .

والمراد بذكر النعمة : ذكرها باللسان والقلب وشكر الله عليها بمعرفة حقها ، والاعتراف بها وطاعة مولاها ، واستعمالها فيما خلقت له ، فالسماء تفيض بالنعم والرزق ، ففي كل لحظة ينسكب من خيرات الله لعباده ، فسبحان الذي أعطانا النعم التي لا تعد ولا تحصى.

واختلف العلماء في المراد بالرزق النازل من السماء على عدة أقوال :

الأول : أنه المطر لأنه سبب الأرزاق .

الثاني : أنه عند الله الذي في السماء رزقكم وما قسمه الله لكم.

الثالث :أنه في السماء تقدير رزقكم (2) .

وترى الباحثة : أن رزق السماء لا ينحصر في المطر وحده ، فهو أوسع من ذلك فأشعة الشمس النازلة من السماء رزق أيضًا ، فهي التي تحيي الأرض بالحرارة والضياء ، وتسخير القمر والنجوم لمنافع العباد رزق ،وهناك أرزاق أخرى لا نعلمها مقدرة عند الله يقضيها لمن يشاء وكيف يشاء ، فالأصل أخذ معنى الرزق على عمومه ، وهذا ما يميل إليه الإمام الشوكانى حيث يقول :" الأولى حمل ما في الآية على ما هو أعم من هذه الأقوال فإن جزاء الأعمال مكتوب في السماء والقضاء والقدر ينزل منها والجنة والنار فيها " (3) .

حقائق تختص بالرزق النازل من السماء :

1- اليقين بأن الرازق هو الله : قال تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾ [الذاريات:58]

وقوله تعالى : ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:22] ، في هذه الآية " لفتة عجيبة فمع أن أسباب الرزق الظاهرة قائمة في الأرض ، حيث يكد فيها الإنسان ويجهد ، وينتظر من ورائها الرزق والنصب ، فإن القرآن يرد بصر الإنسان ونفسه إلى السماء ، إلى الغيب ، إلى الله ، ليتطلع هناك إلى الرزق المقسوم ، والحظ المرسوم ، أما الأرض وما فيها من أسباب الرزق الظاهرة فهي آيات للموقنين،آيات ترد القلب إلى الله ليتطلع إلى الرزق من فضله ، ويتخلص من أثقال الأرض وأوهام الحرص والأسباب الظاهرة للرزق ، فلا يدعها تحول بينه وبين التطلع إلى المصدر الأول الذي أنشأ هذه الأسباب ، والقلب

---

(1) روح المعاني : المجلد 12 (244/22) .

(2) انظر : (النكت والعيون) للماوردي (5/ 367 ،368) ، (فتح القدير) للشوكاني، (103/5) .

(3) فتح القدير (103/5) .

المؤمن يدرك هذه اللفتة على حقيقتها ويفهمها على وضعها ،ويعرف أن المقصود بها ليس هو إهمال الأرض وأسبابها فهو مكلف بالخلافة فيها وتعميرها ،إنما المقصود هو ألا يعلق نفسه بها وألا يغفل عن الله في عمارتها ، ليعمل في الأرض وهو يتطلع إلى السماء وليأخذ بالأسباب وهو يستيقن أنها ليست هي التي ترزقه ، فرزقه مقدر في الســماء وما وعده الله لا بد أن يكون " [(1)] .

2- **أن الله يبسط الرزق لمن يشاء** : قال تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشُّورى:12] ، فمن حكمة الله أن فارق بين العباد في أرزاقهم كما فارق بينهم في خلقهم وأخلاقهم "فهو يبسط ويوسع الرزق لمن يشاء ، ويضيق على من يشاء وله الحكمة والعدل التام" [(2)] .

3- **الرزق يكون من الطيبات** : ومن الرزق المبسوط للعباد الطيبات لقوله تعالى: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [غافر:64] ، وهذا شامل لكل طيب حلال من مأكل ومشرب وغير ذلك من الطيبات التي يسرها الله لعباده ويسر لهم أسبابها ،فهو خاص بعباده المؤمنين ، وهناك رزق عام يشمل المؤمن والكافر وهو رزق الأبدان، ولا يكون انبساط الرزق إلا إذا سعى الإنسان لتحصيله ، وأخذ بالأسباب ، ومن هذه الأسباب تقوى الله لقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطَّلاق: 2-3] والاستغفار والتوبة ، والتوكل على الله ، وصلة الرحم، والإنفاق في سبيل الله، وترك المعاصي والاستقامة على دين الله ، والعمل بالطاعة ، والإيمان بالله سبب للرزق لقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:96] ، أي لو كانت قرية آمنت لنفعها إيمانها ولوسعنا ويسرنا لهم خير السماء والأرض[(3)] .

ويقول الشيخ أبو بكر الجزائري : " بركات السماء : جمع بركة وهى دوام الخير وبقــاؤه ، والعلم والإلهام والمطر من بركات السماء " [(4)] .

4- **أن الله ينزل الرزق بقدر** : قال تعالى : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشُّورى:27] ، ينزل المولى الرزق لعباده بقدر محدود

---

(1) في ظلال القرآن ، سيد قطب (3381/6) .
(2) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير (114/4) .
(3) انظر : (تفسير القرآن العظيم) ابن كثير (261/2) ، (فتح القدير) للشوكاني ، (290/2) .
(4) أيسر التفاسير (209/2) .

على من يشاء حسب تدبيره لحياة عباده ، فيرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم وهو أعلم بذلك ، فيغني من يستحق الغنى ويفقر من يستحق الفقر، وهذا الرزق المقدر جعله الله لحكمة ذكرها بقوله : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ﴾ [الشورى:27]، فسبحانه يعلم أن عباده لا يطيقون الغنى إلا بقدر ، وأنه لو بسط لهم من الرزق وأعطاهم فوق حاجتهم لحملهم ذلك على البغي والفساد في الأرض .

يقول الإمام البقاعى : " لصاروا يريدون كل ما يشتهونه ، فإن لم يفعل سعوا في إنفاذه كالملوك بما لهم من المكنة بكل طريق يوصلهم إليه ، فيكثر القتل والسلب والنهب والضرب ونحو ذلك من أنواع الفساد " [(1)] ، وتقدير الرزق على العباد يدل على حكمة الله فهو خبير بصير بعباده .

أنواع الرزق النازل من السماء :

هناك أرزاق كثيرة نازلة من السماء سأذكر منها علي سبيل المثال لا الحصر: المائدة ، والمن والسلوى ، والمطر ، واللباس ، والحديد .

أولاً : إنزال المائدة :

قال تعالى : ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآَخِرِنَا وَآَيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة:114] ، فهذا دعاء عيسى ﷺ لإنزال مائدة من السماء إجابة لطلب أنصاره فقد قالوا : ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة:112] ، واستجاب المولى لدعاء نبيه وكان الرد الإلهي : ﴿قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ﴾ [المائدة:115] .

ومعنى المائدة : " الخوان إذا كان عليه طعام والمراد بها هنا الطعام " [(2)] .

وقد اختلف العلماء فيما نزل في المائدة ، والقول الفصل ما قاله الإمام الطبري " وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة ، بأن يقال : كان عليها مأكول ، وجائز أن يكون سمكاً وخبزًا ، وجائز أن يكون ثمرًا من ثمار الجنة ، وغير نافع العلم به ولا ضار الجهل به" [(3)] .

ثانياً- إنزال المن والسلوى :

قال تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ [طه:80] ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ

---

(1) نظم الدرر (629/6) .

(2) أيسر التفاسير، للجزائري (29/2) .

(3) جامع البيان في تأويل أي القرآن ، المجلد الخامس (165/7) .

وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة:57] .

لما ذكر المولى دفعه النقم عن بني إسرائيل شرع بتذكيرهم بما أسبغ عليهم من النعم ومن هذه النعم تظليل الغمام وإنزال المن والسلوى .

وفى معنى المن والسلوى ستة أقاويل :

الأول : "أن المن ما سقط على الشجر فيأكله الناس ، وهو قول ابن عباس .

الثاني : أن المن صمغة ، وهو قول مجاهد .

الثالث : أن المن شراب كان ينزل عليهم يشربونه بعد مزجه بالماء، وهو قول الربيع بن أنس

الرابع : أن المن عسل كان ينزل عليهم.

الخامس : أن المن الخبز الرقاق.

السادس : أنه الزنجبيل وهو قول السدى " [(1)] .

وترى الباحثة : أن المن اسم جامع لكل رزق حسن يحصل بلا تعب ،وهذا يشمل جميع الأقوال السابقة فمن المن الخبز والعسل و الزنجبيل والكمأة [(2)] .

وهذا ما ذهب إليه الإمام القرطبي حيث يقول : " المن مصدر يعم جميع ما من الله به على عباده من غير تعب ولا زرع ، ومنه قول رسول الله ﷺ في حديث سعيد بن زيد بن عمرو ابن نضيل : **(الكمأة من المن الذي أنزل الله على بنى إسرائيل وماؤها شفاء للعين)** [(3)] .

قال علماؤنا : وهذا الحديث يدل على أن الكمأة مما أنزل الله على بني إسرائيل أي مما خلقه الله لهم في التيه" [(4)] .

وفى السلوى قولان :

الأول :" أنه السمانى .

الثاني : أنه طائر يشبه السمانى كانت تحشره عليهم الريح الجنوب ، وهذا قول ابن عباس"[(5)].

---

(1) النكت والعيون ، للماوردي (124/1) .

(2) الكمأة : اسم للجمع أو للواحد ، وهي نبات فطري تشبه في شكلها البطاطا مع اختلاف اللون والرائحة ، ينمو في الصحاري تحت سطح الأرض بجوار جذور بعض أعشاب الصحراء، سميت كمأة لاستتارها ، فالكمأة مختفية تحت الأرض لا ورق لها ولا ساق ، انظر: (القاموس المحيط) للفيروز أبادي ص 51 (الأسرار العلمية بآيات القرآن الكريم والحديث النبوي) علي السكري ، ص 63 ،165.

(3) صحيح مسلم ، كتاب الأشربة ، باب فضل الكمأة ومداوة العين بها ، ص 1033 ، حديث (2049) .

(4) الجامع لأحكام القرآن ، المجلد الأول (331/1) .

(5) النكت والعيون ، للماوردي (124/1) .

ثالثاً : إنزال المطر:

قال تعالى : ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آَيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية:5] ، والرزق هنا بمعنى المطر لأنه سبب لكل ما يرزق .

يقول الإمام الطبري : " هو الغيث الذي به تخرج الأرض أرزاق العباد وأقواتهم " (1)، فبالمطر تحيا الأرض ، ومنه يرزق العباد الشراب العذب قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل:10] ، ويرزق بالثمار لقوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ [إبراهيم:32] .

رابعاً : إنزال اللباس :

قال تعالى : ﴿يَا بَنِي آَدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآَتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آَيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف:26] .

يقول الإمام أبو حيان : " وأنزلنا : قيل على حقيقته من الانحطاط من علو إلى سفل ، فأنزل مع آدم وحواء شيئاً من اللباس مثالاً لغيره ، ثم توسع بنوهما في الصنعة استنباطاً من ذلك المثال ، أو أنزل من السماء أصل كل شيء عند اهباطهما، أو أنزل معه الحديد فاتخذ منه آلات الصنائع ، أو أنزل الملك فعلم آدم النسيج ، أربعة أقوال ، وقيل الإنزال مجاز من إطلاق السبب على مسببه فأنزل المطر وهو سبب ما يتهيأ به من اللباس،أو بمعنى خلق كقوله : "وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج " (2) .

وقال الإمام الزمخشري:" جعل ما في الأرض منزلاً من السماء لأنه قضى ثم كتب"(3) .

ويقول الإمام البغوي :" إنما قال (أنزلنا) لأن اللباس إنما يكون من نبات الأرض والنبات يكون بما ينزل من السماء فمعنى(أنزلنا) أي أنزلنا أسبابه .

وقيل : كل بركات الأرض منسوبة إلى بركات السماء" (4) .

خامساً : إنزال الحديد :

قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:25] .

---

(1) جامع البيان في تأويل آي القرآن ، المجلد الثالث عشر (163/25).

(2) البحر المحيط (30/5).

(3) الكشاف (150/2) .

(4) معالم التنزيل (493/2) .

ورد ذكر الحديد في كتاب الله تعالى في خمس آيات متفرقات تشير إلى عنصر الحديد، فهو أكثر العناصر انتشاراً على الأرض وتبلغ نسبته (35.9%)، فالحديد من أهم المعادن التي منحها الله تعالى للأرض بأن أنزله عليها بحكمة ربانية لأهميته المركزية في خلق الحياة وتنامي الحضارة ، وهذه الآية الكريمة تؤكد أن الحديد قد أنزل إنزالاً كما أنزلت جميع صور الوحي السماوي وأنه يمتاز ببأسه الشديد ومنفعته للناس .

يقول الإمام الماوردي: في إنزال الحديد قولان :

الأول :" أن الله أنزله مع آدم ، روى عكرمة عن ابن عباس قال: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم : الحجر الأسود كان أشد بياضاً من الثلج ، وعصا موسى وكانت من أس الجنة طولها عشرة أذرع مثل طول موسى ، والحديد أنزل معه ثلاثة أشياء : السندان والكلبتان والميقعة وهي المطرقة.

والثاني: أنه من الأرض غير منزل من السماء ، فيكون معنى قوله : (وأنزلنا) محمولاً على أحد وجهين: **الأول:** أي أظهرنا .

الثاني: لأن أصله من الماء المنزل من السماء فينعقد في الأرض جوهرة حتى يصير بالسبك حديداً " [1] .

وهناك قول ثالث : "أن المراد بـ"أنزلناه" خلقناه ، كقوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزُّمر:6] ، وذلك أن أوامره تنزل من السماء وقضاياه وأحكامه " [2] .

وترى الباحثة : أن الله يمتن على عباده بإنزال جميع النعم التي ينعم بها عليهم فعامة الرزق منزل من عند الله سواء كان هذا الرزق مطراً ، أو لباسًا ،أو أنعامًا، أو حديدًا أوغير ذلك فخزائن ذلك عند الله لقوله : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر:21] ، وعلى هذا فالحديد مما أنزل الله من خزائنه أما عن كيفية الإنزال فالله تعالى أعلم بها ولكن نستيقن ونعلم أنه -جل شأنه- هو الذي ينزل هذه الخيرات وهذا النزول حقيقي في كل هذه الأمور ، وهذا ما تؤكده الحقائق العلمية.

الحقائق العلمية التي تثبت نزول الحديد من السماء :

يقول الدكتور زغلول النجار :" لجأ كل المفسرين إلى تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ بمعنى الخلق والإيجاد والتقدير والتسخير ، لأنه لما كانت أوامر الله تعالى وأحكامه تلقى من السماء إلى الأرض جعل الكل نزولاً فيها ، وهو صحيح ، ولكن في أواخر القرن

---

(1) النكت والعيون (483/5) .

(2) الكشاف ، للزمخشري (349/4) .

العشرين ثبت لعلماء الفلك والفيزياء الفلكية أن الحديد لا يتكون في الجزء المدرك من الكون إلا في مراحل محددة من حياة النجوم تسمى بالعماليق الحمر ، والعماليق العظام ، والتي بعد أن يتحول لبها بالكامل إلى حديد تنفجر على هيئة المستعرات العظام ، وبانفجارها تتناثر مكوناتها بما فيها الحديد في صفحة الكون فيدخل هذا الحديد بتقدير من الله في مجال جاذبية أجرام سماوية تحتاج إليه مثل أرضنا الابتدائية التي وصلها الحديد الكوني وهي كومة من الرماد فاندفع إلى قلب تلك الكومة بحكم كثافته العالية وسرعته المندفعة بها فانصهر بحرارة الاستقرار في قلب الأرض وصهرها ، ومايزها إلى سبع أرضين وبهذا ثبت أن الحديد في أرضنا ، بل في مجموعتنا الشمسية بالكامل قد أنزل إليها إنزالاً حقيقياً ففي كل عام تصل النيازك الحديدية إلى أرضنا بملايين الأطنان " (1) .

ويقول سليمان الطراونة :" أن النجوم التي تصل إلى مرحلة النضج في دمجها النووي لتصنع الحديد، تنهار داخلياً محدثة انفجاراً ينتج عنه نيازك وكويكبات مشبعة بالحديد ، وبسبب تلك الانفجارات تخلقت نيازك وكويكبات لتغزو المجموعات الشمسية الأخرى ومنها مجموعتنا، وبذلك أنزل الحق –سبحانه وتعالى– الحديد على الأرض كالأمطار من تلك النيازك ، ومن المدهشات أن عدداً من النيازك الشهيرة والكبيرة التي ما زالت تتساقط على الأرض تحتوي علي نسبة عالية من الحديد وهي مشهورة ومذكورة في أماكن عديدة كالأسكا وسيبيريا وغيرها، ... فالحديد المدهش في اتصاله بالقوة جسدياً وعسكرياً وحضارياً أنزله الله على الأرض قبل تشكلها ، ليشكل نسبة كبيرة من نواة الأرض وصهارها الذي تحت القشرة الأرضية ليكون باطن الأرض مستودعاً لا ينضب من مادة الحديد التي يقوم عليها جسد الإنسان في أهم مكوناته وحضارة الإنسان من جانبها القوي ، فكأن الإنسان والأرض وجهان لحقيقة كونية واحدة ولله في خلقه شئون " (2).

ولنزول الحديد حكم ذكرها المولى في قوله : ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ ، وقوله: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ ، ولو تأملنا لوجدنا أن الحديد من أساس ما يعتمد عليه الإنسان في حياته للحرث في الزراعة ،كالفأس والمنشار وسائر الأدوات والآلات ، فميزة الحديد مهمة ولاسيما أثناء القتال في الجهاد لقوله تعالى : ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ ، فالله تعالى أنزل الكتاب وأنزل الميزان وأنزل الحديد ، أي أنزل الحق الذي يجب أن تعلمه الأفهام والعقول السليمة ، وأنزل الحديد ليروع العقول المنحرفة والقلوب المريضة والميتة ليردها إلى الحق ، فالحديد من أعظم نعم الله ولا غرابة أن يختص بالذكر.

---

(1) مقال : تفسير آية الحديد ، (الشبكة العنكبوتية) ، www.elnaggarzr.com

(2) الإعجاز العلمي في القرآن (الكون والماء) ، ص27 .

يقول الإمام الماوردي :" قوله : ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ **فيه وجهان :**

الأول : لأن بسلاحه وآلته تكون الحرب التي هي بأس شديد .

الثاني : لأنه فيه من خشية القتل خوفاً شديداً .

وقوله : ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ **يحتمل وجهين :**

الأول : ما تدفعه عنهم دروع الحديد من الأذى وتوصلهم إلى الحرب والنصر .

الثاني: ما يكف عنهم من المكروه بالخوف عنه " (1) .

ويبين المولى الحكمة من إنزال الحديد بقوله : ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ [الحديد:25] ، "أي من الحكمة من إنزال الحديد أن يعلم الله من ينصره أي ينصر دينه ورسله بالجهاد معهم والوقوف إلى جانبهم وهم يبلغون دعوة ربهم بالغيب أي وهم لا يشاهدون الله تعالى بأعينهم وإن عرفوه بقلوبهم " (2) .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- عرض الرحمن – تبارك وتعالى – رحمته ورزقه على العباد ، ولم يطلب منهم أكثر من الإيمان والتقوى .

2- بيان الحكمة من تقدير الأرزاق وإعطائها للناس بمقادير محددة فلو بسط الرزق على العباد لفسدوا في الأرض وفي ذلك دليل على حكمة الله فهو بصير خبير بعباده ، وهذا مظهر من مظاهر قدرة الله وحكمته الموجبة لربوبيته المستلزمة لعبادته.

3- إنزال المن والسلوى على بني إسرائيل ليشكروا الله .

4- إنزال المائدة فيه دلالة على صدق عيسى –عليه السلام- .

5- شكر الله على نعمة الماء لا يقتصر على اللسان بل يتعداه إلى الشكر بحسن التصرف فيه وحسن استغلاله، فقد جاء النهي عن الإسراف به ، قال تعالى: ﴿...كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:31] .

6- عند نزول الماء من السماء تخزنه الجبال بكميات هائلة ثم يصرف بإذن الله شيئاً فشيئاً على مدى أزمنة متطاول ، و لعل خروجه بهذه الصورة المنتظمة تدريبُ على سلوك مبدأ النظام وترشيد استهلاك الماء تعلمنا إياه سنن الله الكونية.

7- أن المباح من الرزق هو الطيب لقوله تعالى : ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة:57] .

8- إذا أنعم الله على الإنسان بنعمة ينبغي أن يتبسط بها ولا يحرم نفسه منها، ويبتعد عن أكل الخبيث ، والخبيث نوعان خبيث لذاته وخبيث لكسبه ، فالخبيث لذاته كالميتة والخنزير والدم

(1) النكت والعيون (483/5) .

(2) أيسر التفاسير ، أبو بكر الجزائري (277/5) .

وما أشبهها ، وهو محرم على جميع الناس ، أما الخبيث لكسبه فمثل المأخوذ عن طريق الغش أو الربا أو الكذب وما أشبه ذلك وهذا محرم على مكتسبه وليس محرماً على غيره إذا اكتسبه منه بطريق مباح .

9- أن يعد المجاهدون ما استطاعوا من قوة لإرهاب عدو الله باستخدام ما سخره الله لهم من حديد ليكون رادعاً لمن أبى الحق ، فقوله تعالى : ﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالغَيْبِ﴾ [الحديد :25] ،إشارة إلى الجهاد بالسلاح.

10- أن الحديد نزل لمنافع الناس لذا يجب أن يحسن المسلم استخدام السلاح المصنوع منه بالخير لا أن يرفعه بوجه أخيه المسلم .

المطلب الثاني : نعمة إنزال الجند من السماء :

لله جنود في السماء ينزلها متى يشاء، لينصر بها عباده الأتقياء، ويهزم الكافرين الرافضين دعوة رب السماء، والجنود تشمل الملائكة وغيرها من المخلوقات التي لا يعلم عددها إلا الله ، قال تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدَّثر:31] ، وهناك جنود أخرى لم نرها كالملائكة، قال تعالى : ﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة:26] ، فقد سخرها المولى لنصرة أهل الحق .

وقد جعل الله للجند نزولين:

الأول : للرحمة ونصرة المؤمنين ،وتمثل ذلك بإرسال جنود من الملائكة، والماء الطهور، والسكينة ، والنعاس ، وجنود أخرى لم نرها ولا يعلمها إلا الله .

والثاني : للعذاب وعقاب الكافرين ،ويشمل ذلك إنزال الصيب والرجز والحسبان والريح و الكسف والحجارة والصيحة والصاعقة والشواظ والشهب ، وسيرد الحديث عن هذه الجنود التي عاقب الله من خلالها الأقوام الظالمة في المبحث الذي بعنوان " العقوبات النازلة من السماء" .

أما حديثي في هذا المقام فسيكون عن الجنود التي أنزلها الله لنصرة المؤمنين ، ومعركة بدر شاهدةُ على نزول جنود الله ومحاربتها معهم ،فقد تجلت معية الله لعباده في معركة بدر، حيث أيد المجاهدين بجنود من عنده.

يقول الدكتور عبد الرحمن الجمل : "وظهر فيها تدبير الله تعالى وإدارته للمعركة بإمداده المؤمنين بالملائكة تقاتل معهم ، وتغشية المؤمنين بالنعاس أمنه منه ، وإنزاله الماء من السماء ليطهر المؤمنين به ويذهب عنهم رجز الشيطان ، ويربط على قلوبهم ويثبت به الأقدام، وإيحاء الله للملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ، ومشاركة الملائكة في قتل المشركين ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:12] ، وتسديد

رمية النبي ﷺ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال:17] ، وقد أرى الله نبيـــه المشركين في منامه قليلاً ، وأرى الله الكافرين في أعين المؤمنين قليلاً ، وأرى الله المؤمنيـــن فـــي أعيـــن الكافريـــن قليلاً ، فلمـــا التقت الفئتان رأى الكافرون المؤمنين مثليهم رأى العيـــن ، والله يؤيـــد بنصـــره من يشـــاء ، كل ذلك كرامات أيد الله بها المؤمنين يوم الفرقان" [1] .

وسأتحدث بشيء من التفصيل عن بعض جنود الله النازلة من السماء :

أولاً : الملائكة :

أنزل الله ﷻ ملائكته بالحق لقوله تعالى : ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر:8] ، إما للعذاب وإما للرحمة وإنزال الرسالة ،" وأما إنزالها على الرسل فبالحق من الأقوال ، وأما على المنذرين فبالحق من الأفعال من الهلاك والنجاة " [2] .

وقد أنزل الله في معركة بدر ملائكته استجابة لدعاء نبيه ﷺ وأوليائه الصالحين ، قال تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:9] .

سبب نزول الآية :

" عن عمر بن الخطاب قال : نظر نبي الله ﷺ إلى المشركين ، وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، فاستقبل القبلة ثم مد يده وجعل يهتف بربه : "اللهم أنجز ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداءه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه، وألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك" [3] ، فأنزل الله تعالى قوله تعالى : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:9] .

والمعنى : واذكروا نعمة الله عليكم يوم بدر إذ تطلبون النصر من عدوكم ، فاستجاب الله لدعائكم قائلاً : إني ممدكم بألف من الملائكة من السماء يتبع بعضهم بعضاً ، وما جعل الله ذلك الإمداد إلا بشارة بالنصر ، ولتسكن به قلوبكم وتوقنوا بنصر الله وما النصر إلا من عند الله ، لا بشدة بأسكم وقواكم ، إن الله عزيز في ملكه حكيم في تدبير شرعه ، وقوله : ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾ ، لئلا يتوهم أن النصر من قبل الملائكة ، فالملائكة جنود لتنفيذ أمر الله ، أوحى الله إليهـــم أنـــي معكـــم أعينكـــم وأنصركم فقووا عزائم الذين آمنوا ، وسألقي في قلوب الذين

---

(1) آيات الرحمن في معركة الفرقان ،(الشبكة العنكبوتية) .www.paldf.net

(2) نظم الدرر ، للبقاعي (206/4).

(3) أسباب النزول ، للسيوطي ، ص 192 .

كفروا الخوف الشديد ، والذلــة والصغــار فاضربــوا رؤوس الكفــار واضربوا منهم كل طرف ومفصل [1].

وقد اختلف في قتال الملائكة مع المؤمنين على قولين :

أحدهما :"لم يقاتلوا وإنما نزلوا بالبشرى لتطمئن به قلوبهم ،وإلا فملَــك واحــد يهلــك جميــع المشركين كما أهلك جبريل قوم لوط .

والثاني: أن الملائكة قاتلت مع النبي ﷺ كما روى ابن مسعود أنه سأله أبو جهل من أين يأتينـــا الضرب ولا نرى الشخص قال: من قِبل الملائكة ، فقال : هم غلبونا لا أنتم" [2] .

وترى الباحثة : أن الرأي الثاني أولى لوجود قرينة وهي حديث ابن مسعود ، ولقول الله ﷻ لملائكته : ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:12] .

وقول ابن عباس : (بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذا سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم [3] إذ نظر على المشرك أمامه فخر مستلقياً ،قال:فنظر إليه فإذا هو قد خُطم وشق وجهه كضربه السوط ، فجاء الأنــصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ قال: صدقت ،ذلــك من مدد السماء الثالثة فقتــل يومئــذ ســبعون وأسروا سبعون) [4] .

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في غــزوة بــدر **(هــذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب)** [5].

وقد حاربت الملائكة في غزوة الأحزاب ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب:9] ، والمراد بالجنود هنا الملائكة .

---

(1) انظر : (التفسير الميسر) ، جماعة من علماء التفسير (المكتبة الشاملة) (180/3) .

(2) النكت والعيون (299/2) .

(3) حيزوم : هو اسم فرس الملك ، الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي (369/4) .

(4) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة ص 889 ، حديث (1763).

(5) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب شهود الملائكة ، ص833 ،حديث (3995) .

وفي سيرة ابن هشام :"عن ابن عباس ﷺ قال : كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها علي ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمراً ،إلا جبريل عليه السلام فإنه كانت عليه عمامة صفراء " [1].

وإفراد الإمام البخاري باباً في صحيحه بعنوان : **(باب شهود الملائكة بدراً)** ، وذكر الأحاديث التي تثبت مشاركة الملائكة في القتال مع المؤمنين لدليل آخر يؤيد الرأي الذي رجحته الباحثة ، فهذا حديث انفرد بإخراجه الإمام البخاري : **عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال : (جاء جبريل على النبي ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال: من أفضل المسلمين ، قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة)** [2].

"وهذا يدل على أن شرف المخلوقات ليس بالذوات وإنما هو بالأفعال، فالملائكة أفعالها الشريفة من المواظبة على التسبيح الدائم ولنا أفعالنا بالإخلاص والطاعة، وتتفاضل الطاعات بتفضيل الشرع لها، وأفضلها الجهاد، وأفضل الجهاد يوم بدر لأن بناء الإسلام كان عليه " [3].

وهناك روايات كثيرة مفصلة عن الملائكة في يوم بدر عن عددهم وطريقة مشاركتهم في المعركة ، وما كانوا يقولون للمؤمنين مثبتين ،وما كانوا يقولون للمشركين مخذلين ، ولكن نكتفي بما ورد في الآية بأن عددهم ألف وعملهم التثبيت والضرب فوق الأعناق وكل بنان .

وقد ثبت في الصحاح **(أن جبريل جاء للرسول ﷺ بعد رجوعه من الخندق وقد وضع سلاحه واغتسل فأتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض رأسه من الغبار ، فقال للرسول : وضعت السلاح ، والله ما وضعناه ، أخرج إليهم ، فقال رسول الله ﷺ : فأين ؟ فأشار إلى بني قريظة)**[4] .

وهذا الإنزال للملائكة لتأييد المؤمنين والقتال معهم لم يكن مقصوراً على أهل بدر وحدهم، بل هو عام في كل وقت ولكل فئة أخلصت لله ، وصدقت في جهادها لرفع كلمة التوحيد.

---

(1) السيرة النبوية : لابن هشام (245/2) .

(2) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب الإمداد بالملائكة ص 889 ، حديث (1763).

(3) الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي المجلد الرابع (269/7) .

(4) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحق على حكم حاكم عدل الحكم ، ص 892 ، حديث (4489)

وهاهي معركة غزة "معركة الفرقان" تتجلى فيها معية الله وتأييده للمجاهدين، بل للناس أجمعين، فقد أكرم الله تعالى المجاهدين بكرامات تثبيتاً لهم وربطاً على قلوبهم فلا غرابة في ذلك لأن الله وعد المؤمنين النصر المؤزر.

يقول الدكتور عبد الرحمن الجمل : " وقد تحدث المجاهدون في أرض المعركة عن كرامات حصلت معهم ثبت الله بها أفئدتهم وربط على قلوبهم ، وأولى هذه الكرامات صمود وثبات المجاهدين في الميدان والطائرات من فوقهم ترميهم بحممها،والدبابات تقذفهم بنيرانها وهم في أماكنهم غير وجلين ولا خائفين، وكأني بأهل غزة وقد جاءهم يهود من فوقهم ومن أسفل منهم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وظن بعض الناس بالله الظنونا وقد ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً، وقد انقطعت عنهم أسباب الأرض وبقي سبب السماء، فاستغاثوا ومن ورائهم أبناء الأمة ربهم القوي العزيز بقلوب صادقة مخلصة منيبة ، فاستجاب لهم ربهم وأمدهم بمدد من عنده ، والمؤمن الصادق لا يستغرب ذلك ولا ينكر الكرامات وذلك أن معارك المسلمين التي خاضوها في تاريخهم الطويل فيها من القصص ما يؤيد ويصدق ما سمعنا في معركة الفرقان" [(1)] .

ومن هذه الكرامات :

1- صياح ديوك غزة في كل مكان من القطاع طوال ليل العدوان بصوت عال دون خشية لأصوات القنابل والصواريخ خاصة في أوقات الفجر وما قبله.

فصوت الديكة الذي كان يجلجل عالياً دليل على وجود الملائكة ، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكاً ، وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فإنه رأى شيطاناً)** [(2)] .

فقد نزلت الملائكة لتثبت المجاهدين وتربط على قلوب المؤمنين الذين خاضوا حرباً دامت اثنين وعشرين يوماً ، موقعة نحو 1600 شهيد و 5300 جريح نصفهم من النساء والأطفال الأبرياء ، فلكم الله يا أهل غزة وأيدكم بنصره.

2- أكد مقاومون فلسطينيون أن الله أنزل إليهم جنداً من السماء لمؤازرتهم فأنزل الضباب الكثيف الذي مكنهم من زرع وتفجير العبوات الناسفة في آليات الاحتلال العسكرية دون أن يروهم.

---

(1) آيات الرحمن في معركة الفرقان ، (الشبكة العنكبوتية) ، www.paldf.net

(2) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب خير مال المسلم غنم يتبع شعب الجبال ، ص 631 ، حديث (3303) .

3- ونقل شهود عيان أن منصات الصواريخ كانت أمام كاميرات طائرات الاستطلاع الإسرائيلية دون أن ترصدها،وأقسم آخرون سماعهم لصوت خيل يجاهد بمعيتهم، وقصف يستهدف مقاومين دون أن يصيبهم بأذى.

4- ويروي طبيب فلسطيني قائلاً:" استوقفنا ذات مرة جنود الاحتلال ونحن ذاهبون لانتشال جريح شمال غزة ، وأخذوا يطلقون الرصاص حول أقدامنا دون توقف، سألناهم لماذا تفعلون ذلك؟ لا صواريخ معنا ولا مدافع ، فأجاب أحدهم بلكنة عربية مكسرة: أنتم ترتدون الزى الأبيض، أنتم ملائكة تحاربون مع حماس .

5- ويروي المجاهدون أنهم شاهدوا بأم أعينهم خيالاً يقاتل معهم ويقول الله أكبر وأصوات تقول بأعلى الصوت الله أكبر فذهبوا للمكان فلم يجدوا أحداً ، ولكنهم سمعوا الأصوات من أماكن غيرها فذهبوا أيضاً ولم يجدوا أحداً.

وفي الوقت نفسه ذكر أحد المجاهدين أنه كان في حالة اشتباك مع العدو الإسرائيلي فشعر بأحد يقاتل معه ويقول له الله أكبر أنتم المنتصرون وهم المندحرون الله أكبر ولكن كان يسمع صوته سمعاً ولم يشاهده" (1) .

6- يقول الدكتور عبد الرحمن الجمل : " ومن هذه الكرامات ما حدثنا به من رأى بعينه من المجاهدين أنه قصف أحد المنازل بقذيفة اشتعلت فيه ناراً عظيمة توشك أن تمتد إلى البيوت المجاورة فتلتهمها النار، فوقف أحد المجاهدين يناجي ربه ويدعوه باكياً: يا من جعلت النار برداً وسلاماً على إبراهيم أطفئ النار بقدرتك ، فلم يمضِ سوى ثلاث دقائق فإذا بالنار تنطفئ فأجهش المجاهدون بالبكاء لأنهم شعروا بتأييد الله تعالى واستجابته دعائهم ، ويقول : أخبرني أحد القادة الميدانيين أن المجاهدين قد رأوا دبابتين انفجرتا واشتعلت النيران فيهما، قال: ولما ذهبنا بعد اندحار يهود إلى المكان وجدنا العبوتين اللتين في مكان انفجار الدبابتين لم تنفجرا، وقد أخبرنا عن أحد المجاهدين في رباطه عند عبوة أرضية قال:والقذائف تتساقط من حولي وقد أصبحت في مواجهة الدبابات فقلت في نفسي:أنسحب إلى مكان أكثر أمناً، وإذا بي أسمع صوتاً يقول لي:اثبت في مكانك فمكثت في مكاني والسكينة تملأ قلبي ،وقد أكرمني الله بتدمير دبابة، وقال أحد المجاهدين : كنت إذا صوبت القذيفة تجاه الهدف الذي أريده شعرت بمن يسدد تصويبي إلى اليمين أو الشمال قليلاً " (2) .

وما كان هذا التأييد وإنزال الملائكة جند السماء إلا ليزداد أهل غزة يقيناً وثقة أنهم على الحق ، وأنهم على خطى الحبيب المصطفى ﷺ ولو كره الكافرون.

---

(1) إسرائيل ترد على روايات مشاركة الملائكة في معركة غزة بظهور راحيل : أحمد إبراهيم ،(الشبكة العنكبوتية) www.moheet.com

(2) آيات الرحمن في معركة الفرقان ، (الشبكة العنكبوتية) ، www.paldf.net

ثانياً : إنزال النعاس :

قال تعالى : ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾ [الأنفال:11] .

المعنى الإجمالي :

يُذكر المولى –جل وعلا– المؤمنين في بدر بما أنعم عليهم من إلقائه النعاس عليهم أماناً أمنهم به من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم،وخوفهم من لقاء العدو والمهابة ، وكذلك فعل الله تعالى بهم يوم أحد كما قال تعالى : ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ...﴾ [آل عمران:154] ، فقصة النعاس الذي غشي المسلمين قبل المعركة هي قصة حالة نفسية عجيبة لا تكون إلا بأمر الله وقدره وتدبيره، فقد فزع المسلمون وهم يرون أنفسهم قلة في مواجهة خطر لم يحسبوا حسابه ولم يتخذوا له عدته ، فإذا النعاس يغشاهم ثم يستيقظون منه والسكينة تغمر نفوسهم والطمأنينة تضفي على قلوبهم [(1)] .

وفي امتنان الله عليهم بالنوم في هذه الليلة وجهان:

أحدهما : "قواهم بالاستراحة على القتال من الغد.

الثاني : أن أمنهم بزوال الرعب من قلوبهم ،كما قال : الأمن منيم، والخوف مسهر ، وقوله تعالى : **(أَمَنَةً منه)** يعني به الدعة وسكون النفس من الخوف ، **وفيه وجهان :**

أحدهما : أمنة من العدو.

الثاني : أمنة من الله ﷻ " [(2)] .

يقول الإمام الرازي: "واعلم أن كل نوم ونعاس لا يحصل إلا من قبل الله تعالى فتخصيص هذا النعاس بأنه من الله لابد فيه من مزيد فائدة ، وذكروا في ذلك وجوهاً منها:

1- أن الخائف إذا خاف من عدوه فإنه لا يأخذه النوم ، وإذا نام الخائفون أمنوا ،فصار حصول النوم لهم في وقت الخوف الشديد ،يدل على إزالة الخوف وحصول الأمن.

2- أنهم ما ناموا نوماً غرقاً يتمكن مع العدو من مفاجئتهم، بل كان ذلك نعاساً يزول معه الإعياء والكلال، ولو قصدهم العدو في هذه الحالة لعرفوا وصوله ، ولقدروا على دفعه.

3- أنه غشيهم هذا النعاس دفعة واحدة مع كثرتهم ، ومحصول النعاس للجمع العظيم في الخوف الشديد أمر خارق للعادة ، فلهذا السبب قيل: إن ذلك النعاس كان في حكم المعجز"[(3)].

---

(1) انظر : (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (323/2) ، (في ظلال القرآن) لسيد قطب (1484/3) .

(2) النكت والعيون ، للماوردي (300/2) .

(3) مفاتيح الغيب (132/15).

ثالثاً : إنزال الماء الطهور :

قال تعالى : ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾ [الأنفال:11] .

المعنى الإجمالي:

سبق الكفار يوم بدر المؤمنين على ماء بدر فنزلوا عليه وبقي المؤمنون لا ماء لهم ، فوجست نفوسهم وعطشوا وأجنبوا وصلوا كذلك، فقال بعضهم في نفوسهم بإلقاء الشيطان إليهم : تزعم أنا أولياء الله وفينا رسوله وحالنا هذه والمشركون على الماء ، فأنزل الله المطر ليلة بدر السابعة عشرة من رمضان حتى سالت الأودية، فشرب المسلمون وتطهروا وأذهب الله عنهم رجز الشيطان ، وثبت الرمل حين أصابه المطر، وثبت فيها أقدام المسلمين وقت القتال (1) .

يقول الأستاذ سيد قطب: " كانت هذه الحالة التي يذكر الله بها العصبة التي شهدت بدراً ، والمدد على هذا النحو مدد مزدوج :مادي وروحي، فالماء في الصحراء مادة الحياة ، فضلاً على أن يكون أداة النصر ، والجيش الذي يفقد الماء في الصحراء يفقد أعصابه قبل أن يواجه المعركة ، ثم هذه الحالة النفسية التي صاحبت الموقف ووسوس بها الشيطان ! حالة التحرج من أداء الصلاة على غير طهر لعدم وجود الماء- ولم يكن قد رخص لهم في التيمم بعد ، فقد جاء هذا متأخرًا في غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة- وهنا تثور الهواجس والوساوس ويدخل الشيطان من باب الإيمان ليزيد حرج النفوس ووجل القلوب ! والنفوس التي تدخل المعركة في مثل هذا الحرج وفي مثل هذا القلق تدخلها مزعزعة مهزومة من داخلها، وهنا يجيء المدد الروحي وتجئ النجدة،ويتم المدد الروحي بالمدد المادي وتسكن القلوب بوجود الماء وتطمئن الأرواح بالطهارة وتثبت الأقدام بثبات الأرض وتماسك الرمال" (2) .

رابعاً : إنزال السكينة :

قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَللهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح:4] .

المعنى الإجمالي :

"يخبر تعالي عن منته على المؤمنين بإنزال السكينة في قلوبهم ، وهي السكون والطمأنينة

---

(1) انظر : (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي المجلد الرابع (267/7) ، (في ظلال القرآن) سيد قطب (484/3).

(2) في ظلال القرآن (1485/3) .

والثبات عند نزول المحن المقلقة والأمور الصعبة التي تشوش القلـوب، وتـزعج الألبـاب ، وتضعف النفوس، فمن نعمة الله على عبده في هذه الحال أن يثبته ويربط على قلبـه ، وينـزل عليه السكينة ،ليتلقى هذه المشقات بقلب ثابت ونفس مطمئنة، فيسعد بذلك لإقامة أمر الله في هذه الحال، فيزداد بذلك إيمانه، ويتم إيقانه" [1] .

وفي السكينة عدة وجوه :

الأول : الرحمة.

الثاني: الأمن والطمأنينة

الثالث: أنها الوقار.

الرابع: أنها شيء يسكن الله به قلوبهم، والكل من السكون [2] .

"والتعبير بالإنزال عن السكينة إشعار بعلو شأنها حتى لكأنها كانت مودعة في خـزائن رحمة الله تعالى ثم أنزلها بفضله في قلوبهـم بعد ذلك ليزدادوا يقيناً على يقينهم وثباتـاً علـى ثباتهم" [3] .

والسكينة جند من جنود الله ينزلها الله على عباده وقت المحن والبلاء ،فقد أنزلها المولى يوم حنين حين قاتل المؤمنون قبيلة هوازن ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِينَ﴾ [التوبة:26] .

وأنزلها يوم الحديبية على الذين استجابوا لله ولرسوله وانقادوا لحكمه في بيعة الرضوان قـال تعالـى : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:18] .

وأنزلها عليهم أثناء الهجرة إلى المدينة المنورة ، قال تعالى : ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:40].

وأنزلها على مجاهدي غزة في معركة الفرقان "حيث كانوا يكمنون في بيت والقـذائف تتساقط من حولهم وهدير الدبابات وأزيز الرصاص يملأ المكان ، وقـد اعتـرى أحـد أفـراد المجموعة ما يعتري البشر من الخوف والرهبة ،فخشينا أن نؤتى من قبله ،وفـي لحظـات وإذا

---

(1) تيسير الكريم الرحمن في تفسير المنان ، السعدي ص108، 791 .

(2) انظر: (النكت والعيون) للماوردي (311/5) ، (مفاتيح الغيب) للرازي (80/28)،(الجامع لأحكام القـرآن) للقرطبي ،المجلد الثامن (190/16) .

(3) تفسير الوسيط ، وهبة الزحيلي (452/3) .

بمن شعر بالخوف تملأ السكينة قلبه ،وطفق يقودنا للتصدي للدبابات المتوغلة حتى مكننا الله من تفجير بعضها ، فسبحان من أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ، ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً " [1] .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- تقرير عقيدة نزول الملائكة وأنهم عباد الله يسخرهم في فعل ما يشاء ومتى شاء.

2- الحكمة من إنزال الملائكة للقتال مع المؤمنين رغم قدرة الله على إنزال مَلك واحد يهزم به قوة الشرك هي شعور المؤمنون بأن لهم في جهادهم أعواناً على طاعة الله ، فتشريع الله لعباده الجهاد والقتال فيه من الحكم البالغة والحجج القاطعة ولهذا قال – جلَّت عظمته– "وكان الله عليماً حكيماً".

3- الأخذ بالأسباب والاستغاثة بالله عند ملاقاة الأعداء موجبة لإنزال الله جنوده من السماء لينصر عباده الذين رفعوا للتوحيد لواء.

4- نزول النعاس في غزوة بدر وغزوة أحد فيه إشارة إلي أن الله ينزل النعاس على المؤمنين عند الشدة والبأس لتكون قلوبهم آمنة مطمئنة بنصر الله وهذا من فضل الله ورحمته.

5- إنزال الجنود من السماء دليل على نعمة الله على عباده وتأييده لهم وهذا يوجب الشكر، والشكر يوجب المغفرة وزيادة الإنعام.

المطلب الثالث : نعمة إنزال الكتب من السماء :

بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، يبشرون الناس بالجنة وينذرونهم النار ، وأنزل عليهم كتباً كثيرة تضم شريعته ودينه الحق ، وإنزال الكتب من السماء ركن من أركان الإيمان ، يوجب على المسلم أن يصدق تصديقاً جازماً بأن الله تعالى أنزل كتباً على من شاء من رسله وأنبيائه، فيها الأخبار والقصص والمواعظ والأوامر والنواهي والوعد والوعيد ، واشتملت كذلك على الإيمان بالله تعالى وتوحيده وتسبيحه والثناء عليه ، كما اشتملت على أركان الإيمان والإسلام، وعلى ذكر الحلال والحرام ، والواجب علينا أن نؤمن بهذه الكتب .

يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي :" وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه ، من التوراة والإنجيل و الزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى" [2] .

---

(1) آيات الرحمن في معركة الفرقان ، عبد الرحمن الجمل ، (الشبكة العنكبوتية)، www.paldf.net

(2) شرح العقيدة الطحاوية ، ص 312 .

قال تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:136] .

المعنى الإجمالي :

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين يرشدهم فيه إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد ﷺ ويدعوهم لإعلان الوحدة الكبرى للدين ، من لدن إبراهيم أبي الأنبياء إلى عيسى بن مريم عليه السلام إلى دين الإسلام ، ودعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بهذا الدين الواحد .

وذكر المولى في سياق الآية الكتب التي أنزلها على أنبيائه ، فذكر ما أنزل على محمد ﷺ وهو القرآن ، وما أنزل على إبراهيم عليه السلام وهي الصحف العشرة ، وما أنزل على إسماعيل ويعقوب والأسباط ، وهم حفدة يعقوب ذراري أبنائه الاثنى عشر وهم الأنبياء من ولد يعقوب ، وما أنزل على موسى وهي التوراة ، وما أنزل على عيسى وهو الإنجيل ، والكتب التي أتى النبيون كلهم على منهاج الله في الدعاء إلى توحيد الله والعمل بطاعته ، ونشهد لجميعهم أنهم كانوا رسل الله وأنبياءه بعثوا بالحق والهدى لا نفرق بينهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى [1] .

وبهذا يجب الإيمان بعموم الكتب النازلة من السماء ، وكذلك الإيمان بخصوصها التي أنزلها الله على أنبيائه على وجه التفصيل ، وهذا ما سيتم ذكره فيما يلي .

الكتب النازلة من السماء كما ذكرها القرآن الكريم :

أولاً : صحف إبراهيم :

وهي الصحف التي نزلت على سيدنا إبراهيم عليه السلام ولا يوجد لهذه الصحف أي مرجع سوى القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: 18-19] .

وما ورد في سنة المصطفى ﷺ : عن أبي ذر رضي الله عنه قال: **(قلت : يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم ؟ قال : كانت أمثالاً كلها : أيها الملك المسلط المبتلى المغرور إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم ، فإني لا أردها وإن كانت من كافر ، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون ساعات ، فساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر فيها في صنع الله عز وجل ،**

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل آي القرآن) للطبري ، المجلد الأول (720/1) ، (الكشاف) للزمخشري (180/1) ، (في ظلال القرآن) لسيد قطب (118/1) .

وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب ، وعلى العاقل ألا يكون ظاعناً – مرتحلاً – إلا لثلاث : تزود لمعاد ، أو لمعاش، أو لذة في غير محرم ، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه حافظاً للسانه ، ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه .

قلت: يا رسول الله فما كانت صحف موسى ﷺ ، قال: كانت عبراً كلها ، عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح ، عجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك ،عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب – يتعب – ، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم اطمأن إليها ، عجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم لا يعمل) [1] .

ثانياً : الزبور :

اسم الكتاب الذي أنزله على داوود ﷺ ، قال تعالى : ﴿... وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [الإسراء:55] .

يقول الإمام القرطبي :" الزبور كتاب داوود وكان مائة وخمسين سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود وإنما هو دعاء وتحميد وتمجيد وإنما هي حكم ومواعظ ... وكان داوود حسن الصوت ، فإذا أخذ في قراءة الزبور اجتمع إليه الإنس والجن والطير والوحوش لحسن الصوت " [2] .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ:10] ، والفضل الذي أعطاه الله هو النبوة و الزبور والعلم والقوة وتسخير الجبال والحكم بالعدل وإلانة الحديد والصوت الحسن ، وداوود ﷺ أرسل إلى قومه بني إسرائيل .

ثالثاً : التوراة :

وهو الكتاب الذي أنزله الله على موسى ، والتوراة كتاب عظيم اشتمل على النور والهداية حيث قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ...﴾ [المائدة:44] .

والتوراة اسم أعجمي اشتق من الورى ومعناه بالعبرية الشريعة [3] ، وكثيراً ما يقرن الله في القرآن بين التوراة والقرآن ، وذلك لأنهما أفضل كتابين أنزلهما الله على خلقه .

---

(1) صحيح ابن حبان ، كتاب البر والإحسان ، باب ما جاء في الطاعات وثوابها ، ص 213، 214 ، حديث (361) .

(2) الجامع لأحكام القرآن، المجلد الخامس (202/10) .

(3) انظر: (الكشاف) للزمخشري (297/1).

وأما التوراة الموجودة اليوم فهي ما يطلق عليه الشريعة المكتوبة ، كما يطلق لفظ (التلمود) على الشريعة الشفهية ، والتوراة الموجودة اليوم تشمل خمسة أسفار وهي :

1 – **سفر التكوين :** ويتحدث هذا السفر عن خلق العالم ، وظهور الإنسان ، وطوفان نوح ، وولادة إبراهيم إلى موت يوسف عليه السلام .

2 – **سفر الخروج :** ويتحدث عن حياة بني إسرائيل في مصر ، منذ أيام يعقوب إلى خروجهم إلى أرض كنعان مع موسى ويوشع بن نون .

3 – **سفر اللاويين:** نسبة إلى لاوى بن يعقوب ، وفي هذا السفر حديث عن الطهارة ، والنجاسة وتقديم الذبائح والنذر ، وتعظيم هارون وبنيه .

4 – **سفر العدد :** يحصي قبائل بني إسرائيل منذ يعقوب و أفرادهم ومواشيهم .

5 – **سفر التثنية :** وفيه أحكام وعبادات وسياسة واجتماع واقتصاد وثلاثة خطابات لموسى عليه السلام [1] .

رابعاً : الإنجيل :

وهو الكتاب الذي أنزله الله على المسيح عيسى عليه السلام متمماً للتوراة ، ومؤيداً وموافقاً لها في أكثر الأمور الشرعية ، يهدي إلى الصراط المستقيم ، ويبين الحق من الباطل ، ويدعو إلى عبادة الله وحده دون سواه ، قال تعالى : ﴿ **وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ** ﴾ [المائدة:47] .

يقول الإمام الطبري: " التوراة والإنجيل هما كتابان أنزلهما الله فيهما بيان من الله وعصمة لمن أخذ به وصدق به وعمل بما فيه " [2] .

والإنجيل اسم أعجمي اشتق من النجل ومعناه باليونانية التعليم الجديد [3] ، وهو حسب الاعتقاد المسيحي الكتاب المقدس لديهم ويشمل التوراة والأناجيل ورسائل الرسل ، وتسمى التوراة العهد القديم ، والإنجيل ورسائل الرسل العهد الجديد ، والأناجيل أربعة هي : إنجيل يوحنا ، وإنجيل مرقس ، وإنجيل متى ، وإنجيل لوقا [4] .

"والإيمان بالتوراة والإنجيل هو ركن من أركان الإيمان ،لكن المقصود بهما التوراة والإنجيل الحقيقيين وليس المحرفان الموجودان بين أيدي أهل الكتاب اليوم ،ذلك لأن الكتب الموجودة اليوم هي محرفة وقد امتدت لها أيدي الناس بالتحريف والتأويل والتبديل والتغيير، وقد

---

(1) انظر :(اليهودية والمسيحية في الميزان) عماد الدين الشنطي ، ص36 .

(2) جامع البيان في تأويل آي القرآن :المجلد الثالث (205/3) .

(3) انظر : (الكشاف) للزمخشري (297/1) .

(4) انظر :(اليهودية والمسيحية في الميزان) عماد الشنطي ،ص182، 183.

أثبت ذلك القرآن الكريم فقال تعالى عن تحريف اليهود للتوراة : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ...﴾ [النساء:46] .

وعن تحريف النصارى قال تعالى : ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة:14، 15] (1) .

خامساً : القرآن الكريم :

وهو الكتاب الذي أنزل على سيدنا محمد ﷺ بواسطة الوحي جبريل عليه السلام ، وهو آخر الكتب السماوية نزولاً وأفضل الكتب، ونزل به أفضل الملائكة على أفضل الخلق محمد ﷺ ، على أفضل أمة خرجت للناس بأفضل الألسنة وأفصحها وهو اللسان العربي المبين ، قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ [الإنسان:23] ، يمتن الله على رسوله ﷺ بما أنزله عليه من القرآن ، فقد أنزله عليه ، ولم يأت به من عنده كما يدعيه المشركون (2) .

يقول الإمام النسفي : " تكرير الضمير بعد إيقاعه اسماً لأنه تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليستقر في نفس النبي ﷺ أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله مفرقاً إلا حكمة وصواباً" (3) .

فالقرآن كلام الله ، منه نزل وتكلم به على الحقيقة وأنزله على نبيه وصدقه المؤمنون قال تعالى : ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف:196] .

وأخبر المولى أنه أنزل القرآن تنزيلاً فقال : ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء:106] .

والمعنى : ولقد أنزلنا إليك – أيها الرسول – هذا القرآن ، مفصلاً في أوامره ونواهيه وفي أحكامه وأمثاله ، ومنجماً في نزوله لكي تقرأه على الناس كافة على تؤده وتأن وحسن ترتيل ، حتى يتيسر لهم حفظه بسهولة ، وحتى يتمكنوا من تطبيق تشريعاته وتوجيهاته تطبيقاً عملياً دقيقاً ، وقوله : "نزلناه تنزيلاً" : أي مفرقاً منجماً عليك يا محمد في مدة تصل إلى ثلاث

(1) شرح أصول العقيدة الإسلامية ، د. نسيم ياسين ، ص 170 .
(2) انظر : (الكشاف) للزمخشري (520/4) ، (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (484/4) .
(3) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (1289/4) .

وعشرين سنة على حسب ما تقتضيه حكمتنا وعلى حسب الحوادث والمصالح ، وليس من أجل تيسير حفظه فحسب [1] .

وقد تكفل الله بحفظه فقال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9] ، فصانه من أن تمتد إليه يد التحريف أو التصحيف أو التبديل أو التغيير وذلك حتى تبقى حجة الله على الناس قائمة إلى يوم القيامة .

وقد أنزل الله تعالى مع القرآن السنة الشارحة والموضحة له فقال تعالى : ﴿... وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:113] ، وقال تعالى عن السنة : ﴿... وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ [الحشر:7] .

فالسنة معناها من الله ولفظها من الرسول ﷺ وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى.

وجعله الله آخر الكتب السماوية وخاتمها ، وهو أطولها وأشملها ، أنزله بالحق تصديقاً للكتب السابقة ، وحكماً ومهيمناً عليها ، قال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ...﴾ [المائدة:48] .

فهو شاهد على ما قبله من الكتب ، ومصدقاً لها ، يعني ما فيها من الصحيح وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير ، ويحكم عليها بالنسخ أو التقرير .

قال الإمام السعدي : ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ : " أي مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة ، وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية فهو الكتاب الذي تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه ، وأكثر من الطرق الموصلة إليه ، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة ، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة ، فما شهد له بالصدق فهو المقبول ، وما شهد له بالرد فهو مردود ، قد دخله التحريف والتبديل ، وإلا فلو كان من عند الله لم يخالفه " [2] .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- الإيمان بأن الكتب السماوية نزلت من عند الله وتوافق هذه الكتب مع بعضها لدليل على أنها وحي إلهي أنزله ليقيم الحجة على عباده .

---

(1) انظر : (تفسير الوسيط) ، وهبة الزحيلي (1396/2).

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص 234 .

2- إنزال الكتب من السماء رحمة للعالمين ، فالبشرية بحاجة إلى منهاج ودستور تحتكم إليه في جل أمورها ، وقد تجلت عناية الله تعالى لعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

3- أن الغاية من إنزال الكتب السماوية واحدة وهي أن يعبد الله وحده لا شـــريك لـــه ، وأنهـــا أنزلت هداية للعباد إلى الطريق المستقيم .

4- تتفق الكتب السماوية في وحدة المصدر ووحدة الغاية ووحدة العقيدة وقواعد التشريع العامة مثل العـــدل والقسط وأداء الحقوق والنهي عن الفساد والانحراف والدعوة إلى مكارم الأخلاق ، وتختلف الكتب السماوية في الشرائع قال تعالى: ﴿... لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ...﴾ [المائدة:48] ، فتختلف في جزئياته وتفصيلاته باختلاف الحاجات المتجددة.

5- أن نؤمن بالكتب السابقة إيماناً مجملاً ، ويكون بالإقرار بالقلب واللـــسان ، أمـــا الإيمـــان بالقرآن فإنه إيمان مفصل يكون بالإقرار به بالقلب واللسان و إتباع ما جاء فيه وتحكيمه في كل أمر والإيمان بأنه كلام الله منزل غير مخلوق.

6- الكتب السابقة لها آجال معينة وأوقات محددة ، أما القرآن الكريم فقد أنزله الله شريعة خالدة لجميع الأمم في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة، وتولى حفظه بنفسه وجعله ناسخاً لجميـــع الكتب النازلة من السماء.

7- نلاحظ في سياق الآيات ورود لفظ " أنزل " عند ذكر التوراة والإنجيل ولفظ " نزّل" عند ذكر القرآن الكريم ، وذلك ليلفت النظر إلى أن التوراة والإنجيل نزلا دفعة واحدة إنـــزالاً عامـــاً بدون تكرار ولا تفصيل فلهذا جاء باللفظ " أنزل" ، أما القرآن لما كان نزوله مـــن الـــسماء الدنيا إلى الأرض متفرقاً سورة سورة وآية آية على قلب النبي ﷺ طوال الفترة التي قضاها بين الناس منذ بعثته إلى وفاته جاء بلفظ " نزّل " ليفيد التدرج والتفصيل وأنه نـــزل منجمـــاً واستغرق وقتاً أطول [1] .

8- أن الكتب السماوية السابقة لها اسم واحد بخلاف القرآن الكريم ، فقد ذكر المولى عدة أسماء وألقاب منها ما يدل على ذات الكتاب وحقيقته ، ومنها ما يشير إلى صفات القرآن الذاتية ، ومنها ما يشير إلى صفات القرآن التأثيرية ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تفضيل القرآن على غيره من الكتب السماوية السابقة ، وجعله شاملاً ومهيمناً على الكتب الـــسابقة وميزه بصلاحه لجميع الأمم.

---

(1) انظر : (فتح القدير) للشوكاني (424/1) .

ومن الأسماء التي تشير إلى ذات الكتاب وحقيقته :

1- **القرآن** : فقد ورد هذا الاسم في القرآن في ثلاثة وأربعين موضعاً منها قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ...﴾ [الإسراء:9] .

2- **الكتاب** : ورد هذا الاسم للقرآن في ثلاثمائة وتسعة عشر موضعاً في سياقات مختلفة منها قوله تعالى : ﴿الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف:1] .

3- **الفرقان** : وهو ثالث اسم للقرآن ، فقد ورد هذا الاسم في ستة مواضع من القرآن ، جاء في موضعين منها اسم علم للقرآن وهما : ﴿... وَأَنْزَلَ الفرقان ...﴾ [آل عمران:4] ، وقوله : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:1] ، وقد سميت سورة من سور القرآن بهذا الاسم ، وورد في أربعة مواضع باستعمالات مختلفة

فهذه الأسماء الثلاثة التي اشتهر بها القرآن، فأما الاسمان الأولان فيفيدان معنى الجمع والقراءة، وأما الاسم الثالث وهو الفرقان فيدل على معنى التفريق والفصل كونه فرق بين الحق والباطل ، وطريق الهدى والرشاد وطريق الكفر والضلال.

وهناك أسماء أخرى تشير إلى صفات القرآن الذاتية مثل: الكريم – المجيد – العزيز – الحكيم – العلي– الصدق – الحق – المبارك – العلم .

وذكر المولى أسماء أخرى تشير إلى صفات القرآن التأثيرية وعلاقته بالناس مبيناً الحكمة من إنزال القرآن وهي : أنزله هداية للبشرية ، أنزله رحمة ، أنزله ذكرى ، أنزله موعظة ، أنزله شفاء ، أنزله تذكرة ، أنزله مبيناً ، أنزله بلاغاً ، أنزله للبيان والتعليم ، أنزله ليحكم به الناس بينهم ، أنزله نوراً ليخرج به العباد من الظلمات ، أنزله فرقاناً .

إذاً ما كان هذا الإنزال من السماء إلا لتربية النفوس ، وهذا يوجب عبادة الله على بصيرة وذلك بالعيش مع القرآن تلاوة وحفظاً وعملاً وتعبداً به.

المطلب الرابع : نعمة إنزال الملائكة من السماء .

الملائكة أجسام نورانية لطيفة غير محسوسة ، ولا يعلم حقيقتها إلا الله ، وليس لهم وجود جسماني يدرك بالحواس ، وعددهم كثير لا يأتي عليه العد ، ولا يحصيه من دون الله أحد لقوله تعالى : ﴿... وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ...﴾ [المدَّثر:31] ، منحها المولى القدرة على التشكل بأشكال مختلفة فيتمثلوا بصورة بشرية وغيرها من الصور الحسية ، ومنحهم كذلك الانقياد التام لأمره والقوة على تنفيذه ، وطبعهم على الخير فهم لا يعرفون الشر ، خلقهم عابدين له مطيعين ، لا يعصونه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ويسبحون بالليل والنهار فلا يفترون ،

ولا يسـأمون من عبادتـه ولا هـم عنها يستكبرون ، أنزلهم رسلاً إلى أنبيائه وسـفراء بينـه وبين عباده [1] .

ومع أن الملائكة من الغيبيات الغير مشاهدة إلا أننا نؤمن بوجودهم لأن القرآن الكـريم والسنة النبوية أخبرونا بنزولهم من السماء ، فقد وردت لفظة الملائكة في القرآن الكريم ثمانيـة وثمانين مرة ، تحدثت الآيات عن صفاتهم وأحوالهم وعباداتهم وأعمالهم التي وكلوا بها ، ودلت عليهم آثارهم فهم رسل الله إلى الأنبياء ، وجنوده في السماء ينزلهم بالحق متى شاء .

والإيمان بهم من أسس العقائد فهو الركن الثاني من أركان الإيمان ولا يكون الإنسان مؤمنًا إلا بالإيمان بهم قال تعالى : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:285] ، فقد أمر المولى بالإيمان بهم وعادى من كفر بهم لقوله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:98] ، فإنكار وجودهم كفر ، وذلك بنص قوله تعالى : ﴿... وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء:136] ، وبإجماع المسلمين على كفرهم ، ودليل الإيمان بهم من السنة قول الرسول ﷺ لجبريل عليه السلام في الحديث المعروف عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما سأله جبريل عن الإيمان فقال: **(الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث)** [2] .

وقد جعل المولى السماء مسكناً للملائكة الأطهار ، قال تعالى : ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النَّجم:26] .

المعنى الإجمالي :

هذه الآية إخبار بوجود الملائكة في السماء ، وإخبارٌ أيضاً أن أمر الشفاعة ضيق ، فإن الملائكة التي في السماء مع قربهم وكثرتهم لو شفعوا بأجمعهم لأحد لم تغنِ شفاعتهم شيئاً قط إلا بعد أن يأذن الله لمن يشاء أن يشفع من الملائكة وغيرهم [3] .

ومما يدل كذلك على وجودهم في السماء قوله – تبارك وتعالى – : ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجنّ:8] .

يقول الإمام المـاوردي : "حرساً شديداً : هم الملائكة الغلاظ الشداد" [4] ، وهـم المـلأ الأعلى الذين لا يدركون بالحس ولا بالعقل ، فالشياطين لا يمكنهم الوصول إليهم لقوله تعـالى :

---

(1) انظر : (عقيدة المؤمن) أبو بكر الجزائري ، ص 123 ، (العقائد الإسلامية) سيد سابق ، ص 112 .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ،باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسـلام والإحـسان، ص33، حديث (50) .

(3) انظر : (أيسر التفاسير) للجزائري (193/5) .

(4) النكت والعيون (112/6) .

﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصَّافات:8] ، وعن أبي ذر ﷺ عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : **(إني أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطت (1) السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وعليه ملك ساجد)** (2) ، فالملائكة التي تسكن السماء تطوف كل يوم بالبيت المعمور في السماء السابعة فيطوف سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة فهم في طاعة دائمة وتسبيح مستمر قال تعالى : ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصَّافات: 164-166] ، أي نقف صفوفاً في الطاعة ، فنصطف ونسبح الله ونحمده ونقدسه وننزهه عن النقائص (3) ، يقول الإمام ابن كثير:" وما من ملك إلا له موضع مخصوص في السموات ومقام العبادات لا يتجاوزه ولا يتعداه "(4) ، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **(إذا قال أحدكم آمين وقالت الملائكة آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه)** (5) ، فالحديث فيه دلالة على موطن الملائكة وهي السموات العلا.

وبعد هذا العرض لحقيقة الملائكة والإيمان بهم ومعرفة مسكنهم وقبل أن نصل إلى ذكر نزولهم من السماء ، حيث يعد هذا النزول نعمة ربانية يدل على عناية الله بالإنسان وتسخيرهم لمنفعته ، يجدر بنا أن نعرف أن نزول الملائكة لا يكون إلا بالحق وبأمر من الله ﷻ ، قال تعالى : ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ﴾ [الحجر:8] .

المعنى الإجمالي :

طلب الكفار إنزال الملائكة عياناً فأجابهم تعالى بقوله ما ننزل الملائكة إلا بالحق أي بالعذاب ، ولو نزلت يعني الملائكة لعجلوا بالعذاب و معناه أنهم لو نزلوا عياناً لزال عن الكفار الإمهال و عذبوا في الحال (6) .

يقول الإمام الماوردي: " قوله ﷻ: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ فيه أربعة أوجه :

الأول : بالقرآن .

---

(1) أطت : صوت، أي أنت من ثقل الحمل ، انظر(القاموس المحيط) للفيروز أبادي ، ص658.

(2) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب في قول النبي لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ص 523،حديث (2312) قال الألباني :حسن .

(3) انظر : (معالم التنزيل) للبغوي (260/5- 261) ، (لباب التأويل في معاني التنزيل) ، للخازن ص 260- 261

(4) تفسير القرآن العظيم (25/4) .

(5) صحيح بخاري ، كتاب الأذان ، باب فضل التأمين ، ص161، حديث (781).

(6) انظر : (معالم التنزيل) للبغوي (397/3) ، (لباب التأويل في معاني التنزيل) للخازن (396/3) .

الثاني: بالرسالة .

الثالث: بالقضاء عند الموت لقبض أرواحهم .

الرابع: بالعذاب إذا لم يؤمنوا " (1) .

ويقول الإمام الزمخشري : " أي تنزيلاً متلبساً بالحكمة والمصلحة" (2) .

ونزول الملائكة –عليهم السلام– لا يكون إلا بأمر من الله ، فقد روي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لجبريل :(**ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ، قال فنزلت:** ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:64]) (3) ، إذاً نزول الملائكة من السماء لا يكون إلا بأمر من الله ولا يكون إلا بالحق وبحكمة يقتضيها المولى سبحانه ، حيث وكل الملائكة بمهام عدة ، و أمرهم بالنزول من السماء لقضاء هذه المهام ، "فمنهم من ينزل بالوحي ، ومنهم من يقبض الأرواح ، ومنهم من يعمل في تدبير شئون الخلائق بأمر ربه ، ومنهم من يرسلهم الله ليثبت المؤمنين ، ومنهم من يلازمنا لكتابة أعمال الخير والشر ، ومنهم المسبح ومنهم الساجد " (4)

ولا سبيل لمعرفة جُل الوظائف والأعمال التي وكلت الملائكة بتنفيذها إلا من الكتاب والسنة .

وسأجمل الأعمال التي وكلت بها الملائكة فيما يلي :

1- إبلاغ الوحي للأنبياء: ووكل بهذه المهمة جبريل عليه السلام لقوله تعالى : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ❁ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء: 193- 194] ، والروح الأمين هو جبريل ، ووصف بالأمين لأنه أمين على وحيه تعالى ، ويسمى أيضاً روح القدس لقوله تعالى : ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ...﴾ [النحل:102] ، ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:97] ، ومنه قوله تعالى : ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ...﴾ [النحل:2] .

2- القتال مع المؤمنين : من الله ﷻ على عباده المؤمنين وأيدهم بإنزال ملائكة من السماء تقاتل معهم وذلك حين استعانوا بربهم قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ

(1) النكت والعيون (149/3) .

(2) الكشاف (553/2) .

(3) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب سورة مريم ، ص914، حديث (4731).

(4) توحيد الخالق ، عبد المجيد الزنداني (7/1) .

﴿بِأَلْفٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:9] ، فأجاب دعاءهم وأمدهم بألف من الملائكة يتبع بعضهم بعضاً ، ثم تبعهم آخرون فصاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف قال تعالى : ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَافٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلَافٍ مِنَ المَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: 124-125] .

3- **قبض الأرواح** : قال تعالى : ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة:11] ، ووكل بهذه المهمة ملك الموت وله أعوان يساعدونه" وتسمية ملك الموت بعزرائيل شيء دلت عليه آثار مختلفة لم يصل من القوة إلى درجة وجوب الاعتقاد بها " (1) وقد أقسم المولى ﷻ بالملائكة التي تنزع أرواح الكافرين بشدة وعنف فقال : ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ [النَّازعات:1] ، وأقسم كذلك بالملائكة التي تأخذ أرواح المؤمنين برفق ولين فقال : ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ [النَّازعات:2] .

4- **حضور مجالس العلم** : تنزل الملائكة من السماء فتطوف في الأرض حتى تلتمس حلقات الذكر فتحف الجالسين في مجلس العلم ، عن أبي هريرة ﷺ عنه قال: قال رسول ﷺ : (**إن لله ملائكة يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا...**) (2)، وتنزل كذلك عند قراءة القرآن وتستمع إليه ، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ : (**أن أسيد بن خضير بينما هو في ليلة يقرأ في مربده "الجرن" إذ جالت فرسه ، فقرأ ، ثم جالت "وثبت" فقرأ ، ثم جالت أيضاً ، قال أسيد فخشيت أن تطأ يحيى فقمت إليها ، فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها مثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها ، فقال : فغدوت إلى رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله بينما أنا البارحة في جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي ، فقال رسول الله ﷺ اقرأ ابن حضير ، قال : فقرأت ثم جالت أيضاً ، فقال رسول الله ﷺ : اقرأ ابن حضير : قال فانصرفت و كان يحيى قريباً منها فخشيت أن تطأه مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها فقال رسول الله ﷺ تلك الملائكة كانت تسمع لك ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم**) (3)، وتشهد كذلك قرآن الفجر لقوله تعالى : ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآَنَ الفَجْرِ إِنَّ قُرْآَنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:78] ، وعن أبي

(1) كبرى اليقينات الكونية : محمد البوطى ، ص277 .

(2) صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله ﷻ ، ص 1304 ، حديث (9480) .

(3) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب نزول السكينة لقراءة القرآن ، ص 364 ، حديث (796) .

هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : (**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم ، كيف تركتم عبادي ؟ فقالوا : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**) [1] .

5- **الصلاة على النبي وتبليغه السلام من أمته** : قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:56] ، وقال ﷺ : (**إن لله في الأرض ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام**) [2] .

6- **الدعاء للمؤمنين** : " الله ﷻ لسعة مغفرته بعباده ، يلهم ملائكته أن يضرعوا إليه بالدعاء ، ويسألونه برحمته التي وسعت كل شيء ، وعلمه الذي وسع كل شيء أن يغفر للتائبين ، ويدخلهم في عباده الصالحين " [3] .

قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آَبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [غافر: 7-9] .

وبالمقابل تلعن الملائكة من لعنه الله سبحانه لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [البقرة: 161-162] .

ويقول رسول الله ﷺ : (**ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً**) [4] .

وهناك ملائكة موكلة بالدعاء للعبد الذي يدعو لأخيه المؤمن وهو غائب ، فتقول الملائكة آمين ولك بمثل ذلك ، لحديث رسول الله ﷺ : (**دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير ، قال الملك الموكل به آمين**

(1) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى تعرج الملائكة والروح إليه ، ص 1476 ، حديث(7430) .

(2) سنن النسائي ، كتاب السهو ، باب السلام على النبي ﷺ ، ص 208 ، حديث (1282) ، قال الألباني : صحيح .

(3) العقائد الإسلامية : سيد سابق ، ص120 .

(4) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب قول الله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى (522/2) حديث (1374) .

ولك بمثل) [1] .

7- **الحفاظ على الإنسان** : وذلك خلال مراحل حياته في مختلف شئونه كلها ، فيحفظونه من أذى الشيطان وشره ومن العاهات والآفات وقد سمى المولى ﷻ الملائكة الذين وكلهم بهذا الأمر بالمعقبات والحفظة وهم ملكان في الليل وملكان في النهار[2] .

قال تعالى : ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ...﴾ [الرعد:11] ، وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:61] .

8- **مراقبة أعمال المكلفين وإحصاؤها في كتاب مبين** : "وهم الكرام الكاتبون يكتبون أعمال البشر ويحصونها عليهم ، فعلى يمين كل مكلف ملك يكتب صالح أعماله وعن يساره يكتب سيئات عمله " [3] .

قال تعالى : ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: 9-12] ، وقال رسول الله ﷺ : **(إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه أو إن ربه بينه وبين القبلة فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدميه)** [4] .

واستدل الإمام الطحاوي على أن الملائكة تكتب أفعال القلوب بقوله تعالى : ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:12] ، فالآية شاملة للأفعال الظاهرة و الباطنة [5] .

9- **التظليل على الشهداء بأجنحتها** : فعن شعبة عن أبي المنكدر قال : **[سمعت جابر بن عبد الله قال لما قتل أبي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب النبي ﷺ ينهوني والنبي ﷺ لم ينه ، وقال النبي ﷺ : لا تبكيه أو ما تبكيه مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع)** [6] .

10- **سؤال الموتى في قبورهم ومحاسبتهم** : والملائكة الموكلة بذلك هما منكر ونكير وعملهما

---

(1) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب ، ص 1339 ، حديث (2731) .

(2) انظر : (التبصرة) لابن الجوزي (559/1) .

(3) عقيدة المؤمن ، للجزائري ، ص125 .

(4) صحيح البخاري ، كتاب أبواب المساجد ، باب حك البزاق باليد من المسجد (159/1) حديث (397) .

(5) انظر : (شرح العقيدة الطحاوية) ، ص 438 .

(6) صحيح بخاري ، كتاب المغازي ،باب من قتل من المسلمين يوم أحد ، (1497/4) حديث (3852) .

سؤال العباد في قبورهم عن الله تعالى والدين والنبي ﷺ أي يقولان له من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ، قال رسول الله ﷺ : **(إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير ، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول ما كان يقول : هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم ينور له فيه ، ثم يقال له ، نم ، فيقول : أرجع إلى أهلي فأخبرهم ، فيقولون : نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقاً قال : سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله ، لا أدري ، فيقولون : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض التئمي عليه فتلتئم عليه ، فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك)** [1] .

11- تبليغ البشريات : الملائكة موكلون بحمل البشرى وتبليغها فقد تمثلت جماعة منهم لإبراهيم عليه السلام في صورة آدميين يحملون البشرى ، قال تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ* فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: 24-28] ،

ونزل جبريل عليه السلام بالبشرى لمريم العذراء في صورة بشرية قال تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: 16-20]

يقول الإمام الماوردي :" تنزل الملائكة يوم القيامة وهو يوم التلاق الذي يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض ، وفي نزولهم قولان :

الأول : ليبشروا المؤمن بالجنة ، والكافر بالنار .

الثاني : ليكون مع كل نفس سائق وشهيد " [2] .

12- الملائكة موكلون برعاية أهل الجنة : وهم الخزنة ، قال تعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزُّمر:73] ، واسم الملك الذي وكل به خزنة الجنان هو رضوان .

وبالمقابل وكل المولى بعض الملائكة بالقيام بشئون النار وأهلها ، وقد أطلق القرآن

---

(1) سنن الترمذي ، كتاب الجنائز ،باب عذاب القبر ، ص 312 ، حديث (8106) قال الألباني حديث حسن .

(2) النكت والعيون (142/4) .

على الملائكة الذين أقامهم الله على هذا الأمر اسم الزبانية ، وذكر المولى عددهم تسعة عشر ملكاً قال تعالى : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ * جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ [المدَّثر: 27-31] ، ورئيس الخزنة اسمه مالك ، قال تعالى : ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزُّخرف: 77-78] .

13- **الملائكة موكلون بالعبادة وحمل العرش** ، قال تعالى : ﴿وَتَرَى المَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَقِيلَ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الزُّمر:75].

وروى البخاري أن رسول الله ﷺ قال : **(إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة أجنحتها خضعاناً لقوله كأنه صلصلة [1] على صفوان [2] فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: وماذا قال ربكم ، قال الحق هو العلي الكبير)** [3] ، فالملائكة في عبادة وطاعة دائمة : ﴿... لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحريم:6] .

14- **تدبير أمور الكون** : وللملائكة عمل في تدبير أمور الكون من إرسال الرياح والهـــواء ، فالملك الموكل بالمطر والنبات والرزق هو ميكائيل ، والملك الموكل بالنفخ في الـــصور يوم القيامة هو إسرافيل ، " ومنهم ملك موكل بالشمس ، ومنهم ملـــك موكـــل بـــالمطر ، والرعد صوت ملك يزجر السحاب والبرق ضربه إياه بمخاريق ومنهم موكـــل بالريـــاح والأشجار ،... وملائكة موكلون بمكة والمدينة ليمنعوا منها الدجال إذا خرج ومن الملائكة من هو مشغول بغرس شجر الجنة " [4] .

وهناك ملـــك موكـــل بالجبال لقول الرسول ﷺ : **(فنادى ملك الجبال فسلم عليَ ، ثـــم قال : يا محمد ذلك فيما شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ...)** [5].

"وإذا تتبعنا الآثار الواردة في أعمال الملائكة ملاحظين الآيات القرآنية الدالة على

---

(1) الصلصلة : الصلصل طين حار خلط بالرمل ، والمعني هنا الصوت المتدارك الذي يسمع ولا يثبت أو مـــا يقرع السمع حتى يفهم بعد ،انظر (القاموس المحيط) الفيروز أبادي، ص 1023 .

(2) الصفوان : الحجر الأملس ، انظر(القاموس المحيط) الفيروز أبادي ، ص 1303 .

(3) سنن ابن ماجـــه ، كتاب افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ، باب فيما أنكرت الجهميـــة ، ص 51 ، حديث (194) قال الألباني صحيح .

(4) التبصرة ، لابن الجوزي (559/1) .

(5) صحيح بخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى ص 679 ، حديث (3231) .

الملائكة وأعمالهم مثل قوله تعالى : ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ ، ﴿فَالزَّاجِرَاتِ﴾ ، ﴿فَالتَّالِيَاتِ﴾ ، ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ ، ﴿وَالنَّاشِطَاتِ﴾ ، ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ﴾ ، ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ﴾ لقلنا في صدق أن الكون كله علويه وسفليه قد أنيط أمر تدبيره بالملائكة ، وذلك بإذن ربهم تعالى" [1] .

خلاصة ما سبق :

من خلال ما سبق من استدلالات وشواهد قرآنية وأحاديث نبوية نستطيع أن نصل إلى وصف جامع للملائكة والحكمة من إنزالهم من السماء.

فالملائكة أجسام لطيفة من نور لقوله ﷺ : **(خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم)** [2] .

وهي ذات قدرات خارقة لا حصر لها ، لهم أجنحة و يتفاوتون في أعدادها لقوله تعالى : ﴿الحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ المَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ ...﴾ [فاطر:1] ، مطهرون من الشهوات ومبرءون من الميول النفسية ، ومنزهون عن الآثام والخطايا ، ليسوا كالبشر لا يأكلون ولا يشربون ولا يتزوجون ولهم قدرة على التشكل بصورة بشرية أو حسية ، ومن صفاتهم العبادة والطاعة التامة لله والخضوع لجبروته والقيام بأوامره ، لا يفترون من الصلاة والتسبيح والخوف من الله وإن كانوا لا يعصونه لقوله تعالى : ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد:13] ، فهم عباد طائعون ومقربون من رب العالمين قال تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: 26-27] ، ويتصرفون في شئون الكون بإرادة الله ومشيئته وهو سبحانه يدبر بهم ملكه [3] ويسخرهم لمنفعة الإنسان ، وهذه نعمة ليست بعدها نعمة .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- الإيمان بمن سُمي من الملائكة وذكروا بالقرآن كجبريل ، وميكائيل، وإسرافيل ، وملك الموت ، ورضوان خازن الجنة ، ومالك خازن النار ، والزبانية ملكة العذاب ، والحفظة ، والكرام الكاتبون ، ومن لم نعلم اسمه من الملائكة نؤمن بهم إجمالًا.

---

(1) عقيدة المؤمن ، للجزائري ، ص 127 .

(2) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب في أحاديث متفرقة ، ص 1465 ، حديث (2997) .

(3) انظر : (العقائد الإسلامية) سيد قطب سابق ، ص 112، 114، (كبرى اليقينات الكونية) محمد البوطى ، ص 276 .

2- الإيمان بالملائكة من البر ومن دلائل الصدق والتقوى لقوله تعالى : ﴿لَيْسَ البِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ وَلَكِنَّ البِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ وَالمَلَائِكَةِ ...﴾ [البقرة : 177] .

3- بيان أن للملائكة عملاً في عالم الطبيعة ، ولهم صلة وثيقة بالإنسان .

4- كثرة الأجنحة للملائكة دليل القدرة على السرعة في تنفيذ أوامر الله وتبليغ رسالته .

5- تكليف الله ﷻ الملائكة بعدة وظائف مع أنه فعال لما يريد ولا يحتاج إلى وساطتهم ولا يعجزه القيام بأي أمر ما كان إلا لحكمة وهى أن ذلك ليس إلا مظهراً لسلطانه وعظيم ملكه، وإظهاره لقدرته المعنوية في مظهر حسي يتلاءم مع تصور الإنسان المألوف في حياته (1) .

6- أن الملائكة ذات صداقة ومودة مع المؤمنين في الحياة الدنيا والآخرة ، يستغفرون للمؤمنين ، ويدعون لهم ، ويبشرونهم بالجنة ، فهم أولياؤهم في الدنيا والآخرة .

7- أن الملائكة تكون معنا ولا نراها فقد كان جبريل عليه السلام ينزل بالوحي على رسول الله ﷺ ولا يراه جُلساء الرسول ﷺ فعن أبي سلمة أن عائشة رضي الله عنها قالت : **(قال رسول الله ﷺ : يا عائشة هذا جبريل يقرؤك السلام ، قالت : وعليه السلام ورحمة الله ، وهو يرى ما لا أرى)** (2) .

8- أن الملك الموكل بقبض الأرواح هو ملك الموت وله أعوان ، و ما يسمى بعزرائيل ليس ملكاً ، وهذا من الإسرائيليات التي لا يوجد دليل على صحتها .

9- البشر أفضل من الملائكة فقد خصهم الله بالعلم وميزهم بمعرفة الأشياء وإدراكها فقد أمر المولى ﷻ الملائكة بالسجود لآدم تكرمة له .

ونرى كذلك أن طاعة الملائكة جبلية وتركهم للمعصية لا يكلفهم أدنى مجاهدة لأنه لا شهوة لهم ، وأما الإنسان فيصارع الهوى ويحارب الشيطان ويتكلف الطاعة ويسعى جاهداً في تكميل نفسه وترقية روحه رغباً ورهباً .

10- الاتصال بالملائكة سمو للروح وتزكية للنفس وتطهير للقلب وتحقيق للحكمة العليا التي خلق الإنسان من أجلها وهى أداء أمانة الحياة والقيام بالخلافة على الأرض.

11- أن الإيمان بنزول الملائكة يترتب عليه آثار على المؤمن أذكر منها :

أ- الشعور بعظمة الله واستشعار رحمته إذ وكل الملائكة بالدعاء والاستغفار للمؤمن .

---

(1) انظر : (كبرى اليقينات الكونية) محمد البوطى ، ص 276 .

(2) صحيح البخاري ، كتاب فضائل النبي ﷺ ، باب فضل عائشة رضي الله عنها ، ص 919 ، حديث (2) .

ب-التأدب والحيــاء واستشعار قرب الملائكة وملازمتهم للإنسان في أحوال كثيــرة ، وتجنب ما يؤذيهم من الأقوال والأفعال والأحوال ، فيعيش المــؤمن طاهــــر القلــب واللــسان والجوارح .

ج- ملازمة الطاعة واجتناب المعصية رغبة في كتابتهم الخير والشهادة عليه ، ورهبة من كتابة خلافه والشهادة عليه .

د- التشبه بالملائكة في لزوم الطاعة ودوام العبادة ، فهم في عبادة منذ خلقهــم الله إلـــى قيــام الساعة ، مع ذلك يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك فإذا كانت هذه عبادتهم مع أنهم لم يذنبوا فعلى الإنسان أن يحقر عمله ويتشبه بالملائكة .

و- الشعور بالطمأنينة في المواطن التي يحضــر فيها الملائكة ، ويصلون فيها على المؤمن رجاء بركة حضورهم وتحصيــل المزيــد مــن دعائهم وصلاتهم ونلاحظ ذلك في مجالس الذكر .

هـ- "معرفة أن الملائكة تسجل عمله ، تؤنس قلب المؤمن تلك المودة النورانية التي تحسها الملائكــة نحــوه كمــا أنــه يحاول أن يلتزم بالســلوك الذي يفرضه عليه الإيمان حتى لا يسجل الحفظة عليه إلا كل طيب من الأفكار والمشاعر والسلوك " [1].

---

(1) دراسات قرآنية ، محمد قطب ، ص 92 .

المبحث الثاني

النعم المسخرة بين السماء والأرض

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نعمة تسخير الشمس و القمر.

المطلب الثاني: نعمة تسخير النجوم.

المطلب الثالث : نعمة تسخير الرياح .

المطلب الرابع : نعمة تسخير السحب.

المطلب الخامس: نعمة إنزال الماء المبارك الطهور .

المبحث الثاني

النعم المسخرة بين السماء والأرض

سخر الله ﷻ هذا الكون البديع للإنسان وحثه على دراسته والتأمل في نظامه واكتشاف أسراره ، وكلمة التسخير أقوى التعابير في الدلالة على الخدمة المستمرة الدائبة ، ويستعمل القرآن كلمة خلق ، وجعل ، وأنزل لتعدد ألوان النعم التي أوجدها الله للإنسان في هذا الكون ، فأينما تول وجهك شطر السماء ، ترى أنواراً تخفي كنوزاً و دقائق ، وبناءاً محكماً وميزاناً رتيباً ، وحركة ومدارات وطوافاً ونعماً مسخرة من شمس ، وقمر، ونجوم ، وكواكب ورياحاً، وسحباً، و مطراً، كل هذه النعم سخرها المولى ﷻ ما بين السماء و الأرض تسبح دون السماء المبنية في الفضاء الكوني الواسع الذي عبر عنه قرآننا المجيد بالفلك ، وما الفلك إلا موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر و النجوم و الكواكب ، وكأن السماء صفحة قرآنية تترنم قرآناً تصدح به البشرية لاسيما حينما يدرس الإنسان فينظر في آيات القرآن فيجد ذلك التناسق و التكامل العجيب المتناغم بين آيات السماء و صفات القرآن، و يلحظ تنوع أسلوبها ، فأحياناً تلفت النظر إلى آثار قدرة الله وأحياناً تعدد نعم الله على الإنسان في هذا الكون البديع ، و كأن الآيات في مجموعها نداءٌ جهيرٌ للناس أن افتحوا عيونكم وأيقظوا أفئدتكم و تأملوا ملياً في خلق الله لكم ، فالكون كله خاضع مسخر لمشيئة الله و إرادته، وقد سخر الشمس والقمر، والليل والنهار، والنجوم والكواكب ،والسحب والرياح والمطر ، وفي مبحثنا هذا نتناول هذه الأنعام الكونية ، حيث يقطر علينا من ذاك البحر الزاخر من النعم المسخرة بين السماء والأرض (1) .

المطلب الأول : نعمة تسخير الشمس والقمر:

الشمس والقمر آيتان من آيات الله سبحانه ، سخرها الله لخدمة الإنسان ، وكان لهاتين الآيتين حظاً وافراً من آيات الكتاب الحكيم، فقد وردت الشمس في القرآن الكريم في ثلاثة وثلاثين موضعاً ، في اثنتين وثلاثين آية ، موزعة على ثمان وعشرين سورة ، خمسة منها مدنية وثلاثة عشر مكية، وورد لفظ القمر في ست وعشرين موضعاً وفي معظمها يذكر القمر بعد الشمس مثال ذلك قوله تعالى :﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ﴾ [فصِّلت:37].

(1) انظر : (تفسير الآيات الكونية) عبد الله شحاتة ، ص 30 ، 31 .

وقال تعالى [1] : ﴿وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾[الأعراف:54] قال تعالى : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم:33] .

المعنى الإجمالي :

"يخبر المولى ﷻ أنه سخر الشمس والقمر دائبان في سيرهما وإنارتهما ودرئهما الظلمات وإصلاحهما ، يصلحان في الأرض و الأبدان و النبات " [2].

يقول الإمام الألوسي : " أي دائمين في الحركة لا يفتران إلى انقضاء عمر الدنيا " [3].

وتسبحان في فَلك بين السماء والأرض لقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ {الأنبياء:33} .

يقول الإمام النسفي :" الفلك موج مكفوف تحت السماء تجري فيه الشمس والقمر"[4].

وقد سخر المولى الكون بأسره ومنه الشمس والقمر وجعلهما دائبين لأجل هذا الإنسان ليكون لديه نصف العمر ضياءاً فيكدح ويعمل وينصب ، والنصف الآخر هو راحة له .

وجعل المولى الشمس والقمر آيتان من آياته ، لذلك نهى الله ﷻ عن عبادتهما والسجود لهما فقال :﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصِّلت:37] ، وقد سجل القرآن الكريم اعتراف المشركين بوحدانية الله في تسخير الشمس والقمر قال تعالى :[وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ] {العنكبوت:61}

ولنقف قليلاً نتصور هذا التسخير في الشمس ، فهي جسم مضئ بذاته ، لها تسعة كواكب وواحد وثلاثين قمراً تابعاً لهذه الكواكب ، سيرها المولى بدقة متناهية ، ويقطع ضوء الشمس ثمانية دقائق حني يصل إلينا ، ولولا تسخير الشمس و القمر لانعدمت الحياة على سطح الأرض ، حيث أودع فيهما المولى منافع وفوائد كثيرة لبني الإنسان، أشار إليها القرآن الكريم في أكثر من موضع.

ومن مظاهر تسخير الشمس والقمر :

1- **مصدر النور والضياء والدفء** ، قال تعالى : ﴿وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح:16] ، يخبرنا المولى سبحانه عن وظيفة كل من الشمس والقمر قبل أن يحدد

(1) انظر سورة : (الرعد 2 ، النحل :12 ، لقمان 29، ، فاطر :13) .

(2) الكشاف ، الزمخشري (303/2) .

(3) روح المعاني (224/13) .

(4) مدارك التنزيل (78/3) .

العلماء وظيفتهما ، فأعلمنا أن الشمس سراج أي أنها ملتهبة ، وأنها مصدر النور كالسراج ، وأن القمر نور أي أنه يعكس الضوء النازل إليه .

يقول الإمام سيد قطب : " وجعلنا سراجاً وهاجاً " وهو الشمس المضيئة الباعثة للحرارة التي تعيش عليها الأرض وما فيها من الأحياء ، والتي تؤثر كذلك في تكوين السحائب بتبخير المياه من المحيط الواسع في الأرض ورفعها إلى طبقات الجو العليا ، وفي السراج توقد وحرارة وضوء ، وهو ما يتوافر في الشمس ، فاختيار كلمة (سراج) دقيق كل الدقة ومختار"(1)، فبسبب حرارة الشمس تم تبخر المياه من البحار والنهار فتتبخر المياه وتصبح عذبة خالية من الأملاح ، وبسبب حرارة الشمس تنمو النباتات و الأشجار وتتشكل الثمار و تنضج ، وكذلك ضوء الشمس الذي يكون في النهار أو يكون في الليل عن طريق القمر، ولو ذهبنا نتتبع أهمية الشمس وأثرها على حياة الأحياء على سطح الأرض واحداً واحداً ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ، ولكننا نقول أن الشمس بطاقتها وضيائها هي التي مهدت بإذن الله للحياة على الأرض ، فأضاءتها ودفأتها وجعلتها صالحة للحياة ، ولأهمية الشمس سمى المولى سورة في كتابه بسورة الشمس ، كما أقسم بها بقوله: ﴿ **وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا**﴾ [الشمس:**1**](2) .

ويجدر بنا أن نفرق هنا بين النور والضياء : فالضياء ينبعث من جسم متوهج ،أما النور فهو تلك الإضاءة التي تصدر من الجسم المضيء وليس لها حرارة ويمكن أن تكون ضوءاً بعيداً أو ضوءاً معكوساً ، والضوء مادة لها كثافة وقوة وطاقة (3).

يقول الشيخ عبد المجيد الزنداني ذاكراً فوائد الشمس:" وإن للشمس أهمية كبرى في حياتنا :

أ- بضوء الشمس نبصر و نسير .

ب- بحرارة وضوء الشمس يتكون من النبات طعامنا و طعام كل كائن حي .

ت- وبحرارة من الشمس تدفأ الأرض و تذهب البرودة المميتة التي تقضي على كل كائن حي يعيش على الأرض .

ث- ومن أشعة الشمس و حرارتها خزن الخالق الوقود للإنسان في الأرض بتفاعل كيميائي في ضوئي محكم في المادة الخضراء في النبات (النفط الأخضر) تخزن حرارة الشمس والنبات في شكل أوراق أو جذوع أو عروق شجرية ، وبإيقادنا لهذه الأجزاء الشجرية تنطلق حرارة

---

(1) في ظلال القرآن (3806/6) .

(2) انظر : (القرآن والكون) محمد الشرقاوي ، ص151 .

(3) انظر : (اجتهادات في التفسير العلمي في القرآن) محمد عادل أبو الخير ، ص119 ،(توحيد الخالق) عبد المجيد الزنداني ، ص 58.

الشمس المخزونة ، أما إذا طمرت هذه الأجزاء الشجرية ، وطمرت عليها طبقات من التراب و الصخور تحولت تلك الأجزاء إلى فحم حجري ، أو بترول و منها تستخرج جميع أنواع الوقود المستخدمة في هذا الزمان الذي باستخدامه تنطلق الحرارة التي خزنت من حرارة الشمس بواسطة النقط الخضراء في النبات" [1]، قال تعالى : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس:80] .

2- تجريان بحسبان مقدر : قال تعالى : ﴿الشَّمْسُ وَالقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرَّحمن:5] فالشمس والقمر تجريان بحسبان دقيق لا تتأخر الشمس عن موعد شروقها ولا تتقدم ثانية ، والقمر في دورته الشهرية كذلك ، ولأجل أن يكون الشمس والقمر مسخرين للإنسان تمام التسخير جعلهما الله – تبارك وتعالى– بتقدير محكم ، بحيث لو اختل نظام أي منهما لانعدمت الحياة على الأرض و تغير الكون بأكمله.

يقـول الإمـام البيضـاوي : " يجريـان بحسـبان معلـوم مقـدر فـي بروجهمـا ومنازلهما وتتسق بذلك أمور الكائنات السفلية و تختلف الفـصول والأوقـات ويعلـم الـسنون والحساب " [2] .

فتتجلى دقة التقدير في تنسيق التكوين والحركة بما يملأ القلب روعة ودهشة ، وشعوراً بفخامة هذه الإشارة وما في طياتها من حقائق بعيدة الآماد ، فالشمس ليست هي أكبر مـا فـي السماء من أجرام ، فهناك في هذا الفضاء الذي لا يعرف البشر له حدوداً ، ملايين الملايين من النجوم ولكن الشمس هي أهم نجم بالنسبة لنا ، وكذلك القمر وهو تابع صغير للأرض و لكنه ذو أثر قوي في حياتنا ، وهي العامل المهم في حركة الجزر والمد في البحار

وتكشف لنا الآيات أن أقماراً كثيرة موجودة في السماء و ليس قمراً واحد ، كمـا كـان معتقداً، فأل للجنس ليست للتعريف و ما يعزز قولنا هذا ما قاله تعالى : ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [فصِّلت:37] ، فكلمة خلقهن تنبئ بوجود أقمار كثيرة ، حيث أن الشمس واحدة ولو قصد التثنية لقال خلقهما وحجم الشمس و درجة حرارتهـا و بعـدها عنـا وسيرها في فلكها ، وكذلك حجم القمر وبعده ودورته كلها محسوبة حساباً كامل الدقة بالقيـاس إلى أثارهما في حياة الأرض [3] .

---

(1) كتاب التوحيد ، (49/2) .

(2) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (108/5) .

(3) انظر : (في ظلال القرآن) سيد قطب (344/6) ، (الإعجاز الكوني) خليل محمد سالم (مجلة هدى الإسلام) ، ص 44 .

ومن مظاهر التسخير جريان الشمس لمستقر لها ، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾[الرعد:**2**] ومنه قوله تعالى[1]: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [يس:38] .

الحقائق العلمية في الآية السابقة :

يؤخذ من الآية حقيقة علمية وهي أن الشمس والقمر غير مستقرين ، فهما يجريان لأجل مقدر لهما ، فرغم أن الشمس لها أربع حركات في وقت واحد ، فهي تدور حول نفسها وقد أثبتت المكتشفات العلمية أن الشمس تسير بحركة ذاتية في اتجاه نجم يعرف باسم (فيجا) وتقدر سرعتها باثني عشر ميلاً في الثانية ، وتدور بسرعة مائة و سبعون ميلاً في الثانية ضمن دوران المجرة حول نفسها وتجري بسرعة 600- 40000 ميل في الثانية ضمن انطلاق المجرة في الفضاء بكل محتوياتها ، فقل لي بربك أي كلمة غير (تجري) يمكن لها أن تحيط بكل حركات الشمس هذه ، فالقرآن بعد أن قرر أنها غير ثابتة لم يقل أنها تتحرك لأن الحركة قد تعني البطء ، ولم يقل أنها تدور لأنها لا تدور فقط ، وإنما قال (تجري) فأحاط بمعنى الدوران وهو حركة حول المحور ، وأحاط أيضاً بمعني الانطلاق قدماً في الفضاء [2]، وتظل الشمس تجري حتى تصل لمستقر لها وذلك في اليوم المشهود حينها تكون نهاية الشمس قال تعالى : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التّكوير:**1**] ، وتكوير الشمس قد يعني برودتها ، وانطفاء شعلتها ، وانكماش ألسنتها الملتهبة التي تمتد من جوانبها كلها الآن إلى ألوف من الأميال حولها في الفضاء [3] ، و حينها يجمع الشمس والقمر، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ البَصَرُ* وَخَسَفَ القَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ﴾ [القيامة:**9**-**7**].

3- **معرفة عدد السنين والحساب وتحديد المواقيت** ، قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالحَقِّ يُفَصِّلُ الآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:5]

يقول الإمام سيد قطب : "وقدره منازل" ينزل في كل ليلة منزلاً يكون فيه على هيئة خاصة كما هو مشهود في القمر ، بدون حاجة إلى علوم فلكية لا يدركها إلا المختصون .

---

(1) انظر سورة : (فاطر :13، الزمر :5) .

(2) انظر : (القرآن إعجاز يتعاظم) شاكر الجبار، (الإعجاز الكوني) ، خليل محمد سالم (هدى الإسلام) ، ص 44 .

(3) انظر : (اليوم الآخر في القرآن) أحمد فائز ، ص160 .

﴿ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ ﴾ وما تزال المواقيت تضبط بالشمس والقمر لكافة النـــاس " [1].

"والتوقيت القمري (الهجري) هو توقيت تعبدي يتعلق بعبادات المسلمين فنحن بالهلال نعرف بدء صوم رمضان، و به نعرف بدء عيد الفطر"([2]) قال رسول الله ﷺ :**(صوموا لرؤيته وأفطــروا لرؤيته)** ([3]) ، وقال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ﴾ {البقــرة:189} فرؤية الهلال له علاقة بالصيام والحج والعدة والايلاء فأخبر أنه مواقيت للناس وهذا عـــام فـــي جميع أمورهم وخص الحج بالذكر تميزاً له ولأن الحج تشهده الملائكة وغيرهم والهلال مواقيت للناس في الأحكام الثابتة بالشرع ، ومعالم يوقتون بها أمورهم الدينية ويعلمون أوقات زروعهـــم ومتاجرهم ومعالم للعبادات ، وتحديد اتجاه القبلة فالكعبة نفسها موجهـــة فلكيـــاً أي أن قاعـــدتها المستطيلة موجهة وفقاً لاتجاهات فلكية لها دلالتها ، وتتحدد القبلة في مكان ما بواسطة ظـــاهرة فلكية تحدث في الأفق كشروق أو غروب الشمس[4] .

4- تلاؤم الشمس مع الأرض : يقول محمد القلقيلي : " لقد جعل الله الأرض في موقع يبعد بعداً مناسباً عن الشمس ، فلو اقتربت الأرض من الشمس قليلاً لاحترقت الأحياء التي تعيش عليها ، ولو ابتعدت عنها قليلاً لتجمدت هذه الأحياء وماتت، فبعد الأرض عن الشمس هو البعد (الملائم) للحياة ، وكذلك لو كانت الأرض أقرب مما هي عليه عن القمر لحدثت كوارث على الأرض كطغيان مياه المحيطات على اليابسة بسبب تزايد الماء، فبعد الأرض عن القمر هو أيضاً البعد الملائم لازدهار الحياة "[5].

5- تلازم الشمس مع الظل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾[الفرقان:**45**]، "سخر المولى الظل للبشرية حيث حاول علماء الفلك وفقهاء الشريعة الإسلامية قديماً ضبط مواقيت صلاة الظهر والعصر به ، فالشمس دليل على الظل وبين الشمس والظل تلازم" [6] .

---

(1) في ظلال القرآن (1765/3) .

(2) مختارات ولطاف قرآنية من سورة البقرة وآل عمران ، جميل العشي ،ص26 .

(3) صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، باب فضل شهر رمضان ،ص420، حديث(1081) .

(4) انظر : (ما دل عليه القرآن) محمود الألوسي ،ص58، (علم الفلك النظري والتطبيقـــي) رشـــدي راشـــد ، (179/1) .

(5) الإعجاز القرآني ، ص40 .

(6) الظواهر الكونية في الآيات القرآنية ، عبد الغني الراجحي ، ص56 .

6- تعدد المشارق والمغارب ، قال تعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾[الشعراء:**28**] وقال تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾[الرَّحمن:**17**]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ [المعارج:**40**] ، ولا تعارض بين هذه الآيات " فقد ثبت علمياً وجود شمسين وقمرين لبعض الكواكب في هذا الكون ، وعليه فلها مشرقان ومغربان ، وبعض الكواكب الأخرى لها أكثر من شمسين وقمرين فلها مشارق ومغارب ، وكوكب الأرض له شمس واحدة وقمر واحد ، فله مشـــرق واحد ومغرب واحد، ويصح أن يقال :المشرقان والمغربان باعتبار أن الشمس لا تشرق على مكان إلا وقد غربت عن أخر والعكس ، وأما المشارق والمغارب فاعتبار مجموع الأماكن إذ كل شروق على مكان غروب على آخر والعكس "[1].

7- تسخير الليل والنهار : والليل والنهار ظاهرتان ناشئتان من دورة الأرض حول نفسها أمام الشمس وهما آيتان من آيات الله الدالة على عظمته جعلهما، والمتتبع للآيات القرآنية يستنتج أن هذه الآيتان تبدو فيما يلي :

أ- **في اختلافهمـــا** ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:**164**].

ب- **في تسخيرهما** ، قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم:**33**] .

ج- **في تعاقبهما زماناً ومكاناً**، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان:62] .

"وتدور الأرض حول نفسها مرة كل 24 ساعة ، ولو أكملت الأرض هذه الدورة مـــدة أطول لطال نهارنا وطال ليلنا و لهلك الناس من حر ومن برد ، و لـــو دارت الأرض حـــول نفسها في مدة أقصر لقصر نهارنا وليلنا علاوة على أن هذا الإسراع في الدوران يـــؤدي إلـــى تفكك الأرض و تناثر أجزائها وكل شيء على سطحها نظراً لتغلب القوة المركزية الطاردة على قوة الجاذبية ، ولقد اتضح علمياً أن مدة الدوران الحالية للأرض حول نفـــسها تـــساعد علـــى التوزيع المنتظم العادل للمياه و الرياح على سطح الأرض كما أن ميل محـــور الأرض بـــسبب

(1) كنوز قرآنية ، هشام الزهيري ، ص146 .

ظاهرة تتابع الفصول من ربيع و صيف و خريف و شتاء مما يؤدي إلى زيادة مساحة الجــزء الصالح للسكن من سطح كوكبنا ويزيد من اختلاف الأنواع النباتية " [1] .

قال تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:190] ومن خلال تتبع الآيات نجد أن الله –تبارك وتعالى– جعل الليل ليسكن فيه الإنسان و يرتاح وينام من عناء طلب الرزق ، فقال تعالى : ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ [الأنعام:96] ، ولهذا يذكر الله لعباده ماذا سيكون حالهم لو كان الليل مستمراً سرمداً أو النهار سرمداً ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص: 71-72] .

يقول ابن كثير : "يقــول تعالى ممتناً على عباده بما سخر لهم من الليل و النهار الــذين لا قوام لهم بدونهما وبين أنه لو جعل الليل دائماً عليهم سرمداً إلى يوم القيامة لأضر ذلك بهــم ولسئمته النفوس وانحصرت منه ، ولهذا قــال تعــالى : ﴿ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ ﴾ أي تبصرون به وتستأنسون بسببه ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ .

ثم أخبر تعالى أنه لو جعل النهار سرمداً أي دائمًا مستمراً إلى يوم القيامة لأضر ذلــك بهم ولتعبت الأبدان وكلت الحركات والأشغال ، ولهذا قال تعالى : ﴿ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ﴾ أي تستريحون من حركاتكم و أشغالكم (أفلا تبصرون ، ومن رحمته) أي بكم خلق الليل والنهار لتسكنوا فيه أي في الليل (ولتبتغوا من فضله) أي في النهار بالأســفار والترحــال والحركات والأشغال وهذا من باب اللف والنشر .

وقوله (لعلكم تشكرون) أي تشكرون الله بأنواع العبادات بالليل والنهار ثم ومن فاته شيء بالليل استدركه بالنهار أو استدركه بالليل لقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان:62] "[2] .

فالليل سكنٌ وقرارٌ ، والنهار نشاط وعمل ، وإنه جعل المنام في الليل وهذا يدخل في السكينة ، قال تعالى : ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الرُّوم:23] ، فالنوم راحة للجسد والروح ، قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النَّبأ: 9-11] .

ومن مظاهر تسخير النهار أنها تظهر الشمس ،قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا*وَالقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا*وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا *وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾[الشمس:**1-4**] " ويتلخص معنى الآيات في أن النهار

---

(1) الكون والإعجاز العلمي للقرآن ، منصور حسب النبي ، ص 41 .

(2) ابن كثير (384/30) .

هو الذي يظهر الشمس ، وأن الليل هو الذي يخفيها ، فما هو ثابت أن حركة الشمس اليومية من الشرق إلى الغرب إنما هو حركة ظاهرية سببها دوران الأرض لا تحرك الشمس، فالشمس بالنسبة لنا ثابتة لا تتحرك ، إذ هي لا تدور حول الأرض وبذلك فإن الليل والنهار لا ينتجان من دورانها حولنا حسب ما كان القدماء يعتقدون ، وإنما دوران الأرض حول نفسها هو الذي ينتج عنه أن يتعرض إحدى نصفيها لضوء الشمس فيصير نهاراً ، ويبتعد النصف الأخر عن مدي الضوء فيصير ليلاً، فدوران الأرض إذن هو الذي يظهر الشمس فيكون النهار وهو الذي يخفيها فيكون الليل "[1] .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- المتأمل في الكون يلاحظ مظاهر قدرة الله ﷻ في الشمس والقمر فيزداد إيماناً بالخالق العظيم .

2- وجوب تعلم علم الفلك لمعرفة القبلة و مواقيت الصلاة و الصيام والحج .

3- لو كان الهلال مدوراً كالشمس أو ملازماً حالة واحدة لما تيسر لنا معرفة التوقيت .

4- هناك علاقة بين الظواهر الكونية ومشاعر الإنسان وعبادته ، فالهلال ليلاً فيه سكون ونحن نصوم لرؤيته وفي الصوم أيضاً سكون .

5- من هدي الرسول ﷺ عند رؤية الهلال ، كان يقول :**(اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة و الإسلام ، ربي وربك الله)**[2].

6- بطلان القول بأن الشمس ثابتة لا تتحرك ، فالشمس تجري لمستقر لها لقوله تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ [يس:**38**] .

7- الليل والنهار آيتان عظيمتان ولعظمتهما أقسم المولى بهما عدة مرات وسمى سورة من سور القرآن بسورة الليل .

المطلب الثاني : نعمة تسخير النجوم :

لو تأمل الإنسان السماء في ليلة صافية ، لرأى بديع صنعها ، حيث زينت بالنجوم اللامعة والكواكب المتلألئة ، ولعلم أن ما يراه بالعين المجردة من النجوم ما هي في الحقيقة إلا جزء يسير من مئة مليار مجرة أحصيت حتى الآن ، يتألف أصغرها من عشرة ملايين نجم ، ويصل تعداد نجوم بعضها إلى آلاف المليارات ، وكلها تدور في مسارات خاصة بكل واحد منها،

(1) إعجاز القرآن الكريم : فضل عباس ، سناء عباس ، ص286 .

(2) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب ما يقول عند رؤية الهلال ، ص 3451 ، حديث (784) قال الألباني: صحيح .

فالفضاء الكوني مليء بالملايين من النجوم التي لا يسع المتأمل فيها إلا أن يشهد بأن لا إلـه إلا الله ، والقارئ لكتاب الله يجد أن النجوم ذكرت في القرآن الكريم في تسع مواضع منها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:97] ، وكلمة النجم في أربعة مواضع منها قوله تعالى : ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل:16] ، وسخر المولى النجوم ووزعها في الكون توزيعًا منتظمًا حيث تسير وفق قانون الجاذبية بحيث لا تصطدم ببعضها البعض (1)، وقد لفت الخالق انتباهنا واهتمامنا لهذه النجوم فسمى واحدة من سور كتابه الكريم بسورة النجم ، وسورة أخرى بالشمس، وسوراً عديدة أطلق عليها أسماء مظاهر متعلقة بالنجوم وحركاتها مثل الضحى ، والليل ، والشمس واحدة من هذه النجوم ، جعلها الله – تبارك وتعالى – مسخرة لبنى الإنسان فقال تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [الأعراف:54] ، وقوله : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل:12] .

المعنى الإجمالي :

يخبر تعالى أنه خالق العالم سماواته وأرضه وما بين ذلك في ستة أيام ، ويعدد آياته التي بين السماء والأرض ، ومن هذه الآيات العظيمة الدالة على وحدانية الله النجوم فهي مسخرة بأمره وجميع آيات الله تحت قهره وتسخيره ومشيئته الدالة على ما له من أوصاف الكمال ، فخلقها وعظمتها دال على كمال قدرته ، وما فيها من الإحكام والنظام والإتقان ، دال على كمال حكمته ، وما فيها من المنافع والمصالح الضرورية وما دونها دال على سعة رحمته وذلك دال على سعة علمه ولهذا قال منبهًا ﴿أَلَا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ أي له الملك والتصرف ﴿تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ كقوله ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان:61] (2) .

والنجم اسم يقع على الثريا ، وهي أجرام غازية مشعة ذاتياً ، هائلة الحجم ،و يستمد إشعاعها من ذاتها ، مكونة من غازات متوهجة (الهيدروجين والهليوم) ، وهي جزء من المجرة فالمجرة تجمع للنجوم ، ويتراوح عددها بين عشرة ملايين نجم للمجرة القزم، وعشرة آلاف مليار نجم

(1) انظر : (قبس من معجزة القرآن) أحمد ذياب ، ص 50 .

(2) انظر:(تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (62/2)،(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) للسعدي:ص4370.

للمجرة العملاقة ، والنجوم أكثر من الكواكب ، حيث يستمد الكوكب ضوءه من النجم ،الذي يدور حوله ، كالأرض وعطارد والمريخ وبقية الكواكب[1].

ولأهمية النجوم وعظمتها أقسم المولى بها في عدة مواضع أذكر منها :

1- **أقسم بالخنس،** قال تعالى:﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التَّكوير: **15-16**] ، والخنس جمع خانس وهي النجوم والكواكب التي تخنس بالنهار لانطماس نورها أمام نور الشمس والتي تظهر كل عدة أعوام مرة فقط ، والجوار: أي اللاتي تسير بسرعة هائلة في الفضاء وتسمى الكواكب السيارة ، والكنس هو النجم المختفي في الفضاء الذي يجرى في الفضاء ينكس إليه ويسحب إليه النجوم الأخرى .

يقول هشام الزهيري: " فوجه العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه أن ما في القرآن من دحض للباطل حتى يصير كالليل إذا تولى أو إظهار للحق حتى يصير كالصبح إذا ظهر كاف في الدلالة على أنه كلام الله ، وإذا كان أحد لا يكذب بوجود ليل أو نهار لظهورهما فهلا صدقوا بأن القرآن كلام الله لظهور ووضوح كماله ، وليس عدم رؤيتهم لله ولا سماعهم لتكلمه به ولا سماعهم لوحي جبريل به لرسولنا ﷺ بمبرر للتكذيب بالقرآن فها هو النجم الخانس في السماء لا يرى ولكن صدق الكفار بوجوده لوجود آثار تدل عليه من جذبه لما حوله من النجوم ، فهلا رأوا تأثير القرآن على القلوب وجذبه لها بحلاوة منطقه وجزالة أسلوبه ليوقنوا بأنه من عند الله "[2].

الحقائق العلمية في الآية السابقة :

وفي هذه الآية إشارة إلى أن المذنبات التي تجوب الكون الفسيح تظهر وجيزًا وتخنس طويلاً عندما تقترب من الشمس تظهر لنا بذنب طويل ، وعندما تبتعد تختفي أي تخنس فلا نراها وهي حقيقة تقوم بكنس الكون من الغبار الكوني ومن الجسيمات الهائمة في الفضاء الخارجي الناتجة عن انفجارات النجوم منذ بدء تشكيل الكون إذ يلتصق بالمذنبات الغبار الكوني والجسيمات الهائمة في الفضاء ليتشكل من ذلك ذنب طويل يحترق أغلبه عندما تقترب هذه المذنبات من النجوم كالشمس ، فهذه المذنبات تقوم بوظيفة الجواري الموكل إليهن كناسة الفضاء مما فيه من غبار وجسيمات للتقليل من كمية ما يتعرض له الغلاف الجوي من أجسام وجسيمات قادمة من الفضاء الخارجي ، وهذه المذنبات وراءها ذنب طويل يبلغ طول بعضها آلاف أو ملايين الكيلومترات من الغازات المشتعلة الشفافة ، فتظهر و كأنها تكنس السماء مثل مذنب هالي الذي صور وشوهد في عام (1986م) وهو يشاهد مرة كل 76 سنة فقط ، وهو يجوب السماء الدنيا ، ولا يعلم أحد أين يختفي أو أين يكمن طوال هذه الفترة ، ومما يجدر ذكره هنا أن

---

(1) انظر: (من علم الفلك القرآني) عدنان الشريف ، ص24 ،(ما دل عليه القرآن) محمود الألوسي ، ص39، (الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم) حميد النعيمي ، ص23 .

(2) كنوز قرآنية ، ص 267، 268 .

صفة (الخنس) أقرب للمذنبات منها للنجوم أو الكواكب لأن المذنبات بالنسبة لنا غالباً مختفية تظهر أحيانًا وتختفي غالبًا فهي (خنس) أصلاً ، أما النجوم والكواكب المرئية فهي تظهر وتختفي يومًا فصفة (الخنس) ليست الأقرب لوصفها لكن هذا التوجيه لا يمنع التوجيه الآخر المتعارف عليه في التفسير(1) .

2- **أقسم بالطارق** : قال تعالى : ﴿**وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ**﴾ [الطَّارق: **1-3**] ،" والطارق في أصله اللغوي كل من يأتي ليلاً ، وقد أراد الله به شيئاً خاصًا مما يظهر ليلاً ، له مكانته في السماء وفوائده في العالم الأرضي ، وقد أشعر القلوب بعظمته ومنافعه ، إذ قال منوهًا بشأنه ومفخمًا لأمره ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ** ﴾ ثم فسره بقوله ﴿ **النَّجْمُ الثَّاقِبُ** ﴾ والنجم هو جنس النجوم المنتشرة في السماء تثقب بضوئها الظلماء التي تخيم على الناس وبضوئها يهتدون "(2) .

الحقائق العلمية في الآية السابقة :

"يرى بعض العلماء أن (النَّجْمُ الثَّاقِبُ) الذي ورد ذكره في القرآن الكريم لا يتعدى أن يكون المقصود به (النجم المثقوب) أي أنه أحد النجوم ذات الثقب الأسود ، والثقوب السوداء هي نجوم تعرضت لانفجار حدث فيها وكان انفجاراً مريعاً هائلاً ولكنها عادت أجزاؤها الباقية بعد ذلك الانفجار إلى التشكل من جديد، لذا دعيت باسم النجوم من نوع (السوبر نوفا) أي (النجوم ما فوق الجديدة) والغريب فيها أنها تصبح ذات كثافة هائلة رغم أنها أصبحت قزمة وفيها ثقب أسود، ولشدة كثافتها وقوة جذبها أنها تبتلع النجوم القريبة منها دافعة إياها عبر ذلك الثقب الأسود كما تبتلع بسبب شدة جذبها الضوء لذا يكون ثقبها أسود اللون .

ويعتبر بعض العلماء أن ذلك الثقب مفتوح من الجهة الثانية بحيث يخرج منه ما تم جذبه للفضاء ثانية ، حيث تخرج منه تلك النجوم التي ابتلعها ذلك الثقب كما يخرج منه الضوء الذي كان قد انجذب إلى داخل ذلك الثقب "(3) .

3- **أقسم بالنجم الهاوي،** قال تعالى: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى**﴾ [النجم:**1**] ، والنجم الهاوي هو الذي يقذف به الشيطان حتى لا يرقى إلى السماء لاستراق السمع من الملائكة .

---

(1) انظر : (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (الكون والماء) ،سليمان الطراونة ، ص 29، (اجتهادات في التفسير العلمي)، محمد عادل أبو الخير :ص 74، (قبس من معجزة القرآن) أحمد ذياب ، ص50 .

(2) الفتاوى : محمد شلتوت ، ص 448 .

(3) العلوم الفلكية في القرآن الكريم ، إبراهيم الغوري ، ص97 .

4- **أقسم بمواقع النجوم ، قال تعالى :** ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[الواقعة: **75-76**]، والمعنى (أقسم بمواقع النجوم) أي بمنازل النجوم وأماكن دورانها في أفلاكها ، وأن هذا القسم العظيم جليل لو عرفتم عظمته لآمنتم وانتفعتم به ، لما في المقسم به من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة، ووصف سبحانه هنا القسم بأنه عظيم ، ونلمس هذه العظمة عندما تتهيأ لنا الوسائل لنعلم شيئاً عن هذه النجوم ومواقعها وأبعادها وسننها، ، ومواقع النجوم في سعتها وعظمتها تفوق حد الوصف والتخيل، فقوله (لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ) يبين لنا أن الآية لم تكن تعني العلم السطحي عن مواقع النجوم ، وإنما العلم الواسع العميق المظهر لآفاق عظمة القسم الإلهي [1].

يقول محمود قاسم :" إني استشف من قوله تعالى ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾:

أ- زيادة في تأكيد عظمة مواقع النجوم .

ب- جهل الناس لهذه العظمة حال نزول القرآن .

ت- دعوة للبحث والتفكير فيها ... إذن مواقع النجوم شيء عظيم جدًا بدلالة القسم بها ، ثم وصف القسم بالعظمة مع توكيد ذلك بثلاث أدوات ، إن واللام وقوله ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ "[2].

ويقول عدنان الرافعي موضحاً العلاقة بين النجوم والقرآن: " إن القسم دائمًا يأتي دليلاً لإثبات صحة المقسم عليه ، القسم هو مواقع النجوم ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ بيان أن هذا القسم عظيم وإحساسنا بعظمته يتناسب مع علمنا الفلكي بهذه المواقع وبمقدار وعينا لما تعنيه هذه القوانين من الدقة والحكمة والتدبير ، هذا القسم والمقسم عليه هو القرآن وما يحويه من حروف وكلمات وجمل وآيات وسور، ومن هنا يتضح لنا أن مسألة الترتيب وحكمة وصنع كل عنصر من عناصر القسم والمقسم عليه في مكانه ، وهو الرابط الذي يربط القسم بالمقسم عليه ، وأنه بمقدار ما نعلم من عظمة خلق هذا الكون ، بمقدار ما نعلم من عظمة هذا القسم ، وبمقدار ما نؤمن بالله وبعظمته وبحكمته، بمقدار ما نعلم من عظمة القرآن الكريم هذه هي ماهية الرابط بين القسم والمقسم عليه ، فالكون بنجومه وكواكبه وما فيه من حكمة الترتيب والتدبير، والقرآن بحروفه وكلماته وجمله وآياته وسوره وما فيها من حكمة الترتيب والتدبير، فحروف القرآن إنما وضعت بحكمة لا تقل عن الحكمة التي وضع لها النجم في موقعه ومداره ، فعند حذف حرف أو زيادة حرف سيختل توازن القرآن الكريم ، كما أنه عندما يخرج نجم عن مداره أو عند حذف

---

(1) انظر :(القرآن والكون) محمد الشرقاوي ، ص145، (القرآن إعجاز يتعاظم) شاكر الجبار ، ص119 .

(2) الإسلام وحقائق العلم ، ص86-87 .

مادته أو زيادة ذلك في الكون فإن النظام الكوني سيختل وستحدث مشكلة فلكية لا يعلم حدودها إلا الله ﷻ "[1].

ويضيف هشام الزهيري قائلاً:" ووجه العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه أن النجوم كما ثبت حديثًا هي مصادر المعادن الموجودة على سطح الأرض ، إذ بانفجار النجوم تنزل الشهب المحملة بالمعادن والعناصر الهامة ، فكما أن نزول النجوم يصاحبه الخير العميم ، فما أكرمها على ذلك، فكذلك نزول القرآن يصاحبه الخير العميم "[2].

الحقائق العلمية في الآية السابقة :

لم يقسم المولى بالنجوم مع أن القسم بالشيء أولى من موقعه ، وفي ذلك دقة متناهية إذا ثبت علمياً كون الذي يظهر في الحقيقة ليس النجم نفسه بل موقعه في السماء ، ولذا قال سبحانه بعدها ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[الواقعة :76] ،إنها حقيقة لا ترى بأعيننا ولا بأكبر وأدق المراصد الفلكية النجوم التي نتوهم أننا نراها بل نرى مواقع النجوم ، فأقرب نجم لنا بعده عنا أربع سنوات ونصف سنة ضوئية ، أي أن الضوء يبقى سائراً لأربع سنوات ونصف حتى يصلنا يقول العلماء أن من النجوم ما يبعد عنا آلاف السنوات الضوئية أي أن هذا النجم يحتاج إلى نفس المدة – آلاف السنوات– ليصل إلينا، وبالتالي فان هذا النجم قد ينفجر ويتلاشى من الكون قبل أن يصل ضوءه إلينا ، وعندما يصل لا يكون لذلك النجم وجود في الحقيقة، وبالتالي فإننا بالمنطق العلمي لا نرى النجم وإنما نرى موقعه ، فالكثير من النجوم التي نراها في الليلة الصافية تكون قد اختفت من الوجود منذ ملايين الملايين من السنين وما زال ضوءها يصلنا لأنه غادرها قبل أن تختفي، إذا فموقعها في مكانها المحدد المحسوب بدقة بالغة وبتلك القوة المحسوبة بدقة متناهية هو ما يساعد على ترابط الأجرام في صفحة الكون ، ولذلك كان موقع النجم أهم من ذاته ويحضرنا هنا قول الرسول ﷺ :**[النجوم أَمَنَة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد]**[3]، ومعني الحديث أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية فإذا انكدرت النجوم وتناثرت وهنت السماء وانشقت وذهبت ، لذا كان القسم بمواقع النجوم عظيم وأعظم منه اشتراط علمنا بتلك المواقع لكي نشعر بعظمة القسم على حقيقته التي تهز الوجدان، وتزيد إيمان الإنسان ، وتجدد علاقتنا بالقرآن [4].

---

(1) المعجزة نظرية قرآنية في الإعجاز القرآني ، ص16–17 .

(2) كنوز قرآنية ، ص257 .

(3) صحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة ،باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه ، ص(2531) ، حديث (207) .

(4) انظر: (كنوز قرآنية) هشام الزهيري ، ص 58 ،(الإعجاز العلمي في القرآن الكريم(الكون والماء) سليمان الطراونة ، ص22، 23، (مواقع النجوم) أحمد المزين، (الشبكة العنكبوتية) www.nahdet.ps.

وقد أكد المولى القسم بمواقع النجوم في موضع آخر، فقال **مقسماً بالبروج** :﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾[البروج:**1**] ، وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾[الفرقان:**61**]، والقرآن الكريم يصرح بأن السماء ذات مسالك وبروج وطرق ثابتة محددة الكواكب والنجوم ، فقد أقسم الرحمن ﷻ بالسماء ذات المنازل التي تنزلها الكواكب أثناء سيرها والبروج هي هذه المجموعات من مواقع النجوم التي تظهر في أشكال مختلفة في السماء مقسمة إلى اثني عشر قسمًا ، وهي أيضًا مجموعة من النجوم على أشكال مختلفة (1) .

مظاهر تسخير النجوم :

يذكر الله ﷻ في محكم التنزيل فائدة النجوم التي جعلها مسخرة لبني الإنسان كما يلي :

1- **جعلها هداية للسائرين، قال تعالى:** ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[النحل:**16**] .

"فالنجوم معالم يهتدي بها الإنسان في سفره براً وبحراً ، ويستفاد من رصد الشمس والقمر والنجوم فيتعين موقع المسافرين وتحديد اتجاه غايتهم ، بل إن رجال الفضاء في الآونة الأخيرة قد استعانوا بالشمس والقمر والنجوم في تحديد اتجاهاتهم في بعض مراحل أسفارهم ، وتستخدم بعض مجموعات النجوم في تحديد الزمن مثل مجموعة الدب الأكبر"(2).

2- **جعلها زينة** ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾[الصَّافات:**6**] .

يقول الإمام سيد قطب :" ونظرة إلى السماء كافية لرؤية هذه الزينة لإدراك أن الجمال عنصر مقصود في بناء هذا الكون ، وأن صنعة الصانع فيه بديعة التكوين جميلة التنسيق وأن الجمال فيه فطرة عميقة لا عرض سطحي وأن تصميمه قائم على جمال التكوين كما هو قائم على كمال الوظيفة سواء بسواء فكل شيء فيه بقدر، وكل شيء فيه يؤدي وظيفته بدقة ، وهو في مجموعه جميل ، والسماء وتناثر الكواكب فيها أجمل مشهد تقع عليه العين ولا تمل طول النظر إليه " (3).

2- **جعلها حافظة للسماء من الشياطين** : لقوله تعالى : ﴿ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴾ [الصَّافات:7] ، فبها ترجم الشياطين كي لا تدنو من الملأ الأعلى وتستمع لهم .

---

(1) انظر : (الإشارات العلمية) مدحت إبراهيم ، ص 62 ، (وجوه من الإعجاز القرآني) مصطفى الدباغ ، ص 86 .

(2) الإشارات العلمية ، مدحت إبراهيم ، ص62 .

(3) في ظلال القرآن (5 ، 2984) .

اللطائف المستنبطة من الآيات :

1- أقسم المولى ببعض مخلوقاته و منها النجوم ، وفي القسم بمخلوقاته روعة تدفع الإنسان إلى شدة الـــتأمل والنظر، فيدرك من الأسرار والإتقان والحكم ما يصل به إلى الإيمـــان بـــالله وبقدرته

2- القارئ المتأمل في سورة النجم يلاحظ أنها تتحدث عن قدرة الخالق -تبـــارك وتعـــالى- ، وتتحدث عن صور ومشاهد معظمها غيبية ، ومن بين هذه الآيات أقسم بالنجم وأكد القسم به **وذلك لبيان حقيقتين ثابتتين وهما :**

أ- إن عالم النجوم عالم غيبي مهما توصل الإنسان إليه يبقى ما خفي عنه أعظم بكثير والعلم الحديث يثبت ذلك .

ب- إن عالم النجوم وما فيه من إبداع وترابط ونظم دقيق منسجم مع بعضه البعض لا تنافر فيه وهو معجز كسور القرآن وترابطه كترابط آيات القرآن .

3- الكون المنظور يضم من مائة ألف مليون مجرة تقريباً وكل مجرة تحوي على الأقل مائة ألف مليون نجم لا يشكل سوى 10% من الكتلة المفروضة للكون البلايين ، ومن العجيب أن تكون شمسنا وهي أحد هذه النجوم منفردة بتكوينها أسرة من تسعة كواكب هي المجموعة الشـــمسية حولها ، ولو شئنا عد نجوم السماء لعجزنا عن ذلك، فعددهـــا لا يقـــدر بالملايين ، وفي ذلك إشارة إلى سعة ملك الله .

4- "أن العلم الذي يسود به الغرب كله مستخرج من آيات القرآن ، فليت الإنسان المسلم في هذه الكلمات (البروج)، (القمر)، (الليل)، (الرعد)، (الطارق)، (النجم)، (الشمس)، وغيرها من أسماء بعض السور التي تمثل صرخة نداء إلى كل مسلم لدراسة هذا العلم الكوني الذي تتجلى فيه عظمة الخالق ويجد فيه العقل الضال محرابه فيخر ساجداً لله عابداً "([1]).

5- تعلم علم النجوم ومعرفة البروج والمنازل والأوضاع مما يتوصل إلى مصلحة دينية لا بأس به ، فالمنهي عنه من علم النجوم هو ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث في المستقبل ، ومتابعة البروج في المجلات والجرائد ، فتصديق المنجمين شرك عظيم .

6- بطلان عبادة النجوم والكواكب ، فالشمس والقمر والنجوم آية من الآيات التي تدعو للتفكر والتأمل ،لا أن تعبد من دون الله ويجعل لها الأمر والتقدير والترتيب لأحداث الإنسان ، فالمؤمن بها كافر ، عن زيد بن خالد الجهنى أنه قال: **[صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف أقبل على الناس فقال :هل تدرون ماذا قال ربكم ،قالوا الله ورسوله أعلم ، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ،**

---

(1) نظرات في الأرض والسماء ،محمود محمد حجار ، ص40 .

فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب ،وأما من قال بنوء[1] كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب] [2] .

المطلب الثالث : نعمة تسخير الرياح :

الرياح المسخرات بين السماء والأرض آية من آيات الله المشبعة بالنعم والخير والرحمة والدالة علـــى وحدانيته وكمال قدرته ، "حيث سخر الرياح رحمـــة بالإنـــسان وبكـــل شـــيء ، فبالرياح تجري الفلك في البحر، وبها ينتقل الصوت ، وبها تتولد الطاقة والكهرباء ، وبها تتكون السحب ، وبها ينزل المطر، وبها يتم التلقيح في الزهر والثمر، ومن يتابع تحرك الرياح يـــدرك مدى رحمة المولى بالإنسان لأن الرياح تحرك ما هو أعظم وأقوى من الإنسان وتسخره له" [3].

والرياح والهواء اسمان لمسمى واحد ،ويُعرف الريح بأنه الهواء المتحرك وهـــو جـــسم لطيف شفاف غير مرئي ، يتكون من خليط من غاز الأكسجين بنسبة 20.94% ، والنيتروجين بنسبة 78.9%، والأرجون بنسبة 0.93 % ، وثاني أكسيد الكربـــون بنـــسبة 0.03% وغـــاز الهيليوم، والأيدروجين ، وقد يحتوي الهواء على بخار الماء بنسبة 0.03% ، والرياح ظـــاهرة جوية تحدث

في الطبقة السطحية للجو المسماة بالتروبوسفير وهي الطبقة السماوية التي تعلو ســطح الأرض مباشرة [4] .

ومعظم الآيات القرآنية التي ذكرت إرسال الرياح بلفظ الجمع جاءت في مقامات الرحمة وهي الرياح الناشرات ، والمبشرات ،والمرسلات ،والـــذاريات ،والحـــاملات ، والجاريـــات ، والمقسمات ، والفارقات ، والملقيات ، والمعصرات ، واللواقح ، وريح الصبا.

ومعظم الآيات التي ذكرت إرسال الريح بالإفراد جاءت في مقام العذاب وهـــي الـــريح العقيم ، والصرصر، والعاصف ، والقاصف، "والبشارة في ثلاث من الرياح في الصبا والشمال والجنوب ،أما الدبور فهي الريح العقيم لا بشارة فيها" [5] .

---

(1) الأنواء : الكواكب حيث كانوا ينسبون المطر إليها .

(2) صحيح بخاري ، كتاب الأذان ، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ،ص 172، حديث(846) .

(3) مظاهر كونية في معالم قرآنية ، محمد عبد الملك ، ص139.

(4) انظر : (الكون والإعجاز العلمي) منصور حسب النبي ، ص191، (التربية البيئية في القرآن الكريم) ، زياد السوسي ، رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية بغزة ، ص118.

(5) معالم التنزيل ، للبغوي ، ص 179 .

ويقول الإمام البغوي : " قال ابن عباس: أعظم جنود الله الريح والماء وسميت الريح ريحاً لأنها تريح النفوس" [1] .

وسميت الريح النافعة رياحاً والريح الضارة ريحاً لوجوه منها:

1- أن النافعة كثيرة الأنواع كثيرة الأفراد فجمعها ، فكل يوم وليلة تأتي نفحات من الرياح النافعة، ولا تهب الريح الضارة في أعوام ، بل الضارة في الغالب لا تهب في الدهور.

2- أن النافعة لا تكون إلا رياحاً ، فإن ما يهب مرة واحدة لا يُصلح الهواء ولا يُنشئ السحاب ولا يُجري السفن ، أما الضارة بنفحة واحدة تقتل كريح السموم.

3- أن الرياح فيها سر علمي وليس بلاغياً فقط ، فالرياح هي حقيقة جبهات هوائية من مناطق مختلفة بعضها دافئ رطب لمسيره عبر البحار أو المحيطات، وبعضها بارد وجاف لقدومه من أقصى شمال أو جنوب الكرة الأرضية ، هذه الجبهات تتداخل لتنتج منخفضات جوية محملة بالرطوبة المتكاثفة ، مما يجعل الرياح المتشكلة من أكثر من ريح بشراً بين يدي رحمة الله ، أي تنتج الغيث .

أما الريح الواحدة سواء الحارة أو الباردة فإنها غالباً تجلب شكلاً من أشكال العذاب ، فالريح اللاهبة الناتجة عن المنخفضات الحرارية طالما كانت عذاباً بما تجلبه من موجات حارة في شتى بقاع الكرة الأرضية ، والريح الباردة قد تكون شديدة الجفاف أي عقيم لا بخار ماء فيها ولا مطر كقوله تعالى : ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ﴾ [الذاريات:41] ، وقوله : ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ [الحاقَّة:6] ، فهنا ريح عقيم لا مطر فيها ، وهي صرصر باردة جداً ، ولشدة برودتها لم تكن محملة بالرطوبة بل بالعذاب ، لأنها ريح عاتية تقتلع كل شيء في طريقها ، والريح الباردة جداً لا تقوى على حمل الرطوبة كما هو ثابت علمياً فهي بذلك عقيم ، وهذه حقيقة علمية جليلة [2] .

ومما سبق يتبين لنا : أن الرياح علامة واضحة على كمال قدرة الله فمتى شاء جعلها رحمةً ، ومتى شاء جعلها عذاباً .

ويحثنا القرآن الكريم على دراسة الرياح وتصريفها لما فيها من الخيرات الحسان ، فمن خلال مطلب تسخير الرياح سنواصل سيرنا في ظل القرآن الكريم محاولين الكشف عن عِظم

---

(1) معالم التنزيل ، ص 179 .

(2) انظر : (مفاتيح الغيب) للرازي (252/12) ، (الإعجاز العلمي في القرآن "الكون والماء") سليمان الطراونة ص 76، 77.

هذا القرآن في تناوله لموضوع الرياح وشأن القرآن دائماً عظيم ، فقد جعل المولى تصريف الرياح آية من آياته فقال تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:164] .

المعنى الإجمالي :

الله ﷻ برحمته وكرمه خلق الإنسان منعماً عليه ، وخلق كل ما في الكون مسخراً لـــه ، ولفت أنظارنا إلى الأدلة على هذه القضية بالكون نفسه ، ومن هذه الأدلة تصريف الرياح ، أي تنويعها في اتجاهها وشدتها ومنافعها ،" فتارة تأتي بالرحمة، وتارة تأتي بالعذاب، وتارة تـــأتي مبشرة بين يدي السحاب ، وتارة تسوقه، وتارة تجمعه ، وتارة تفرقه ، وتارة تصرفه ، ثم تارة تأتي من الجنوب وهي الشامية ، وتارة تأتي من ناحية اليمن ، وتارة صبا وهي الشرقية التـــي تصدم وجه الكعبة وتارة دبوراً وهي غربية "[1] .

يقول الإمام القرطبي : "تصريفها إرسالها عقيماً ومُلقِحة ، وصراً ونـــصراً وهلاكـــاً ، وحارة وباردة ، ولينة وعاصفة ، وقيل تصريفها إرسالها جنوباً وشمالاً ودبوراً وصبا ونكبـــاء وهي التي بين مهبي ريحين" [2] .

وبهذا صار تصريف الرياح علامة ساطعة وآية دالة على وحدانية الله وعظيم سلطانه ، ولكن لمن هذه الآية ، يقول المولى ﷻ : " لقوم يعقلون " أي ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون بها لأنها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة، فهم قوم فكروا بعقولهم فخلص يقينهم ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آَيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية:5] ، " فقد أعلم – تعالى ذكره– عباده بأن الأدلة والحجج إنما وضعت معتبراً لذوي العقول والتمييز دون غيرهم من الخلق، إذ كانوا هم المخصوصين بالأمر والنهي ، والمكلفين بالطاعة والعبادة ولهم الثواب ، وفي الآية تعريض للمشركين الذين اقترحوا على النبي ﷺ آية تصدقه ،وفيه تسجيل عليهم بسخافة عقولهم" [3] .

يقول الإمام سيد قطب : " لو ألقى الإنسان عن عقله بلادة الألفة والغفلة ، فاستقبل مشاهد الكون بحس متجدد ، ونظرة مستطلعة وقلب نوره الإيمان ، ولو سار في هذا الكون كالرائد الذي يهبط إليه أول مرة ، تلفت عينه كل ومضة ، وتلفت سمعه كل نأمة ، وتلفت حسه كل حركـــة، وتهز كيانه تلك الأعاجيب التي ما تفتأ تتوالى على الأبصار والقلوب والمشاعر، إن هذا هو مـــا

---

(1) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ص 215 .

(2) الجامع لأحكام القرآن ، المجلد الأول (151/2) .

(3) روح المعاني ، للألوسي ، المجلد 14 (214/25– 218) .

يصنعه الإيمان هذا التفتح ، هذه الحساسية ، هذا التقدير للجمال والتناسق والكمال ، إن الإيمـــان رؤية جديدة للكون وإدراك جديد للجمال ، وحياة على الأرض في مهرجان من صـــنع الله " [1]

فسبحان الله والحمد لله على نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة.

تصريف الرياح من منظور العلم الحديث :

المقصود بتصريف الرياح تحريكها وتوجيهها ، فهذه الرياح التي هي الهواء المتحرك ، والذي يمكن إدراكه إلى ارتفاع يصل 65 كم تقريباً فوق سطح البحر ، إنما يتحرك بتأثير حرارة الشمس التي تجعله يخف ويحل محله هواء بارد ثقيل، يندفع نحو منطقة الضغط المنخفض بنظام دقيق فيه تصريف للرياح ، وتوجيه لها في هبوبها من مكان إلـــى مكـــان ، فحـــرارة الـــشمس ودوران الأرض حول نفسها يعملان على تصريف الرياح حتى تقوم بمهمتها من حمل الـــسحب وتلقيحها ، أي مدها بنويات التكاثف (كأملاح البحر والأكاسيد والأتربة) التـــي تتجمـــع عليهـــا قطرات بخار الماء النامية داخل السحب ، وكذلك قيام الرياح بتوزيع الحرارة وغير ذلـــك مـــن حكمة الله في هذا التسخير [2] .

"ولو لم تكن الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس ، لما كانت هنـــاك دورة عامـــة للرياح ، فالرياح تعمل على حفظ العزم الزاوي لأرض تدور ، وفي الآية السابقة إشارة بليغـــة لدوران الأرض عبر عنها القرآن الكريم باختلاف الليل والنهار ، وهنا يتضح وجه من الإعجاز في عطف السحاب المسخر على تصريف الرياح، والسحاب المسخر بين السماء والأرض على دوران الأرض ، والرياح سبب أساسي يرسلها الله لتجري الفلك في البحر ، وهناك تلازم وثيق بين الرياح وإنزال المطر الذي يحيى به الأرض والدواب ، وبهذا يتضح بجلاء الوجوه الجامعة الكلية في آية تصريف الرياح" [3] .

وترى الباحثة أن في تصريف الرياح علاقة معروفة بدورة الأرض ، وبظاهرتي الليل والنهار وبالرزق الذي ينزل من السماء وكلها تتعاون في تحقيق مشيئة الله فـــي هـــذا الكـــون وتصريفه كما أراد ، وهذا يزيدنا إيماناً على إيماننا بالخالق العظيم .

ومن خلال ما سبق تبين للباحثة ما يلي :

1- أن الرياح التي تبدو للمراقب من الناس هوجاء عاصفة ، لها في الحقيقة توزيع دقيق علـــى سطح الأرض ، تحكمه قوانين شـــديدة الانضباط ، وقد وصـــف القرآن الكريم هذه الدقـــة

---

(1) في ظلال القرآن (153/1) .

(2) انظر : (القرآن وإعجازه العلمي) محمد إبراهيم ، ص 94 ، (الكون والإعجاز العلمي) منصور حسب النبي ص 190 .

(3) تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ، حسني حمدان ، مجلة (منبر الإسلام) ، ص44.

في التوزيع والانضباط في الحركة بوصف معجز هو تصريف الرياح ، بمعنى أن الرياح لا تتحرك هذه الحركات العديدة بذاتيتها ، وإنما بقدرة الله الذي يصرفها بعلمه وبحكمته كيفما شاء.

2- وجود التوازن في الكون بين مناطق الضغط المرتفع والضغط المنخفض لآيات مدهشة في تصريف الرياح وهذا يؤكد أن الكون لم يخلق صدفة.

3- لو أراد العالم كله أن يصرف الرياح من مكان إلى آخر ما استطاعوا ولو بلغوا من القوة والعلم ما بلغوا ، فأمرها بيد الله وحده وذلك آية لقوم فكروا بعقولهم فخلص يقينهم.

مظاهر تسخير الرياح في القرآن :

لقد جعل المولى – سبحانه- الرياح نعمة مسخرة بين السماء والأرض وأبقاها آية للعالمين، ليُعملوا عقولهم ويتدبرونها ويدرسونها و يفهمونها حق الفهم، فكانت لهذه النعمة النصيب من دراسة علماء الفلك ، وذلك لحاجة العصر لفهمها ، فمعرفة أنواع الرياح وسرعتها وارتفاعها مهم جداً لتأثيرها المباشر على نمط حياتنا لاسيما فيما يتعلق بالملاحة الجوية والبحرية، فالرياح سريعة العاصفة تؤثر في مدى ارتفاع أمواج البحر، وكذلك لها علاقة بإنشاء السحب والضباب مما يؤثر مباشرة على الملاحة الجوية والبحرية وعلى حياة الإنسان ، ويتحدد نوع الرياح حسب سرعتها ، فقد تكون الرياح نسيماً ، أو رياحاً خفيفة معتدلة ، أو ساكنة، أو لطيفة ، أو نشطة ، أو تصل إلى مستوى العاصفة أو الزوبعة أو الإعصار.

وتتراوح سرعة الرياح من 1ميل/في الساعة للنسيم إلى أكثر من 70/ميل في الساعة للإعصار ، فتختلف سرعة الرياح حتى تصل إلى 100 كيلو متر في الساعة فتسمي زوبعة ، وإذا زادت على مائة سميت إعصاراً وقد تصل سرعة الإعصار إلى 240 كيلو متراً في الساعة[1] .

وتنوع درجات الرياح لدليل على تسخيرها وإرسالها بالفائدة على الإنسان، ومن مظاهر هذا التسخير:

أولاً: إرسالها لواقح : قال تعالى: ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾ [الحجر:22] .

---

(1) انظر : (الله والعلم الحديث) عبد الرزاق نوفل ، ص156.

المعنى الإجمالي :

أشار القرآن الكريم إلى أن الرياح يمكن أن تقوم بعملية التلقيح وجاء التعبير (لواقح) عاماً ، وخصص التلقيح في هذه الآية بالسحب.

يقول الإمام النسفي : " أرسلنا الرياح لواقح جمع لاقحة ، أي أرسلنا الرياح حوامل بالسحاب لأنها تحمل السحاب في جوفها كأنها لاقحة بها" [1] .

ويقول الإمام الماوردي : " فيه قولان :

الأول : لواقح السحاب حتى يمطر ، قاله الحسن وقتادة، وكل الرياح لواقح غير أن الجنوب ألقح.

الثاني : لواقح للشجر حتى يثمر، قاله ابن عباس ، وقال أبو عبيدة : لواقح بمعنى ملاقح ، وقال عبيد بن عمير : يرسل الله تعالى المبشرة فتقم ([2]) الأرض قماً ، ثم ترسل المثيرة فتثير السحاب ، ثم يرسل المؤلفة فتؤلفه ، ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر" [3] .

وترى الباحثة : أن بعض المفسرين اعتقدوا أن المقصود بالرياح لواقح هو دور الرياح في نقل حبوب اللقاح للشجر ليتم الإخصاب وتكوين الثمار وهو دور معروف وثابت علمياً ، ولكن الجملة التي تليها لا تؤيد هذا التفسير فقوله تعالى : ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وهو المطر تدل على أن عملية إرسال الرياح لواقح لها علاقة مباشرة بنزول المطر، واستخدام حرف العطف (الفاء) الذي يدل على الترتيب والتعقيب ، يشير إلى أن تلقيح الرياح للسحب يسبق إنزال المطر ويوحي بسرعة نزول المطر بعد إرسال الرياح لواقح .

"وتؤكد الآية أن ماء المطر لا يمكن خزنه لأن مياه المطر سوف تتسرب حتماً وبشتى الطرق إلى الجو ثانية لتتم الدورة المستمرة المسخرة بين المحيطات والبحار والأنهار من جهة وبين سحب الغلاف الجوي في سمائنا من جهة أخرى ، فإذا تبخر جزء من مياه الأرض بحرارة الشمس فإنه يعود إليه حتماً من السماء على هيئة أمطار ، بحيث تكون كمية المياه المتبخرة من سطح الأرض مساوية تماماً لكمية المياه العائدة إليها من السماء ، ويتضح بذلك المعنى في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ ، وبذلك تظل كمية المياه على الأرض ثابتة بسبب استمرار هذه الدورة " [4] .

---

(1) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (567/2) .

(2) أعلى الرأس ، قم البيت كنسه ،القاموس المحيط، الفيروز أبادي ، ص 1151 .

(3) النكت والعيون (155/3) .

(4) الكون والإعجاز العلمي ، منصور حسب النبي ، ص204 ، 205.

الحقائق العلمية في إرسال الرياح لواقح :

تبين لنا الآية حقيقة علمية غاية في الدقة والإحكام فهي تدل على أن الرياح إنما هي لواقح للسحب التي يتم بها نزول الماء من السماء ، فهذا ما قرره العلم الحديث " حيث تشحن السحب بالكهرباء عندما تقوم الرياح بتلقيح السحب كهربائياً في الجو ، فالرياح الصاعدة من الأرض تحمل شحنة كهربائية موجبة وباتحادها مع الشحنة الكهربائية الموجودة في الفضاء يتكون مجال كهربائي يسبب تحويل البخار إلى قطرات دقيقة من الماء ، فبعد مدة تصير السحب مشحونة شحناً وافراً بالكهرباء ، فعندما تقترب الشحنتان بعضها من بعض بواسطة الرياح يتم التفريغ الكهربائي وذلك بمرور شرارة بينهما ويستغرق وميض البرق لحظة قصيرة ويكون شكله خطاً منكسراً ، أو كشكل المفرش ، ولونه أبيض ، أو أصفر ، أو أزرق ، أو أحمر ، وبعده يسمع الرعد وهو عبارة عن الموجات الصوتية التي يحدثها الهواء ، وما هي إلا برهة حتى تخيم على السماء سحابة المطر القاتمة اللون ، ثم تظهر نقط كبيرة من الماء تسقط على الأرض وفجأة يشتد المطر ويستمر حتى تأخذ الأرض ما قدر الله لها من الماء [(1)] .

يقول الأستاذ عبد الرحيم مارديني : " في إرسال الرياح لواقح قضية علمية تقرر في جلاء ووضوح ، أنَّ هذا الماء العذب لا يختزن في مكان معين ولكنه يخضع لدورة عامة بين السماء والأرض تعرف باسم دورة الماء بين السماء والأرض ، ومن الحقائق العلمية التي توصل إليها العلماء مؤخراً أن الرياح لا تغذي السحب ببخار الماء وحده ، بل إنها تمدها وتلقحها كذلك بجسيمات صغيرة مجهرية من مساحيق تمتصها مثل مساحيق ملح الطعام التي تتطاير مع الرياح من البحار والمحيطات وتسمى تلك الجسيمات باسم " نوى التكاثف " وهي المراد من كلمة (لواقح) فما أروع ما ذكره القرآن من حقيقة علمية في الرياح" [(2)] .

خلاصة ما سبق :

1- أن الآية تصف بألفاظ واضحة أن التلقيح الوارد ذكره يكون بين السحب بعضها البعض وبين قطرات الماء وليس المقصود تلقيح النباتات عن طريق حمل حبوب اللقاح ، فإنه لا يوجد علاقة بين تلقيح النباتات وحمل حبوب اللقاح ونزول المطر.

2- أن التلقيح الكهربائي ذكر في القرآن في هذه الآية ومن المعلوم أن الكهرباء اكتشفت بعد نزول القرآن بحوالي ثلاثة عشر قرناً وهذا دليل على صدق القرآن الكريم وأنه منزل من عند رب العالمين ، ودليل على صدق معلم البشرية أجمعين.

---

(1) انظر : (الله والعلم الحديث) عبد الرزاق نوفل ، ص157 ، (القرآن إعجاز يتعاظم) شاكر الجبار ، ص137.

(2) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، ص144، 145 .

3- أن هناك ثلاثة أنواع من التلقيح في السحب:

أ- تلقيح السحب الحارة بالسحب الباردة مما يزيد عملية التكاثف وبالتالي نزول المطر.

ب- تلقيح السحب موجبة الشحنة بالسحب سالبة الشحنة ويحدث تفريغ وشرر كهربائي فيكون المطر مصحوباً بالبرق والرعد ، وهو صوت تمدد الهواء الناجم عن التفريغ وهناك باقة من الآيات أشارت إلى ذلك منها قوله تعالى : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ...﴾ [البقرة:19] ، ومنه قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد:12] .

ج - التلقيح الثالث: وهو من أهم أنواع التلقيح جميعاً هو أن الرياح تلقح السحاب بما ينزل بسبب المطر، إذ إن نويات التكاثف، وهي النويات التي يتجمع عليها جزيئات بخار الماء لتكــون نقطاً من الماء نامية داخل السحب ، هي المكونات الأولى من المطر تحملها الرياح ، إلــى مناطق إثارة السحب، وقوام هذه النويات هو أملاح البحار وما تذروه الرياح مــن ســطح الأرض، والأكاسيد والأتربة كلها لازمة للأمطار وهذه هي فكرة المطر الصناعي، فالرياح عامل أساسي في تكوين السحب وتلقيحها ونزول المطر(1) .

ثانياً : إرسالها إثارةً وبسطاً وتأليفاً للسحب : قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الرُّوم:48] ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر:9] .

المعنى الإجمالي :

يبين المولى أثر الرياح في تكوين السحاب من خلال قوله " فتثير سحاباً " أي تحركــه وتهيجه فيسير وينتشر بما يحمله من بخار الماء المتصاعد فيبسطه في الــسماء كيــف يــشاء ، ويفرشه ويمده فيكون تارة سائراً ، وتارة واقفاً ، وتارة مطبقاً ، وتارة غير مطبق ، وتارة كسفاً قطعاً متفرقة في السماء بتجميعه وتكثيفه وتراكمه بعضه فوق بعض، حينها يخرج المطر مــن خلال السحاب فيستبشر أهل الأرض (2) .

يقول الإمام الرازي : " في إرسال الرياح قدرة وحكمة : أما القدرة فظاهرة فإن الهواء اللطيف الذي يشقه الودق يصير بحيث يقلع الشجر وهو ليس بذاته كذلك ، فهو بفعــــل فاعــل

---

(1) الإعجاز العلمي للقرآن الكريم ، زغلول النجار (بتصرف) (الشبكة العنكبوتية)، www.elnaggarzr.com

(2) انظر : (فتح القدير) للشوكاني (276/4) ، (في ظلال القرآن) سيد قطب (2774/5) .

مختـــار ، وأما الحكمة ففي نفس الهبوب فيما يفضي إليه من إثارة السحب ، ثم ذكـــر أنـــواع السحب ، فمنه ما يكون متصلاً ومنه ما يكون منقطعاً ، ثم المطر يخرج منه ، والماء في الهواء من أعجب علامة القدرة ، وما يفضي إليه من إنبات الزرع وإدرار الضرع حكمة بالغة ، ثم إنه لا يعم بل يختص به قوم دون قوم وهو علامة المشيئة" [(1)] .

ويذكر الأستاذ سليمان الطراونة لطيفة جميلة : في ورود لفظة (تثير) قـــائلاً : " هـــذا الفعل المضارع (تثير) غير الأفعال (تنشئ أو تجعل أو تكون) رغم أنها فـــي المفهـــوم العـــام متقاربة ، لكن رب العزة يأتي بلفظة موحية ومعبرة بشكل معجز عن العملية الدقيقـــة لتـــشكل الغيوم في خلايا العواصف ، فالذين راقبوا بالكاميرات الدقيقة عملية تشكل السحب فـــي خلايـــا العواصف عند التقاء الرياح وتمازجها ، يرون عملية الإثارة المدهشة التي تحـــصل فـــي تلـــك السحب على حقيقتها وبشكل يجسد لفظة (تثير) بكل دقة وثراء فالمراقب عن قرب لعملية الإثارة تلك يرى ما يشبه الإثارة المهولة التي تتبع انفجار القنابل النووية، لذلك ما كان للأفعال تنشئ أو تكون أو تجعل أو غيرها أن تعبر بشكل موحٍ دقيق علمياً عن هذه الحالة المشبعة بالإثارة ، بينما الفعل (تثير) أقوى اتصالاً بهذه العملية الدقيقة والكبيرة التي تحصل بكل ما فيها من ديناميكيـــة وتداخل وعفوية وهيجان يأخذ بالألباب ، يتبع ذلك تفريغ هائل للطاقة يشبه ما يحصل في القنابل النووية لكنه ينتج برقاً مسمداً ومطراً محيياً لا دماراً ولا إشعاعاً " [(2)] .

الحقائق العلمية في إثارة وبسط وتأليف السحب :

تبين علمياً أن للرياح مركبتين، مركبة أفقية تسوق السحاب وهي مسئولة عن عملية البسط والانتشار لقوله تعالى : ﴿ **اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ** ﴾ [الرُّوم:48] ومركبة رأسية وهي المسئولة عن عملية الرفع للسحب لقوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ المَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ المَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [الأعراف:57] ، فالمركبة الرأسية للرياح هي المسئولة عن إثارة السحاب وإظهاره حيث يبرد الهواء الصاعد وبذلك يتكثف بخار الماء غير المرئي فتتكون قطرات الماء فتظهر السحاب أما المركبة الأفقية فهي المسئولة عن البسط والانتشار [(3)] .

يقول الأستاذ سليمان الطراونة : " وهنا لا بد من نظرة أكثر عمقًا في عمليـــة "يؤلـــف بينه" أليست لفظة "يؤلف" فيها إشارة واضحة إلى لقاء الأليف بالأليف بما يشبه الزواج ليكـــون

---

(1) انظر : مفاتيح الغيب (7/26) .

(2) الإعجاز العلمي في القرآن (الكون والماء) ، ص 83 ، 84 .

(3) تصريف الرياح المسخر بين السماء والأرض ، حسني حمدان ، (مجلة منبر الإسلام) ،ص46 (بتصرف).

الإنجاب كما تلتقي الذكورة بالأنوثة ، وبحكمةٍ ربانية كذلك تلتقي الغيوم السالبة الشحنة بـــالغيوم الموجبة الشحنة ليتم التأليف بينهم ولتتجب المطر والبرد ، وفى هذا السياق المعبـــر والمعجـــز وصف رب العزة الرياح باللواقح " (1) .

فسبحان مصرف الرياح ومؤلف السحاب ومنزل منه المطر على العباد.

ثالثاً : إرسال الرياح مبشرات : قال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ المَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ المَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:57] ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان:48] .

المعنى الإجمالي :

أن الله ﷻ يرسل الرياح الطيبة اللينة مبشرات بالغيث الذي تثيره بإذن الله منتشرة بـــين يدي السحاب الحامل للمطر، وقال "بشرًا " لأنها بشرى بالمطر ، ولأن الناس يستبشرون بهـــا ، وقد سخر المولى هذه النعمة لعل العباد يشكرونه عليها لقوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الرُّوم:46] ، وقوله : ﴿ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ أي بين يدي المطر ، مبشرة بالمطر قبل نزوله لأنه رحمة مـــن الله لخلقه (2) ، "ومن دلائل قدرته على إرسال الرياح بشرى أنه قال : ﴿ لِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ بآثار هذه البشرى من الخصب والنماء ،﴿ وَلِتَجْرِيَ الفُلْكُ بِأَمْرِهِ ﴾ سواء بدفع الرياح لها ، أو بتكـــوين الأنهار من الأمطار فتجري السفن فيها ، والله قادر على دفع السفن وعلى إبقائها ساكنة لقوله : ﴿ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشُّورى:33] ،﴿ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ من الرحلات التجارية ، وفي الزروع والحصاد وفي الأخذ والعطاء وكله من فضل الله الذي خلـــق كل شئ وقدره تقديرا " (3) ، لا بفضل غيره فلا شريك له بالملـــك لقولـــه تعالى : ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل:63] .

قلت : انظر إلى دقة الوصف والى عظمة الخالق الذي أودع هذا التسخير لهذه الريـــاح لكي تخدم جميع المخلوقات على الأرض ثم بعد ذلك ، سبح بسم ربك العظيم .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- أن الرياح نعمة مسخرة وخلق من مخلوقات الله القابلة للإرسال وللتصريف .

---

(1) الإعجاز العلمي في القرآن (الكون والماء) ، ص8 .

(2) انظر : (النكت والعيون) للماوردي (148/4) ، (تفسير القرآن العظيم) ابن كثير (248/2) .

(3) تفسير الآيات الكونية ، عبد الله شحاتة ، ص 314 .

2- أن الإنسان المعرض عن آيات الله إن كان ذكاؤه قوياً فإنه لا ينفعه ذكاؤه في الاستدلال على وحدانية الله ، لأنه عطل عقله عن التأمل في أدلة الوحدانية فكم من عالم صعد الفضاء ولم يؤثر فيه شيء وبقي على ضلاله ، فاللبيب هو الذي يجد في الرياح أقوى دليل على وجود الله وقدرته ورحمته .

3- كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات وتغلغل فكره في بدائع المبتدعات، وازداد تأمله للصنعة وما أودع الله فيها من لطائف البر والحكمة والرحمة ،علم بذلك أنها خلقت بالحق وللحق وأنها صحائف ودلالات إعجازه وتفرده بالملك .

4- أن في الرياح نعماً دنيوية ودينية فهي نعمة دنيوية حيث سخرها الله بما ينفع الناس، ولكن إن تفكر فيها العاقل واستدل بها على معرفة الخالق صارت نعماً دينية ، فالتفكر في نعم الله وملكه وآلائه وقدرته العظيمة سبب موجب لمحبة الله والقرب منه.

5- أن الريح والماء خلقا قبل خلق السماء والأرض ، وهما من أهم ضروريات الحياة ، وما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:164] فنجد تصريف الرياح معطوفاً على خلق السماوات والأرض وقال رسول الله ﷺ : **(إن الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)** [(1)] ، وعن سعيد بن جبير **(سئل ابن عباس عن قول الله (وكان عرشه على الماء) على أي شئ كان الماء ؟ قال : على متن الريح)** [(2)] .

6- تقسيم الرياح إلى أنواع وتصريفها آية من آيات الإعجاز الدالة على وحدانية الله في خلقه والمشعرة بالرجاء والخشية ، فلو بقيت الريح في اتجاه واحد لأخذت العالم ولكنها تتقابل فيكسر بعضها حدة بعض، وهذا يدل على أن وراءها إلهاً مدبراً عظيماً ، دقيق الصنعة مما يدفعنا إلى أن نقر بعجزنا أمام عظمته وقدرته وأن نشكر له عظيم نعمائه .

7- جعل الله الريح نصرة وعقاباً ، فعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : **(نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور)** [(3)] ، وهذا معنى ما جاء في الخبر أن الله ﷻ فرج عن نبيه ﷺ بالريح

---

(1) سنن الترمذي : كتاب القدر، باب ما جاء في الرضا بالقدر ، ص487 ،حديث (2156) قال لألباني:صحيح.

(2) المستدرك ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة التوبة (367/2) ، حديث (3293) ، قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين .

(3) صحيح البخاري ، كتاب الاستسقاء ، باب قول النبي ﷺ : نصرت بالصبا ، ص 205 ، حديث (1035) .

يوم الأحزاب فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب:9] .

8- الاستعاذة بالله عند رؤية الريح وعدم سبها فقد نهى النبي ﷺ عن سب الريح ، فعن أبي هريرة ﷺ قال :سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فإذا رأيتموها اسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها)** [(1)] ، وروي عن النبي ﷺ أنه قال : **(لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن)** [(2)] ، والمعنى أن الله جعل فيها التفريج والتنفيس والترويح .

9- المتأمل في آيات الرياح يلاحظ أن القرآن الكريم تحدث عن أنواع الرياح ، وما هذا إلا شيء من إعجاز القرآن الكريم الذي ما زالت الكنوز التي فيه تنتظر منا التنقيب علنا نكرم بواحدة من الكنوز الوفيرة التي فيه، وأنه من المستحيل على الحبيب محمد ﷺ أن يعرف كل هذا وحده قبل أربعة عشر قرناً دون أن يخبره بذلك الجليل سبحانه ، فيا رب لك الحمد العظيم .

المطلب الرابع : نعمة تسخير السحب:

إذا نظرت إلى السماء في أيام غائمة تشاهد السحب ، بعضها يكون منخفضاً ، وبعضها يكون عالياً ، ومنها ما يظهر كالريش ، ومنها الملبد ، ومنها الأبيض ، ومنها الرمادي ، بعضها يتساقط منه المطر أو البرد أو الثلج ، وبعضها غير ماطر ، وإذا تأملت القرآن الكريم تجد عناية القرآن بموضوع السحاب ، فقد ذُكر السحاب في تسعة مواضع [(3)] ، وذُكر السحاب المسخر بين السماء والأرض في موضع واحد في قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:164] .

---

(1) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا هاجت الريح ، ص 763 ، 764 ، حديث (5097) قال الألباني صحيح .

(2) المستدرك ، كتاب التفسير ، باب من تفسير سورة البقرة ، (298/2) ، حديث (3075) ، قال الحاكم على شرط الشيخين ، وقال الذهبي على شرط البخاري .

(3) انظر سورة : (البقرة 164، الأعراف 57 ، الرعد 12، النور 34 ،40 ، النمل 88 ، الروم 48 ، فاطر 9، الطور 44) .

سبب نزول الآية :

" نزل على النبي ﷺ بالمدينة قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:163] ، فقال كفار قريش بمكة : كيف يسع الناس إله واحد فأنزل الله هذه الآية .

وعن ابن عباس قال: قالت قريش للنبي ﷺ : ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهبًا نتقوى به على عدونا ، فأوحى الله إليه أنى معطيهم ولكن إن كفروا بعد ذلك عذبتهم عذابًا لا أعذبه أحداً من العالمين ، فقال رب دعني وقومي فأدعوهم يومًا بيوم ، فأنزل الله هذه الآية ، وكيف يسألونك الصفا وهم يرون من الآيات ما هو أعظم " [1].

المعني الإجمالي :

يعدد المولى ﷻ في هذه الآية النعم التي سخرها للإنسان ويذكر من هذه النعم السحاب ، والمراد به النعيم المذلل بأمر الله تعالى لمصالح الخلق فيسير إلى حيث يشاء الله من الأراضي والأماكن ، وتسخيره بعثه من مكان إلى آخر، وقيل تسخيره بثبوته بين السماء والأرض من غير عمد ولا علائق والأول أظهر، وهذه الآية قد جمعت من آياته الدالة على وحدانيته وقدرته ما صار لذوي العقول مرشدًا إلى الحق وقائدًا ، فلم يقتصر المولى على مجرد الإخبار حتى قرنه بالنظر والاعتبار [2] .

وقد ورد السحاب في القرآن بمعنى الغمام والمزن فهل ثمة فرق بينه وبين الغمام والمزن ؟

ولمعرفة الفرق علينا أن نقرأ معنى السحاب اللغوي ، **يقول الراغب الأصفهاني** :" أصل السحب الجر كسحب الذيل والإنسان على الوجه ومنه السحاب ، إما لجر الريح له أو لجره الماء أو لانجراره ... والسحاب الغيم فيها ماء أو لم يكن .... ومنه الغمام لكونه ساتراً لضوء الشمس ... وفيه المزن : السحاب المضيء والقطعة منه مزنه" [3] .

يقول السيد خضر:" والملاحظ في الاستعمال القرآني أن لفظ الغمام يراد به ما يحجب ضوء الشمس ، أو ما يشبه الظل دون الإشعار بنزول الماء ، وقد ورد لفظ الغمام في أربعة مواضع، منها قوله تعالى[4]: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة:57] ، وقوله تعالى : ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ [الأعراف:160] ، وهذا في سياق الحديث عن بني إسرائيل حين خرجوا مع موسى ونجوا من فرعون ، ولو كان الغمام هنا ذا ماء ما

---

(1) أسباب النزول ، للسيوطي ، ص45.

(2) انظر : (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي،المجلد الأول (153/2، 154) ، (النكت والعيون) للماوردي (218/1) ، (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير(215/1).

(3) المفردات في غريب القرآن ، ص 225، 365 ، 467 .

(4) انظر سورة :(البقرة 210، الفرقان :25) .

احتاجوا إلى الاستسقاء حيث أعطاهم الله حجرًا يحمله موسى فيها اثنتا عشرة عينًا على عدد أسباطهم... أما لفظ السحاب في القرآن فقد ورد في تسعة مواضع([1]) بمعنى واحد – والله أعلم – والراجح فيه أن يكون مرحلة من مراحل تكون الماء النازل من السماء حيث يرسل الله تعالى الرياح فتثير سحابًا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويسوقه إلى من يشاء قال تعالى : ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الرُّوم:48] ، الكسف : قطع السحاب ، والودق : حبات الماء ، وقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾ [النور:43] ، فالسحاب في الآيتين السابقتين مرحلة بين إرسال الرياح التي هي مقدمة لإثارته ، وجعله كسفًا أي قطعًا ثم يؤلف سبحانه بين هذه القطع فتكون ركامًا وهو المتراكم بعضه فوق بعض ، بعد ذلك يتهيؤ لإنزال الماء فيسمى المزن على الراجح من كلام العرب ، وقد ورد لفظ المزن في موضع واحد هو : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ المَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ أَمْ نَحْنُ المُنْزِلُونَ﴾ [الواقعة:69] ، أي في حالة إنزال الماء يختص السحاب بلفظ المزن ، ولذا يسمِّي العرب البرد : قطع الثلج الصغار – باسم " حب المزن" ... والمزن يرتبط بنزول الماء ، أما السحاب ليس من شرطه نزول الماء ، فقد ينزل منه الماء وقد لا ينزل كما نشاهد في حياتنا ، وبذلك يتبين دقة القرآن في وضع كل لفظ الموضع الملائم تمامًا" [(2)] .

والسحاب هو كتلة ضخمة تنتج من تجمع بخار الماء المكثف في طبقات الجو العليا إلى ارتفاع 18 كيلو متر [(3)] .

ويذكر القرآن الكريم أن السحب المسخرة نوعان :

الأول: السحب الركامية (المزن) قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾ [النور:43] ، وهذه الآية تشير إلى الحقيقة العلمية بأن السحب الركامية تبدأ بعدة خلايا تتحد وتنمو حتى تصير كالجبل وأنها تعطي البرد ، وأن هذا البرد هو الذي يولد البرق ، وأن أهم أضرار البرق هي إصابة الناظر إليه من قرب بالعمى المؤقت ، وأن الله تعالى يبين في هذه الآية كيف يكون التدرج في تكوين السحاب حتى يكون

---

(1) انظر سـورة : (البقـرة 164، الأعراف 57 ، الرعد 12، النور 34 ،40 ، النمل 88 ، الروم 48 ، فاطر 9، الطور 44) .

(2) من الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم ، ص 101-103 .

(3) انظر : (السحاب) محمد الفندي ، (مجلة منبر الإسلام) ، ص 45 .

ركاماً ، ويذكر تعالى أنه يسوق السحاب بقدرته أول ما ينشؤها وهي ضعيفة وهو الإزجاء ، ويجمع بينه بعد تفرقه وفي ذلك دلالة على وجودها متقدمًا ، إذًا التأليف لا يصح إلا بين موجودين .

﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ ثم إنه سبحانه يجعله ركامًا وذلك بتركيب بعضها على بعض فالسحب الركامية تنمو رأسيًا وتتراكم طبقاتها فوق بعضها البعض حتى تصير كالجبال ، وهذا مما لابد منه لأن السحاب إنما يحمل الكثير من الماء إذا كان بهذه الصفة ، وكل ذلك من عجائب خلقه ودلالة ملكه واقتداره ﴿ فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ .

ويذكر القرآن تكون الجبال من البرد في قوله تعالى : ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ ، ويبين الآثار الخطيرة للإصابة بالبرد على الإنسان والمنشآت والمزروعات ثم تكون مرحلة البرق والرعد (1) .

الثاني: السحب البساطية ، قال تعالى : ﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [الرُّوم:48] ، والسحب البساطية هي التي تنتشر في طبقة معينة وتبدو على هيئة البساط ، وإن اختلف سمكها ، والسحاب المبسوط فيه مطر وليس فيه برق ورعد ، ويكون المطر فيه هادئاً ، أما المطر الشديد الذي يعصف في الناس فهو المطر الموجود في السحاب الركامي لذلك يقول الله تعالى : ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ فهو خطير وقوي ، بينما المطر الموجود في السحاب المبسوط قال الله تعالى فيه : ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ فالمطر هنا ليس فيه أيه خطورة ، فنسأل الله أن يمطرنا السحاب المبسوط ، وكذلك يشير القرآن بقوله تعالى : ﴿ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ ﴾ وقد يعني أيضاً البـــرد الذي يصرفه عمن يشاء ويصيب به من يشاء فيحتمل المعنيين إما المطر الركامي أو البرد (2).

والقرآن الكريم يربط بين البرق والسحاب قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ [الرعد:12] ، " فالتفريغ الكهربائي الهائل الذي ينتج البرق يحصل نتيجة تداخل سحب من شحنات مختلفة لإنتاج سحاب ركامي يمكن أن نسميه السحاب الثقال ، والسحاب الثقال لا يتشكل إلا بعد حصول التفريغ الكهربائي الذي ينبثق منه البرق .

---

(1) انظر : (الإشارات العلمية في القرآن الكريم) ، مدحت إبراهيم ، ص 61 ، (الرياح المسخر بـــين الـــسماء والأرض) حسني حمدان ، (مجلة منبر الإسلام) ، ص 46 ، (السحاب) محمد الفندى (مجلة منبر الإسلام) ص 55 .

(2) تفسير سورة النور ، هيفاء منصور ، ص 172 ، 173 (بتصرف) .

والنص القرآني الكريم يكاد يقدم ذلك بما يشبه الترابط السببي فأولاً ﴿ يُرِيكُمُ البَرْقَ ﴾ ثم ﴿ وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ نتيجة تداخل سحب من جبهات هوائية مختلفة أو من طبقات هوائية مختلفة ، ذات شحنات كهربائية مختلفة " (1) .

تلازم السحب والمطر والرياح :

ما أكثر الآيات القرآنية التي يتحدث المولى ﷻ من خلالها عن تكوين السحب والمطر والرياح ومن هذه الآيات قوله تعالى (2) : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ المَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ المَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:57] .

فهذه الآيات الشريفة تقرر في جلاء أن الرياح تقل السحاب التي تبشر برحمة الله وهي المطر، ويقرر العلم الحديث مدى تلازم السحب والمطر والرياح ، ولقد كان الرأي السائد أن مياه المطر إنما تأتي هكذا من السماء ، ولم يكن يخطر ببال أحد أن الرياح هي التي تثير السحاب الذي يجود بالمطر حتى أثبت علم الأرصاد الجوي أخيراً في عصر النهضة العلمية أن الأصل في إثارة السحب و نزول المطر هو إرسال الرياح لتتجمع في مكان معين ، بل إن آخر تقسيم علمي أجري لأنواع السحب والأمطار عمل بحيث تطابق أوصافه طبيعة انسياب الرياح التي تثيرها ، فكانت السحب الركامية التي تصاحب التيارات الهوائية الرأسية ، فالسحب الطبقية التي تصاحب انسياب طبقة من الهواء بأكملها في اتجاه صاعد ، ومن الأولى تنزل الزخات ومن الثانية يهطل المطر، ولقد آمن العلماء بأنه عندما تتوافر أبخرة المياه في الرياح فإن السحاب يمطر طبيعياً ولا تكون هناك حاجة إلى المطر الصناعي الذي يلجأ إليه العلماء باستمطار السحب بتلقيحها بنوى التكاثف بطريقة صناعية بواسطة الطائرات أو المولدات الأرضية ، ومهما ازداد الإنسان علماً فلن يستطيع تغيير دورات الرياح العامة أو تصريفها على الدوام حسب هواه (3) .

ويذكر محمد جمال الدين الفندي سبب إثارة الرياح للسحاب قائلاً : " أن الهواء إذا برد تقل قدرته على حمل بخار الماء الذي فيه، وعندما يصعد الهواء في الجو (بالرياح الصاعدة)

---

(1) الإعجاز العلمي في القرآن (الكون والماء) ، سليمان الطراونة ، ص 84 .

(2) انظر سورة : (الفرقان 48 – 49 ، الروم 46 ، 48 ، فاطر 9) .

(3) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ،عبد الرحيم مارديني ، ص 142 ، 143 .

فإنه يبرد تلقائياً ، ومن ثم تقل قدرته على حمل بخار الماء الذي فيه فيتكاثف هذا الأخير أو يتحول إلى نقط من الماء أو بلورات من الثلج تبعاً لدرجة الحرارة السائدة " [1].

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- إن السحاب آية من آيات الله الدالة على القدرة والرحمة والحكمة لله رب العالمين، فمن دلالته على القدرة أنه لا يستطيع أحد مهما أوتي من قوة أن يفرق السحاب، ولا يستطيع أحد أن يوجهه ويجعله ركامًا إلا الله ، ومن دلالته على الحكمة أنه يكون فوق الرؤوس ولا يهبط على الناس، ويأتي قطرات بحيث لا ينهدم البنيان ولا يقتل الإنسان، ودلالته على الرحمة فإنزاله الماء حيث تنبت الأشجار ويرتوي الإنسان وتعمر الينابيع والآبار .

2- إن السحاب معلق بين السماء والأرض ويحمل المياه الغزيرة بحيث لو سالت هذه المياه لأغرقت الأرض ومن عليها ، ومع ذلك يبقى معلقًا بين السماء والأرض ، ولا ينزل إلا بمقدار وبإرادة الله تعالى وهذا من أجل مظاهر تسخير السحب .

3- إن صلاة الاستسقاء التي شرعت عند طلب المطر عند القحط والجفاف واستجابة الله لدعاء المؤمنين ، وإنزاله المطر لدليل عملي ملموس على تسخير السحاب .

4- إن الذي يرسل السحاب وينزل الماء منها هو الله، وليست هي هبات عشوائية وإنما هي جند من جنود الله .

المطلب الخامس: نعمة تسخير الماء المبارك الطهور .

أنعم علينا المولى – تبارك وتعالى- بإنزال الماء من السماء ، وجعله أصلاً للحياة ، فقد أنزل هذا الماء بقدر، نقياً من الشوائب والكدر، فعم به البوادي والحضر، سبحانه جعل لنا الماء مباركاً طهوراً، فأنزل معه الخيرات وينبوع البركات ، فهو من أجل نعم الله على الإنسان، كيف لا والماء أساس لكل كائن حي قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:30]، فأينما وجد الماء وجدت الحياة ، ولأهمية الماء وعظيم قدره ، وجليل أمره حفل القرآن الكريم بذكره والتنويه بشأنه في معرض الحديث عن نعم الله على الإنسان ، فقد بلغ عدد الآيات التي اشتملت على لفظة الماء ثلاثة وستين آية ، هذا عدا عن الآيات التي ذكر الماء فيها ضمناً أو إشارة ، و ذكر في القرآن الكريم منكراً " ماء " ثلاثة وثلاثين مرة ، وذكر معرفاً " الماء " ست عشرة مرة ، وورد لفظ المطر خمس عشرة مرة ، وتكرر لفظ الشتاء والبرد خمس

---

(1) السحاب ، (مجلة منبر الإسلام) ، ص 54 .

مرات ، ولولا الماء ما كان إنسان ، وما عاش حيوان، وما نبت زرع أو شجر فمن الماء يشرب الإنسان ، ومنه يخرج المرعى ، وبه تكسى الأرض بساطاً أخضر، فتبدو للناظرين أجمل وأنضر ، فالماء أول مخلوق في الكون ، خلق قبل السموات والأرض .

قال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [هود:7] .

المعنى الإجمالي :

" والمعنى أن العرش كان مخلوقاً قبل السموات وكان محيطاً بالماء أو حاوياً للماء ، وحمل العرش على أنه ذات مخلوقة فوق السموات وهو ظاهر الآية وذلك يقتضي أن العرش مخلوق قبل ذلك وأن الماء مخلوق قبل السموات والأرض " [1] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ، قال رسول الله ﷺ : **(إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء)** [2] .

ولا عجب أن يضع الله في هذا المخلوق المبارك أسراراً تميزه عن باقي المخلوقات فليس في الأرض ماء إلا وهو من السحاب المسخر بين السماء والأرض ، " والله ﷻ ينزل من السحاب المطر بأمره ، ويخرج بمياه الأمطار أنواعاً مختلفة من النباتات والثمار و الزروع والفواكه المختلفة الأشكال والألوان والطعوم والمذاق ، وكما قيل فإن هذه لفتة كونية عجيبة من اللفتات الدالة على مصدر هذه القدرة التي تبدأ بإنزال الماء من السماء ، وإخراج الثمرات المختلفــات الألوان ، وهي نعم مسخرة لهذا المخلوق (الإنسان) رزقاً يأكله ويعيش به، ويقتات منه ، كما ذلل –جلت قدرته– السفن الكبيرة لتسير حسب مشيئة الله ، ليركبها الإنسان ويحمل فيها أمتعته من بلد إلى بلد ، كما سخر له الأنهار العذبة ليشرب ويسقي ويزرع " [3].

ويقسم سبحانه بالسماء التي ينزل منها المطر ثم يرجع إليها بالتبخر قال تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطَّارق:11] .

الحقائق العلمية في الآية السابقة :

في هذه الآية إشارة واضحة إلى الحركة الدائرية ، فمن السماء إلى الأرض ، ثم مـــن الأرض إلى السماء وهكذا ، **يقول أحمد الدليمي** :" ولعل أقرب فهم إلى ذلك ما اكتشفه مجموعة

---

(1) التحرير والتنوير ،الطاهر ابن عاشور(209/11) .

(2) سنن الترمذي ،كتاب القدر ، باب ما جاء في الرضا بالقدر ،ص (487)،حديث (2156) قال الألباني:صحيح.

(3) آيات قرآنية من قصص الأنبياء ، محمد سامي منير ، ص 13.

من العلماء في القرون الأخيرة من دوران الماء في هذا الوجود فهو ينزل من السماء إلى الأرض ثم يعرج إلى السماء بخاراً فيتكاثف في الأعالي لينزل مطراً وهكذا "[1].

ويقول زغلول النجار: " وفي تفسير هذه الآية الكريمة قال المفسرون : رجع السماء هو المطر، وهو صحيح لأن من أعظم ما يعود إلينا من السماء هو المطر ، الذي بدونه لا تستقيم الحياة على الأرض ، ونحن نعلم اليوم أن كل ماء الأرض قد أخرج أصلاً من داخلها على هيئة أبخرة تصاعدت من فوهات البراكين، وأن هذه الأبخرة تكثفت عند اصطدامها بالطبقات الدنيا من الغلاف الغازي المحيط بالأرض (نطاق المناخ) وعادت إلى الأرض مطراً ، وذلك لأن نطاق المناخ قد خصه الله تعالى بتناقص في درجة الحرارة ، مع الارتفاع حتى تصل إلى ناقص 60 م ،علي ارتفاع حوالي 10كم من سطح البحر فوق خط الاستواء ... ولولا ذلك ما عاد إلينا بخار الماء المندفع من داخل الأرض أو المتبخر من سطحها أبداً ، ونحن نعلم أيضاً أن دورة الماء حول الأرض هي دورة منضبطة انضباطاً محكماً بدليل أن البخر من أسطح البحار والمحيطات يفوق ما يسقط فوقها من مطر بحوالي(...،36كم3) وأن المطر فوق اليابسة يزيد علي البخر من سطحها ، بنفس القيمة التي تفيض من اليابسة إلى البحار والمحيطات ، ولولا هذه الدورة لفسد ماء الأرض كله في فترة زمنية وجيزة "[2].

" وقد جاء العلم يؤكد هذا التفسير فقد كشف علماء الفلك أن طبقة التروبوسفير التي هي إحدى طبقات الغلاف الجوي للأرض تقوم بإرجاع ما تبخر من الماء على شكل أمطار إلى الأرض من خلال دورة دائمة سميت بدورة تبخر الماء وفي الآية القرآنية دلالة واضحة على أن أهم صفة للسماء هي أنها ذات رجع ، وهذا ما كشفه العلم في القرن العشرين" [3].

مظاهر تسخير الماء :

1- **جعله الله أصل للحياة** ، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنبياء:30] أي جعلنا بقدرتنا وحكمتنا ونظامنا الماء أصل كل الأحياء فلا يعيش بدونه إنسان ولا حيوان ولا شجر ، فالماء سر الحياة وروحها وهو العنصر الأساسي لاستمرار الحياة لجميع الكائنات والنباتات ، فالإنسان قد يعيش بلا طعام ولا غذاء أكثر من ستين يوماً ولكنه يفقد حياته إذا منع الماء أسبوعاً ، فلا حياة بلا ماء ، حتى إن بعض العلماء يصفون الحياة بأنها (ظاهرة مائية) [4].

---

(1) المياه في القرآن ، ص20 .

(2) من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (13/3) .

(3) والسماء ذات الرجع : زغلول النجار ،(الشبكة العنكبوتية) : www .sohbane t.com

(4) انظر : (دلائل التوحيد) عبد الله التليدي ،ص191، (نعمة الماء أصل الحياة و إكسيرها) أحمد فؤاد باشا (مجلة الأزهر) ، ص347 .

الحقائق العلمية في هذه الآية :

تقرر هذه الآيـــة حقيقة علمية ثابتة وهي أن الماء هو المكون الهام في تركيب مادة الخلية ، وهي وحدة البناء في كل كائن حي ، ولقد أثبت علم الكيمياء الحيوية أن الماء لازم لحدوث التفاعلات والتحولات التي تتم داخل أجسام الأحياء ، وأثبت علـــم وظائف الأعضاء أن الماء ضروري لقيام كل عضو بوظائفه التي بدونها لا تتوافر مظاهر الحياة ومقوماتها، فالماء يدخل في تركيب الإنسان فإن أكثر من 76% من وزنه ماء ، ويغطي نحو 75% من سطح الكرة الأرضية أي حوالي أربعة أخماس سطح الأرض ، والماء يساعد كذلك على سيولة الدم كمذيب للطعام، ويوجد بنسبة 70% من الوزن الكلي في الخضروات ويزيد في الفاكهة إلى 90% من وزنها ،ويتكون جزئ الماء من ذرتين من الهيدروجين وذرة من الأكسجين أو ذرتان في حالة الماء الثقيل [1].

2- **إحياء الأرض بعد موتها وإخراج الثمرات** ، قال تعالى : ﴿**وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾ [الحج:5] ، **وقال تعالى** : ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:22] ، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا**﴾ {الأنعام:99} .

يقرر القرآن أن خضرة الأرض وما عليها من زروع وثمار وأشجار إنما ترجع إلى الماء النازل من السحب .

يقول جمال مهران :" تورد الآية الكريمة حقيقة علمية ثابتة وهي أن ماء المطر من السماء هو المصدر الأصيل للماء العذب على البسيطة ، وعند نزول الماء تنبت البذور وتخرج من دور الركود ،وتبدأ في أداء وظائفها الحيوية ، وينمو النبات وتتخصص أجزاء منه وخاصة الأوراق في إنتاج الخضر أو اليخضور وهي المادة الأولية اللازمة لعملية تكوين المواد الغذائية في النبات من عناصر التربة وعناصر الهواء فتتكون الثمار والبذور والحب"[2] .

3- **للسقاية والشراب:** قال تعالى : ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ**﴾ [الحجر:22] ، وقال تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ**﴾ [النحل:10] .

---

(1) انظر: (الإعجاز الطبي في القرآن) السيد الجميلي : ص37 .

(2) آيات من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، ص 40 .

4- **طهارة للأبدان** : قال تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان:48] ، وقال تعالى : ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾ [الأنفال:11] .

5- **جعله الله مباركاً** ، قال تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق:**9**].

6- **جعل الماء أودية و ينابيع** ، قال تعالى : ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد:17] وقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [الزُّمر:21]

لقد عني القرآن بالماء عناية كبيرة حيث ذكر الماء في جميع صوره وأشكاله فورد الماء بأسماء مختلفة مثل المطر ، والغيث ، والرزق ، والوابل ، والطل ، والخبء ، والثجاج ، والغدق ، والصيب ، والرجع ، وهذه الأسماء أوصاف للمطر من حيث القوة والضعف ، والكثرة والقلة ، وذكر القرآن الكريم أقسام للماء من حيث العذوبة والملوحة ، ووصف الماء العذب بالغدق والفرات والمعين [1].

يقول الدكتور هشام زقوت :" وقد تتضح تلك العظمة من خلال وقوفك على فوائد المطر فمن الذي يسوق السحاب إلى حيث تشتد حاجة المخلوقات إليه فينزل مطرًا ؟ ومن الذي يعمل على تحويل مياه الأمطار المالحة إلى مياه عذبة صالحة للانتفاع بها في كل شئون الحياة ؟ ومن الذي يوزع الماء النازل إلى البحار والأنهار والعيون والآبار؟ ومن الذي يسكنه الأرض لتنتفع به في الأماكن القاصية لتخرج الزروع والأشجار ؟ من الذي سخر المياه لتجري عليها الفلك غادية ورائحة ؟ من الذي أودع في الماء خاصية الهلاك والنجاة ؟من الذي يُحيي بالماء الأرض بعد موتها فإذا هي تهتز بالنبات والثمار ؟ إنه الله لا إله إلا هو" [2].

ويجدر بنا في هذا المقام أن نفرق بين المطر والغيث ،" فقد ورد المطر أسماءً وأفعالاً في خمسة عشر موضعاً في القرآن الكريم ، منها أربعة عشر موضعاً في العذاب والعقاب صراحة ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [الشعراء:173] ، [الفرقان:40] ، [الأعراف:84] ، أما الموضع الخامس عشر فهو في قوله تعالى : ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء:102] ، والموضع هنا موضع أذى لا موضع غيث فالماء إذا زاد عن حده

(1) انظر : (الماء في القرآن الكريم) ، فتحي العبادسة ، ص 113 ، 119 .

(2) الإعجاز العلمي في ضوء السنة النبوية ، ص200 .

صار هلاكاً كالفيضان والسيل ، واقتران المطر بالمرض في هـذا السـياق يزيـد الصـورة وضوحاً فهو موضع شدة ومشقة.

أما الغيث فيحمل معاني الفرح والعون والحياة " [1] .

يقول جاسر أبو صفية :" الغيث والمطر كلمتان متلازمتان ، تدل إحداهما على الأخرى ولكن الله ﷻ فرق بينهما ، فالغيث مأخوذ من الغوث وهو الإعانة والنصرة والإنقاذ من البلاء، ولما كان الغيث يحمل هذه الدلالة فقد جاء في القرآن الكريم مقترناً بالخير، والبركة، والرحمة، والحياة ، والخصب ، ويوضح ذلك قوله تعالى : ﴿**وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ [الشُّورى:**28**] ، فالغيث في هذه الآية يلقي ظلال الغوث والنجدة وتلبية المضطر في الضيق والكربة ، كما أن تعبيره عن آثار الغيث بقوله (وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ) يلقي ظلال النداوة والخضرة والرجاء والفرح التي تنشأ عن تفتح النبات في الأرض وارتقاب الثمار، وما من مشهد يريح الحس والأعصاب ويندى القلب والمشاعر كمشهد الأرض تتفتح بالنبت بعد الغيث ، وتنتشر بالخضرة بعد الموت " [2].

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- الماء له مكان الصدارة في النعم التي أنعم بها المولى على عباده ، ولقد كان النبي ﷺ حفياً بهذه النعمة يعظمها ويشكر المولى عليها ، وما أكثر الدعوات التي كان يدعو بها رسول الله ﷺ أذكر منها قوله ﷺ حين يفرغ من شرابه إذا شرب (**الحمد لله الـذي أطعمنـا وسـقانا وكفانا وأوانا ...**) [3] ، وكان ﷺ إذا رأى مطراً قال :(**اللهم صّيباً نافعاً**) [4] .

2- في قوله تعالى : ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ {المؤمنون:18} قوله (**بقدر**) يوحي إلى دقة علم الله وحكمته في إنزال الماء فقد ينزله بقدر ما تقتضيه المصلحة .

3- اللجوء إلى الله عند عدم إنزال الماء وحجبه عن العباد ، وذلك بصلاة الاستسقاء فهي بمثابة دعاء إلى الله تعالى الذي خلق السحاب وسيره ، فهو قادر على إنزال المطـر منـه علـى الأرض .

4- من أهم أسباب نزول المطر الاستغفار لقوله - تجلت قدرته- : ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا**﴾ [نوح:10-11] .

---

(1) من الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم (دراسة في ظاهرة الترادف اللفظي) سيد خضر ، ص 79 .

(2) كلمات من القرآن ، ص219 .

(3) صحيح مسـلم ، كتـاب الذكـر والدعـاء والتوبة والاستغفار ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المـضجع ، ص 1088 ، حديث (2715) .

(4) صحيح البخاري ،كتاب الاستسقاء ، باب ما يقال إذا مطرت ،ص 205 ، حديث (1032) .

المبحث الثالث

عقوبات الكافرين النـازلـة من السمـاء

وفيه عشرة مطالب :

المطلب الأول : العقوبة بالصيب.

المطلب الثاني : العقوبة بالرجز.

المطلب الثالث : العقوبة بالحسبان.

المطلب الرابع : العقوبة بالكسف.

المطلب الخامس : العقوبة بالحجارة .

المطلب السادس : العقوبة بالصيحة .

المطلب السابع : العقوبة بالصاعقة .

المطلب الثامن : العقوبة بالريح .

المطلب التاسع : العقوبة بالشواظ .

المطلب العاشر : عقوبة الشياطين بالشهب .

المبحث الثالث

عقوبات الكافرين النازلة من السماء

جرت سنة الله في الكون بنصر المؤمنين وعقوبة الكافرين المتخاذلين ، وسخر المولى جنوداً له من خلقه لتحقيق هذه السنة ، ومن هذه الجنود السماء ، فهي جند من جنود الله التي عاقب من خلالها المعتدين فأنزل من السماء الصيب، والرجز، والحسبان ، والكسف، والحجارة والصيحة، والصاعقة، والريح ، والشواظ ، والشهب، وهذه العقوبات عاقب الله ﷻ بها الأقوام السابقة كلاً حسب ذنبه .

وسأتحدث عن هذه العقوبات بشيء من التفصيل من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: العقوبة بالصيب :

قال تعالى : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آَذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ المَوْتِ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالكَافِرِينَ * يَكَادُ البَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 19-20] .

سبب نزول الآية :

"عن ابن مسعود وناس من الصحابة قالوا: كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله إلى المشركين فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله فيه رعداً وبرقاً، فجعلا كلما أصابهما الصواعق جعلا أصابعهما في آذانهما من الفرق (1) أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلهما، وإذا لمع البرق مشيا إلى ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصرا، فأتيا مكانهما يمشيان، فجعلا يقولان: ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمداً، فنضع أيدينا في يده، فأتياه فأسلما ووضعا أيديهما في يده وحسن إسلامهما ، فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلاً للمنافقين الذين بالمدينة وكان المنافقون إذا حضروا مجلس رسول الله ﷺ جعلوا في آذانهم فرقاً من كلام النبي ﷺ أن ينزل فيهم شيء أو يذكروا بشيء فيقتلوا كما كان ذلك المنافقان الخارجان يجعلان أصابعهما في آذانهما ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فيه﴾ فإذا كثرت أموالهم وولدهم وأصابوا غنيمة أو فتحاً مشوا فيه وقالوا: إن دين محمد حينئذ صدق واستقاموا عليه كما كان ذانك المنافقان يمشيان إذا أضاء لهم البرق ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ ، فكانوا إذا هلكت أموالهم وولدهم وأصابتهم البلاء قالوا:هذا من أجل دين محمد وارتدوا كفاراً، كما قال ذانك المنافقان حين أظلم البرق عليهما "(2).

---

(1) فرق : بضم الراء إذا فزع عن الشيء (القاموس المحيط) للفيروز أبادي ، ص 917.

(2) أسباب النزول ، للسيوطي ، ص 20.

المعنى الإجمالي :

وصف الله ﷻ وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيــه مــن الحيــرة و الدهــشة بالصيب، وهذا مثل ضربه الله لأنهم يظهرون الحق تارة ، ويشكون تارة أخرى، فشبهت حيرتهم وشدة الأمر عليهم بمن أخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الــصواعق . "والظلمات هنا جمع ظلمة ، وجمعها إشارة إلى انه انضم إلى ظلمة الليل ظلمة الغيم" (1) .

وهنا تساؤل يجيب عليه الإمام الزمخشري وهو : قد جعل الصيب مكاناً للظلمات فــلا يخلو من أن يراد به السحاب أو المطر، فأيهما أريد فما ظلماته ؟

يقول الإمام الزمخشري : "أما ظلمات السحاب فإذا كان أسحم (2) مطبقاً فظلمتا ســحمته وتطبيقه مضمومة إليهما ظلمة الليل، وأما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وإنتساجه بتتابع القطــر، وظلمة إطلال غمامه مع ظلمة الليل" (3) .

وفي معنى الصيب تأويلان :

الأول : " المطر، وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعطاء ، واشتقاقه من صاب يــصوب : إذا نزل، وأصله صيوب اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت .

والثاني: السحاب .

والسماء فيها تأويلان أيضاً :

الأول : السماء بعينها .

والثاني: السحاب" (4) .

وفي الرعد ثلاثة أوجه :

الأول : ملك من الملائكة اسمه الرعد موكل بالسحاب يسوقه كما يسوق الحادي الإبــل، يزجــر السحاب بهذا الصوت المسموع بالتسبيح والتكبير، كلما خالفت سحابة سحابة صاح بها فإذا اشتد غضبــه طارت النار من فيه فهي الصواعق ، قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهم .

وعن عكرمة قال : كان ابن عباس إذا سمع الرعد قال: سبحان الذي سبحت لــه قــال: وكان يقول : إن الرعد ملك ينعق بالغيث كما ينعق الراعي بغنمه.

والثاني: أنه ريح تختنق تحت السحاب فَتُصَوِّبُ ذلك الصوت.

---

(1) فتح القدير : للشوكاني (81/11) .

(2) الأسحم الأسود :(القاموس المحيط)الفيروز آبادي ، ص1119.

(3) الكشاف (79/1) .

(4) النكت والعيون للماوردي (82/1) .

والثالث: أنه اضطراب واصطكاك أجرام السحاب عند نزول المطر، وإلى هذا ذهب جمع من المفسرين تبعاً للفلاسفة وجهلة المتكلمين [1].

وترى الباحثة : أن الرأي الأول أصح الآراء وعليه أكثر العلماء والمفسرين، على أن الرعد ملك وذلك صوته يسبح ويزجر السحاب.

ويؤيد هذا الرأي ما أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس قال: (**أقبلت يهود على النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد ما هو؟ قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث يشاء الله، فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع قال: زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر، قالوا : صدقت**) [2] .

واختلف أهل العلم في المعنى المراد بالبرق على أربعة أقوال :

الأول: أنه ضرب الملك الذي هو الرعد السحاب بمخراق من حديد، وهو قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

والثاني: ما يلمع من نور حال تراكم السحاب ونزول المطر، والبرق من برق الشيء بريقاً إذا لمع وهو ضرب الملك بسوط من نور، وهذا قول ابن عباس .

والثالث: أنه ما ينقدح من اصطكاك الأجرام .

والرابع: هو صوت مصع ملك [3] ، قاله مجاهد [4] .

وترى الباحثة : أن جميع الأقوال السابقة تؤدي إلى معنى واحد وهذا ما ذهب إليه الإمام الطبري حيث يقول موفقاً بين الأقوال السابقة : "وقد يحتمل أن يكون ما قاله علي بن أبي طالب وابن عباس ومجاهد بمعنى واحد ، وذلك أن تكون المخاريق التي ذكر علي رضي الله عنه أنها هي البرق هي السياط التي هي من نور التي يزجي بها الملك السحاب كما قال ابن عباس ، ويكون إزجاء الملك بها السحاب مصعه إياه وذلك أن المصاع عند العرب أصله المجالدة بالسيوف ثم تستعمله في كل شيء جولد به في حرب وغير حرب" [5] .

---

(1) انظر: (جامع البيان في تأويل آي القرآن) الطبري، المجلد الأول، (1/199-201) ، (النكت والعيون) للماوردي ، (1/82) ، (معالم التنزيل) للبغوي (1/49) ، (الكشاف) للزمخشري (1/79) ، (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) للثعالبي (1/52)، (فتح القدير) للشوكاني(11/81) .

(2) سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ، باب من سورة الرعد ، ص 700 حديث (3117) قال الألباني : حديث صحيح .

(3) البرق إن أومض ، المعجم الوسيط (2/873) .

(4) انظر: (جامع البيان في تأويل آي القرآن) للطبري، المجلد الأول (1/ 202-203) ،(النكت والعيون) للماوردي ، (1/82)، (الكشاف) للزمخشري (1/79) ، (أيسر التفاسير) للجزائري (1/297) ، .

(5) جامع البيان في تأويل آي القرآن (1/203) .

والمراد بالصواعق : هو جمع صاعقة، وهو الشديد من صوت الرعد تقع منه قطعة من نار يصيب الله تعالى بها من يشاء، ويقال: تتقدح من السحاب إذا اصطكت أجرامه، وهي نار لطيفة لا تمر بشيء إلا أتت عليه إلا أنها مع حدتها سريعة الخمود.

ويقال: صعقته الصاعقة إذا أهلكته فصعق، أي مات إما بشدة الصوت أو بالإحراق (1) .

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ الإحاطة الأخذ من جميع الجهات حتى لا تفوت المحاط به بوجه من الوجوه .

أي لا يجدي عنهم حذرهم شيئاً فإن الله محيط بهم بقدرته وهم تحت مشيئته وإرادته عالم بهم وجامعهم ليعاقبهم (2) .

وقوله تعالى : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾ ، أي يسبلها بسرعة لشدته وقوته في نفسه وضعف بصائرهم وعدم ثباتها للإيمان .

وقوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾ .

وهذا المثل الذي ضربه الله للمنافقين فيه تأويلان:

الأول: معناه كلما أضاء لهم الحق وأظهر لهم الإيمان شيئاً استأنسوا به واتبعوه وإذا أظلم عليهم بالهوى وتعرض لهم الشكوك وقفوا حائرين وتركوه .

وعن ابن عباس : يعرفون الحق ويتكلمون به فهم من قولهم به على استقامة ، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر قاموا: أي متحيرين.

والثاني: معناه كلما غنموا وأصابوا من الإسلام خيراً، اتبعوا المسلمين، وإذا أظلم عليهم فلم يصيبوا خيراً، قعدوا عن الجهاد (3) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴾ قال: لما تركوا من الحق بعد معرفته ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، أي أن الله على كل ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير (4) .

---

(1) انظر: (النكت والعيون) للماوردي ، (82/1) ، (الكشاف) للزمخشري، (81/1) ، (أيسر التفاسير) للجزائري (31/1)

(2) انظر: (معالم التنزيل) للبغوي (50/1) ، (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (59/1) ، (فتح القدير) للشوكاني ، (82/1) .

(3) انظر: (النكت والعيون) للماوردي ، (83/11) ، (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير ، (59/1) .

(4) انظر : (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير ، (60/1) .

وقال الإمام الطبري : "إنما وصف الله تعالى نفسه بالقدرة على كل شيء في هذا الموضع لأنه حذر المنافقين بأسه وسطوته وأخبرهم أنه بهم محيط وعلى اذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير" (1) .

وفي هذا المثل الذي شبه الله به المنافقين عدة أقاويل:

الأول : أنه مَثَلٌ للقرآن ، شُبِّه المطر المنزل من السماء بالقرآن، وما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء ، وما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر والوعيد، وما فيه من البرق بما في القرآن من البيان والحجج الباهرة، وما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد الآجل وفضح نفاقهم واشتهار كفرهم وتكاليف الشرع التي يكرهونها من الجهاد والزكاة ونحوه.

وهذا كله صحيح بيِّن ، وقال ابن مسعود أن المنافقين في مجلس رسول الله ﷺ كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا القرآن فضرب الله المثل وهذا موافق لقول الجمهور.

والثاني : أنه مَثَلٌ، لما يخافونه من وعيد الآخرة لشكهم في دينهم، والرعد ما يزعج القلوب من الخوف فإن من شأن المنافقين الخوف الشديد والفزع، وما فيه من البرق بما في إظهار الإسلام من حقن دمائهم ومناكحهم ومواريثهم، وما فيه من الصواعق بما في الإسلام من الزواجر بالعقاب في العاجل والآجل .

والثالث: أنه ضَرب الصيب مثلاً بظاهر إيمان المنافق، ومثل ما فيه من الظلمات بصلابته، وما فيه من البرق بما يلمع في قلوبهم في بعض الأحيان من نور إيمانهم وما فيه من الصواعق بهلاك نفاقه (2) .

والرابع : "شبه دين الإسلام بالصيب، لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الأفزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الإسلام بالصواعق" (3).

نموذج من الأقوام التي عذبت بالماء المنهمر :

قوم نوح : دعا نوح عليه السلام قومه إلى عبادة الله وحده ، وكان يحذرهم من عقوبة الله وعذابه ، ولكنهم قابلوا هذه الدعوة بالرفض والعناد الشديد ، وهددوه بالرجم : ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ

---

(1) جامع البيان في تأويل آي القرآن (182/1) .

(2) انظر: (النكت والعيون) للماوردي ، (82،83/1) ،(تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (58/1). (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) للثعالبي ، (36/1) ،(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) للسعدي ، ص 44 .

(3) الكشاف ، للزمخشري (76/1) .

لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء:116] ، واستمر نوح عليه السلام في دعوته ولم يبالِ ودعا الله أن ينتصر له من القوم الكافرين فكانت الاستجابة الإلهية قال تعالي : ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ [القمر: 10-13] ، فنزل الماء المنهمر وأغرق الفئة الظالمة ولم يبقِ منهم أحداً ، وأنجى الله – عز في علاه– من آمن من قوم نوح وركب معه سفينة النجاة الإيمانية .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- فائدة ذكر نزول الصيب من السماء مع كونه لا يكون إلا منها أنه لا يختص نزوله بجانب منها دون جانب، فجاءت السماء معرفة لتنفي أن يتصوب من سماء، أي من أفق واحد من بين سائر الآفاق، لأن كل أفق من آفاقها سماء كما أن كل طبقة من الطباق سماء [1] .

2- **من هدي الرسول ﷺ عند رؤية السحاب :** عن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي ﷺ كان إذا رأى ناشئاً [2] في أفق السماء ترك العمل وإن كان في صلاة ثم يقول :**(اللهم إني أعوذ بك من شرها فإن مُطرَ قال اللهم صيباً هنيئاً) وفي رواية قال:(اللهم صيباً نافعاً)**[3].

3- سنة الله في الكون نصر عباده المؤمنين ولو بعد حين .

المطلب الثاني :العقوبة بالرجز :

حذر الله –جل في علاه– من نقمته وعقوبته للظالمين الفاسقين الخارجين عن أمره ، لعدم إيمانهم بكلامه، والسعي في إبطاله وعدم تطبيقه وتبديل ما أمر به .

وأخبر المولى في كتابه الكريم عن فئة من بني إسرائيل أهلكها بالرجز جراء تبديلها لأمر الله فقال تعالى : ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة:59] ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:162] .

---

(1) انظر : (جامع البيان في تأويل آي القرآن) للطبري ، المجلد الأول (196/1) ، (النكت والعيون) للماوردي (23/1) ، (معالم التنزيل) للبغوي (69/1) ، (فتح القدير) للشوكاني (49/1) ، (الكشاف) للزمخشري (79/1) .

(2) سحاباً أو رياحاً ، أول ما ينشأ من السحاب ، المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية (230/1) .

(3) سنن أبو داوود ، كتاب الأدب، باب ما يقال إذا هاجت الريح ص 764، حديث (5099) قال الألباني : حديث صحيح.

المراد بالرجز هو: العذاب، وتكسر راؤه وتضم، والرُجز: اسم صنم مشهور، قال الفراء والزجاج [(1)] : أن الرجز والرجس معناهما واحد وهو العذاب.

والرجز يولد من الرجز وينشأ مثل قول الحق "والرجز فاهجر" أي هجر الرجز أي المآثم والمعاصي والذنوب تسلم من الرِجز: أي العذاب.

وقال ابن عباس وقتادة والكسائي وأبو عبيدة والزجاج الرجز: العذاب [(2)].

وعن ابن عباس ﷺ قال : "كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني العذاب" [(3)] .

واختلف في ماهية العذاب على أربعة أقوال :

الأول: الرجز الطاعون بعثه الله عليهم فأهلكهم ، قاله ابن زيد . قال رسول الله ﷺ : **(الطاعون رجزاً أو عذاب أرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منها)** [(4)] .

والثاني : غضب من الله، قاله أبو العالية ([5]).

والثالث : أنه ظلمة وموت ، مات منهم في ساعة أربعة وعشرون ألفاً ، وهلك سبعون ألفاً عقوبة، قاله ابن عباس.

الرابع : أنه الثلج، هلك به منهم سبعون ألفاً، قاله سعيد بن جبير [(6)] .

---

(1) الزجاج هو إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج أبو إسحاق النحوي ،اللغوي ،المفسر ،أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه ،من تصانيفه معاني القرآن ، مختصر النحو ، الاشتقاق وغيرها ، توفي سنة 311هـ ، وقيل غير ذلك ، انظر : (البداية والنهاية) لابن كثير (148/11) ، (شذرات الذهب) للحنبلي (59/2) .

(2) انظر: (جامع البيان في تفسير آي القرآن) للطبري ، المجلد الأول (1/ 397) ، (تفسير الشعراوي) محمد الشعراوي ، ص 1104.

(3) النكت والعيون : للماوردي (127/1) .

(4) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها ، ص 1109 ، حديث (2218) .

(5) أبو العالية الرياحي :هو رفيع بن مهران الرياحي أبو العالية الإمام المقرئ الحافظ المفسر، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب ، وأسلم في خلافة أبي بكر ، سمع من عمر وابن مسعود وغيرهم ، وكان يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، اختلف في موته قيل 90 ، وقيل 92 ، وهو أول من كتب التفسير لكنه لم يكتب له البقاء ، وقد جمع تفسيره ووثقه ودرسه الأستاذ الدكتور عبد السلام اللوح في رسالته الدكتوراة ، انظر : (طبقات ابن سعد) لمحمد بن علي (112/7)، (تهذيب التهذيب) لابن حجر العسقلاني (3/ 284) .

(6) انظر: (النكت والعيون) للماوردي (127/1) ، (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (106/1) ، (الدر المنثور) للسيوطي (175/1) ، (زاد المسير) لابن الجوزي (70/1) .

وترى الباحثة : أن القرآن دل على أنه أنزل عليهم عذاباً ولم يبين نوعه ، ويغلب على النفس صحة ما قاله ابن زيد للخبر الذي ذكر عن رسول الله ﷺ في إخباره عن الطاعون أنه رجز.

والمراد بقوله : ﴿ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ : يحتمل أن يكون نازلاً من جهة العلو، ويحتمل أن يراد من قبل الأمر النازل من عند الله إشارة إلى الجهة التي يكون منها القضاء عليهم، أو مبالغة في علوه بالقهر والاستيلاء وتفظيعاً لشأن العذاب (1) .

المعنى الإجمالي:

عاقب الله ﷻ قوماً من بني إسرائيل جزاء مخالفتهم أمره حيث أمرهم أمر إكرام وإنعام أن يدخلوا القرية فيأكلوا من حيث شاءوا رغداً وأن يشكروا هذا الإنعام بدخولهم باب بيت المقدس راكعين قائلين دخولنا الباب سجداً حطة لذنوبنا التي اقترفناها، ولكن اتضح سوء طباع اليهود وذلك بتغييرهم الفعل الذي أمروا به والقول الذي قيل لهم، فدخلوا الباب زاحفين على أستاهم قائلين: حبة من شعيرة.

أمروا بالإخلاص لله نظراً إلى حياة قلوبهم فطلبوا الحنطة نظرة إلى حياة جسومهم، فبدلوا ما أمروا به من التوبة والاستغفار قولاً مغايراً له مشعراً باستهزائهم بما أمروا به، والإعراض عما يكون عنه غفران خطياتهم كل ذلك عدم مبالاة بأمر الله فاستحقوا ذلك النكال فانتقم الله منهم وأنزل عليهم رجزاً جزاء فسقهم (2) .

والفسق : هو الخروج عن الشيء، ويقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها وفي الشرع عبارة عن الخروج من طاعة الله إلى معصيته وخلاف أمره (3).

"والفسق يسبق الظلم لأن الإنسان لا يمكن أن يظلم نفسه بمخالفة منهج إلا إذا فسق أولاً، ولذلك جاء الحق بالمسبب وجاء بالسبب، وهكذا نتأكد أن كل كلمة من القرآن جاءت لمعنى أساس تؤديه ولا تكرار إلا لمجموع القصة ذاتها" (4) .

ولما عاقب الله بني إسرائيل على تمردهم ومخالفة أمره وأوقع عليهم العذاب ، طلبوا من موسى عليه السلام أن يكشف الله عنهم العذاب وحلفوا أن يؤمنوا بموسى وبما جاء به ، وبما يطلب به من إرسال بني إسرائيل معه، لكن هيهات هيهات أن يصدق يهود بميثاق وعهد .

---

(1) انظر (غرائب القرآن) ، النيسابوري (230/1) .

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل آي القرآن) الطبري (419/1) ، (النكت والعيون) للماوردي (51/1) ، (البحر المحيط) لأبي حيان (288/1) ، (أيسر التفاسير) للجزائري (29/10) .

(3) انظر : (جامع البيان في تأويل آي القرآن) للطبري ، (419/1) .

(4) تفسير الشعراوي ، لمحمد متولي الشعراوي (المكتبة الشاملة) ، ص 1104.

قال تعالى : ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ [الأعراف: 134-135] ، وهذا مشهد آخر لبني إسرائيل يبين سوء طبائعهم ونقضهم للعهد فبعد أن كشف الله عنهم الرجز نكثوا العهد ولم يؤمنوا ولم يرسلوا بني إسرائيل مع موسى عليه السلام وهذا حالهم في كل زمان ومكان.

نماذج من الذين عذبوا بالرجز :

1- قوم لوط : قال تعالى مخبراً عن قول الرسل للوط عليه السلام : ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت:34] .

أنزل الله – عز في علاه – عقابه وعذابه كذلك على قوم لوط ، "وذلك أن جبريل عليه السلام اقتلع قراهم من قرار الأرض ثم رفعهم إلى عنان السماء ثم قلبها عليهم وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد وجعل الله مكانها بحيرة خبيثة منتنة وجعلهم عبرة إلى يوم التناد وهم من أشد الناس عذاباً يوم المعاد" (1) .

2- **الذين كذبوا آيات الله وحاولوا إبطالها** : قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [سبأ:5] .

عاقب الله كذلك الكافرين الذين سعوا وكذبوا آيات الله عز وجل وعذبهم عذاباً من أقبح العذاب وأسوئه ومعنى الآية :" أولئك الذين عملوا جهدهم في إبطال آيات الله، إذ قالوا فيها أنها من كلام الكهان وأنها شعر وأساطير الأولين حتى لا يؤمنوا ولا يوحدوا أولئك البعداء في الخسة والانحطاط لهم جزاء، عذاب من رجز أليم والرجز سيء العذاب وأشده ومعنى أليم أي ذي ألم وايجاع شديد" (2) .

ونخرج من هذه الآيات بالتحذير من عاقبة الظلم والفسق والتمرد على الشرع وعلى أوامر الله ، وأن سبب العذاب في الدنيا والآخرة التكذيب بآيات الله بعدم الإيمان والعمل بها والغفلة عنها حيث لا يتدبر ولا يتفكر فيها وفي ما نزلت لأجله .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة:

1- كرر قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ ظَلَمُوا** ﴾ لفائدة وهي: التأكيد على الزيادة في تقبيح أمرهم وبأن إنزال الرجز عليهم لظلمهم، فالوصف دال ومشعر بعلية نزول الرجز، فالظاهر أن التبديل سببه الظلم وأن إنزال الرجز سببه الظلم أيضاً (3) .

---

(1) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (454/3).

(2) أيسر التفاسير، للجزائري (304/4) .

(3) انظر: (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي (121/2) ، (البحر المحيط) لأبي حيان (239/1) ، (الكشاف) للزمخشري (134/1) .

2- قوله تعالى : ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا﴾ [البقرة:59] ، وقوله : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ [الأعراف: 162] ، أراد الله أن يأتي بلقطة من قصة بني إسرائيل فجاء بكلمة (أنزلنا) ولقطة أخرى جاء فيها بـــ (أرسلنا) .

والإنزال : يفيد حدوثه في أول الأمر مرة واحدة.

والإرسال : يفيد تسلطه عليهم واستئصالهم بالكلية، وهذا إنما يحدث بالآخرة والاسترسال فيه تواصل.

وجاء بلفظة أنزلنا وأرسلنا لأن العقوبة تختلف باختلاف المذنبين، والمـــذنبون مقولـــون بالتشكيك، فهذا له ذنب صغير، وآخر ذنبه أكبر، وكل إنسان يأخذ العذاب على قدر ذنبـــه فمـــن أذنب ذنباً صغيراً أنزل الله عليه عقاباً على قدر ذنبه ، ومن تمادى أرسل الله عليه عذاباً يستمر على قدر ذنوبه الكبيرة [(1)].

3- اللواط من أقبح وأبشع الفواحش ، وفيه تجاوز عن الحدود التي رسمها الله لعباده فقد تعـــدوا على قيم الأخلاق.

4- عاقب الله قوم لوط بعقوبة تتناسب مع جريمتهم فلما كانت أعمالهم لم يسبقوا إليهـــا وهـــي تؤدي بالمجتمع إلى التدمير الكامل وانقطاع النسل جاءت العقوبة بإبادة القوم جميعاً وتدمير القرية بأسرها ، إذ جعل عاليها سافلها ، وأمطر على أهلها حجارة من سجيل منضود .

المطلب الثالث : العقوبة بالحسبان :

ما زالت سنة الله في الكون ماضية في نصرة المؤمنين، وعقاب الكافرين المتجبرين ، فقد ضرب الله لنا نموذجاً في كتابه الحكيم بيَّن من خلاله كيف عاقب المتكبرين على رب العالمين، الذين افتخروا بأموالهم وأنصارهم على الفقراء، فعاقبهم الجليل بالحسبان قال تعالى : ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ [الكهف: 40-41] .

وقبل الخوض في التفسير والبيان أورد أقوال العلماء في تأويل الحسبان :

حيث اختلفوا في المعنى المراد بالحسبان على عدة تأويلات أذكرها على النحو التالي:

الأول : يعنى عذاباً من السماء ترمى به رمياً وتقذف، قاله ابن عباس وقتادة.

الثاني : ناراً من السماء.

---

(1) انظر: (مفاتيح الغيب) للفخر الرازي (124/2) ، (البحر المحيط) لأبي حيان (290/1) ، (أنـــوار التنزيـــل وأســـرار التأويـــل) للبيضـــاوي (92/1) ، (124/2) ، (تفسير الشعراوي) لمحمد متولي الشعراوي ، ص 1104.

الثالث : جراداً أصاب الأرض.

الرابع : عذاب حساب بما كسبت يداك، قاله الزجاج لأنه جزاء الآخرة والجزاء من الله بحساب.

الخامس : مرامي من السماء، واحدها حسبانة، قاله الأخفش [1] وقيل: النبل، وقيل الصواعق ، وقيل آفة مجتاحة .

قال القتيبي : مرامي وهي مثل الصاعقة أو شيء يهلكها واحدتها حسبانة على هذا القول يكون المعنى: ويرسل عليها مرامي من عذابه إما حجارة أو برداً أو غيرها مما يشاء من أنواع العذاب.

السادس : الحسبان البَرَد.

السابع : الحسبانة السحابة، والحسبانة الوسادة، والحسبانة الصاعقة،.

الثامن : قضاء من الله يقضيه [2] .

وترى الباحثة : أن جميع المعاني السابقة صحيحة ولا تناقض فيها، فالحسبان إن قصد به المَرَامي من السماء مثل الصواعق والنار والعذاب والجراد والبَرَد فهي قضاء من الله يقضيه ليحاسب عليه فيجازي بحسبه بما كسبت يد الكافر المنكر قدرة الله في خلقه.

المعنى الإجمالي :

ذكر الله ﷻ في محكم التنزيل نموذج النفس المعتزة بزينة الحياة، الرجل الثري تذهله الثروة وتبطره النعمة فينسى القوة الكبرى التي تسيطر على أقدار الناس والحياة، ويحسب هذه النعمة خالدة لا تفنى، فلن تخذله القوة ولا الجاه، وظن أن هذه الجنان المثمرة لن تبيد أبداً، أنكر قيام الساعة فهذا الغرور يخيل لذوي الجاه والسلطان أن القيم التي يعاملهم بها أهل الدنيا الفانية تظل محفوظة لهم حتى في الملأ الأعلى!.

وذكر في المقابل الإنسان المؤمن المعتز بعقيدته وإيمانه، لم ينس صاحب الجنتين من دعوته للرجوع والإنابة إلى الله، مذكراً إياه بنشأته من ماء وطين، ويرشده إلى الاعتراف بحق المنعم عليه، وينذره عاقبة الكبر، ولكن هيهات للكافر الجاحد نعمة ربه أن يستجيب لهذه الدعوة، فقد قال عن جنته ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [الكهف:35] ، ويقع قضاء الله رداً عليه فبعد أن كانت جنة الكافر مزهرة أصبحت خاوية على عروشها ، حيث أرسل عليها حسباناً من السماء [3] .

---

(1) الأخفش : هو علي بن سليمان بن الفضل البغدادي ،أبو الحسن النحوي لازم ثعلباً والمبرد ، توفى سنة خمس عشر وثلاث مئة ، معجم الأدباء، ياقوت الحموي (246/13) .

(2) انظر: (جامع البيان في تأويل آي القرآن) للطبري ، (17/ 429) ، (النكت والعيون) للماوردي ، (703/3) (معالم التنزيل) للبغوي ، (173/5) ، (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي ، (10/ 295) ، (البحر المحيط) لأبي حيان ، (453/7) ، (إرشاد العقل السليم) لأبي السعود ، (461/4) ، (زاد المسير) لابن الجوزي ، (225/4) ، (أيسر التفاسير) للجزائري ، (259/3) .

(3) انظر: (في ظلال القرآن) ، سيد قطب (2271/4) .

"وقد أرسل الله على هذه الجنة التي اغتر بها صاحبها صاعقة محسوبة مقدرة على قَدْر هذه الجنة لا تتعداها إلى غيرها حتى لا يقول: إنها آية كونية عامة أصابتني كما أصابت غيري لأنها صاعقة مخصوصة محسوبة لهذه الجنة دون غيرها" [1] .

هذه الجنة العامرة بالزروع والثمار، المليئة بالنخيل والأعناب بعد أن أصابتها الصاعقة أصبحت صعيداً: أي أرضاً بيضاء لا ينبت فيها نبات ولا ينبت عليها قدم ، جدباء يعلوها التراب وهي أضر أرض بعد أن كانت جنة أنفع أرض .

وقوله : **(زلقاً)** أي تراباً مُبللاً تأكيد لوصف الصعيد أي تنزلق عليه الأقدام لملاستها ، فلا يصلح لشيء حتى المشي عليها [2] .

﴿**أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا**﴾ : أي غائراً ذاهباً ، فتكون أعدم أرض للماء بعد أن كانت أوجد أرض للماء.

﴿**فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا**﴾ **يحتمل وجهين:**

الأول : لن تستطيع رد الماء الغائر ولا تقدر عليه بحيلة.

الثاني : فلن تستطيع طلب غيره بدلاً منه [3] .

وقوله تعالى : ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ " أي أحاط العذاب بثمر جنته وذلك أن الله تعالى أرسل عليها ناراً فأهلكتها وغار ماؤها فأصبح صاحبها الكافر يقلب كفيه ، أي يصفق بيده على الأخرى ويقلب ظهراً لبطن تأسفاً وتلهفاً" [4] .

فهذا حال المتكبرين علي رب العالمين الجاحدين نعمته .

من لطائف الآية السابقة :

قوله تعالى: ﴿**أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا**﴾ ، يقول الإمام الألوسي: "والظاهر أن (يُصبح) عطف على (تصبح) [الكهف: 40] ، وحينئذ لابد أن يراد بالحسبان ما يصلح ترتب الأمرين عليه عادة كالحكم الإلهي بالتخريب ، إذ ليس كل آفة سماوية يترتب عليها إصباح الجنة صعيداً زلقاً يترتب عليها إصباح مائها غوراً، وجوز أن يكون العطف على (يرسل) [الكهف:40] ، وحينئذ يجوز أن يراد بالحسبان أي معنى كان من المعاني السابقة وعلى هذا يكون المؤمن قد ترجى هلاك جنة الكافر إما بآفة سماوية أو بآفة أرضية وهو غور مائها فيتلف كل ما فيها من الشجر

(1) تفسير الشعراوي ، لمحمد متولي الشعراوي (64/2) .

(2) انظر: المرجع السابق.

(3) انظر: (النكت والعيون) للماوردي (308/3).

(4) معالم التنزيل ، للبغوي (173/5) .

والزرع لكنه لم يصرح بما يترتب على الغور من الضرر والخراب، ولعل ذلك لظهوره والاكتفاء بالإشارة إليه بقوله (فلن)" [1] .

المطلب الرابع : العقوبة بالكسف :

دعا الرسول ﷺ إلى التوحيد والإيمان بالبعث والجزاء، فقابله المشركون بالعناد والجدال منكرين نبوة الحبيب ﷺ ومكذبين بالمعاد والبعث بعد الموت .

فتوعدهم الجليل وهددهم بأن يسقط عليهم كِسفاً من السماء، لعلهم يرتدعون عن التجهم والتهكم بالنبي ﷺ فقال تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [سبأ:9] .

المعنى المراد بالكسف : هو القطعة من الشيء ، يقال : أعطني كسفة من ثوبك والجمع كِسْفٌ وكِسَفٌ .

وفيه ثلاثة تأويلات :

الأول: "عذاباً من السماء، قاله السدي.

الثاني: قطعاً من السماء، قاله مجاهد وقتادة وابن عباس، ليعلموا أنه قادر على أن يعذب بسمائه إن شاء ويعذب بأرضه إن شاء.

والثالث: جانباً من السماء، قاله الضحاك. ولعلهم أرادوا به مشاهدة ما فوق السماء " [2] .

نماذج من الذين عذبوا بالكسف :

1- **كفار قريش** : قال تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [سبأ:9] .

المعنى الإجمالي:

ألم ينظروا إلى السماء والأرض كيف أحاطت، بهم لأنك إن نظرت عن يمينك أو شمالك، أو بين يديك أو خلفك رأيت السماء والأرض ، إذكاراً لهم بقدرة الله تعالى عليهم وإحاطته بهم، لأنهم لا يرون لأوليهما ابتداء ولا لآخرتهما انتهاء، وإن بعدوا شرقاً أو غرباً، ولا يقدرون أن ينفذوا من أقطارها وأن يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ﷻ ، وقد يقصد بقوله : (ما بين أيديهم) ممن أهلكهم الله تعالى من الأمم الماضية في أرضه (وما خلفهم) من أمر الآخرة في سمائه [3] .

---

(1) روح المعاني (260/11) .

(2) النكت والعيون ، للماوردي (435/4) .

(3) انظر: (النكت والعيون) ، للماوردي (434/4) ، (الكشاف) للزمخشري (594/3) .

فالله قادر على عقابهم، فإن شاء أن يعذب بسمائه فعل، وإن شاء أن يعذب بأرضه فعل وكل خلقه له جند، فهو محيط بكل شيء، ولكنهم لم يخافوا أن يخسف الله بهم كما خسف من كان قبلهم، والله ﷻ قادر على أن يسقط عليهم قطعاً من السماء لتكذيبهم بالآيات وكفرهم بالرسول ﷺ وهذه علامة بارزة على قدرة الله على إهلاك من شاء ممن كفروا به وكذبوا رسوله ، وهذا الإهلاك آية لكل عبد منيب مخلص يرجع إلى الله بصدق .

والمراد بالمنيب : الراجع إلى ربه المطيع له، لأن المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به (1) .

"وذكر المنيب دون غيره، لأنه كلما أذنب آب لخشيته من ربه ، فالخائف الخاشي هو الذي يجد الآية واضحة أمامه في قدرة الله على العقاب وإسقاط السماء كسفاً عليهم" (2) .

ورغم هذا التهديد بقوا على عنادهم فطلبوا من الرسول ﷺ أن يوقع هذا التهديد ، وأن يسقط عليهم إسقاطاً مماثلاً لما هددهم به فقالوا : ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء:92] ، أي أنك وعدتنا أن يوم القيامة تنشق فيه السماء وتهي وتدلى أطرافها ، فَجْعل ذلك في الدنيا وأسقطها كسفاً أي قطعاً، وكان منهم هذا الطلب لأنهم لم يبالوا بتهديد الله لهم بقوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [سبأ:9] .

وقوله تعالى : ﴿ كَمَا زَعَمْتَ ﴾ **فيه عدة وجوه:**

الأول : كما زعمت يا محمد أنك نبي فأسقط السماء علينا، قاله عكرمة.

والثاني : كما زعمت أن ربك إن شاء فعل.

والثالث : يمكن أن يكون المراد ما ذكره الله تعالى في هذه السورة في قوله : ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ...﴾ [الإسراء:68] ، فقيل اجعل السماء قطعاً متفرقة كالحاصب وأسقطها علينا .

الهدف من طلب كفار قريش :

والمتأمل فيما طلبه الكفار من رسول الله ﷺ يجده ، تعجيزاً بعيداً كل البعد عن الواقع مما يدلنا على أنهم ما أرادوا الإيمان والهداية، بل قصدوا الجدل والعناد، لذلك يقول – الحق سبحانه – رداً على حجج هؤلاء وتعنتهم : ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ...﴾ [الأنعام:111] .

---

(1) انظر: (الدر المنثور) للسيوطي ، (221/8) ، (الكشاف) ، للزمخشري (594/3) .

(2) أيسر التفاسير ، للجزائري (307/4).

ويبدو من طلبهم التعنت لأنه لو جاءهم الله بها لنظروا في الإيمان له والتـصديق بـه، وغفلـوا عن الخارقـة الباقية في القرآن ولكنهم لا يلمسون هذا الإعجاز بحواسهم فيطلبون ما تدركه الحواس .

وهؤلاء الكافرون تعجلوا العذاب ولكن نبي الرحمة يرجو لهم الهداية وتـأخير العـذاب عنهم لعل الله يخرج من أصلابهم من يخلص له العبادة والطاعة (1).

2- **قوم شعيب** : وهذا التحدي الذي وقع فيه المشركون من قريش، شبيه بتحدي قوم شعيب عليه السلام، فقد طلبوا كذلك تحقيق التهديد والوعيد فقال تعالى : ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الشعراء:187] .

المعنى الإجمالي:

كان شعيب عليه السلام يعظ أصحاب الأيكة وأهل مدين، ويدعوهم إلى الله ويتوعدهم بالعذاب إن لم يؤمنوا، فقالوا له قولاً فيـه مـن العنـاد والاستبعـاد والتعجيز ما فيه، قالوا له إنما أنت يا شعيب من الذين أصابهم السحر، فذهب بعقولهم، وإنك من الكاذبين فيما تدعيه من الرسالة، هكذا كان جوابهم قائلين إن كنت صادقاً في دعوى النبوة فادع الله أن يسقط علينا قطع عذاب من السماء تهلكنا بها، ونتيجة تكذيبهم هذا جزاهم الله واستوجب عليهم العقاب :﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء:189] .

فقد أنزل الله عليهم حراً شديداً التهب منه الجو أو كاد، فلجأوا إلى المنـازل والكهـوف والسراديب تحت الأرض فلم تغن عنهم شيئاً، ثم ارتفعت في سماء بلادهم سحابة فـذهب إليهـا بعضهم فوجدوها روحاً وبرداً وطيباً فنادى الناس أن هلموا فجاءوا فلما اجتمعوا تحتهـا كلهـم انقلبت ناراً فأحرقتهم ورجفت بهم من تحتهم فهلكوا عن آخرهم (2) .

فهذه آية على قدرة الله ووجوب طاعته وعبادته وتصديق رسوله، لكن المشركين بقوا على عنادهم. فقال تعالى فيهم : ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ [الطُّور:44] ، فبين الله – عز في علاه – فساد أقوالهم وسقوطها ووصولهم لدرجة العناد والمكابرة للمحسوس ، فإنه لم يبـق لهـم شيء من وجه الاعتذار ، فإن الآيات ظهرت والحجج تميزت ولم يؤمنوا ، فلم يصدقوا هـذه الآية وأنكروها وقالوا عنها سحاب مركوم أي متراكم بعضه فوق بعض .

---

(1) انظر: (مفاتيح الغيب) للرازي (149/13، 151)، (تفسير القرآن العظيم) لابن كثيـر(1347/3) ، (فـي ظلال القرآن) سيد قطب (1170/2).

(2) انظر : (فتح القدير) للشوكاني (139/4) ، (أيسر التفاسير) للجزائري (681/3) ،.

خلاصة ما سبق :

نخلص من هذه الآيات أن الكافرين مازالوا في عنادهم وتعنتهم ، فإنهم إن رأوا الكسف ساقطاً من السماء لم ينتهوا من كفرهم ، وهذا لشدة طغيانهم ، فلم يبالوا بما رأوا من الآيات ، ولم يعتبروا بها ، وهؤلاء لا دواء لهم إلا العذاب ، لأن الله قد ختم على قلوبهم فهم لا يؤمنون.

ونخلص كذلك إلى أن هذه الآيات تدل على قدرة الله على العقاب ووجوب عبادته والتصديق برسله الكرام .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- قرئت الكِسَف بفتح السين وهي قراءة نافع وابن عامر وعاصم، وقرأ الباقون : كِسْفاً بإسكان السين . قال الأخفش : من قرأ كِسْفاً من السماء جعله واحداً، ومن قرأ: كِسَفاً جعله جمعاً، وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأه بسكون السين، لأن الذين سألوا رسول الله ﷺ لم يقصدوا في مسألتهم إياه، ذلك أن يكون بحد معلوم من القطع، إنما سألوا أن يُسقط عليهم من السماء قِطعاً [(1)] .

2- قوله تعالى : (ساقطاً) فيها فائدة لا تحصل في غير السقوط، وذلك لأن عندهم لا يجوز الانفصال عن السماوات ولا يمكن نزولها وهبوطها، فقال ساقطاً ليكون مخالفاً لما يعتقدونه من وجهين أحدهما، الانفصال، والآخر: السقوط ولو قالوا إن يروا كسفاً منفصلاً أو معلقاً لما حصلت هذه الفائدة .

3- وقوله تعالى : (يقولوا) فائدة أخرى، وذلك لأنه يفيد بيان العناد الذي هو مقصد سرد الآية، وذلك لأنهم في ذلك الوقت يستخرجون وجوهاً حتى لا يلزمهم التسليم فيقولون سحاب قولاً من غير عقيدة، وعلى هذا يحتمل أن يقال (وإن يروا) المراد العلم ليكون أدخل في العناد، أي إذا علموا وتيقنوا أن السماء ساقطة غيروا وعاندوا وقالوا هذا سحاب مركوم.

4- وقوله تعالى : ﴿يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ إشارة إلى أنهم حين يعجزون عن التكذيب ويمكنهم أن يقولوا لم يقع شيء على الأرض يرجعون إلى التأويل والتخييل .

5- وقوله (مركوم) أي مركب بعضه على بعض كأنهم يدفعون عن أنفسهم ما يورد عليهم بأن السحاب كالهواء لا يمنع نفوذ الجسم فيه، وهذا أقوى مانع، فيقولون أنه ركام فصار صلباً قوياً [(2)] .

---

(1) انظر : (الصحاح في اللغة) إسماعيل بن حماد الجوهري ، (2/ 115) ، (معاني غريب القرآن) ، للأصفهاني (43/1) ، (النكت والعيون) ، للماوردي (186/4) ، (فتح القدير) للشوكاني ، (139/4) .

(2) انظر: (النكت والعيون) للماوردي (381/3) ، (فتح القدير) للشوكاني (123/5) ،

المطلب الخامس : العقوبة بالحجارة :

لم تقتصر عقوبة الله للكافرين بعد بعثة الرسول ﷺ وإنذاره لهم والتنديد بهم إن عـصوا الله، فقد عاقب الله المعتدين على بيته المشرف قبل مولد النبي ﷺ وبعثته بأربعين سـنة، فهـذا حدث مستفيض الشهرة في حياة الجزيرة العربية قبل بعثة الرسول ﷺ ، حيث أراد فيه أبرهـة الحبشي وجنوده الذين كان يتقدمهم الفيل أن يعتدوا على بيت الله عازمين علـى هـدم الكعبـة المشرفة ليصرفوا الناس عنها، فكانت عناية الله ورعايته لهذه البقعة المقدسة التي اختارها لتكون ملتقى النور ومحضن العقيدة الإسلامية فعاقبهم الله بالحجارة .

قال تعالى : ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل: 4-5] .

والمراد بالحجارة : الحجارة من الحَجَر : أي الصخرة ، جمعه في القلة أحجار وفي الكثرة حِجارَ وحجارة. والحجارة المراد به السجيل : أي الشديد من الحجارة الصلبة، والحجارة المسومة للعذاب هي حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها أسماء القوم (1) .

وقد اختلف في المعنى المراد بسجيل على ثمانية تأويلات أذكرها على النحو التالي :

الأول : أنه طين قد طبخ حتى صار كالأرحاء، ذكره ابن عيسى .

الثاني : أنه فارسي معرب وهو (سنك وكيل) فالسنك: الحجر، والكيل : الطين، قاله ابن عباس

الثالث : أنه الحجارة الصلبة الشديدة، قاله أبو عبيدة.

الرابع : من سجيل يعني من سماء اسمها سجيل .

الخامس : من سجيل من جهنم اسمها سجين فقلبت النون لاماً.

السادس : أن السجيل من السجل وهـو الكتاب وتقديره من مكتوب الحجارة التي كتب الله تعالى أن يعذب بها أو كتب عليها، وفي التنزيل : ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ [المطَّففين: 7-9] .

السابع : أنه فعِّيل من السجل وهو الإرسال، يقال أسجلته أي أرسلته ومنه سمي الـدلو سـجلاً لإرساله فكان السجل هو المرسل عليهم.

الثامن : أنه مأخوذ من السجل الذي هو العطاء، يقال سجلت له سجلاً من العطاء ، فكأنه قـال سُجلوا البلاء أي أعطوه (2) .

---

(1) انظر: (مختار الصحاح) محمد بن أبي بكر الرازي (167/1) ، (البحر المحيط) ، لأبي حيـان (436/6) ، (فتح القدير) للشوكاني (593/5)، (أيسر التفاسير) للجزائري (615/5) ،

(2) انظر: (النكت والعيون)، للماوردي (343/6) ، (فتح القـدير) للـشوكاني(593/5) ، (أيـسر التفاسـير) للجزائري (615/5) .

وترى الباحثة : أن الرأي الأول من أصح الآراء وهو أن السجيل هو طين متحجر قد طبخ بنار جهنم وهذا ما ذكرته سابقاً في تعريف الحجارة ، ودليله قوله تعالى : ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ [الذاريات:33] .

المعنى الإجمالي :

أراد الله إهلاك جيش أبرهة فأرسل عليهم طيراً أبابيل، أي جماعات كثيرة جداً ومتفرقة يتبع بعضها بعضاً من نواحي شتى أفواجاً وزمراً، أمام كل فرقة منها طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق، وقيل أن هذه الطيور سوداً، وقيل: خضراً، وقيل: بيضاً ، ولما تشوف السامع إلى فعل الطير بهم، قال – عز في علاه – مستأنفاً "ترميهم" أي الطيـر "بحجـارة" أي عظيمة في الكثرة والفعل ، صغيرة في المقدار والحجم، فهي حجارة من سجيل أي طين متحجر مصنوع للعذاب في موضع هو في غاية العلو وكان مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة.

وعن ابن عباس ﷺ أنه رأى منها عند أم هانئ نحو قفيز مخططـة بجمـرة كـالجزع الظفاري، فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره، وعلى كل حجر اسم مـن يقـع عليه، ففروا فهلكوا في كل طريق ومنهل، وأصيب أبرهة في جسده فتساقطت أنامله، وما مـات حتى انصدع عن قلبه، وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائره يحلق فوقه حتى بلغ النجاشـي فقـص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتاً بين يديه.

فجعلهم الله كعصف مأكول، أي تركهم كأوراق الشجر الجافة الممزقة، فالعصف المأكول هو ورق الزرع وقع في الآكال يأكله الدود ويجوفه، وكذلك الحجر كان يأتي في الرأس فيخرق بما له من الحرارة وشدة الوقع كل ما مر به حتى يخرج من الدبر ويصير موضع تجويفه أسود لما له من النارية [(1)] .

فهذا عقاب ووعيد للظالمين في كل زمان ومكان لمن يتعدى على مقدسات الله.

نماذج من الذين عذبوا بالحجارة :

1- **قوم لوط** : ذكر الله في منزل التحكيم مشهداً قرآنياً آخر يعاقب فيه قوم لوط، على عصيانهم وفسادهم وإتيانهم الرجال دون النساء فقال تعالى : ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ [الحجر:74] ، ومنه قوله تعالى : ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [الذاريات: 32-34].

---

(1) انظر: (نظـم الدرر) ، للبقاعـي (12،10/1) ، (الكشاف) للزمخشري (286/4)، (في ظلال القرآن) لسيد قطب (3979/6) .

المعنى الإجمالي :

كان أمر الله ﷻ نافذاً في عقاب قوم لوط فقد أرسل الملائكة لفئة مجرمة أسرفت في الذنوب وأمرهم بأن يوقعوا العذاب على مدائن قوم لوط، ويجعلوا عاليها سافلها، فجعل جبريل جناحه في أسفلها ثم رفعها إلى السماء، حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة، ثم قلبها عليهم، وأتبعوا بحجارة من فوقهم من سجيل، أي من طين، فقال تعالى في سورة الذاريات ﴿ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴾ أي مطبوخ بالنار وذلك في السماء قبل أن تنزل إلى الأرض، وكلمة حجارة تعطي الإحساس بالصلابة، أما كلمة طين تعطي إحساساً بالليونة، ولكن الطين الذي نزل قد تحجر بأمر من الله تعالى، وقد نزل منضوداً، أي مصفوفاً متتابعاً ومنظماً الواحد فوق الآخر، وكان كل حجر يعرف صاحبه، لأن الحق سبحانه يقول بعد ذلك "مسومة عند ربك"،أي معلمة مكتوب على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمى به، وقيل: إنها معلمة من حجارة العذاب خلقت وأعدت لتعذيبهم، وقيل: معلمة أنها ليست من حجارة الدنيا، وقيل مرسلة للمجرمين لأن الإرسال يقال في التسويم.

وقوله (من عند الله) إيذاناً بنفاذ قدرته وشدة عذابه، ودليل على أنها من السماء ليست من حجارة الأرض، وقد أرسلت للمسرفين المبالغين في الكفر والعصيان كإتيان الذكران [1] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ **فيه أربعة أقوال :**

الأول: " أنه ذكر ذلك وعيداً لظالمي قريش، قاله مجاهد.

والمعنى وما الحجارة من ظالمي قومك يا محمد ببعيد.

الثاني : وعيد لظالمي العرب، قاله عكرمة.

الثالث : وعيد لظالمي هذه الأمة، قاله قتادة وعكرمة.

الرابع : وعيد لكل ظالم: قاله الربيع" [2] .

وترى الباحثة : أن هذا الوعيد عام لكل ظالم سواء كان من قريش أو من العرب أومن غيرهم، وخاص بأمة محمد ﷺ .

فتركها الله آية وعلامة دالة على ما أصابهم من عذاب وهلاك ، وهي ماء أسود منتن كالبحيرة تعرف الآن بالبحر الميت ، وترك الأحجار الصخر المنضود ، وهذه الآية للذين يخافون العذاب الأليم وهم من أمة محمد ﷺ المؤمنون الذين يخافون عذاب الآخرة حتى لا يفعلوا

---

(1) انظر: (البحر المحيط) ، لأبي حيان (6/ 436- 438) ، (أيسر التفاسير) للجزائري(143/5) ، (تفسير الشعراوي) للشعراوي (144/4) .

(2) النكت والعيون ، للماوردي (217/2) .

فعل قوم لوط من الكفر وإتيان الفاحشة [1].

2- **كفار قريش :** قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالُوا اللهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [الأنفال:32] .

المعنى الإجمالي :

هذا مشهد قرآني ثالث يصور فيه الله ﷻ جهل وتكذيب الكفار، ويحكي لوناً عجيباً من ألوان عنادهـم وجحودهم بالحق، فرغم أن مدن قوم لوط التي عذبها الله كانت بين المدينة والشام ، يمر عليها قريش في مسيرتهم، والنظر إليها فيه اعتبار واتعاظ إلا أن كفار قريش أصروا على العناد ، واستعجلوا العذاب، فقال أحد المشركين ، وقيل هو النفير بين الحارث بن كلده ، وقيل أبو جهل، وقال أنس بن مالك قال أبو جهل : (اللهم إن كان هذا من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) فنزلت : ﴿ **وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ [الأنفال:33] [2] .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- بيان قدرة الله تعالى في تعذيبه وعقابه وبطشه لأعدائه.

2- التنديد بالإجرام وفاعليه، ووعيد الظالمين في كل زمان ومكان بأشد العقوبات وأفظعها.

3- جواز الإهلاك بالعذاب الخاص الذي لا يعرف له نظير.

4- بيان ما كان عليه المشركون في مكة من بغض للحق وكراهية له ، حتى سألوا العذاب العام ولم يعتبروا بمن كان قبلهم.

5- هذه العقوبة فيها من الموعظة والتخويف للكافرين والترهيب لهم عامة وللمؤمنين خاصـة حتى لا يعصوا الله [3].

6- قوله تعالى: ﴿ **لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ** ﴾ فيها دليل على رجم من فعل فعلهـم فحكـم اللائط الرجم، والفائدة في إرسال جماعة من الملائكة لهذا الأمر وإن كان يكفي فيه الواحـد منهم، أن الملك العظيم قد يهلك بالأمر الحقير كما هلك النمرود بالبعوض، وكما هلك بالقمل والجراد بل بالريح التي بها الحياة إظهاراً للقدرة، وقد تكثر الأسباب كما في يوم بدر أمـر خمسة آلاف من الملائكة بإهلاك أهل بدر مع قتلهم إظهاراً لعظيم قدرته.

---

(1) انظر : (اللباب في علوم الكتاب) أبو حفص عمر الدمشقي الحنبلي (13/ 391) ، (أيسر التفاسير) للجزائري (144/4) .

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) ، ابن كثير (336/2، 337) ، (الوسيط) وهبة الزحيلي (794/1) .

(3) انظر : (أيسر التفاسير) للجزائري (304/2) .

7- " أن الحجارة سُومت للمسرف المصر الذي لا يترك الذنب في المستقبل وذلك إنما يعلمه الله تعالى، فلذلك قال : ﴿ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾ ولما كان الإجرام ظـاهراً قـالوا : ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴾ واللام في (المسرفين) لتعريف العهد، أي لهؤلاء المسرفين، إذ ليس لكل مسرف حجارة مسوَّمة وإسرافهم بأنهم أتوا بما لم يسبقهم به أحد من العالمين" [1] .

8- قوله تعالى : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴾ استخدمت لفظة أمطرنـا فـي العـذاب ومطرنا في الرحمة.

9- قوله تعالى : ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ أي وما الحجارة بالظالمين ببعيد، "والحجارة وإن كانت في السماء وهي مكان بعيد إلا أنها إذ هويت منها فهي أسرع شيء لحوقاً بالمرمي، فكأنها بمكان قريب منه" [2] .

المطلب السادس : العقوبة بالصيحة :

سنة الله في عقوبة الكافرين لا ترد ولا تخلف ، فقد تحققت هذه السنة بأنواع شتى مـن العذاب، أهلك الله بها أقواماً ظالمة كلاً حسب ذنبه و معصيته ، ومن هـذه العقوبـات العقوبـة بالصيحة قال تعالى : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:40] ، فهذه الآية الكريمة تبين أن الله تعالى قد عذب قوم عاد ولوط بالحاصـب ، أي الريح العاصف التي ترمى لقوة عصفها وشدة قصفها بالحجارة ، وعذب قوم قارون وجماعتـه بالخسف ، وعذب قوم نوح وفرعون وجنوده بالغرق .

والصيحة نوع من أنواع العذاب التي عاقب الله بها العصاه الذين خالفوا أمره .

والمراد بالصيحة : الزجـرة ، وهو صوت مرتفع شديد ، فعلة للمـرة الواحـدة مـن الصياح ، يقال صاح يصيح إذا ارتفع صوته بقوة وأصل ذلك تشقق الصوت [3] .

وفي الصيحة ثلاث أقاويل :

الأول : أن جبريل عليه السلام صاح بهم .

الثاني : أن الله تعالى أحدثها في حيوان صاح بهم .

الثالث : أن الله تعالى أحدثها من غير حيوان [4] .

---

(1) اللباب في علوم الكتاب : أبو حفص عمر الدمشقي الحنبلي (13/ 391) .

(2) البحر المحيط ، لأبي حيان (6/ 439) .

(3) انظر : (روح المعاني) ، للألوسي (295/8) ، (البحر المحيط) ، لأبي حيان (424/6) ، (الوسيط) وهبـة الزحيلي(2230/1) .

(4) انظر : (النكت والعيون) ، للماوردي (209/2) ، (مفاتيح الغيب) ، للرازي (436/8) .

وترى الباحثة : أن الآيات الكريمة ليس فيها دلالة على تعيين أي قول من الأقوال السابقة .

الأقوام التي عذبت بالصيحة :

أولاً : ثمود قوم صالح : قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر: 80-83] .

المعنى الإجمالي:

عاقب الله – سبحانه– قوم صالح بسبب عقرهم للناقة التي سألوا نبيهم أن يخرجها لهم من جبل ، لتكون آية وعلامة على صدق دعوته، من عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان ، حيث أتتهم آية الله – أي الناقة– التي طلبوها فخرجت من الصخرة ، وشربت من ماء البلد ، فأصبح الماء قسمة بينهم وبين الناقة ، ووقفت أمام كل بيت ليحلب أهله منها ما شاءوا ،وقوبلت هذه الآية الباهرة بالإعراض من هؤلاء الكافرين ، فكذبوا نبيهم صالحاً عليه السلام ولم يؤمنوا ويتوبوا إلى الله ، فعاقبهم المولى بالصيحة حيث أتتهم من السماء صيحة عظيمة هائلة سمعوها فهلكوا وماتوا جميعاً ، فلم يغنوا بديارهم ولم يعمروها .

وهذه اللمحة الخاطفة من الأمن في البيوت الحصينة في صلب الجبال ،إلى الصيحة التي أخذتهم فلم تبق لهم مما جمعوا ومما بنوا ومما نحتوا شيئاً يغني عنهم ، ويدفع الهلاك الخاطف ، هذه اللمحة تلمس القلب البشرى لمسة عنيفة مبينة له عاقبة من يؤثر الكفر على الإيمان والشرك على التوحيد (1) .

وصور القرآن حال قوم صالح الذين عوقبوا بالصيحة ووصفهم بالصفات الآتية :

أولاً : أصبحوا بديارهم جاثمين : قال تعالى : ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود:67] ، أي هلكوا فأصبحوا في منازلهم وبلادهم موتى هامدين قد لصقوا بالتراب ملقون على ركبهم وعلى جباههم بلا حركة حيث أخذتهم الصيحة ليلاً ، وفي ذلك دلالة على شدة الأخذ وسرعة العقاب (2) .

ثانياً : جعلهم غثاء : قال تعالى : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون:41] .

والمعنى : أهلكناهم فجعلناهم كالشئ الذي لا منفعة فيه كالرميم الهامد الذي يحتمل السيل؛ فالغثاء هو ما علا السيل من الزبد والقش لأنه يذهب ويتفرق (3) .

---

(1) انظر : (أيسر التفاسير) ، للجزائري (2\180، 286) .

(2) انظر: (النكت والعيون) ، للماوردي (209/2) ، (تفسير الشعراوي) لمحمد متولي الشعراوي ، ص 1527.

(3) انظر: (الدر المنثور) ، للسيوطي (204/7) ، (زاد المسير) ، لابن الجوزي (411/4) .

ثالثاً : كهشيم المحتظر: قال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ﴾ [القمر:31] .

والمعنى : "أي ممزقين محطمين مبعثرين هنا وهنا كحطب وخشب وعشب الحظائر التي تجعل للأنعام " (1).

ثانياً : مدين قوم شعيب :

قال تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود:94] .

عن ابن عباس قال : "لم يعذب الله أمتين بعذاب واحد إلا قوم شعيب وقوم صالح فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم ، وقوم شعيب أخذتهم من فوقهم " (2) .

ثالثاً : قوم لوط : قال تعالى : ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ العَالَمِينَ * قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ [الحجر: 70-73] .

عاقب المولى قوم لوط على فعلتهم الشنيعة وهى إتيانهم الذكران دون الإناث شهوة ، فأخذتهم صيحة جبريل عليه السلام مشرقين أي عند شروق الشمس ، وفوق ذلك عذبوا بحجارة من سجيل ، وجعل الله تدمير مدنهم كاملة بما فيها آيات وعبر وعظات للناظرين نظرة تفكر وتأمل لمعرفة الأشياء بسماتها وعلاماتها، فجعل تلك القرى الهالكة طريقاً ثابتاً باقياً يمر به أهل مكة في أسفارهم إلى الشام عبرة للمؤمنين الراسخين في الصدق فلا يقدمون على محارم الله ولا يرتكبون معاصيه (3).

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- سمى الله عز وجل العذاب الذي نزل على ثمود (الصيحة) وسماه في موضع آخر (الطاغية) قال تعالى : ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقَّة:5] ، وسماه في موضع آخر (صاعقة) فقال تعالى : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصِّلت:13] ، وفي سورة الأعراف سماه الرجفة ، قال تعالى : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف:78] ، ولعلها وقعت عقيب الصيحة، فالرجفة هي الزلزلة، والصيحة هي بعض من توابع الزلزلة وذلك أن الزلزلة تحدث تموجاً في الهواء، يؤدي إلى حدوث أصوات قوية

---

(1) أيسر التفاسير ، للجزائري (174/4) .

(2) اللباب في علوم الكتاب ، أبي حفص عمر الدمشقي الحنبلي (157/9) .

(3) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (610/2، 611) ، (أيسر التفاسير) للجزائري (90/3) .

تعصف بمن يسمعها وكل من الصاعقة والصيحة والرجفة تؤدي معنى الحدث الذي يَدْهَمُ ولا يمكن الفكاك منه.

2- قال المولى : ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ ،قال (أخذ) ولم يقل أخذت الصيحة، وذلك لأن المتكلم هنا هو رب العباد سبحانه ، ولا يصح أن نفهم الصيحة على أنها جاءت لتعبر عن صيحة واحدة، فتاء التأنيث تعبر عن الصيحة لمرة واحدة، أما إذا تكررت وصارت صياحاً كثيراً تأخذهم كل صيحة من الصياح، وهنا نلمح أن الصيحة فيها ضعف الأنوثة، أما الصياح ففيه عزيمة وقوة الرجولة، فأراد الحق سبحانه أن يجمع الأمرين: فقال (أخذ) ولم يقل (أخذت) [1]. " فالصيحة محمولة على الصياح، وأيضاً فصل بين الفعل والاسم المؤنث بفاصل، فكان الفاصل كالعوض من تاء التأنيث" [2] ، فالفعل يجوز فيه التذكير والتأنيث لأن الفاعل مؤنث مجازي .

3- السبب في كون الصيحة موجبة للموت عدة وجوه :

الأول : أن الصيحة العظيمة إنما تحدث عن سبب قوي يوجب تموج الهواء وذلك التموج الشديد ربما يتعدى إلى صماخ الإنسان فيمزق غشاء الدماغ فيورث الموت .

الثاني : أنه شيء مُهيب فتحدث الهيبة العظيمة عند حدوثها والأمراض النفسانية إذا قويت أوجبت الموت .

الثالث : أن الصيحة العظيمة إذا حدثت من السحاب فلا بد وأن يصحبها برق شديد محرق وذلك هو الصاعقة [3].

4- فائدة الجمع بين ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ و﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ باعتبار الابتداء والانتهاء بأن يكون ابتداء العذاب عند الصبح وانتهاؤه عند الشروق .

5- قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (قال المرسلين) مع أنهم لم يكذبوا إلا صالحاً ، والحكمة من ذلك أن من كذب رسولاً فقد كذب عامة الرسل، لأن دعوة الرسل واحدة وهي أن يعبد الله وحده بما شرع لإكمال الإنسان وإسعاده [4].

6- عدم دخول القرى والمدن التي عذبها الله خوفاً من غضب الله على أهل القرى وخشية أن يوقع بهم نفس العذاب.

---

(1) انظر (تفسير الشعراوي) لمحمد متولي الشعراوي ، ص 187 .

(2) مفاتيح الغيب : للرازي (436/8) .

(3) انظر : (مفاتيح الغيب) للرازي (437/8) ، (اللباب في علوم الكتاب)لأبي حفص عمر الدمشقي الحنبلي ، (128/9) .

(4) انظر : (روح المعاني) للألوسي ، (52/10) .

ويؤيد ذلك نهي الرسول ﷺ للصحابة عندما مر على ديار ومساكن ثمود وهو ذاهب إلى تبوك في سنة تسع ،**عن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال : أن رسول الله ﷺ نزل عام تبوك بالحجر**[1] **عند بيوت ثمود ، فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فنصبوا القدور وعجنوا الدقيق ، فقال رسول الله ﷺ : (أكفؤوا القدور واعلفوا العجين الإبل) ثم ارتحل حتى نزل في الموضع الذي كانت تشرب منه الناقة وقال : (لا تدخلوا على هؤلاء القوم الذين عذبوا فيصيبكم مثل ما أصابهم)**[2].

ومثال ذلك في عصرنا مدينة اندونيسيا التي عاقبهم المولى بالطوفان (تسونامي) بسبب فسادهم ومعاصيهم فما زالت آثار العذاب موجودة حتى الآن .

وكذلك مدينة أريحا (سدوم) التي خسف الله ساكنيها من قوم لوط ، فما زال آثار هذا الخسف موجود حتى الآن حيث تنخفض الأرض ثلاثمائة متر عن مستوى البحر الميت ، وفي ذلك ضرر على من يمر عليها .

ويجوز دخول هذه القرى المعذبة لأخذ العبرة والعظة فقط، فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ وهو بالحِجْر **(لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، يصيبكم ما أصابهم)**[3].

المطلب السابع : العقوبة بالصاعقة :

قال تعالى : ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد:13] .

سبب نزول الآية :

تعددت أراء العلماء فيمن نزلت فيه هذه الآية على ثلاثة أقاويل :

الأول : أنها نزلت في رجل أنكر القرآن وكذب النبي ﷺ فأخذته صاعقة ، قاله قتادة .

الثاني : في أربد بن ربيعة وقد كان هم بقتل النبي ﷺ مع عامر بن الطفيل فتيبست يده على سيفه ، وعصمه الله تعالى منهما ثم انصرف فأرسل الله تعالى عليه صاعقة أحرقته .

---

(1) الحجر : مكان يقع بين الحجاز والشام موقعه الآن – تقريباً – المنطقة بين الحجاز وشرق الأردن ، وهي اسم ديار ثمود ، قليلة السكان ، ومازال المكان الذي كانوا يسكنونه بمدائن صالح حتى اليوم ، انظر : (معجم البلدان) شهاب الدين الحموي (255/2)، (الوسيط) وهبة الزحيلي (2227/1)

(2) صحيح ابن حبان ، كتاب التاريخ ، باب بدء الخلق ، (14/ 83) حديث (6203) قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(3) صحيح بخاري ،كتاب الصلاة ، باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب ، ص104، حديث(433) .

الثالث : أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً من أصحابه إلى رجل من عظماء الجاهلية يدعوه إلى الله فقال : أيش ربك الذي تدعوني إليه ، أمن حديد ، أو من نحاس ، أو من فضة أو ذهب ، فـأتى النبي ﷺ فأخبره ، فأعاد الثانية والثالثة ، فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته ، ونزلت هذه الأية ، قاله أنس .

الرابع : أنها نزلت في يهودي جاء إلى النبي ﷺ فقال : "أخبرني عن ربك من أي شئ ،مـن لؤلؤ أو ياقوت ؟ فجاءت صاعقة فأخذته ، قاله على وابن عباس ومجاهد [1].

المعنى المراد بالصاعقة : "هي كل أمر هائل رآه أو عاينه أو أصابه حتى يصير مـن هوله وعظيم شأنه إلى هلاك وعُطب والى ذهاب عقل وغمور فهم ، أو فقد بعض آلات الجسم ، صوتاً كان ذلك أو ناراً ،أو زلزلة ، أو رجفاً " [2].

والصاعقة على ثلاثة أوجه :

1- "الموت: كقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ...﴾ [الزُّمر:68] .

2- العذاب : كقوله تعالى : ﴿ ... أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصِّلت:13] .

3- النار : كقوله تعالى : ﴿ ... وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ...﴾ [الرعد:13] " [3].

المعنى الإجمالي :

أن الله يرسل الصواعق المحرقة فيصيب بها من يشاء من خلقه فيهلكهم ، وحالهم عنـد نزول الصاعقة يجادلون في الله أي يكفروا ويكذبوا رسول الله وينكروا آياته حيث يجادلون بمـا يصفه الصادق من كمال العلم والقدرة والتفرد بالألوهية وإعادة النـاس ومجـازاتهم والمـراد بالمجادلة فيه تعالى المجادلة في شأنه سبحانه وما أخبر به عنه – جل شأنه– فينكرون البعـث تارة ، ويستعجلون العذاب أخرى ،ويكذبون الرسل ويعصون الله ، والله شديد القوة والأخذ والكيد والتدبير والمكر والقدرة والجدال والعذاب والعقاب والهلاك والإهلاك ، يأتي أعداءه بما يريد من إنزال العذاب بهم من حيث لا يحتسبون [4].

---

(1) انظر: (أسباب النزول) للسيوطي ،ص236 ، (النكت والعيون) للماوردي (304/2) .

(3) جامع البيان في تأويل القرآن، للطبري (1/ 392).

(3) النكت والعيون: للماوردي (50/4) .

(4) انظر: (فتح القدير) ، للشوكاني (96/4) ، (نظم الدرر) ، للبقاعي (333/4) ، (روح المعاني) ، للألوسـي (226/9) .

نماذج من الذين عذبوا بالصاعقة :

1- **ثمود قوم صالح** : قال تعالى : ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [فصّلت:17] ، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ**﴾ [الذاريات:44] .

المعنى الإجمالي:

يذكر المولى – جل في علاه – نموذجاً من أهل الكفر استحبوا الضلالة على الهدى ، فيقول المولى أما ثمود فهديناهم ودللناهم على الطريق الرشيد، ووضح لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه السلام فاختاروا الكفر على الإيمان ،والضلالة على الدخول في الرشد ، وخالفوا النبي وكذبوه وعقروا الناقة التي جعلها الله آية على صدق نبيهم، فبعث الله عليهم عذاباً ورجفة وصيحة وذلاً وهواناً ونكالاً بما كانوا يكسبون، أي من التكذيب والجحود وبسبب عتوهم و استكبارهم عن امتثال أوامر الله فقد أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون عاينوها نهاراً فما قاموا بعد نزول العذاب ولا قدروا على رفعه (1) .

2- **قوم موسى** : قال تعالى : ﴿**يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا**﴾ [النساء:153] .

سبب نزول الآية :

" أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظى قال : جاء ناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا : أن موسى جاءنا بالألواح من عند الله ، فأتنا بالألواح حتى نصدقك فأنزل ﴿ **يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **بُهْتَاناً عَظِيمًا**﴾ فجثا رجل من اليهود فقال : ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً فأنزل الله ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ " (2) .

المعنى الإجمالي :

سأل اليهود رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء كما نزلت التوراة على موسى مكتوبة ، وهذا قالوه على سبيل التعنت والعناد والكفر والإلحاد ، فحاضر هؤلاء اليهود الذين يعيشون مع الرسول ﷺ كماضي آبائهم الأقدمين ، وجميعهم لا يبغون من سؤالهم الاهتداء إلى الحق وإنما يبغون إعنات الرسول ﷺ والإساءة إليه .

---

(1) انظر : (تفسير القرآن العظيم) ، لابن كثير(415/14) ، (فتح القدير) ، للشوكاني (418/6) .

(2) أسباب النزول ، للسيوطي ، ص 148 .

فلا تعجب أيها الرسول فقد سأل أسلافهم موسى عليه السلام ما هو أعظم ، سألوه أن يريهم الله علانية ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة:55] .

"ولم تبلغ الآيات البينات التي أظهرها الله لهم على يد موسى نبيهم أن تلمس حسهم وتقود قلوبهم إلى الاستسلام فإذا هم يطلبون رؤية الله عياناً وهو مطلب طابعه التبجح ،لا يصدر عن طبع فيه استعداد للإيمان فأخذتهم الصاعقة بسبب ظلمهم أنفسهم وطغيانهم حين سألوا أمراً ليس من حقهم" [(1)] ، " وعن وهب : أنهم لم يموتوا بل لما رأوا تلك الهيئة الهائلة أخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم وأشرفوا على الهلاك فعند ذلك بكى موسى عليه السلام ودعا ربه فكشف الله عز وجل عنهم ذلك ، فرجعت إليهم عقولهم ومشاعرهم ولم تكن صاعقة موسى عليه السلام موتاً بل غشية لقوله تعالى : ﴿ **فلما أفاق** ﴾ ﴿ **وأنتم تنظرون** ﴾ أي ما أصابكم بنفسه أو بآثاره ﴿ **ثم بعثناكم من بعد موتكم** ﴾ بتلك الصاعقة ، قيد البعث به لما أنه قد يكون من الإغماء وقد يكون من النوم " [(2)] .

"ومما يدل على أنه يكون مصعوقاً وهو حي غير ميت ، قوله تعالى : ﴿خَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف:143] ، أي مغشياً عليه " [(3)] .

3- تخويف كفار قريش بالصاعقة : قال تعالى : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصّلت:13] .

المعنى الإجمالي :

إن أعرض المشركون من قريش عن الإيمان بعد قدرة الله وعلمه وحكمته الموجبة للإيمان فقل لهم يا محمد أنذرتكم أي خوفتكم حلول نقمة من الله لكم ، كما حلت بالأمم الماضية من المكذبين بالمرسلين تنزل بكم إن أصررتم على إعراضكم مثل صاعقة عاد وثمود [(4)] .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- بيان قبائح اليهود وخبثهم الملازم لهم قديماً وحديثاً .

2- نقض اليهود للعهود والمواثيق خلق من أخلاقهم لا يفارقهم أبداً ، ولذا وجب عدم الثقة في

---

(1) في ظلال القرآن : لسيد قطب (72/1) .

(2) إرشاد العقل السليم : لأبي السعود (133/1) .

(3) جامع البيان في تأويل آي القرآن : للطبري (392/1) .

(4) انظر : (أيسر التفاسير) ، للجزائري (473/3) .

عهودهم ومواثيقهم .

3- لا مصيبة إلا بذنب فقوله "بما كانوا يكسبون " أي من الذنوب .

4- الإيمان والتقوى هما سبيلا النجاة من العذاب في الدنيا والآخرة وهما ركنا ولاية الله تعالى كما يقول سبحانه : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: 62-63] (1) .

5- قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الكِتَابِ﴾ " عبر بالمضارع يسألك لقصد استحضار حالتهم العجيبة في هذا السؤال حتى لكأن السامع يراهم ، وللدلالة على تكرار أسئلتهم وتجددها المرة تلو الأخرى بدون حياء وخجل " (2) .

6- " قرئ "صعقة " مثل صعقة عاد وثمود وهى المرة من الصعق يقال : صعقته الصاعقة صعقًا فصعق صعقًا " (3).

7- بينت السنة النبوية أن الصواعق تكثر عند اقتراب الساعة ، قال رسول ﷺ : **(تكثر الصواعق عند اقتراب الساعة حتى يأتي الرجل القوم فيقول من صعق تلكم الغداة فيقولون صعق فلان وفلان)** (4).

8- أن تصيب الصاعقة المسلم وغير المسلم ولكن لا تصيب الذاكرين الله

المطلب الثامن : العقوبة بالريح :

لله جنود في السماء ، يرسلها متى يشاء ، ينصر بها عباده الأتقياء ، ويهلك الكافرين المعاندين لرب السماء ، والريح جند من جنود الله التي عذب بها أقوامًا طغاة ، ذكرهم القرآن لأخذ العبر والعظات ، فالقرآن الكريم طبيعة أسلوبه المعجز حين يتكلم عن الريح بلفظ الإفراد يكون المقصود هو العذاب وإن تكلم عنها بلفظ الجمع فهي الرحمة ، إلا في سورة واحدة في قوله تعالى : ﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس:22] .

وفي هذا المقام يجدر بنا أن نتعرف على المعنى المراد بالريح و أنواعه ، ومن هم الأقوام الذين عذبوا بها .

---

(1) المرجع السابق (474/3) .

(2) الوسيط : لوهبة الزحيلي (402/1) .

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل : البيضاوي (139/5) .

(4) مسند أحمد ، كتاب مسند المكثرين من الصحابة ، باب مسند أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه ، (64/3) حديث(11638) قال شعيب الأرنؤوط : صحيح .

وقد عرفها ابن منظور بقوله : " الريح نسيم الهواء ، واحدة الرياح والأريــاح ، وقــد تجمع على أرواح لأن أصلها الواو ، وإنما جاءت بالياء لانكسار ما قبلها فإذا رجعوا إلى الفــتح عادت إلى الواو" (1) .

وترى الباحثة : أن الريح جسم لطيف لا يمسك ولا يُرى ، والــريح العاصــف شــديد الهبوب ، يقلع معه الشجر والحجر ، ويهدم البنيان والأركان ، وتضطرب له السفن في البحر أو على الشُطآن ، وتدمر كل شيء تأتي عليه في أي زمان وأي مكان .

أنواع الريح التي للعذاب :

1- **الريح العاصف** : ومنه قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس:22] ، وقولــه تعالى : ﴿فَالعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ [المرسلات:2] .

وعرفها أبو بكر الجزائري قائلًا :" الرياح الشديدة الهبوب المــضرة لــشدتها تعــصف بالأشجار وتقلعها وبالمباني وتهدمها " (2) .

2- **الريح القاصف** : ومنه قوله تعالى : ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [الإسراء:69] .

وعرف الإمام الألوسى الريح القاصف أنها :" الشديدة التي تقصف بما تمر به من الشجر ونحوه ، أو التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف أي تتكسر" (3).

3- **ريح صرصر عاتية** : ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى القَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقَّة: 6-8] ، ومنه قوله : ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾ [آل عمران:117] .

يقول الإمام الشوكاني :"الصر البرد الشديد أصله من الصرير الذي هو الصوت فهــو صوت الريح الشديد " (4) .

---

(1) لسان العرب (455/2) .
(2) أيسر التفاسير (491/5).
(3) روح المعاني (21/11) .
(4) فتح القدير (504/1).

ونلاحظ من خلال البحث في معنى الصر اختلاف المفسرين في تعريف الصر على وجوه :

الأول : قال أكثر المفسرين وأهل اللغة، الصر البرد الشديد، وهو قول ابن عباس وقتادة والسدى وابن زيد .

والثاني : أن الصر هو السموم الحادة ولهب النار التي في تلك الريح ،وهو اختيار أبى بكر بن الأصم وأبى بكر الأنبارى ، وقاله الزجاج .

والثالث : فيها تصويت وحركة .

وعلى الأقوال السابقة فالمقصود من التشبيه حاصل لأنه سواء كان برداً مهلكًا أو حـرًا محروقًا فإنه يصير مبطلًا للحرث والزرع فيصح التشبيه به (1) .

ويعرف الإمام الشوكاني الريح العاتية بقوله :" التي عتت عن الطاعة فكأنها عتت على خزانها، فلم تطعهم ولم يقدروا على ردها لشدة هبوبها أو عتت على عاد فلم يقدروا على ردهـا بل أهلكتهم " (2) .

4- **الريح العقيم** : ومنه قوله تعالى : ﴿**وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ**﴾ [الذاريات: 41-42] .

قال ابن عباس: الريح العقيم ريح لا بركة فيها ولا منفعة ولا ينزل منها غيث ولا يلقح منها شجر (3).

5- **الريح الحاصب** : ومنه قوله تعالى : ﴿**أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ البَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا**﴾ [الإسراء:68] ، ومنه قوله تعالى : ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ**﴾ [القمر:34] .

ويقول الإمام الماوردى : " الحاصب فيه وجهان :

أحدهما : يعنى الحجارة من السماء ، قاله قتادة .

الثاني : الحاصب الريح العاصف سميت بذلك لأنها تحصب أي ترمى بالحصباء " (4) .

6- **ريح ذات إعصار:** ومنه قوله تعالى : ﴿ ... **فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ** ... ﴾ [البقرة:266]

يقول الإمام ابن منظور : "الأعاصير من الرياح ليست من رياح مطـر ، والإعـصار الريح التي تثيـر السحاب ذات رعـد وبرق ، وقيل هي التي فيها نار ، وقيل هي التـي فيهـا

(1) مفاتيح الغيب :للرازي، (103/30) (بتصرف) .

(2) فتح القدير (333/5) .

(3) انظر: (النكت والعيون) للماوردي (372/5) ،(الدر المنثور) للسيوطي (301/9) .

(4) النكت والعيون (257/3) .

غبار شديد ، وقال الزجاج ([1]): والإعصار الرياح التي تهب من الأرض وتثير الغبار فترتفع كالعمود إلى نحو السماء ، وهى التي تسميها الناس الزوبعة ،وهى ريح شديدة لا يقال لها إعصار حتى تهب كذلك بشدة ، والإعصار والعصار أن تهيج الريح التراب فترفعه " [2] .

7- **ريح فيها صفرة** : ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ [الرُّوم:51] .

ويقول الإمام الماوردى : وقوله ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ " فيه قولان :

أحدهما : فرأوا السحاب مصفرًا لأن السحاب إذا كان كذلك لم يمطر ،وقيل إنها الريح الدبور لأنها لا تلقح .

والثاني : فرأوا الزرع مصفرًا بعد اخضراره" [3] .

وترى الباحثة :أن الضمير في قوله "فرأوه " يعود على السحاب لأنه إذا كان مصفرًا لم يمطر وبالتالي سيصفر الزرع من قلة الماء .

8- **ريح فيها عذاب أليم** : ومنه قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف:24] .

قال الإمام الرازي : " أي تهلك كل شيء من نفوس وأموال ومن ناس وحيوان ونبات " [4] .

الأقوام التي عذبت بالريح :

أولاً :عاد قوم هود : قال تعالى : ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: 41-42] ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف:24] .

---

(1) الزجاج :هو إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج ،أبو إسحاق النحوي ،اللغوي ،المفسر ،أقدم أصحاب المبرد ،قراءة عليه من تصانيفه : معاني القرآن ، مختصر النحو ،الاشتقاق وغيرها ،توفى سنة 311هـ ، انظر: (البداية والنهاية) ،لابن كثير(148/11) (شذرات الذهب) ، للحنبلي (59/2) .

(2) لسان العرب (575/4) .

(3) النكت والعيون (321/4) .

(4) مفاتيح الغيب (64/14) .

المعنى الإجمالي:

في قصة عاد [1] وإهلاكها آيات وعبر لمن تأمل ، فقد ذكر المولى في هذا السياق ما كان بين هود وقومه من جدل طويل ليمضي إلى النهاية المقصودة أصلًا في هذا المقام ردًا على التحدي والاستعجال فقد ورد أنه أصاب القوم حر شديد واحتبس عنهم المطر ودخن الجو حولهم من الحر والجفاف ، ثم ساق الله إليهم سحابة ففرحوا بها فرحًا شديدًا ، وخرجوا يستقبلونها في الأودية ، وهم يحسبون فيها الماء ، وجاء الرد بلسان الواقع ﴿ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ ﴾ وبين المولى طبيعة هذا العذاب ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي تحمل بين ثناياها العذاب الموجع ، تدمر كل شيء تمر به فتهلكه بإذن ربها ، وهى الريح العقيم التي جاء في وصفها ﴿ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ .

يقول الإمام القرطبي : " الريح العقيم هي التي لا تلقح سحابًا ولا شجرًا ولا رحمة فيها ولا بركة ولا منفعة " [2] .

ويقول الإمام سيد قطب : "وسميت الريح التي أرسلت عقيمًا لأنها لم تكن تحمل ماء ولا حياة كما توقعوا إنما تحمل الموت والدمار" [3] .

واستمرت هذه الريح الصرصر العاتية التي أرسلت على قوم هود سبع ليال وثمانية أيام قال تعالى : ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقَّة: 6-7] ، ووصف المولى هذه الأيام والليالي بالنحسات أي المشؤمات ، قال تعالى : ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [فصِّلت:16] ، ويخبر تعالى أن هذه الأيام النحسات مستمرة ومتتابعة ، قال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ [القمر:19] ، ويعرض المشهد بعدها آثار الريح " فترى القوم فيها صرعى " أي

---

(1) هناك قبيلة يقال لها عاد بن عاص بن نوح عليه السلام وهم من عاد الأولي ، أو عاد ارم ، وهم من العرب العاربة أي الذين كانوا قبل زمن إسماعيل عليه السلام ، وأما العرب المستعربة فهم من ولد إسماعيل عليه السلام وكان زمن عاد بعد قوم نوح ، وأجمع جمهور مؤرخي المسلمين على أن عاداً كانت تقطن الأحقاف وهي جبال الرمل وكانت باليمن بين عُمان وحضر موت وكانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذات الأعمدة الضخام ، وفي القرآن سورة باسم هذه المنطقة ،(كتاب حضارات ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية) عبد الحكم الصعيدي ، ص72.

(2) الجامع لأحكام القرآن ، المجلد التاسع (17/ 38) .

(3) في ظلال القرآن : (3384/6) .

مصروعين متناثرين كأنهم أعجاز نخل خاوية بأصولها وجذوعها "خاوية " فارغة تآكلت أجوافها فارتمت ساقطة على الأرض هامدة ، فأبدانهم خوت من أرواحهم مثل النخل الخاوية [1] .

ثانيًا : قوم لوط : ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ [القمر:34] ،

المعنى الإجمالي:

"أي لما كذبوا بالنذر وأصروا على الكفر وإتيان الفاحشة أرسلنا عليهم حاصباً تحمل الحصباء والحجارة الصغيرة فأهلكناهم بعد قلب البلاد بجعل عاليها سافلها إلا لوط عليه السلام ومن آمن معه ابنتاه وغيرهما ممن نجاهم الله تعالى بسحر وهو ما بين آخر الليل وطلوع الفجر" [2] .

ثالثاً : كفار قريش : ومنه قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس:22] .

مناسبة الآية لما قبلها :

لما ذكر تعالى القاعدة العامة في أحوال الناس إذا أصابهم الضر لجأوا إلى الله تعالى ، وإذا أذاقهم الرحمة عادوا إلى عادتهم من إهمال جانب الله والمكر في آياته ، ذكر حالة تؤيد ذلك وهى حالهم في البحر عند اشتداده والخوف من عواقبه، وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ ...﴾ [يونس:21] ، كان هذا الكلام كلاماً كلياً لا ينكشف معناه تمام الانكشاف إلا بأمثلة قرآنية ، فذكر تعالى مثالاً لنقل الإنسان من الضر الشديد إلى الرحمة مثالاً ، ومثالاً لمكر الإنسان ، حتى تكون هذه الآية كالمفسرة للآية التي قبلها وذلك لأن المعنى الكلى لا يصل إلى أفهام السامعين إلا بذكر مثال جلي واضح يكشف عن حقيقة ذلك المعنى الكلي [3].

المعنى الإجمالي :

"هذا المشهد العجيب للمشركين وهم مضطربون في البحر يوحى بضعفهم وعجزهم وحاجتهم إلى الله تعالى ، ومن كان كذلك فكيف يستهزئ بربه ويسخر من آياته ويكذب رسوله ، إن أمرهم هذا لعجيب" [4].

---

(1) في ظلال القرآن ، لسيد قطب (367/6) (بتصرف).

(2) أيسر التفاسير ، للجزائري (216/5).

(3) انظر: (مفاتيح الغيب) للرازي(67/17) ، (البحر المحيط) ، لأبي حيان (282/6) ، (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) للسعدي ، ص 361 .

(4) الدر المنثور: للسيوطي (225/5) .

وأخرج الطبراني في المعجم الكبير عن عروة قال: **(فر عكرمة بن أبي جهل يوم الفتح، فركب البحر فأخذته الريح فنادى باللات والعزى فقال أصحاب السفينة : لا يجوز ههنا أحد أن يدعو شيئًا إلا الله وحده مخلصًا، فقال عكرمة: والله لئن كان في البحر وحده إنه لفي البر وحده ، فأسلم)** ([1]) .

وأخبر تعالى أنه الذي يسيركم في البر والبحر ويحفظكم ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا ﴾ أي بسرعة سيرهم فبينما هم كذلك إذا "جاءتها " ريح عاصف أي شديدة الهبوب تضطرب لها السفن ويخاف ركابها الغرق وأيقنوا أنهم أحيط بهم الهلاك فدعوا الله مخلصين ، وقالوا لنكونن من المطيعين المعترفين بنعمتك علينا الموحدين لك بترك الآلهة لعبادتك وحدك لا شريك لك [2] .

فلما أنجاهم المولى من تلك الشدة بغوا في الأرض بغير الحق شركاً وكفراً وظلماً وفساداً فعادوا لما كانوا وإنهم لكاذبون، لذلك يقرعهم المولى على إعراضهم فقال في منزل التحكيم : ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا * أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ [الإسراء:69] .

أي أفحسبتم بخروجكم إلى البر أمنتم من انتقامه وعذابه أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً وهي الريح التي فيها حجارة، أم أمنتم أيها المعرضون عنا بعدما اعترفتم بتوحيدنا في البحر وخرجتم إلى البر "أن يعيدكم " في البحر مرة ثانية فيرسل عليكم قاصفاً من الريح.

قال ابن عباس وغيره : القاصف ريح البحار التي تكسر المراكب وتغرقها.

فيغرقكم بسبب كفركم وإعراضكم عن الله ، ولن تجدوا لكم تبيعاً يأخذ بثأركم أو ينتقم لكم [3] .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- أقسم المولى بالريح في قوله تعالى : ﴿فَالعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ [المرسلات:2] ، والحكمة من ذلك أن تسكن النفوس للخبر وتطمئن إلى صدق المخبر عنه وبذلك يحدث الغرض من إلقاء الخبر على السامعين والله ﷻ إن أقسم أقسم بعظيم .

---

(2) (372/17) ، حديث (1020) .

(2) انظر: (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (453/2) ، (أيسر التفاسير) للجزائري (461/2) .

(3) انظر : (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير(57/3، 58) .

2- بيان أن الريح العاصف والريح القاصف لا تكون إلا في البحر ، وأن الريح الصر والريح العقيم لا تكون إلا في البر .

3- قوله تعالى : ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ فيها لطيفة " وذلك لأن من الناس من قال : إن تلك الرياح إنما اشتدت ، لأن اتصالاً فلكياً نجومياً اقتضى ذلك فقوله: "سخرها "فيه إشارة إلى نفي ذلك المذهب ، وبيان أن ذلك إنما حصل بتقدير الله وقدرته فإنه لولا هذه الدقيقة لما حصل منه التخويف والتحذير عن العقاب .

4- الحكمة من ذكر الأيام والليالي في قوله : ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ أنه تعالى لو لم يذكر ذلك لما كان مقدار زمان هذا العذاب معلوماً فلما قال : ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ﴾ صار مقدار هذا الزمان معلوماً، وليزيل ظن من يظن أن ذلك العذاب كان متفرقاً في هذه المدة، قال تعالى : حسوماً " أي متتابعة متوالية " [1] .

5- استحسان ضرب الأمثال تقريباً للمعاني إلى الأذهان لينتفع بها ، ووجوب التفكر في آيات الله لاسيما تلك التي تحمل بيان العقائد والأحكام والآداب، فليس من شأن العقلاء عدم الاستفادة من المواعظ والتفكر فيها .

6- بيان سفه وجهل الأمم التي تطالب بالعذاب وتستعجل به ، لأن من أسباب الهلاك العتو عن أمر الله وعدم الإذعان بقوله والفسق عن طاعته وطاعة رسوله، فسنة الله في إهلاك المجرمين الذين يصرون على المعاصي لا ترد ولا تخلف .

7- بيان ضعف الإنسان وفقره إلى الله وحاجته إليه ﷻ في حفظ حياته ، فان البشر في قبضته في كل لحظة وحين، وفى كل بقعة فهم في قبضته في البر كما هم في قبضته في البحر ، لذا على العبد أن يخلص الدعاء في حال الشدة والرخاء [2].

8- من هدى النبي ﷺ عند رؤية الريح العاصف : ما روي عن عائشة – رضي الله عنها– قالت : كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال : **(اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به ، فإذا تخليت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فإذا أمطرت سرى عنه ، فسألته فقال لا أدرى لعله كما قال قوم عاد "هذا عارض ممطرنا)** [3] .

---

(1) مفاتيح الغيب : للرازي (104/30) .

(2) انظر : (أيسر التفاسير) ، للجزائري (126/2) ، (358/2) ، (76/4) .

(3) صحيح مسلم ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر ، ص 407 ، حديث (899) .

المطلب التاسع : العقوبة بالشواظ :

قال تعالى : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ [الرَّحمن:33 - 35] .

المعنى المراد بالشواظ والنحاس :

اختلف في المعنى المراد بالشواظ على عدة أقاويل أوردها على النحو التالي :

الأول: أن الشواظ لهب النار الذي لا دخان له، قاله ابن عباس.

الثاني: أنه قطعة من النار فيها خضرة، قاله مجاهد.

الثالث: أنه الدخان، قاله سعيد بن جبير.

الرابع: أنها طائفة من العذاب، قاله الحسن [(1)].

وترى الباحثة : أن المراد بالشواظ هو لهب النار الذي لا دخان له وهو الذي فوق النار ودون الدخان ، وعلى هذا القول أكثر العلماء والمفسرين.

واختلف في المعنى المراد بالنحاس على عدة أقاويل أوردها على النحو التالي:

الأول : أنه دخان النار الذي لا لهب له، قاله ابن عباس وسعيد بين جبير.

الثاني : أنه القطر المذاب على رؤوسهم، قاله مجاهد وقتادة.

الثالث : أنه القتل .

والرابع : أنه نحس لأعمالهم ، قاله الحسن [(2)] .

ويرجح الإمام الطبري الرأي الأول قائلاً : "وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عُنِي بالنحاس، الدخان ، وذلك أنه – جل ثناؤه – ذكر أنه يرسل على هذين الحيين شواظاً من نار، وهو النار المحضة التي لا يخلطها دخان والذي هو أولى بالكلام أنه توعدهم بنار هذه صفتها أن يُتبع ذلك الوعد بما هو خلافها من نوعها من العذاب، دون ما هو من غير جنسها، وذلك هو الدخان والعرب تسمِّي الدخان نُحاساً بضم النون، ونِحاسها بكسرها، والقراء مجمعة على ضمها، ومن النحاس بمعنى الدخان" [(3)] .

المعنى الإجمالي:

توعد الله –عز في علاه– الكفار من الإنس والجن بالحساب والعقاب وذلك يوم يقوموا للرحمن، حفاة عراة، ويقفوا بين يديه للحكم والقضاء بينهم .

---

(1) انظر: (النكت والعيون) للماوردي (5/ 434 ، 435) .

(2) انظر : (النكت والعيون) للماوردي (5/ 435) ، (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (289/4) .

(3) جامع البيان في تأويل آي القرآن : المجلد الثالث عشر (159/27) .

يقول – جل ذكره – يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تخرجوا من أقطار السماوات والأرض أي من جوانبها وأطرافها فاخرجوا هاربين من قضائي ، لا تنفذون إلا بقوة قاهرة غالبة ولا قوة لكم ولا سلطان ، وهذا تحدي من الله ﷻ لهم يوم القيامة وهم يساقون إلى ساحة فصل القضاء فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ أفبنعمة إحيائكما بعد موتكما أم بنعمة إكرام صلحائكما وإهابة فاسديكما، ولو ذهبتم هاربين يوم القيامة لردتكم الملائكة والزبانية بإرسال لهب النار الخالص من الدخان والنحاس ، وهو دخان خالص فلا تنتصران فهذان الأمران الفظيعان يرسلان عليكما ويحيطان بكما فلا ينصر بعضكم الآخر ولا يقدر على الامتناع من عذاب الله ومن السوق إلى المحشر، فبأي آلاء ربكما تكذبان؟ أبعظمة ربكم وقوة سلطانه أم برحمة مولاكم ولطفه بكم.

يا الله لا شيء من آلائك نكذب ربنا ولك الحمد [1].

اللطائف المستنبطة من الآية :

1- تفرد الله في الملك والبقاء، وبيان جلاله وعظمته وقوة سلطانه.

2- الإيمان بعقيدة البعث والجزاء.

3- افتقار الخلائق جميعاً إلى عطاء الله، وعجزهم أمامه وأنهم جميعاً في قبضته.

4- أنه لا يستطيع أحد مهما بلغت قوته ومكانته الفرار من حكم الله.

المطلب العاشر : عقوبة الشياطين بالشهب :

بين المولى – سبحانه – بعض مظاهر قدرته في خلقه لهذه السماوات ، فقد زين السماء الدنيا بالكواكب تحسيناً وتجميلاً ، وحفظها من تسلل أي شيطان إليها ، فمن حاول الصعود واسترق السمع رصده المولى وعاقبه بشهاب ثاقب .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى المَلَإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [الصَّافات : 6-10] .

المعنى الإجمالي :

زين المولى –عز في علاه– السماء الدنيا وهى القريبة منا أقرب سماء من الأرض والمشاهدة لنا، زينها بزينة الكواكب وسمى المولى هذه الكواكب والنجوم المزينة بالمصابيح فقال

(1) انظر : (تفسير القرآن العظيم)لابن كثير (289/4) ، (أيسر التفاسير) للجزائري (229/5) .

تعالى : ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ [الملك:5] .

والمراد بالمصابيح : " جمع مصباح وهو السراج المنير وأراد بها المولى في هذا الموضع النجوم وسميت بالمصابيح على التشبيه بها في حسن المنظر وفى الإضاءة ليلاً" [1] ، ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ [الحجر: 16-18] .

والمراد بالشهب : جمع شهاب ،وهى نقطة مضيئة تلمع في السماء وتسير بحركة سريعة تاركة وراءها ذيلا منيرًا ثم لا تلبث أن تنطفئ، وهى في الأصل شعلة من النار تنفصل عن بعض النجوم فتسقط في الجو أو على الأرض أو في البحر ويرجم بها الشياطين [2] .

ولم يكن تزين السماء هو الحكمة الوحيدة لخلق النجوم ، وإنما بين المولى حكماً أخرى لخلقها وهى حراسة السماء وحفظها من كل شيطان مارد، يصل بتمرده إلى استماع الملأ الأعلى وهم الملائكة فإذا استمعت قذفتها بالشهب الثواقب من كل جانب ، طردًا لهم وإبعادا عن استماع ما يقول الملأ الأعلى، ويصف المولى هذا الشهاب بأنه مبين فقال تعالى : ﴿ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ ﴾ أي يبين أثره في الشيطان إما بإخباله وإفساده وإما بإحراقه وقتله ، وليس معنى رجم الشياطين بالشهب أن يرمي بالكواكب نفسها التي في السماء ،بل رجمها بشهب من دونها وقد تكون مستمدة منها فتنفصل عن الكواكب كالقبس يؤخذ من النار فيقتل الجني ويخبله .

ولم تقتصر عقوبة الشياطين في الدنيا برجمه بالشهب، وإنما أعد لها المولى عذاب السعير وهى النار الموقودة في الآخرة بعد عذاب الإحراق بالشهب في الدنيا .

فهذا السعير عذاب للشياطين مع أنهم خلقوا من النار ولكن نار جهنم أشد من النار التي خلقوا منها ، فإذا ألقوا فيها صارت عذابًا لهم ،إذ السعير أشد أنواع النار التهابًا واشتعالًا وإحراقًا [3] .

---

(1) الوسيط ، وهبة الزحيلي: (474/1)

(2) انظر : (لسان العرب) ،(192/1) .

(3) (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (603/2) ، (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) للسعدي ص 430 .

اعترافات الجن عن حراسة السماء بالشهب :

ويمضي الجن في حكاية ما لقوه وما عرفوه من شأن هذه الرسالة في جنبات الكون وفي أرجاء الوجود ، قال تعالى : ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۞ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ [الجنّ: 8-9] .

وهذه الوقائع التي حكاها القرآن عن الجن من قولهم ،توحي باعترافهم بمحاولة استراق السمع حيث يقولوا أنا معشر الجن طلبنا خبر السماء كما جرت عادتنا واستراق شئ مما يـدور فيه بين الملائكة ،عن شؤون الخلائق في الأرض مما يكلفون قضاءه تنفيذًا لمشيئة الله وقدرته ، ثم يوحون بما التقطوه لأوليائهم من الكهان والعرافين ليقوم هؤلاء بفتنة الناس وفق خطة إبليس! على أيدي هؤلاء الكهان والعرافين الذين يستغلون القليل من الحق فيمزجونه بالكثير من الباطل ويروجونه بين جماهير الناس ، ولكن باءت محاولتهم بالفشل ،حيـث وجـدوا السـماء ملئـت بالملائكة حرسًا قويًا يحرسونها من استراق السمع، ووجدوا كذلك شهبًا مشتعلة مقتبسة من نـار الكواكب ترصدهم رصداً [1].

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- إظهار قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ورحمته وعظيم خلقه .

2- وجود تجانس بين الجن والملائكة وذلك لقرب مادتي الخلق مع بعضهم، فالملائكة خلقوا من نور والجن من نار ، ولذا يرونهم ويسمعون كلامهم ويفهمونه [2] .

3- التأكيد على أن الجن ضعيف ولا قدرة له لمعرفة الغيب ولا يستطيع الصعود إلـى السـماء لاستراق السمع قال تعالى ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرَّحمن:33] .

4- بيان الحكمة من خلق النجوم ، وهى زينة السماء الدنيا ، ورجوم للـشياطين ، وعلامـات يهتدى بها .

5- القرآن يَحُولُ بين الشياطين وبين خبر السماء، فعن ابن عباس –رضي الله عنهما – قـال : **(انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الـشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا مـا لكـم ، فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب،قالوا ما حال بينكم وبين خبـر السماء إلا شئ حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظرا ما هذا الذي حـال بيـنكم**

---

(1) انظر : (الكشاف) للزمخشري (477/4) ، (فتح القدير) للـشوكاني (158/3) ، (أيـسر التفاسـير) للجزائري (499/5، 550) .

(2) انظر : (أيسر التفاسير) للجزائري (449/5، 450) .

وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء ،فهناك حين رجعوا إلى قومهم وقالوا يا قومنا ﴿... إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآَمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجنّ: **1**-**2**] **فأنزل الله علي نبيه ﷺ :** ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ...﴾ [الجنّ:**1**] ، **وإنما أوحى إليه قول الجن)** [1] **.**

(1) صحيح البخارى ، كتاب الآذان ، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر ، ص 159 ،حديث (773) .

الفصل الرابع

الهدايات الإلهية في آيات السماء

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الهدايات العقدية في آيات السماء .

المبحث الثاني : الهدايات التعبدية في آيات السماء .

المبحث الثالث : الهدايات الأخلاقية في آيات السماء .

المبحث الأول

الهدايات العقدية في آيات السماء

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : الإيمان بوحدانية الله وكمال قدرته .

المطلب الثاني : الإيمان بوحدانية الله في العطاء .

المطلب الثالث : الإيمان بسعة علم الله وإحاطته بكل شيء .

المطلب الرابع : الإيمان بقدرة الله على العقاب وحجبه .

المطلب الخامس : الإيمان بحفظ الله للسماء وحراستها من كل شيطان .

الفصل الرابع

الهدايات الإلهية في آيات السماء

القرآن الكريم كتاب هداية وإعجاز ، وآيات السماء من أوضح الحقائق العلميـــة التـــي أوردها قرآننا المجيد وصدقها العلم الحديث ، والتي تصب في الهدف العام وهو هداية البشرية ، فعندما ندرس آيات السماء نرى فيها هداية كاملة من أصغر ذرة إلى أكبر مجرة ، فالقرآن ليس كتاباً علمياً بحتاً نزل ليعلم الناس علم الفيزياء والفلك والطب وغيرها من العلوم ، ولكن أنزلـــه المولى ليكون كتاب هداية وإرشاد للبشرية جمعاء ، ولما كان قرآننا الكريم هو ديننا ، وطريـــق سعادتنا وقد تكفل بالدعوة إلى توحيد الله والاعتراف بوجوده في أكثر من ثلثه معززاً ذلك بدلائل وجوده في هذا الكون الفسيح ، وذلك الكتاب المنظور ، ارتأيت أن أقسم هذا الفصل إلى هدايات في العقيدة والعبادات والأخلاق حيث تتجلى في آيات السماء التي تبلغ ثلاث مائة وعـــشرة آيـــة إشارات وحقائق علمية مطلقة الدلالة علي الهدايات الإلهية ، واستدلالات عقليـــة نـــتلمس فيهـــا العقيدة ، والعبادات ، والأخلاق ، نصل من خلالها إلى وحدانية الخالق ، لذلك أرى أن الـــسماء وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله ، ومصدر هداية أساسي لاستنباط الدلائل والبراهين الدالة على وحدانية الله وتفرده في الخلق ، ووسيلة لتربية عقيدة الإنسان المسلم وإعداده لتحقيـــق الهـــدف النهائي الذي خلق من أجله وهو عبادة الله ﷻ ، وعلى الناظر في السماء أن يستشعر أن كل ما في الكون خاضع لله ولتدبيره ولأمره ولمشيئته ، وهذا كفيل أن يربي عواطف الإنسان المـــسلم وانفعالاته على طاعة الله والخوف منه والخضـــوع له ، وتجعله يدرك أن تفاعله مـــع الكـــون عبادة ، فالعلم عبادة والنظر في الكون عبادة ، والتأمل في عظمة الخالق عبادة ، وشكر المـــنعم عبادة ، وهذا يربي فيه الرؤية الشاملة للهدف النهائي من خلق السماء [1] .

المبحث الأول

الهدايات العقدية في آيات السماء

من تتبع سور القرآن وخاصة المكية وجدها كلها تركز على هدف واحد وهو تأســـيس العقيدة الإسلامية ، والقرآن الكريم حينما يستدل على وجود الله ووحدانيته يخاطب الإنسان بمـــا يشاهده ، ويلفت الأنظار إلى الكون الذي هو كتاب منظور ، فالآيات القرآنية الكونية هي لاشك مدار إثبات وجود الله ﷻ ووحدانيته ، فالإيمان بالله تصديق بالجنان ، وقول باللـــسان ، وعمـــل بالجوارح والأركان[2] ، ولن يصل المؤمن لهذه المرحلة إلا إذا تأمل في خلق المولى –عزَّ فـــي

---

(1) انظر: (الله جل جلاله) ، سعيد حوى ، ص 70 ، (الأبعاد التربوية لآيات الله الكونية) ، عبد التواب عبداللاه (مجلة دراسات تربوية) ، ص102.

(2) انظر: (منهاج المؤمن) مصطفى مراد ، ص7 ، (دلائل التوحيد انطلاقاً من القرآن والكـــون) ، عبـــد الله التليدي ، ص33، 34، (أسس المنهج القرآني في العلوم الطبيعية) منتصر مجاهد ، ص 52 .

علاه- ، وتلا كتابه المقروء ، فبالرؤية والمشاهدة في صفحات الكون المنشورة من إحكام نظام السماء وإبداع خلقها وزينتها ، ومن شموس وأقمار وكواكب وبروج ومنازل ومجرات وما سخر المولى من رياح وسحاب ورعد وصواعق ومطر يصل من خلال مشاهدتها إلى الإقرار بشهادة أن لا اله إلا الله ، فعندما سئل قس بن ساعدة بن عمرو (1) ، وهو يتأمل الكون من حوله وهو على الفطرة ما الدليل على وجود الرب تعالى ؟ قال: يا سبحان الله : إن البعر يدل على البعير ، وإن أثر الأقدام يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج (2) ، وبحار ذات أمواج ، ألا يدل على وجود اللطيف الخبير (3) .

فأينما ولى الإنسان وجهه وجد آثار وحدانية الله ، فهي دلائل واضحة على قدرة الخالق المبدع ، ووحدانيته في العطاء ، وحفظه للسماء، وقدرته على العقاب وحجبه، وعلمه وإحاطته بكل شيء ، وهذا ما سأوضحه جلياً من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : الإيمان بوحدانية الله وكمال قدرته :

كل شيء في الكون آية من آيات الله الدالة على وحدانيته وقدرته ، والسماء آية من آياته التي يهتدي من تدبرها إلى الخالق العظيم ، فجدير بنا بعد أن عقدنا العزم على معرفة حقيقة السماء أن نتعرف على خالقها ، ومعرفتنا له ستكون من خلال آياته ، فالصنعة تدل على الصانع والخلق لابد له من خالق ، وهذا الخالق الحكيم قدير على كل شيء ، دائم الوجود تتجلى آياته في كل مكان ، وهداية القرآن العظيم في العقيدة تستهدف الإيمان بوحدانية الله وجلاله وعظيم سلطانه وكمال قدرته وتفرده بنعوت الربوبية وصفات الإلوهية .

قال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزُّخرف:**84**] ، وقوله : ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:**163**] .

المعنى الإجمالي :

يخبر تعالى أنه وحده الإله المعبود في السموات والأرض، فأهل السموات كلهم والمؤمنون من أهل الأرض يعبدونه ويعظمونه ، ويخضعون لجلاله ويفتقرون لكماله فهو الحكيم

---

(1) قس بن ساعدة بن عمرو، وهو من بني إياد أحد حكماء العرب ومن كبار خطبائهم في الجاهلية ، وكان أسقف نجران ، كان يفد على قيصر الروم زائراً فيكرمه ويعظمه ،طالت حياته وأدركه النبي ﷺ قبل النبوة ورآه في عكاظ ، وسئل بعد ذلك فقال : يحشر أمة وحده ،(الأعلام) للزركلي (196/5) .

(2) الفج : شقة يكتنفها جبلان ويستعمل في الطريق الواسع وجمعه فجاج ، المفردات في غريب القرآن ، للأصفهاني : ص 373.

(3) انظر : (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (1|62) ، (توحيد الخالق) عبد المجيد الزنداني (20/1) .

الذي أحكم ما خلق وأتقن ، وما شرع في خلقه شيئاً إلا لحكمة ، والعليم بكل شيء يعلم السر وأخفى ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في العالم العلوي والسفلي ولا أصغر ولا أكبر [1].

ففي هذه الآية نعم دينية ودنيوية من تفكر فيها استدل على معرفة الصانع الحكيم وأفرده بالعبادة وتأسست العقيدة السليمة عنده بوحدانية الله في الخلق والعبادة .

وهناك أدلة أخرى على وحدانية الله وكمال قدرته وإرادته وتفرده في الخلق والإبداع منها قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [الإسراء:**99**] ، وقوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:22] ،" في هذه الآيات إخبار عن وجود الله وملكيته لمن في السموات والأرض، وأن له عباداً مستغرقين في تقديسه ، ثم أتبع ذلك إنكار اتخاذ الآلهة من الأرض ثم ذكر البرهان القاطع على تقرير الوحدانية وإبطال الشرك" [2].

فمن تأمل في نظام الكون المستقر ، وأحداثه المنسقة وسيره المنظم ، وجد أن ما في الكون الثابت يشهد له أنه تحت نفوذ إرادة واحدة وتحت تصرف واحد : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:**22**] ، ونفى وجود آلهة خلقت الكون فقال تعالى : ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل:**60**] ، وقال تعالى : ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل:**64**] ، فإن هذا الارتباط المحكم الدائم بين أجزاء الكون يشهد بأنه تحت سيطرة ملك واحد ، ولو كان معه آلهة أخرى لفصل كل إله ما خلق ، ولشاهدنا عمليات الانفصال والتجزئة ظاهرة في الكون، وكم تكون الحياة سيئة لو أن للشمس إلهاً منع عنا ضوءها، وأن للشجر إلهاً منع عنا ثمارها ، وأن للسحب إلهاً منع عنا قطرها .

ويكفي شاهداً على هذه الحقيقة اعتراف المشركين بعدم صلاحية آلهتهم لشيء من صفات الربوبية فقد كانوا يقرون بتوحيد الربوبية ويكفرون بتوحيد الإلوهية ، ويعتبرون عبادتهم للأصنام تقربهم من ربهم زلفا ، ولما وقر في نفوسهم بحكم الفطرة البشرية من عجز المخلوقين عن الخلق والرزق والتدبير والملك اعترفوا بربوبية الله ، فإن سألتهم عن توحيد الربوبية ، من هو الخالق لأقروا أنه الله وحده لا شريك له [3].

---

(1) انظر : (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ، السعدي ، ص 770-771 .

(2) القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين ، محمد الصادق عرجون ، ص 21 .

(3) انظر (توحيد الخالق) عبد المجيد الزنداني ، ص 56 ، (عقيدة المؤمن) لأبي بكر الجزائري ، ص 56، (الآيات الكونية أعلام هداية) السيد عبد المقصود عسكر ، (مجلة الأزهر) ، ص983 .

وقد سجل القرآن الكريم عجزهم واعترافهم في غير آية [1] ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ * اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: **61-63**] ، لذلك يقول المولى ﷻ بعد أن استعرض دلائل وحدانيته : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:**22**] ، لذلك أكثر الناس خشية ومعرفة بالله وإقراراً بوحدانيته هم العلماء لأنهم يبحثون في مخلوقاته ويرون أسراراً ، ودقة خلق وإبداع تكوين يوجب عليهم أن يكونوا أول الساجدين لله العابدين له قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:**28**] ، فالعلماء هم أكثر الناس فهماً لمدلول ما يلاحظون حسياً ، فكلما ازداد العالم علماً استلهم بعقله أدلة وجود الله ووحدانيته، فيقوى يقينــه ويزداد إيمانــه بعظمــة الخالــق وتتأصل فيه العواطف الربانية كالخشية والخوف من الله .

ولو أردنا استقصاء آيات هذا النوع من الهدايات العقدية على شمولها لكافة عناصره من الإيمان بالله تعالى وكمال قدرته لكان يجب نقل أكثر آيات القرآن العظيم من المصحف الكــريم إلى هذا المطلب للاستشهاد بها ، ولو ذهبنا نسترسل في ذكر مظاهر قدرة الله في خلق الــسماء لأعيانا ذلك لأن هذه القدرة لا يحدها حد ولا يحصيها عد .

لذلك سأكتفي بذكر بعض الدلائل على توحيد الله وكمال قدرته فيما يلي :

أولاً : خلق السماء وملكها لله : المسلم يؤمن بوجود الله وأنه فاطر السموات والأرض وعالم الغيب والشهادة ورب كل شيء ومليكه ، لذلك جاءت عدة آيات منبهة على هذا الأمر[2] منها قوله تعالى: ﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطَّلاق:**12**] ، ولم يقتصر خلقه على السماء بل خلق الكون كله لقوله تعالى : ﴿ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾ [الرعد:**16**] ، وكذلك من الأدلة إخباره تعالى بنفسه عن وجــوده وعن ربوبيته للخلق فهو فاطر السماء ومبدعها ، خلقها من غير مثال سابق ، والقرآن الكريم أشار إلى ذلــك فــي أكثر من موضع [3] ، قال تعالى : ﴿ قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [الأنبياء:**56**] ، والواجب ملاحظته في هذا المقام تصور قدرة الله وعظمته في خلق السماء وسعة فضله ورحمته

---

(1)انظر : سورة (يونس 31 ، المؤمنون 86-87 ، العنكبوت 63 ، الزخرف 9) .

(2) انظر : سورة (البقرة 164 ، الأنعام 73 ، الرعد 16 ، إبراهيم 32 ، الإسراء 99 ، ق 38 ، الطلاق 12)

(3) انظر : سورة (الأنعام 14، 79، إبراهيم 10، الزمر46) .

وملكه الواسع ، فقد أبان المولى لعباده من آياته ما به عبرة للمعتبرين وهداية للمهتدين ، وأورد كذلك جمهرة واسعة من آيات التوحيد والاستدلال عليه وعلى كمال قدرته ووحدانيته بالملك في أكثر من آية أذكر منها [(1)] قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:**107**] ، وقوله : ﴿وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [آل عمران:**109**] ، وجاءت الآية بصيغة العموم (ما) ليدل على إفراده تعالى بكل ما في السموات والأرض أي ملكاً وعبيداً وخلقاً ، يقول عبد الله التليدي : "هكذا كرر هذه الآيات في هذه السور إشعارًا لنا بأنه صاحب الملك المطلق فلا يختص ملكه بالأجرام العلوية الهائلة ، ولا بهذه البسيطة والثرى وما تحتها وما فوقها من هذا الفضاء المترامي الأطراف الذي لا نهاية له بل الكل ملك له يتصرف فيه كيف يشاء سبحانه" [(2)].

ومن أدلة وحدانية الله في خلق السماء وملكه لها :

أ- **أن الله ﷻ خلق السماء بالحق** : والقرآن الكريم أشار إلى عظيم قدرة الخالق في خلقه للسماء حيث خلقها بالحق وللحق ، وجعلها مسخرة لبني الإنسان ، وجاء بالدليل تلو الدليل على ذلك ، ووضع في كونه آيات تنطق بوجوده ووحدانيته ، وتشهد بعظمته بالحق ، وتدل على أنه الخالق بالحق ، فكل آية في الكون ناطقة بوحدانيته ، وما العلم إلا كاشف لقدرة الله في خلق السماء بالحق وبالعلم يعرف الله ويوحد ، فأول ما يستضاء به من الأنوار ، ويسلك من طريق الاعتبار ما أرشد إليه القرآن في خلق السماء بالحق فليس بعد بيان الله بيان ، قال تعالى [(3)]: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ ...﴾ [الأنعام:**73**] ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ ...﴾ [الحجر:**85**] ، في الآية إخبار من الله ﷻ وتقدست أسماؤه أنه خالق الكون بأجمعه سمائه وأرضه وما بينهما بالحق ولم يخلقهم عبثاً .

واختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى (بالحق) على أربعة أقوال :

الأول : خلقها للحق .

الثاني : خلقها حقًا .

(1) انظر : سورة (البقرة 255 ، 284 ، آل عمران 129 ، النساء 126 ، 131 ، 132 ، 170 ، 171 ، المائدة 17- 18 ، 40 ، 120 ، التوبة 116 ، يونس 3 ، 6 ، 55 ، 66 ، 68 ، 118 ، إبراهيم 2 ، النحل 51 ، 52 ، 53 ، طه 6 ، الأنبياء 19 ، 24 ، الحج 64 ، النور 42 ، 64 ، الفرقان 2 ، الروم 26) .

(2) دلائل التوحيد انطلاقاً من القرآن والكون ، ص 77 .

(3) انظر : سورة (إبراهيم : 19 ، النحل : 3 ، العنكبوت : 44 ، الروم : 8 ، الزمر : 5 ، الدخان : 39 الجاثية : 22 ، الأحقاف : 3، التغابن : 3) .

الثالث : خلقها بكلامه وهو الحق ، أي قوله للمخلوقات كن في قوله " أتينا طوعا أو كرها " .
الرابع : خلقهما بالحكمة [1] .

وترى الباحثة : أن جميع الأقوال السابقة راجحة ، وأن الجمع بينها يؤدي إلى المعنى المراد بالحق ، فالله ﷻ خلقها حقًا بالحكمة وبالحق وذلك بقوله كن فكانت ، ولم يكن خلق السماء إلا لحكمة أرادها الله ﷻ فخلقت للحق .

لذلك يخبر ﷻ في أكثر من موضع أنه لم يخلقها باطلاً فقال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص:**27**] ، ونظيرها قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران:**191**] ، وبذلك نلاحظ أنه يدبر أمر الكون كله ، ويستقيم بقوانين الحق ﷻ وسننه المقدرة له ، ويعجز العقل البشري عن إدراك هذه القوانين والتوصل إلى ماهيتها وخلق الله ﷻ كل الكون وعناصره وقدرها تقديرًا محكمًا وسخره بما فيه بالحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وجعل ما فيه لخدمة الإنسان لتيسير معيشته على سطح الأرض [2] فقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:**5**] ، وينفي الحق – تبارك وتعالى– أن يكون خلق السموات لعبًا ولهوًا فقال : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ [الأنبياء:**16**] .

ب– لم يعي من خلق السماء : وقد تفرد المولى ﷻ بخلق السماء وملكه لها فلم يعجزه خلقها ، ولم يكترث ويعي بذلك لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف:33] ، ولكمال قدرة الله لم ينصب ولم يتعب من خلق السماء وإبداعها [3] ، وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق:38] ، فالذي أوجدها على كبرها وعظمتها قادر على إعادتها من جديد ، وهي توحي بيسر الخلق والإنشاء في هذا الخلق

---

(1) انظر : (النكت والعيون) للماوردي : (2 / 132) ، (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) النسفي (574/2) (زاد المسير) لابن الجوزي (301/4) .

(2) (من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في ضوء الدراسات الجغرافية الفلكية والطبيعة)، حسن أبو العنيين (222/1) ، (دلائل التوحيد انطلاقاً من القرآن والكون) عبد الله التليدي (242) بتصرف .

(3) انظر:(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) للسعدي ، ص 783.

الهائل وذلك واضح في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الرُّوم:27] .

وهذه الآيات تدل على قدرة الله ﷻ وتفرده بالخلق لقوله تعالى : ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس:81] .

يقول الإمام سيد قطب: " وكتاب الكون يشهد بالقدرة المبدعة ابتداء لهذا الخلق الهائل السموات والأرض ، ويوحي للحس البشري بيسر الخلق والإنشاء في هذا الخلق الهائل " (1).

فخلق هذا الكون ، والنظام العجيب الذي اشتمل عليه وأسراره الدقيقة ، لا يمكن تفسير ذلك كله إلا بأنه قد خلقته (قوة) ، فالله ﷻ حي قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت ، وأنه ذو الملك ، والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورة في قبضته ، وأنه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالإيجاد والإبداع خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم ، لا يشذ عن قبضته مقدور، ولا يعزب قدرته تصاريف الأمور ، ولا تحصى مقدورا ته (2) .

ج- **جعل خلق السماء أكبر من خلق الناس** ، قال تعالى : ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر:57] .

يقول الإمام سيد قطب : " والسماء والأرض معروضتان للإنسان ليراهما في كل لحظة ، وليقارن حجم نفسه بالقياس إليهما ، ولكن حين يدرك الإنسان حقيقة الأبعاد بينه وبينهما فإنه يتصاغر حتى يكاد يذوب شعوره بالضآلة " (3) ، وليعلم الإنسان أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس .

د- **إبداعه في خلق السماء:** فهو خالقها ومبدعها في غاية ما يكون الحسن والخلق والبديع والنظام العجيب المحكم الدقيق قال تعالى : ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة:117] ، ومنه قوله تعالى : ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:101] ، والمتأمل في الآيات الكونية من سماء وأرض وما بينهما، يلمح الإبداع والجمال في هذا الكون والقدرة والجلال ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة:7] ، فهذه الآيات مظهر من مظاهر ربوبية الله تعالى من حيث الخلق والإبداع والتدبير، وفي هذا الخبر القرآني لدليل عقلي على إثبات وجود الله

---

(1) في ظلال القرآن (2978/5) .

(2) انظر: (إحياء علوم الدين) أبو حامد الغزالي (1/ 132) ، (الإسلام يتحدى) وحيد خان ،ص53 .

(3) في ظلال القرآن (3090/5) ..

وهو دليل العلة الكافية ، إذاً الخلق والتدبير شاهدان في الكون لكل ذي عينين فلا بد من خالق مدبر للكون، ونفيه مستحيل لما يوجب التناقض العقلي .

وقد ورد لفظ بديع مرتين في القرآن الكريم مضافاً إلـــى أعظـــم المخلوقـــات وأكملهـــا (السماوات والأرض) بما فيها من تقدير حسن وجمال وانسجام [1] .

ولو تأملنا هذا المشهد البديع في الكون لوجدنا التلاؤم بـــين أجـــزاء الـــشئ المـــصنوع ولوصلنا إلى الهـــدف والغاية من صنعه فهو دليل قاطع على وجود صانع يتـــصف بالإبـــداع والقدرة .

و **يقول سيد سابق** :" وإذا كان النظر العقلي في الكون وأسراره يهدي إلى الباري –جل شأنه– ، وإذا كـــان الشعور الفطري شعوراً أصيلاً في النفس الإنسانية يـــستوي فيـــه العـــالم والجاهل ، فإن ثمة دليلاً آخراً مأخوذاً من واقع الإنسان وتجاربه فالعصر الذي بلغ فيـــه العلـــم شأواً لم يصل إليه من قبـــل لم يستطع أن ينكر وجود الله بل إن علماءه من أشد الناس إيمانـــاً بالله ، ونجد أغلبية ساحقة تزيد عن 90 % يعلنون إيمانهم بالله عن طريق أبحـــاثهم العلميـــة ، ونجد من سواهم لا يزالون في تردد ، أو لم يهتموا بالعقيدة الدينية في أبحاثهم ، وأغلب الظـــن أن المتمردين سيصلون يومًا ، وأن الآخرين الذين لم يهدهم العلم لساحة الله يعانون نقصًا لـــو تخلصوا منه لوصلوا ، **وها هي أقوال مشاهير العلماء التي تدلل على وجود الله :**

يقول العالم الفلكي الانجليزي هرشل : كلما اتسع نظام العلم ازدادت البراهين الدافعـــة القوية على وجود خالق أزلي لا حد لقدرته ولا نهاية ، فالجيولوجيون ، والرياضيون، والفلكيون والطبيعيون ، قد تعاونوا وتضامنوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده .

ويقول الدكتور وتز الكيماوي الفرنسي : إذا أحسست في حين من الأحيان أن عقيـــدتي بالله قد تزعزعت وجهت وجهي إلى أكاديمية العلوم لتثبيتها " [2] .

ولقد أمرنا الله ﷻ أن ندرس آيات السماء والكون ، وقد درسه الكافرون ، والمؤمنـــون على السواء ، وليس هناك فارق بين الطرفين في العلم بهذا كثرة أو قلة ولكن الفارق إنما هـــو في استعمال العقل للوصول إلى ما وراء الكون ، فمجرد العلم وحده لا يكفي للإيمان ، وإنمـــا ينبغي أن تسبقه هذه الفطرة السليمة والرغبة الأكيدة لمعرفة الحق .

يقول الدكتور يوسف القرضاوي :" وقد تأكد عندي هذا المعني على الأخـــص عنـــدما صعد أحد رواد الفضاء الروسي خارج مدار الأرض ورأى ما لم تره عينا بشر من ملـــك الله ،

---

(1) من الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم ، السيد خضر ، ص109 (بتصرف) .

(2) العقائد الإسلامية ، ص 50 ، نقلا عن "دائرة معارف وجدى ماده اله" (503/1) ، وعن (مجلة الأزهـــر ، مجلد 19) .

فماذا قال : قال ساخرًا : إنني لم أر الله في السماء ! وعندما صعد أمريكي مؤمن ، ومر بالتجربة نفسها قال: لم أكن قريبًا من الله قربي منه في تلك اللحظة " [1] .

هـ- جعل السماء قبلة الدعاء ورمز وجود الله : إن الله ﷻ في السماء عند أهل السنة والجماعة والسلف الصالح ،أي أن الله في الأعلى ولا يراد التحجيم والتحييز ، وحاشا لله أن يكون كذلك ، وإنما يراد العلو .

فهناك آيات تدل على سمو وجلال الله فهو سبحانه منزه عن الحلول في مكان دون آخر قال تعالى : ﴿وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ﴾ [الأنعام:3] ، وقوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ﴾ [الزُّخرف:84] .

وتفسير هذه الآية أن الله ﷻ هو إله من في السماء ، وإله من في الأرض ، يعبده أهلها وكلهم خاضعون له أذلاء بين يديه ، أي هو الذي في السماء إله مستحق العبودية ، وهو في الأرض إله مستحق العبودية ، ويفيد تكرار (إله) للتأكيد والدلالة على أن كونه تعالى إلهًا في السماء والأرض بمعني تعلق ألوهيته بهما ، لا بمعني استقراره فيهما أو في أحدهما [2] .

فإن فكرة الإله الذي يحتل مكاناً محدداً في الكون فكرة لا تتفق مع العقل الصحيح ،أو المنطق القويم .

يقول أبو حامد الغزالي : " الله ﷻ منزه عن الذات والاختصاص بالجهات ، فإن الجهة إما فوق ، وإما أسفل ، وإما يمين وإما شمال ، أو أمام أو خلف ، وهذه الجهات هو الذي خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان ... فالجهات حادثة بحدوث الإنسان ولو لم يخلق الإنسان بهذه الخلقة ، بل خلق مستديراً كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجوداً ألبتة .

أما رفع الأيدي عند الدعاء إلى السماء ، فهو لأنها قبلة الدعاء ، فيه أيضاً إشارة إلى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيهاً يقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء إنه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء " [3] .

والسماء جهة القصد لتحقيق الأماني ، فقد كان النبي ﷺ يرفع رأسه ويقلب وجهه في السماء ، قال تعالى : ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ﴾ [البقرة:144] .

يقول الإمام الثعالبي : "والمقصد تقلب البصر ، وأيضاً فالوجه يتقلب بتقلب البصر، قال قتادة وغيره :كان رسول الله ﷺ يقلب وجهه في الدعاء إلى الله أي يحوله إلى قبلة مكة ، ومعنى

---

(1) العقل والعلم في القرآن الكريم ، ص 296 .

(2) انظر :(السماء و السماوات والأرض في القرآن) حسني حمدان (منبر الإسلام) ، ص89 .

(3) إحياء علوم الدين (155/1) .

التقلب نحو السماء أن السماء جهة ، قد تعود العالم منها بالرحمة كالمطر، والأنوار، والــوحي، فهم يجعلون رغبتهم حيث توالت النعم " [1].

ومن خلال التأمل في هذه الدلائل يتوصل كل ذي عقل رشيد إلى الإيمان بوحدانية الله وكمال قدرته .

و- **أسماء الله وصفاته :** الله سبحانه الموجد للكون له الأسماء الحسنى والصفات العليا التي هي مقتضيات ربوبيته وعظمة ألوهيته ، والسماء مخلوق من مخلوقات الله الدالة على أسماء الله وصفاته ، ففيها إثبات الصانع وصفات الكمال من قدرته وعلمه وإرادته وحكمته وتوحيــده وأنه الرب الخالق ، المختص بالخلق والرزق والتدبير للمخلوق والملكوت .

يقول الإمام ابن القيم موضحاً أنواع معرفة الله : "من الناس من يعــرف الله بــالجود والإفضال والإحسان ، ومنهم من يعرف الله بالعفو والحلم والتجاوز ، ومنهم من يعرفه بالبطش والانتقام ، ومنهم من يعرفه بالعلم والحكمة ومنهم من يعرفه بالعزة والكبريــاء ، ومــنهم مــن يعرفه بإجابة دعوته و إغاثة لهفته وقضاء حاجته ، وأعظم هؤلاء معرفة من عرفه من كماله ، فإنه يعرف رباً قد اجتمعت له صفات الكمال ونعوت الجلال منزه عن المثال ، برئ من النقائص والعيوب له كل اسم حسن وكل وصف كمال ، فعــال لما يريد ، فوق كل شيء ومعه كل شيء وقادر على كل شيء ، ومقيم لكل شيء ، متكلم بكلماته الدينية والكونية ، أكبر من كل شــيء ، وأجمل من كل شيء ، وأرحم الراحمين ، وأقدر القادرين وأحكم الحــاكمين ، فــالقرآن أنــزل تعريف عباده به وبصراطه الموصل إليه بحال السالكين بعد الوصول إليه" [2].

ويمكننا التعرف والاستدلال على وحدانية الله عن طريق معرفة أسمائه الحسنى وصفاته الجليلة ، التي تتعلق بالسماء فالمنهج القرآني يقرر هذه الأسماء والصفات ، ويجعلنا نتلمس أثرها في السماء أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ، **الخالق** : هو الموجد للسماء وللمخلوقات من غير أصل والمقدر لها لقوله تعالى : ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الخَلَّاقُ العَلِيمُ﴾ [يس:**81**] ، **القدير** : كامل القدرة، بقدرته أوجد السماء في ستة أيام ومــا مسه من لغوب، وبقدرته سواها وأحكمها فهي مظهر من مظاهر قدرته ، وإذا أراد شــيئاً فإنــه يقول له كن فيكون لكمال قدرته لا يعتريه قصور ولا عجز : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:**1**] ، **الملك** : المتصرف في ملكه كيفما شاء، فهو مالك السموات وما فيها ، فالله مطلع على خلقه منفرد بتدبير ملكه يعطي ويمنع ، ويثيب ويعاقب ، ويكرم ويهــين ، ويخلــق ويرزق بقدر .

---

(1) الجواهر الحسان في تفسير القرآن (121/1) .

(2) الفوائد ، ص 186 .

ومن صفات الله التي تدل على وحدانيته في خلق السماء ما يلي :

1- **الربوبية : فهو رب السموات السبع** ، قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لله قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: **86-87**] ، ولفظة الرب " تطلق على معان منها [السيد ، المالك ، المربي ، المصلح ، المعبود بحق سبحانه] ومن هذه المعاني الكثيرة للفظ الرب اشتق اسم الربوبية التي تعني الخلق والرزق والملك والسيادة والتربية والإصلاح والتدبير، ولكون الله تعالى هو الرب الحق للعالمين ، اختص بالربوبية دون سواه ، ووجب توحيده فيها ، وامتنع عن الشرك فيها بحيث لا تصلح الربوبية لغيره من سائر خلقه ولا تصح ، ومن هنا أصبح توحيد الربوبية معناه : نفي الشريك عنه تعالى في صفات الربوبية الحقة والتي هي الخلق والرزق والملك والتدبير" (1) .

وشمول ربوبية الله للسماوات والأرض معاً دليل على إحاطته بالكون كله

2- **نور السموات والأرض** : قال تعالى : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور:**35**] .

أي منور السموات ، نور فاض على العالم فأضاء الكون وأنار السموات والأرض بالأنوار التي وضعها فهو بذاته نور وبه استنار العرش والشمس والقمر ، وقيل هادي أهل السموات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون ، نور قلوب العارفين بمعرفته والإيمان به ، ونور أفئدتهم بهدايته ، فلما جعل نور الإيمان في قلوبهم أيقنوا أن الله ﷻ خلق السموات والأرض ، والليل والنهار والشمس والقمر علموا بنور الهدى أن الله خلق ذلك ليطاع ولا يُعصى فاستعملوا قلوبهم بالفكرة (2)، أي أن الله أعطانا النور الحسي الذي نرى به مرائي الأشياء وجعله وسيلة للنور المعنوي ، "والآية لا تُعرف الله لنا ، وإنما تعرفنا أثره تعالى فينا فهو ﷻ منور السموات والأرض وهما أوسع شيء نتصوره بحيث يكون كل شيء فيهما واضحًا غير خفي ، فالله ﷻ هو مصدر النور ، وخالق النور وماحي الظلام ومدبر الكون بنظام دقيق ثابت ، والله ﷻ منور العالم كله وهاديه بما أقام فيه من أدلة في الكون على وجوده وتوحيده ، وبما أنزل على رسله من الآيات البينات الواضحات ، فمن اهتدى بذلك النور واستنار قلبه بهداية الله فاز بسعادة الدنيا والآخرة ، وهذا هو النور المعنوي" (3) .

إذاً النور من صفات الله فهو نور بذاته ومنور لخلقه ، وهو منور السموات والأرض ومدبر الأمر وهادي أهلها بنوره ، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال : **كان رسول الله**

---

(1) عقيدة المؤمن ، أبو بكر الجزائري ، ص 55 .

(2) انظر : (شرح أسماء الله الحسنى) ، ابن القيم ، ص 267 ، (بستان الواعظين) لابن الجوزي ، ص 325 .

(3) تفسير سورة النور ، هيفاء منصور ، ص 86 .

ﷺ **إذا قام من الليل يتهجد قال : (اللهم لك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن)** (1) .

3- **ذي المعارج** ، قال تعالى : ﴿مِنَ اللهِ ذِي المَعَارِجِ﴾ [المعارج:**3**] .

4- **خير المنزلين** ، قال تعالى : ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ المُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون:**29**] .

5- **خير الوارثين** ، قال تعالى : ﴿وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [آل عمران:**180**] .

6- **ذي الطول** ، قال تعالى : ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ المَصِيرُ﴾ [غافر:**3**] .

7- **رفيع الدرجات** ، قال تعالى : ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو العَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ [غافر:**15**] .

8- **فالق الإصباح** ، قال تعالى : ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ [الأنعام:**96**] .

9- **عالم غيب السموات والأرض** ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر:**38**] .

وبعد هذا العرض لبعض أسماء الله وصفاته الدالة على وحدانيته ، يتوجب علينا أن نعلم أن صفات الله وأسماءه أعلام هداية ، فعلينا أن نسير على هذه الصفات ونستنير بها ونتخذها مثلنا الأعلى حتى نصل إلى أقصى درجات السمو النفسي والارتقاء الروحي ، هذا ما تعلمنا إياه أسماء الله وصفاته .

ثانياً- معرفة الله من خلال القسم القرآني بالسماء : جاءت الأقسام بالسماء في ثلاث عشرة سورة، وابتدأت بعضها بالقسم بالسماء ، وسميت بوصف السماء مثل الانشقاق والانفطار والبروج ، فالقسم بالسماء قسم عظيم يستحق فعلاً أن يقسم بها ، وفي ذلك إشارة إلى أنها دلائل على وجود الله ووحدانيته ، وقد أقسم الله سبحانه قسمًا عظيمًا يعتبر أشمل قسم في القرآن الكريم وهو قوله تعالى : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقَّة: **38-39**]. فقد جمع هنا الشهادة والغيب ، والخالق والمخلوق ، فهو أجمع قسم ورد في القرآن الكريم

(1) صحيح البخاري ، كتاب التهجد، باب التهجد بالليل وقوله ﷺ (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) ص 233 ، حديث (1120) .

وورد القسم في القرآن مسندًا إلى الله سبحانه ، في مواضع كثيرة وبأساليب متعددة فأقسم ببعض مخلوقاته كالسماء ، ويأتي هذا القسم في مواضع وسياق التعظيم [1] .

ومن هذه المواضع التي أقسم فيها بالسماء:

قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [الذاريات:7] ، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج:1] ،﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار:1] ،﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ [الانشقاق:1] ،﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ [الطَّارق:1] ، ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس:5] ،﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطَّارق:11] ،﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التَّكوير:11] ،﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرَّحمن:7] ، ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات:23] ، ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ [الطُّور:5] ،﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [الطُّور:4] .

وأقسم كذلك ببعض الظواهر الكونية أذكر منها :

النجم ، والشمس وضحاها ، و القمر، و النهار، والليل ، والفجر، والليال العشر ، والشفع ، والوتر والضحى ، والعصر، وأقسم بالذاريات ، والحاملات ، والجاريات ، وأقسم بالكتاب المسطور .

والغرض من القسم بالظواهر الكونية هو :

1- لفت الأنظار إلى الكون وما يحتويه من حقائق غريبة وأسرار عجيبة وما فيه من نظام بديع محكم .

2- تمثيل الأمور الغائبة المعنوية بالأمور المشاهدة المحسوسة لتتمكن في النفس أيما تمكن ، وذلك كثير كقسمه بالصبح وبالنهار وبالضحى وبالشمس وبالليل وذلك لتتجلى معاني الهدى والإيمان في النفوس والتأثر بالروعة الإلهية .

3- تصحيح العقائد الباطلة ، فالقسم بالنجم إذا هوى وأمثال ذلك فيه رد على من اعتقدوا بألوهية الكواكب ، وأن لها تصرفًا في العالم السفلي، ومثل هذا المعنى جاء بغير القسم في الحديث النبوي عند موت إبراهيم ولد الرسول ﷺ من أن الشمس والقمر آيتان يخوف الله بهما عباده فلا ينكسفان لموت عظيم أو غير ذلك .

4- وقد يكون القسم لتأكيد خبر أو حادث معين أو إبداع خلق، فالقسم بالسماء والشمس والقمر والنجوم كان لحكمة عليّه لتبين الإبداع الإلهي من جهة ولعدم كفاية هذه الأعيان التي تأفل، وبذلك رغم عظمة خلقها فإنها محتاجة إلى رب قدير يحركها وينزلها منازلها ولا يحق للإنسان أن يعبدها ، لذلك جاء القسم ليدل على وحدانية الله وكمال قدرته .

---

(1) انظر: (من الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم) ، سيد خضر ، ص 74 .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- الإيمان واليقين بأن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل القرآن .

2- القرآن العظيم معجزة كبرى قالها رب العالمين ، والسماء معجزة صغرى خلقها أرحم الراحمين .

3- مقصد القرآن الهداية والإرشاد ، ومقصد الكون التأمل والتدبر وكلاهما يدلان على وحدانية الله وكمال قدرته .

4- بيان أن العقيدة هي الموضوع الرئيس في القرآن كله مكيه ومدنيه ، وقضية التوحيد والألوهية هي الموضوع الرئيس في العقيدة ، وهي التي تشمل الحيز الأكبر من مجموع آيات القرآن .

5- كما أن القرآن معجزة في بيانه فهو معجزة في عرضه لقضايا العقيدة لقول الرسول ﷺ : (**...إن هذا القرآن لا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد...**) (1) .

6- تتجلى عظمة الله وقدرته وحكمته في خلق السماء ، وتتجلى رحمته وتدبيره في ملكه ومرد الأمور إليه ، وكل هذا مظهر من مظاهر الوحدانية الموجبة لعبادة الله .

7- إيمان المؤمن بربه يقوم على الدليل القاطع ، وعلى الحجة الناصعة والبراهين الساطعة المبثوثة والمشاهدة في أرجاء الكون الواسع المدعمة بوحي من الله إلينا بواسطة الرسل الصادقين ، فإذا عرف الإنسان خالقه عن طريق الحقائق الكونية التي هي مسلك من المسالك المؤدية إلى معرفة الله أفرده بالوحدانية وعبده حق عبادته .

8- القرآن الكريم نور وعظة ورحمة وعبرة وهداية وإرشاد ولما كانت هذه أهداف القرآن ومقصده فإن لكل آية من آياته الشريفة هدفاً محدداً ومقصداً خاصاً، والسماء من آيات الله التي تهدف لتربية الجانب العقائدي وجانب المعاملات والعبادات .

9- هذا الكون العظيم الذي يشهد بوحدانية الله في صنعه إذا تصورنا قيمة كل واحد أمام هذا الكون ، بل أمام مجرة واحدة فقط ، نجد أننا مفرطون في عبادة الله ، وحتى لو قمنا بتسبيحه وتهليله واستغفاره عدد كل ذرة من كل جرم من أجرام كونه لا نوفي حقه ، وكيف لا وعندما يسبح الواحد منا يكون قد سبقه في تسبيحه هذا مئات الآلاف بل المليارات من النجوم .

10- أثر الإيمان بوحدانية الله وكمال قدرته يبدو واضحًا في خشية الله والخوف منه فمن عرف الله وعرف عظمته وقدرته استشعر جلاله وكبرياءه فخشيه قال تعالى : ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ

---

(1) المستدرك على الصحيحين (554/1) حديث (2040) ، صحيح الإسناد .

مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ...﴾ [فاطر:28] ، وعلماء الفلك من أكثر الناس إيماناً بعظمة الخالق المبدع وأسبقهم إقراراً بألوهية الله .

11- "بيان أن النور حينما وقع في القرآن وقع مفرداً خلافاً للظلمة فإنها حيث وقعت وقعت مجموعة (الظلمات) ولعل السبب هو أن النور واحد كما أن الله تعالى واحد ، وأن الظلمة متعددة كما أن الآلهة الباطلة متعددة" [1] .

12- يقسم الله ﷻ بما شاء من مخلوقاته وهذا القسم يتفرد به المولى وحده ولا يجوز للإنسان أن يقسم بغير الله ، وقد أقسم المولى بمخلوقاته لتربية النفوس وإبعادها عن ظلمات الشرك من قلوب الناس، وذلك لأن المشركين كانوا يعبدون الكواكب من دون الله ، فبين الله بقسمه بالسماء والكواكب أنها مخلوق من مخلوقات الله وأنه هو وحده المستحق للعبادة .

13- هناك تغاير بين لفظتي الحلف والقسم فلم يرد الحلف في القرآن مسنداً إلى الله ﷻ وإنما ورد القسم مسنداً إليه، وفي ذلك إشارة إلى أن الحلف يسند للإنسان ، فقد وردت مادة (حلف) في القرآن في ثلاثة عشر موضعاً توحي بأن الحلف دائمًا يكون في موضع الاعتذار من فعل ما ، أو اعتقاداً وقع أو سيقع بعذر من المتكلم [2] مثال ذلك قوله تعالى : ﴿... وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة:42] .

المطلب الثاني : الإيمان بوحدانية الله في العطاء :

الله ﷺ له آيات تملأ الأرض والسماء ولكننا غافلون عنها ، فآيات الله لا تنتهي، إذا مشيت في الطريق فهناك آيات ، وإذا نظرت إلى السماء كانت هناك آيات و آيات تدل على عطاء الله ، حيث أسبغ على عباده بنعم جليلة أنزلها من السماء ، ونعم سخرها بين السماء والأرض من شمس وقمر ونجوم وسحب ومطر ورياح ، ورزقهم كذلك من الطيبات ، وهذه النعم لا يحدها حد ، فهي عطاء من رب العباد للبشرية جمعاء ، فهو وحده الخالق الرازق، ويزداد عطاء الله ورحمته بالخلق أن تكفل برزقهم فهو الرازق لجميع عباده ، فما من دابة في الأرض ولا في السماء إلا على الله رزقها .

قال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس:31] .

---

(1) تفسير سورة النور ، هيفاء منصور ، ص 88 .

(2) انظر: (من الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم) السيد خضر ، ص74 .

المعنى الإجمالي :

يحتج الله ﷻ على المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيته على وحدانية ألوهيته ولا يعترفون بربوبيته بقوله : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ ، فالأرزاق تحصل بأسباب كالمطر وحرارة الشمس وغير ذلك مما يعلمه الخالق ، فمن ذا الذي ينزل من السماء ماء المطر فيشق الأرض شقاً بقدرته ومشيئته فيخرج منها : ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا* وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: 27-31] أإله مع الله ؟ فسيقولون: الله [(1)] ، كان هذا جوابهم لأنهم يعترفون بجميع ذلك وأن الله لا شريك له في شيء فيتفرد المولى ﷻ بالعطاء إذ لا يوجد كائن في الأرض ولا في السماء إلا رزقه على الله ، فهو خالق العباد ورازقهم وهاديهم إلى معرفة الحصول عليه، وكيفية تناوله والانتفاع به ، لذلك يتوجب علينا شكر المنعم .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر:3] .

ففي هذا النداء تعريف من الله تعالى إلى الناس بأنه ولي نعمتهم ، نعمة الخلق والرزق، ومتفرد في عطائه ، وطلب منهم أن يذكروا ذلك ليشكروه بعبادته وإفراده بالوحدانية لكونه لا يستحق العبادة سواه .

يقول الإمام ابن كثير: " في تفسير هذه الآية ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له ، كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك، فليفرد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان ، ولهذا قال تعالى : ﴿... لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ ، أي فكيف تؤفكون بعد هذا البيان ووضوح البرهان وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان" [(2)].

ولا شك أن جميع الخلق معترفون ومحتاجون إلى عطاء الله ، فمن النملة كأصغر مخلوق إلى الإنسان الذي هو أكمل وأرقى مخلوق مفتقرون إلى الله في وجودهم وتكوينهم وغذائهم ورزقهم ، حتى الكافرين يقرون بعطاء الله وكرمه ، فعندما سئلوا عن هذا العطاء أجابوا بأن المولى متفرد به [(3)] .

وها هي آيات كتابه الحكيم تقرر هذه الحقيقة وتثبتها ناصعة كما هي ، قال تعالى : ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت:63] ، وأخبر المولى أن لا رازق إلا هو [(4)] فقال : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا

---

(1) انظر : (تفسير القرآن العظيم) ، لابن كثير (456/2) .

(2) تفسير القرآن العظيم ، (601/3) .

(3) انظر :(عقيدة المؤمن) ، ص40 ، (منهاج المسلم) لأبي بكر الجزائري ، ص12.

(4) انظر : سورة (البقرة : 22، الحجر : 22 ، طه : 6-7).

عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود:6] ، ومما لا ينكره عاقل أن الله وحده يعطي من يشاء ويمنع عمن يشاء، ومثال هذا العطاء ما رواه مسلم عن أبي هريرةﷺ عن النبي ﷺ قال : (**بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتًا في سحابة اسق حديقة فلان ، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في جــرة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبــد الله لم تسألني عن اســمي؟ فقــال : إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اســق فــلان لاسمك فما تصنع فيها؟، قال: أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصــدق من ثلثه وأكل أنا وعيالي ثلثاً وأَرُدُّ فيها ثلثه**) [(1)] .

إذًا تقرر الآيات السابقة بلا منازع تفرد الله ووحدانيته في العطاء لجميع العبــاد، وهــذا دليل أيضًا على ربوبيته ﷻ لخلقه .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- جميع الخلــق يقرون بوحدانية الله فــي العطاء حتى المشركين عندما سئلوا عن الــرازق قالوا الله .

2- مشركو العرب كانوا يشركون في الألوهية ، ويوحدون في الربوبية .

3- نؤمن أن عطاء الله بقدر وأنه يعطي من يشاء ويمنع عمن يشاء ، فكل شيء خلقه الله بقدر وحكمة ، فقد نرى السحاب المشبع بالماء يمر من فوقنا أحيانًا ونحن نتوقع نزولــه علينــا مطرًا ، ومع ذلك يمر ولا ينزل وإنما ينزل في مناطق أخرى .

4- التوكل على الله بعــد الأخذ بالأسباب ، فإذا شعر العبد بالحاجة فلينظــر إلى السماء وليقل يا الله

5- أن الله ﷻ هــو الرزاق ذو القوة المتين ، فلا حجب لرزقه عمن يسأله ، فإن وجد السائل ما سأل فهو خير ، وإن لم يجد فهو خير أيضاً ،لأن الله يستحيل عليه ألا يأتي بــالخير ، فقــد يكون حجبه لهم لحكمة .

المطلب الثالث :الإيمان بسعة علم الله وإحاطته بكل شيء :

عندما نعود لكتاب الله فإننا نجد آيات وحقائق دقيقة ، تشير إلى سعة علــم الله تعــالى ، فالعليم اسم من أسماء الله الحسنى ، و من يقف وقفة تأمل في اسم الله وفي آياته القرآنيــة يجــد إحاطة المولــى بالكون كله ، وعظيم سعة علمه ، فهو يعلم ما ينزل من السماء وما يعرج فيها

---

(1) صحيح مسلم ، كتاب الزهد ، باب الصدقة في المساكين ، ص1461 ، حديث (7367).

ويعلم غيب السماء فلا يخفى عليه شيء ، ويعلم السر والقول في السماء ، وهذا العلم هو صـــفة أزلية قائمة بذاته تعالى ، يتأتى بها كشف الأمور والإحاطة بها على ما هي عليه في الواقـــع أو على ما ستكون عليه في المستقبل (1) .

والألفاظ الدالة على صفات الله من علم وغيره ، ذات دلالة لا نهائية إذا جاءت في سياق قرآني ، وهي ذات دلالة محدودة إذا وصف بها الإنسان ، فالله عالم غيب السموات والأرض بلا حدود لهذا العلم ، وبلا تحديد لماهيته ، والإنسان قد يكون عالماً في التخصص والذكاء والموهبة والادعاء (2) ، ولكن علمـــه هذا لا يساوي شيئاً بالنسبة لعلم الله الواسع ، ومن هنا نقر ونـــؤمن بعلم الله وإحاطته بكل شيء فإنه لا يخفى عليه خافية .

قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [هود:123] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران:5] .

المعنى الإجمالي :

يخبر الله تعالى أنه محيط بالخلائق وأنه يعلم غيب السماء والأرض ، ولا يخفى عليـــه شيء من ذلك ، وهذه الآية استئنافية لبيان سعة علمه وإحاطته بالمعلومات ، وعبر عن معلوماته بما في السماء والأرض مع كونها أوسع من ذلك لقصور عباده عن العلم بما سواها من أمكنـــة مخلوقاته وسائر معلوماته فالحس لا يتجاوزهما (3) .

يقول الإمام سيد قطب : " في الآية توكيد العلم المطلق الذي لا يخفى عليه شيء وإثبات هذه الصفة لله سبحانه ، فهذا التوكيد يتفق أولاً مع وحدانية الألوهية والقوامة التي افتـــتح بهـــا السياق" (4) .

والقارئ لكتاب الله يجد فيه آيات كثيرة أشارت إلى علم الله الواسع وإحاطته بكل شيء(5) منها قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:4] ، وقوله : ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:29] .

---

(1) انظر : (كبرى اليقينيات الكونية) ، محمد البوطي ، ص 120 .

(2) انظر : (الدلالة العميقة في الكلمة القرآنية) ، عبد الصبور شاهين (منبر الإسلام) ، ص 14 .

(3) انظر : (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير(369/1) ، (فتح القدير) للشوكاني (425/1) .

(4) في ظلال القرآن (368/1) .

(5) انظر : سورة (المائدة : 97 ، الحج : 70 ، الحجرات : 16 ، المجادلة : 7 ، التغابن : 4) .

" وفي ذلك دقة علمية بالغة إذا ثبت علمياً عظم السموات إذ الأرض في كون الله كـذرة تسبح بل هي مع كل الكواكب الأخرى والشمس والنجوم جزء من نظام ، والنظام جـزء مـن مجرة ، والمجرة معها بلايين المجرات وكل ذلك في الفضاء الواسع ، فسبحان الله ، فلما كانت السموات أعظم بكثير من الأرض بدأ في العلم بذكرها إذ العلم بما فيها أعظم ، ولما كان احتمال خفائها أكبر أخرها كأنه قال : لا يخفى على الله شيء في أرضكم ولا حتى في السماء العظيمة الواسعة الكبيرة " (1) .

ومن ذلك ندرك إحاطة علمه بالكون كله لقوله تعالى : ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطَّلاق:12] .

ومن جملة ما لا يخفى على الله إيمان من آمن من خلقه وكفر من كفر ويعلم ما تخفي الصدور ، قال تعالى : ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:29] .

وأخبر المولى أنه يعلم السر في السموات والأرض فقال : ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الفرقان : 6) .

ويعلم كذلك القول في السماء والأرض لقوله تعالى : ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ القَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾ [الأنبياء:4] .

وجمعت الآيات بين علم الله بما في السر والعلن فقال تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [التغابن:4] ، وقوله : ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم:38] .

ويشمل علمه أجل الأمور وأدقها قال تعالى : ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:16] ، وقوله تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس:61] .

وفي هذه الآية تتجلى سعة علم الله فهو يعلم ما هو أصغر من الـذرة ، وقـد " يظـل الاعتقاد السائد حتى القرن التاسع عشر أن الذرة هي أصغر جزء يمكن أن يوجد في عنصر من العناصر ، وأنها غير قابلة للتجزئة ، ولكن العلماء في الآونة الأخيـرة وفقـوا إلـى تجزئتهـا

(1) كنوز قرآنية ، هشام الزهيري ، ص 126 .

وتقسيمها ، ووجدوا أنها تحتوي علـــى الدقائق الآتية " البروتون والنيترون و الإلكترون " وهذا ما أورده القرآن في كلمة (أصغر) من الذرة ، ففي الآية القرآنية تصريح جلي بإمكان تجزئتها ، وفي قوله : (ولا في السماء) بيـــان بأن خواص الذرات موجـــــودة فـــي الـــشمس والنجـــوم والكواكب "[1] .

سبحان الله إنها دليل قوي على علم الله للغيب قال ﷻ : ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل:75] .

وعلم الغيب ملك لله وحده ، وقد دلت النصوص القرآنية على ذلك في غير ما آية من كتاب الله العزيز [2] ، فقال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الحَقُّ وَلَهُ المُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ﴾ [الأنعام:73] .

ونفى علم الغيب لأحد من المخلوقات فقال تعالى : ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:65] ، وقال : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:59] ، حتى الرســـول ﷺ لا يعلم عن الغيب إلا ما أطلعه عليه ربه [3] ، قال تعالى : ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:188] .

ومنه قوله تعالى : ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجنّ: 26-27] .

يقول أحمد محمد الدغش : " إن التربية الإسلامية تعتمد إلهاً واحداً عالماً بميدان الغيب ومحيطـــاً بجميـــع أســـراره وتفصيلاتـــه ، والاستثناء المحدود خاص بمن يرتضيه الله من رســـله وبعـــد خاتـــم النبيين الرســـول محمد ﷺ فلا مجال لادعاء أو تزود بمعرفة غيبه على أي وجه " [4] .

إذاً الإيمان بالغيب دليل على سعة علم الله ، والقرآن الكريم له فضل في الكـــشف عـــن الكثير من الغيب الذي لا تكتشفه قدرات الإنسان ولا تستوعبه طاقته البشرية العقلية والحسية .

---

(1) المعجزات والحقائق الكونية في القرآن الكريم ، يوسف جمعة سلامة ، (نشرة أبحاث الجامعـــة الإســـلامية) ص 73 .

(2) انظر سورة : (هود : 103 ، الرعد:9 ، النحل : 77 ، الكهف : 26، الجن : 21) .

(3) انظر : (زاد الدعاة) عبد المنعم المغازي ، ص 254 .

(4) نظرية المعرفة في القرآن وتضميناتها التربوية ، ص 142 .

فهناك مخلوقات كثيرة خفية غامضة لها وجودها ولا نراها وقد نحس بتأثيرها علينا وقد يوجد الشيء ولا نحس به أو نراه .

فإذا نظرنا إلى الفضاء الخارجي نجد كل تقدم علمي توصل إليه العلماء في السنين الأخيرة عن الشمس والكواكب والنجوم والأقمار كان غيباً في علم الله تعالى إلى أن تطورت الأبحاث وتوصلوا إلى تلك الحقائق فمثلاً القمر الذي كان يضرب به المثل في الجمال ، تكشف لنا عن هضاب ووديان لا زرع فيه ولا ماء.

وهكذا كلما تقدمنا في علمنا بأمر الله تعالى وصلنا إلى ما لم نكن نعرف فهناك أشياء في علم الله مازلنا لا نراها ولا نعلمها [1] .

فعن ابن عمر –رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ قال :(**خمس لا يعلمهن إلا الله** ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:34]) [2] .

" كذلك لا يعلم بدقة وتفصيل متى ينزل الغيث ، وعلى أي مساحة من الأرض ينزل ؟ وكم يستمر نزوله ؟ وما مدى قوته ؟ وهل يتحول إلى سيل جارف وفيضان مدمر ؟ كل ذلك لا يعلمه إلا الله جل وعلا" [3] .

وأعجب ما في العالم الغيبي تلك الروح التي هي من أمر ربي ، والتي وضعها الله تعالى في الجسد ورغم أنها غيب محسوس لا يستطيع أحد معرفتها أو اكتشافها و متى تعرج إلى السماء ، ومهما بحثوا فيها لا يستطيعوا أن يستدلوا على مكانها في الجسد أو الوصول إلى سرها فهي غيب فينا محجوب عنا.

ويستدل عليها بآثارها ، لذلك إذا أخبرنا الله ﷻ عن شيء فوق العقل والسمع والبصر ، فلا بد من تصديقه ، فقدرة الله لا تدانيها قدرة وسعة علم الله لا يقابلها علم ، وما علمنا إلا نقطة في بحور العلم الإلهي.

قال تعالى : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقَّة: 38-39] ، فهذا الذي لا تبصرونه ، هو العالم الخفي بما فيه من ملائكة و أرواح و كل ما ينزل من السماء وما يعرج إلى السماء ، وكذلك السموات السبع وما فيهن من كائنات وغيرها والعوالم الأخرى التي لا نعرفها.

وبعد هذا العرض لا يسعنا إلا أن ندرك جلياً ونؤمن بسعة علم الله وإحاطته بكل ما في الكون مما نعلم ومما لا نعلم .

---

(1) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، عبد الرحيم مارديني ، ص 50 (بتصرف) .

(2) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله ، ص 33 ، حديث (9) .

(3) العقل والعلم في القرآن ، يوسف القرضاوي ، ص 181 .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة:

1- ما توصل إليه العلم الحديث من نشأة السماء وسعتها وإحكام نظامها ما هو إلا برهان ساطع على شمول علم الله و كمال قدرته وحكمته .

2- الإيمان بوحدانية الله وعلمه للغيب صفة عالية وصف الله بها عباده المؤمنين بقوله : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [البقرة:3] .

3- الإقرار بأن الله سميع بصير عليم لا يعزب عن رؤية ما يخفى الدهر ولا ما يغيب في السماء.

4- عدم إتباع المنجمين الذين يدعون الغيب فلا يعلم الغيب إلا الله .

5- عدم علمنا و إدراكنا لوجود الشيء لا يعني أن هذا الشيء غير موجود فالملائكة غيب ولكن نؤمن بها من خلال آثارها ، ونؤمن كذلك بالغيبيات التي أخبرنا المولى بها في قرآنه المجيد.

6- أن لفظة (ذرة) جاءت في القرآن الكريم مقترنة دائماً بكلمة مثقال والتي يقصد بها وزن ، والفائدة من وجود علاقة بين اللفظين واضحة حيث يؤديان معاً إلى ما قصد إليه من معنى ، فالتعبير القرآني (مثقال ذرة) يقابله بدقة المصطلح الكيميائي (الوزن الذري).

7- تكررت لفظة عليم معرفة ونكرة في القرآن الكريم مائة وأربعين مرة وفي ذلك إشارة لسعة علم الله وإحاطته بكل شيء .

المطلب الرابع : الإيمان بقدرة الله على العقاب وحجبه :

عقاب الكافرين سنة أجراها الله في كونه ، فله القدرة على معاقبة وحساب من يشاء وكيفما شاء ، فقد عاقب الأمم الكافرة بالرجز، والحسبان ، والكسف ، والحجارة ، والصيحة ، والصاعقة ، والشواظ ، والصيب ، والريح ، والشهب ، وما كان هذا العقاب إلا بسبب الإصرار على الكفر والعصيان ، فما نزل عذاب إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة ، فبقدرته تعالى يُنزل العذاب وبقدرته ورحمته كذلك يرفع هذا العذاب ، إذا صدق العباد وأنابوا إلى الله ، لأنه محيط بعباده ولا يعجزه أحد من خلقه أينما كان .

قال تعالى : ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [العنكبوت:22] ومنه قوله تعالى : ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء:54] .

المعنى الإجمالي :

تشير الآية إلى قدرة الله على العقاب ، فمتى شاء عذب دون أن يكون للمعذبين ولي ونصير ينصرهم من عقاب الله ، فقوله ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ، "أي لا تفوتون من عذاب الله وليس لكم مهرب في الأرض ولا في السماء" (1) .

يقول الإمام القرطبي : "والمعنى لو كنتم في السماء ما أعجزتم الله كقوله : ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:78] " (2) ، فليس لكم غير الله ولي يحميكم من بلائه ، ولا نصير ينصركم من عذابه ،إذًا عقاب الله نافذ فيمن أعلن كفره فنال العقاب بسبب ظلمه وفسقه لقوله تعالى : ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة:59] ، وقوله تعالى : ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:162] .

وقدرة الله على العقاب وعدم عجزه من عذاب الكافرين لآية من آياته التي يجب أن يتفكر فيها كل من له عقل رشيد لقوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر:44] ، وقال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرُّوم:24] ، فهذه الآية من دلائل قدرته سبحانه أنه يريكم البرق فتخافون من الصواعق وتطمعون في الغيث .

يقول الإمام سيد قطب : " والقرآن الكريم حسب طبيعته لا يفصل كثيرًا في ماهية الظواهر الكونية وعللها ، إنما يتخذ منها أداة لوصل القلب البشري بالوجود وخالق الوجود ، ومن ثم يقرر هنا أنها أية من آيات الله أن يريهم البرق (خوفًا وطمعًا) وهما الشعوران الفطريان اللذان يعتريان النفس البشرية أمام تلك الظاهرة ، شعور بالخوف من الصواعق التي تحرق الناس والأشياء أحيانًا عندما يبرق البرق ، أو الخوف الغامض من رؤية البرق وما يوقعه في الحس من الشعور بالقوة المصرفة لهيكل هذا الكون الهائل ، وشعور الطمع في الخير من وراء المطر الذي يصاحب البرق في معظم الأحوال" (3) .

هنا تتجلى قدرة وعظمة وحكمة المولى ﷻ ، فهذه أية لكل من لديه عقل يهتدي به ، فها هنا للعقل مجال لكي يتدبر ويتفكر.

---

(1) صفوة التفاسير ، للصابوني (437/2) .

(2)الجامع لأحكام القرآن ، المجلد السابع (254/13) .

(3) في ظلال القرآن (2765/5) .

فكما تجلت للمولى القدرة على العقاب تجلت له القدرة على حجب العقاب ، وقد يكون حجبه للعقاب من باب الاستدراج كما في قوله تعالى : ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم: 44– 45] .

حيث أخبر جلت قدرته أنه يستدرج الكافرين ، فيستنزلهم درجة درجة حتى ينتهي بهم إلى عذابهم المترتب على تكذيبهم وشركهم، فيمهلهم ولا يعاجلهم بالعذاب ، فيوسع لهم من الرزق، ويصح لهم أجسامهم حتى يروا أن هذا لكرامتهم عنده وأنهم خير الناس ويظنون أنه إنعام ، ولا يتفكرون في عاقبته ثم يأخذهم بالعذاب على غفلة وقوله : ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم:45] ، أي قوي شديد لا يفوته شيء [1] .

يقول الإمام الشوكاني : " وسمى سبحانه إحسانه كيدًا كما سماه استدراجًا لكونه في صورة الكيد باعتبار عاقبته ، ووصفه بالمتانة لقوة أثره في التسبب للهلاك" [2] .

وترى الباحثة : أن قراءة الآيات السابقة تجعل كل ذي عقل رشيد يهتدي بهدي القرآن ويخرج بالهدايات الإلهية التي تقر بوحدانية الله في القدرة علي العقاب وحجبه .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- قدرة الله على العقاب جارية في كل زمان ومكان ، ولا يقتصر عقابه على الأمم السابقة فقط ، فكما حل بالأمم السابقة يمكن أن يحل بالأمم اللاحقة .

2- الإصرار على الكفر والمعاصي وعدم الرجوع والإنابة إلى الله يوجب نزول العقاب .

3- حجب المولى عقابه عن العاصين المعادين للإسلام في زماننا وإمهاله لهم ، هو على سبيل الاستدراج لهم ليزدادوا في طغيانهم ، فإذا عاقبهم كان عقابه شديداً ، وهذا ما شاهدناه جليًا في زلزال وفيضان تسونامي أندونيسيا .

4- الله ﷻ يعذب متى شاء ويحجب العذاب متى شاء لقوله تعالى : ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [الإسراء:54] .

5- على الإنسان أن يتفكر في قدرة الله ﷻ على العقاب وأخذه للكافرين ، وأن أخذه لهم لا ينتهي عند هذا الحد ، ويكفي أن بعذابهم تكون العبرة للمعتبرين .

المطلب الخامس: الإيمان بحفظ الله للسماء و حراستها من كل شيطان :

حفظ الله ﷻ السماء من كل شيطان مارد فقال تعالى: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [الحجر:17] ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ [الصَّافات:7] ، وسخر لهذا الحفظ الملائكة والشهب ، ومن مظاهر تسخير الشهب أن جعلها رجوماً للشياطين ، قال تعالى:

(1) أيسر التفاسير ، أبو بكر الجزائري (417/5 ، 418) (بتصرف) .

(2) فتح القدير (329/5).

﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك:5] ، وسبب هذا الرجم حتى لا تستمع الشياطين لحديث الملائكة قال تعالى : ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصَّافات:8] ، وكان من حفظ الله للسماء أن ملئت حرساً شديداً ، وحفظت من سائر أرجائها قال تعالى : ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجنّ:8] .

المعنى الإجمالي :

يخبر تعالى أن الجن وجدوا ملائكة أقوياء يحرسونها وشهبًا نارية يرمى بها كل مسترق للسمع منهم ، فقال الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ أي من السماء ﴿ مَقَاعِدَ ﴾ أي أماكن معينة لهم، لأجل الاستماع من ملائكة السماء ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ يرصد له خاصة فيرمى به فيحرقه أو يخبله [1] .

فهذه الآية إشارة إلى ما قالته جماعة من الجن من أنهم حاولوا بلوغ السماء ووجدوها قد ملئت حرساً قوياً من الملائكة ، و شهباً محرقة في سماء الأرض ، وهذا الحرس لابد أن يكون من غير جنس الشهب ، و هم حفظة من الملائكة يحفظونها ، فقد ذكر زيادة على الشهب، ولما كانت الشهب هي كل مكونات النجوم والكواكب ، فالحرس إذاً من غير الكواكب و النجوم والأفلاك و أقرانها، و مكان هذا الحرس كما ذكره القرآن في السماء .

يقول محمود الألوسي" والمراد بحفظها من الشيطان :إما منعه من التعرض لها على الإطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة ، وإما المنع من دخولها والاختلاط مع أهلها على نحو الاختلاط مع أهل الأرض " [2].

والشهب جمع شهاب وهي كتل سماوية صخرية أو معدنية التركيب متباينة في أشكالها وحجومها ، تتراوح ما بين الحبات الصغيرة مثل حبة الرمل والصخور التي قد تبلغ كتلتها الآلاف والأطنان، وهذه الشهب مقتبسة من نار الكوكب فهي تنقض من النجوم لا أنها النجوم نفسها لأن النجوم مستقرة في أفلاكها وما الرجوم إلا ذرات منها ، فإذا قذفت الشهب احترقت في الجو وقليل منها ما يسقط على الأرض [3] .

"ويدخل جو الأرض كل يوم في المتوسط نحو 2 مليون شهاب لا نرى الوفير منها بالعين المجردة ، وتهبط أتربة الشهب بعد احتراقها متساقطة نحو سطح الأرض ، والشهب نوع من أنواع أفراد المجموعة الشمسية التي تسبح من حول الشمس و هي تتكون من أسراب

---

(1) أيسر التفاسير ، أبو بكر الجزائري (449/5، 450) ، (بتصرف) .

(2) ما دل عليه القرآن ، ص84 .

(3) انظر : (الله والعلم الحديث) عبد الرزاق نوفل ، ص 224 ، (معاني السماء و الأرض في القرآن) أحمد الحوفي ، ص 22 .

لا نراها إلا ليلاً عندما تظهر على هيئة ومضات من الضوء تمتد في خطوط طويلة عبر السماء في أعالي جو الأرض، ويطلق عليها أحياناً اسم النجوم الهاوية قوامها جسيمات من الماء يبيض لونها وينبعث منها الضوء أبيض بسبب الحرارات العالية التي تتولد عليها عند اختراقها غــلاف الأرض الجوي" [1] .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة:

1- إن تسخير الملائكة والشهب لحراسة السماء لدليل على عناية الله بالسماء وأهلها .

2- عدم إمكانية الصعود إلى السماء مهما بلغ الجن من القدرة والسرعة .

---

(1) من آيات الله في الكون ، محمد الفندي (مجلة منبر الإسلام) ، ص 50 ، 51 .

المبحث الثاني

الهدايات التعبدية في آيات السماء

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول: دوام التفكر والتأمل في ملكوت الله وآياته في الآفاق .

المطلب الثاني : دوام شكر الله على عظيم نعمائه .

المطلب الثالث : دوام الرجاء والخوف من عقوبة الله والشعور بمراقبته .

المطلب الرابع : دوام التسبيح لله .

المطلب الخامس : دوام السجود والخضوع والانقياد لله .

المبحث الثاني

الهدايات التعبدية في آيات السماء

العبادات أصل من أصول الهداية القرآنية ، وهي وسيلة الاتصال بالله تعالى ، فقد وردت العبادة في القرآن الكريم بمعان كثيرة ، ولعل التعريف الجامع لكل صور العبادة هو: أنها اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة و الباطنة ، وهي بهذا التعريف تشمل كل ما يصدر من العبد من الأعمال القلبية والبدنية ، حتى العادات تتحول إلى عبادات إذا قارنتها نية صالحة ، فهي عبادة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية ، والمعرفة من لوازم الطاعة ، والسماء مظهر لأسماء الله الحسنى وصفاته العُلا التي لا تدركه الأبصار ، ولكن السماء تنطق بوجوده ووحدانيته وكماله ، لذلك يستحق المولى ﷻ العبادة دون سواه [(1)] ، فالعبادة لا تنفك عن عمل، والعمل نتيجة للإيمان وثمرة من ثمراته ، لذلك قرن المولى الإيمان بالعمل الصالح ، وهناك أعمال قلبية و عبادات و مقامات إيمانية تحدو بالعبد للعمل وتوجهه إلى السير في سبيل الله ، وتحثه على المجاهدة في الطاعة ، ومن هذه العبادات التأمل في السماء فهي عبادة النظر ، والتفكر والتدبر فيها عبادة العقل ، وشكر المولى وحمده وتسبيحه عبادة اللسان ، والخشوع والخوف والرجاء عبادة القلب ، والسجود عبادة الجوارح ، فالعبد المؤمن كله لله ، دائم العبادة له دون غيره ، لقوله تعالى : **[قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ]** {الأنعام:162} ، وهذا هو محور حديثي في المطالب التالية .

المطلب الأول : دوام التأمل والتفكر في ملكوت الله وآياته في الآفاق :

حين يتأمل الإنسان ما حوله و ينظر في بديع صنع الله و يعمل فكره قاصداً الوصـــول إلى الحقيقة ، و باحثاً عن الهداية ، فإنه يجد ذلك دون شك في السماء ، لأن التأمل والتفكر فيها طريق إلى الهداية ، فهي عبادة روحية صامتة تقود إلى اليقين ، فقد دعا المولى ﷻ الإنسان أن يتأمل و يتدبر في الكون ويستكشف أسراره ليبين أن كل صفحة من صفحات هذا الكـــون هـــي بمثابة برهان ودليل على وجود الله ووحدانيته وعظمة خلقه ، و نلاحظ أن القرآن الكريم يوجه خطاباً للذين يتفكرون في أكثر من ثلاثين مقاماً ، ويتحدث عن العقل والذين يعقلون في أكثر من تسعٍ وأربعين موضعاً ، و يذكر الذين لا يعلمون في أكثر من مائة مرة ، ويدعو إلى النظر في مائة وتسع وعشرين آية ، دعا إليها بأساليب ومعاني مختلفة منها النظر الذي يقوم على الفحص

(1) انظر : (توحيد الخالق) عبد المجيد الزنداني ، ص 60 ، (خطب مختارة) وزارة الأوقاف ، ص 54 .

والتبصر في حقائق السماء ، وبعض الآيات تدعو إلى التبصر كوظيفة من الوظائف العقلية وقد وردت في مائة وثمان وأربعين آية تقريباً ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن إعمال الفكر يوصل إلى الاعتراف بالخالق ، قال تعالى داعياً إلى التفكر : ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾ [الرُّوم:8] ، وبين سبحانه أنه لا يعي هذا التفكير إلا أصحاب العقول فقال تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 190-191] .

سبب نزول الآية :

"أخرج الإمام الطبراني و ابن حاتم عن ابن عباس قال : أتت قريش اليهود فقالوا : بم جاءكم موسى من الآيات ؟ قالوا عصاه ، و يد بيضاء للناظرين ، و أتوا النصارى فقالوا : كيف كان عيسى ، قالوا : كان يبرئ الأكمه و الأبرص و يحيي الموتى ، فأتوا النبي ﷺ فقالوا : ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً فدعا ربه فنزلت هذه الآية لعلهم يتفكرون " [1] .

المعنى الإجمالي :

هذه الآية مستأنفة لتقرير اختصاصه سبحانه بما ذكره فيها ، والمراد بذات السموات والأرض و صفاتها وما فيها من العجائب ، واختلاف الليل و النهار بتعاقبهما بالمجيء و الذهاب لآيات ودلالات واضحة وبراهين بينة تدل على الخالق سبحانه ، و ذلك لأولي الألباب أي ذوي العقول الذكية أصحاب الإدراك الصحيح ، الذين يفتحون بصائرهم لاستقبال آيات الله الكونية فإن مجرد التفكير فيما قصه الله في هذه الآية يكفي العاقل و يوصله إلى الإيمان الذي لا تزلزله الشبه [2] .

"وفي هذا حسن دلالة منه سبحانه لهم على النظر في آياته و الفكر في عجائب صنعه لأن ذلك سبيل لهم إلى معرفته ، وإلى العلم بأنه الخالق الرازق الإله الواحد سبحانه ، وأن من دونه له خلق ، وأن الخلق كلهم مألوهون مستعبدون لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً " [3] .

---

(1) أسباب النزول ، السيوطي ، ص 105 .

(2) انظر : (فتح القدير) للشوكاني (550/1) ، (تفسير الجلالين) ، جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي ص75 .

(3) الرزق الحلال وحقيقة التوكل على الله ، الحارث بن أسد المحاسبي ، ص 34 .

ولقد دعا الله سبحانه إلى النظر للسماء والإمعان في إبداعها والتفكر في عجائب نظامها بأساليب بلاغية فصيحة مؤثرة لنصل بذلك إلى التعرف على الخالق العظيم ، والقرآن الكريم حافل بالآيات التي تستثير العقول للتفكير ، وتجعل مجال هذا التفكير الكون بأسره ، وأكثر ما يأتي ذاك في أعقاب آيات دلائل التوحيد مثال ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:164] ، بالإضافة إلى آيات أخرى كثيرة تتحدث حول هذا الموضوع (1) ،

ونلاحظ أن أكثر آيات السماء ختمت بقوله تعالى : ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:50] ، ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:13] ، ﴿لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية:3] ، ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل:79] ، ﴿لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [سبأ:9] ، ﴿لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [النحل:65] ،﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ [السجدة:27] ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [الزُّمر:21] ، ﴿لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:190] ، ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرُّوم:24] ، فالعقل مجاز عن التفكير الذي هو ثمرته ، وهنالك كم هائل من الآيات التي تنتهي بالدعوة و التذكير والحث على التفكير وتحكيم العقل منها : ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة:221] ، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:102] .

هذه الآيات القصيرة ترشدنا إلى التفكر والتأمل والتعقل والتذكير واستعمال حواسنا وبالأخص عقولنا في هذا الكتاب المنظور (الكون الفسيح) ، والتأمل فيه ، فلا بد أن هناك من يحدث فيه تلاؤماً وتوازناً عجيباً ، إنه الله ﷻ ، ودعوة القرآن إلى التأمل في الكون يعني تحليله فكرياً إلى أجزاء متعددة لمعرفة دور كل منها وموقعه ، فالكون تركيب ضخم ، ولم يخلق لذاته إنما خلق للاهتداء به عن طريقه بالخالق ﷻ (2) .

لذلك الذين ينتفعون بهذه الآيات هم الذين يعملون عقولهم و يتفكرون و يفقهون ويهدون إلى الله ولم يقتصر الحث على التفكر في الآيات القرآنية فقط ، وإنما ورد الحث عليه في السنة النبوية .

---

(1) انظر سورة : [البقرة : 170 ، آل عمران : 58 ، 190-191 ، الأنعام ، 96 -99 ، الأعراف : 57 ، الأنفال : 22، يونس 3-5 ، 24 ،الرعد : 3-4 ، النحل :10-12، النور : 61 ، العنكبوت : 19، 20 ، 43 ، 61 ، الروم: 19 ، 23 ، 26 ، 37 ، لقمان : 10 ، 20 ، 29 ، 31، السجدة : 272 غافر : 57 ، الزخرف : 3 ، الجاثية : 5، 13]

(2) انظر : (دلائل التوحيد) عبد الله التليدي ، ص30-31 ، (الإعجاز القرآني) محمد القلقيلي ، ص36 ، (زاد الدعاة) عبد المنعم المغازي ، ص 258 .

وسأذكر بعض ما ورد في السنة من فضل التفكر والحث عليه :

1- عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال : **(تفكروا في آيـــات الله ولا تفكروا في الله ﷻ)** [1].

2- قال ﷺ: **(تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدروه)** [2] .

3- وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت : **(لما كان ليلة من الليالي قال ﷺ يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي ، قلت : والله إني لأحب قربك ، وأحب ما سرك ، قالت : ففاق فتطهر ، ثم قام يصلي ، قالت : فلم يزل يبكي حتى بل حجره ، قالت : ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته ، قالت ، ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض ، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فلما رآه يبكى ، قال : يا رسول الله لم تبكي و قد غفر لك ما تقدم و ما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ لقد نزلت عليّ الليلة آية ، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾** [آل عمران: 190-191]) [3] .

ونرى أن المولى ﷻ أثنى على المتفكرين بقوله : ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ [آل عمران:191] ، و يعتب المولى على الذين لم يعملوا عقولهم في آياته فقال : ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف:105] ، يخبر تعالى عن غفلة أكثر الناس الذين عطلوا عقولهم عن التفكير في آيات الله و دلائل توحيده بما خلق الله في السموات والأرض فيقول تعالى : ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ القَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [يونس:101] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:179] .

---

(1) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (383/4) حديث (9319) شعب الإيمان (1/ 75) قال الألباني : صحيح انظر : (السلسلة الصحيحة) لمحمد ناصر الألباني (395/4) .

(2) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (383/4) حديث (9319) شعب الإيمان (1/ 75) قال الألباني : صحيح انظر : (السلسلة الصحيحة) لمحمد ناصر الألباني (395/4) .

(3) الإحسان في تقريب ابن حبان (387/2) قال الأرنؤوط : إسناده قوي على شرط مسلم .

لقد سخر القرآن الكريم بالذين يعطلون هبة العقل فلا يفكرون في صنع الله ، و يعطلون هبة النظر فلا يبصرون ما وراء المرئيات من أدلة على قدرة الله ، و يعوقون هبة السمع ، فلا يسترشدون بما يسمعون من عظات أو أصوات تدلهم على بديع صنع الله (1) .

وأعرضوا عن آيات الله قال تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:32] ، و ما كان إعراضهم إلا لعدم عدلهم في إحقاق الحق ، قال تعالى : ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل:60] ، ولقد وجه المولى سبحانه دعوة صريحة للنظر للتعرف على الكون بالمشاهدة والتأمل (2) ، فقال تعالى : ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:101] ، وقوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق:6] .

يقول الراغب الأصفهاني: " والنظر هو تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء و رؤيته وقد يراد به التأمل والفحص ، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص ، وهو الرؤية ... فالتفكر والتأمل في السموات والأرض يقود إلى معرفة الخالق و العلم بآياته ومعجزاته واستعمال النظر في البصر عند العامة ، وفي البصيرة أكثر عند الخاصة " (3) .

وجاء ذكر البصر كأداة من أدوات المعرفة في كثير من الآيات قال تعالى : ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [الغاشية: 17-18] .

يقول الإمام ابن القيم : " فتأمل خلق السماء وارجع البصر فيها كرة بعد كرة كيف تراها من أعظم الآيات في علوها وارتفاعها وسعتها وقرارها ، بحيث لا تصعد علواً كالنار وتهبط نازلة كالأجسام الثقيلة ولا عمد تحتها ، ولا علاقة فوقها ، بل هي ممسوكة بقدرة الله الذي يمسك السموات و الأرض أن تزولا " (4) .

يقول الدكتور يوسف القرضاوي : " والمراد بالنظر : النظر العقلي ، وهو الذي يستخدم الإنسان فيه فكره في التأمل والاعتبار ، بخلاف النظر البصري ، فهو الذي يستخدم الإنسان فيه عينه " (5) .

ولقد حفل القرآن الكريم بالدعوة إلى إعمال العقل والفكر في ظواهر الكون ، فقد ذكر لفظة (العقل) في تسعٍ وأربعين آية ، ولم ترد اسماً ولا مصدراً ولا مشتقاً ولا فعل أمر ، إنما وردت مرة بصيغة الفعل الماضي (عقل) ، ووردت بصيغة الفعل المضارع في ثمانٍ وأربعين

---

(1) انظر : (العقائد الإسلامية) سيد سابق ، ص 20 .
(2) انظر سورة : (الأعراف 185، سبأ 9 ، الزمر 21، الغاشية 17-18) .
(3) المفردات في غريب القرآن ، ص497 ، 498 .
(4) مفتاح دار السعادة ، ص 243.
(5) العقل و العلم في القرآن ، ص 258 .

آية منها واحدة ذكر فيها (نعقل) (1) ، وآية أخرى ذكرت فيها كلمة (يعقلها) (2) ، واثنتان وعشرون آية ذكرت فيها كلمة (يعقلون) (3) ، وأربع وعشرون آية ذكرت فيها كلمة (تعقلون) (4) ، في مقام التأمل في الآيات الكونية .

ولم يرد لفظ العقل إلا في صورة الفعل (عقل يعقل) مسنداً إلى الجمع ، واستعمال المادة في القرآن يوحي بأنها تأتي دعوة إلى استعمال العقل للنظر و التدبر في آيات الله .

ونجد أن الخطاب في أكثر الحالات موجه إلى المنكرين المعاندين الذين لم يصلوا بعد إلى مرحلة أولي الألباب ، و هذا ما يفسر ورود الفعل في صورة الاستفهام الإنكاري الدال على التحريض والإلهاب (أفلا تعقلون) ثلاث عشرة مرة .

إنكار القرآن على هؤلاء يأتي من أنهم لا يستعملون العقل وهو أداة الهداية أول مظاهر تكريم الله للإنسان ، وتكررت كلمة (تعقلون) مرات مرتبطة بالآيات التي بينها الله تعالى ووجوب تعقلها سواء أكانت آيات منزلة مسطورة أم آيات مخلوقة منظورة .

ووردت بالفعل المضارع (يعقلون) ليدل على أن القرآن لم يقصد مجرد العقل ، بل المراد منه إعمال العقل و ما يكون من ثمرات هذا الإعمال وهو الإيمان ، و يدل على الاستمرارية في تعقل الأمور .

فقد وردت مسبوقة بالحث على إعمال العقل ، أو الاستفهام ، أو الاستنكار، أو النفي ، ومقروناً بالتبجيل و التكريم و الحث على الجد والعمل و إدراك الحقائق و السير في سبيل كشف مستوراتها (5) .

وقد عبر القرآن الكريم عن إعمال العقل بمفردات متنوعة ومن هذه المفردات الدالة على إعمال العقل (أولو الألباب ، أولي النهي ، لذي حجر ، النظر ، التدبر ، التعقل ، التفكر ، البرهان ، القلب ، الفؤاد ، اللب ، البصيرة) .

---

(5) انظر سورة : (الملك:10) .

(6) انظر سورة : (العنكبوت : 43) .

(3) انظر سورة : [البقرة 164 ، 170 ، 171، المائدة 58 ، 103 ، الأنفال 22 ، يونس 42 ، 100 ، الرعد: 4 ، الحجر 14، النحل 12 ، 76 ، الحج 46 ، الفرقان 44 ، العنكبوت 35 ، 63 ، الروم 24 ، 28 ، يس 68، الزمر : 43 ، الجاثية 5 ، الحجرات 4] .

(4) انظر سورة [البقرة 44 ، 73 ، 76 ، 242 ، آل عمران 65 ، 118 ، الأنعام 32 ، 151 ، الأعراف 169 ، يونس : 16، هود 51 ، يوسف 2 ، 109 ، الأنبياء 10 ، 67 ، المؤمنون 80 ، النور 61 ، الشعراء 28 ، القصص 60، يس 62 ، الصافات 138 ، غافر 67 ، الزخرف 3 ، الحديد 17] .

(5) انظر (العقل والعلم في القرآن) يوسف القرضاوي ، ص 15 – 20 ، (من الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم – دراسة في ظاهرة الترادف اللفظي) السيد خضر ، ص 89 ، (مقاصد القرآن الكريم) حسن البنا ، ص 283 .

ونلاحظ أن هناك آيات كثيرة تحث على التفكر في خلق الله وكذلك التدبر فيها ، فهل ثمة فرق بين التدبر والتفكر ؟؟

ولكي نجيب على هذا التساؤل علينا أن نقرأ ما قاله ابن منظور وهو " الفكر : إعمال الخاطر في الشيء والتفكر : التأمل ، والتدبر التفكير في دبر الأمر والنظر في جهاته " [1] .

ويقول الراغب الأصفهاني : " الفكرة : قوة مطرقة للعلم إلى المعلوم ، والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل ، و ذلك للإنسان دون الحيوان ، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب وقال : والتدبر : التفكر في دبر الأمور " [2] .

ويقول السيد خضر : " وفرق بينهما أبو هلال العسكري بقوله : (التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب ، والتفكر ، تصرف القلب في النظر في الدلائل) .

وقد ورد التفكر في القرآن بلفظ الفعل فقط ، ماضياً ومضارعاً ، والتعبير بالفعل يوحي بالتدرج والتنقل من حال إلى حال وهو الواجب مع التفكر في خلق الله تعالى ، إذ لا يكاد العقل يدرك مسالة حتى تجد غيرها وغيرها ، وذلك واضح من عبارة أبي هلال (التفكر تصرف القلب في النظر في الدلائل) ، ومن الآيات التي ورد فيها اللفظ قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [البقرة:219] ، وقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الأعراف:184] .

أما التدبر فقد ورد أيضاً في آيات كثيرة ، وله معان تختلف عن التفكر بالنظر إلى أصل الاشتقاق اللغوي له ، وهو من الدبر أي نهاية الشيء وعاقبته ، وعليه يكون تدبير الله تعالى للأمر بمعنى ترتيب نتائجه على مقدماته ، أي عواقبه على أوائله ، ويكون الحض على التدبر في القرآن بمعنى النظر في عواقب الأعمال خيرها وشرها ، إذن فالتدبر يكون للنظر في الأمر وعواقبه ، والتفكر يكون للنظر في آيات الله جميعاً للوصول إلى الأدلة التي يكون بها الإيمان أولاً ويزداد بها الإيمان بعد ذلك واللفظان إن تقاربا في المعنى فإن لكل منهما ظلاله الخاصة وشخصيته المتفردة " [3] .

الغاية من التفكر :

يوجه الله ﷻ الإنسان إلى دراسة ما في السموات والأرض حتى يتبين لنا أن كل ما في الكون يخضع لقصد و تدبير ونظام ، والنظام لا بد له من منظم ، فإن الإنسان سيصل حتماً إلى الإقرار بوجود الله وعظمته وقدرته ووحدانيته ، إذاً يهدف التفكر إلى إيقاظ العقول حتى يهتدي الإنسان إلى الله بالتعرف على سنن الكون لتكون هذه هي المنارات التي تكشف له مبدع الكون

---

(1) لسان العرب :(3451/4) .

(2) المفردات في غريب القرآن ، ص 384 .

(3) من الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم (دراسة في ظاهرة الترادف اللفظي) ص 118 ، 119 .

وخالقه ، فمعرفة الخالق هي نتاج عقل فطن وثمرة تفكير عميق ، وهي إحدى الوسائل الدالة على وحدانية الله ، ومن غاية التفكر أيضاً إدراك خاصية المنفعة والتسخير لكل ما في الكون والتي هي متطلبات العمارة والخلافة في الأرض [1].

يقول الإمام ابن القيم :" التفكير من أفضل أعمال القلب وأنفعها له ، حتى قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة ، فالفكر هو الذي ينقل من موت الغفلة إلى حياة اليقظة، ومن المكاره إلى المحاب ، ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة ، ومن سجن الدنيا إلى فضاء الآخرة ، ومن ضيق الجهل إلى سعة العلم و رحبه ، ومن مرض الشهوة والإخلاد إلى هذه الدار إلى شفاء الإنابة إلى الله والتجافي عن دار الغرور ومصيبة العمى والصم والبكم إلى نعمة البصر والسمع والفهم من الله ، والعقل عنه ، ومن أمراض الشبهات إلى برد اليقين وثلج الصدور" [2] .

ويقول أحمد المقدسي: " واعلم أن المراد من خلق الخلق ، وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين بها الخلق على الوصول إلى الله تعالى ، ولا وصول إليه إلا بمحبته ، والأنس به في الدنيا والتجافي عن غرورها ، ولا أنس إلا بدوام الذكر ، ولا محبة إلا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلا بدوام البدن ، ولا يبقى البدن إلا بالأرض والماء والهواء ، ولا يتم ذلك إلا بخلق السماء والأرض وخلق جميع الأعضاء الباطنة والظاهرة وكل ذلك لأجل البدن ، والبدن مطية النفس والراجع إلى الله وهي النفس المطمئنة بطول العبادة والمعرفة" [3].

إبراهيم عليه السلام نموذج للمتأملين في السماء :

الطبيعة كتاب مفتوح يمكنك أن ترى فيها ممالك متعددة ، كلها تحكي قدرة الله الذي أبدع خلقها ، فالتعرف على الكون وما فيه من إبداع وإحكام دليل واضح على إحكام صنع الله الذي أحسن كل شيء، ودليل على وحدانيته وقدرته مما يجعل أولي العقول المدركة يستحضرون في نفوسهم عظمة الله وجلاله ، وقصة إبراهيم عليه السلام أتت لتكون دليلاً على ضرورة شحذ الفكر وكيفية تدرجه مع المنطق ، ولقد نظر سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى السماء ليبحث عن ربه وأشار إلى كوكب لامع وقال هذا ربي ، فلما غربت الأجرام السماوية من شمس وقمر وكواكب تبرأ أمام قومه ، وأعلن أن الله ليس الكواكب أو القمر أو الشمس ولكنه سبحانه هو خالق السموات والأرض [4] ، قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾

---

(1) العقائد الإسلامية ، سيد سابق ، ص 22 (بتصرف).

(2) مفتاح دار السعادة (183/1) .

(3) منهاج القاصدين ، ص 231 .

(4) انظر : (الكون والإعجاز العلمي للقرآن) منصور حسب النبي ، ص 114 .

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 75-79] .

وبتأمل إبراهيم عليه السلام في السماء أبطل عبادة الظواهر الكونية التي كان أهل الشام يعبدونها " حيث وجدت تماثيل في آثار الشام القديمة ترمز إلى إله المشتري والقمر والشمس وكان بعض أهل الشام آنذاك ينسبون حوادث العالم الأرضي إلى السيارات السبعة (الشمس وبناتها) بحسب ما يعتقدون ، فدعاهم إبراهيم عليه السلام إلى الله مثبتاً لقومه في الشام بطلان ألوهية الكواكب والشمس والقمر موجهاً قبلتهم إلى الله الذي فطر السموات والأرض ، فقد حاور إبراهيم قومه ونبههم إلى خطئهم في تعظيم النجوم والكواكب إلى درجة اتخاذها أرباباً فقوله (هذا ربي) على سبيل الاستفهام الإنكاري أو التوبيخي أراد فيه إبراهيم عليه السلام أن يستدرج قومه بهذا القول بغية تنبيههم إلى الخطأ في معتقداتهم و إرشادهم إلى طريق النظر والاستدلال وتعريفهم أن النظر الصحيح يؤدي إلى أن الكواكب وما جرى مجراها ليست بآلهة ، (فلما أفل) أراهم النقص الداخل على النجوم والكواكب بسبب الغيبوبة والأفول وأثبت بذلك خطأ ما كانوا يعتقدون فيها من الألوهية كأنه قال لقومه : إن هذا الكوكب يغيب عن الخلائق فمن الذي يرعاها ويدبر أمرها حال غيابه ، ثم انتقل إلى القمر الذي هو أضوأ من الكوكب وأبهى حسناً غير أن صفة الأفول قد لحقت به أيضاً فغاب ، وإنه لمن الضلال أن يعتقد الإنسان بألوهية من يغيب عن تدبير الكون فقال إبراهيم بلسانهم وكأنه واحد منهم ، وانتقل بعد ذلك إلى الشمس أكبر هذه السيارات وعلى الرغم من أن الشمس أكبر إلا أن صفة الأفول قد لحقتها أيضاً ، فحث إبراهيم قومه على التبرؤ من عبادة كل شريك يغيب ويحضر وطريقة الخطاب تدل على أن كان مناظراً لهم محاوراً إياهم فخاطبهم بقوله : يا قوم ، ثم طلب منهم التوجه إلى الله الخالق فاطر السموات والأرض مسير الأفلاك ومدبر الكون" [1] ، قال تعالى : ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:79] .

ولم يقتصر التأمل والتفكر في الآيات الكونية على الإنسان فقط ، وإنما فكر بذلك أيضاً الطير فهاهو الهدهد في قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ يحتج على صحة توحيده بآية من آيات الله الكونية وهي أنه سبحانه ينزل المطر من السماء فيخرج به النبات من الأرض قال تعالى حاكياً ما قاله الهدهد لسيدنا سليمان عليه السلام : ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ

(1) مدرسة الأنبياء عبر وأضواء ، محمد بسام الزين ، ص85-88.

سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا للهِ الَّذِي يُخْرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ* اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾ [النمل: 22-26] .

فكيف لا يهتدي الخلق إلى ما اهتدى إليه الهدهد ويتفكروا في ملكوت الله ، فسبحان ربنا الأعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى [1] .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- أول الطريق لشكر الخالق وحمده وتعظيمه وفهم حكمته في خلق الكون هو النظر بعين الاعتبار، والتدبر والتفكر في صنع الله لإدراك الحكمة من الخلق ، فلنجعل من العين العبرة ومن القلب الفكرة ومن اللسان الصدق والتسبيح شكراً للخالق ﷻ .

2- تكررت مادة الفكر في القرآن في ثماني عشرة آية، ومادة العقل في تسع وأربعين آية، وموضوع البصر والبصيرة والقلب والفؤاد بمشتقاته في ثمانٍ وأربعين مرة ، منها (أولي الألباب) وردت في القرآن ست عشرة مرة ، واللب هو العقل الذكي ، والتذكر والتفكر من أهم العمليات العقلية التي يقوم بها الإنسان صاحب العقل السليم ، وأطلق على أصحاب العقول اسم (أولي النهي) وهي اسم للعقل سمي بذلك لأنه ينهى صاحبه عما لا يليق بالإنسان أن يفعله كما سمي (عقلاً) أنه يعقله ويحجزه عما لا ينبغي ، ووردت هذه اللفظة في القرآن مرتين ، ووردت لفظة (لذي حجر) مرة واحدة في القرآن ، و جاء الحديث عن العقل باسم (الفؤاد) مفرداً أو جمعاً باعتبـــاره وسيلة من وسائل العلم في ست عشرة آية ، وتكرار دعـــوة القرآن لاستخدام العقل ومشتقاته لأنه الوسيلة للاستنباط ، وأداة الاجتهاد والفهم ، وبه يتميـــز الإنســـان عن ســـائر المخلوقات [2]، وفي ذلك إشارة إلى نعمة العقل فهي طريق الإنسان إلى الله وهي هبة الله ليفكر في ملكوته فالكون كله بما فيه مسرح للفكر يصول فيه ويجول .

---

(1) الآيات الكونية أعلام هداية ، السيد عبد المقصود عسكر (مجلة الأزهر) ، ص 986 (بتصرف).

(2) انظر : (تربية علماء الطبيعيات والكونيات المسلمين في القرون الخمسة الأولى من الهجرة) ، جمال الهنيدي ص 15 – 16 ، (العقل والعلم في القرآن الكريم) ، يوسف القرضاوي ، ص 22 – 29 .

3- "لا غرابة أن يعد القرآن العقل مناط استخلاف الله الإنسان في الأرض ، وسر تكريمه على سائر المخلوقات ، ومن هذا المنطلق جاءت دعوة القرآن لارتياد عالم الآفاق واكتشاف نواحيه كي تتواءم حياة الإنسان مع مسيرة الكون" (1) .

4- الكون كتاب مفتوح يقرؤه العالم والجاهل ، الكبير والصغير ، والقرآن كتاب مقروء يرشد الناس إلى آثار قدرة الله بديع السموات والأرض ، فالقرآن كتاب ناطق والكون كتاب صامت.

5- التأمل الواجب في الكون لا يعني مجرد النظر إليه بالعين المجردة وتقليب الحدقة نحوها ، فإن البهائم تشارك الإنسان فيه وإنما يقصد بالتأمل والتفكر هو البحث في كنهه ومعرفة الحكمة من خلقها ليظهر لنا الحقائق الصادقة فيها فكل من أمعن النظر فيها ازداد من الله هداية ويقيناً ونوراً، لأن النظر الواعي والملاحظة العميقة وإعمال الفكر هي مفتاح كل تقدم و اكتشاف ، وهي التي فتحت للعلم آفاقه.

6- العلوم الكونية تبحث في السماء ونواميسها وسننها وأسرارها ولو اتصلت بتذكر خالق هذا الكون وذكره والشعور بجلاله وفضله لتحولت إلى عبادة لخالق هذا الكون فنظرة توصل بصاحبها إلى نهاية المطاف وهو معرفة الله ومن ثم خشيته.

7- وصف المولى ﷻ أولي اللباب الذين يتفكرون بالخلق بأنهم يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويشمل ذكرهم جميع أنواع الذكر باللسان والقلب والجوارح وفي ذلك إشارة إلى أن الفكر يجب أن يصحبه ذكر ، فذكر الله وحده لا يكفي في الاهتداء إلى الآيات ولكن يشترط مع الذكر التفكر .

8- " يجوز أن يتفكر الإنسان لوحده في خلق الكون، أو مع جماعة لقوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا للهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ...﴾ [سبأ:46] ، فمن وثق بنفسه في رصانة عقله وأصالة رأيه قام وحده ليكون أصفى لسره و أعون على خلوص فكره ، ومن خاف عليهم ضم إليه آخر ليذكره إن نسى ويقومه إن زاغ" (2) .

9- استعمل القرآن الكريم أساليب بلاغية متنوعة في الدعوة إلى النظر والتأمل في آيات الله الكونية ، فهو تارة يأمرنا بالنظر، وتارة يحضنا على ذلك حضاً جميلاً وذلك فريضة وتكليف ، وتارة يستخدم أسلوب الاستفهام وأحيانًا يتخذ أسلوب السؤال أو التشبيه وتارة يستخدم أسلوب تقديم إشاراته العلمية أسلوب الحوار والحجة وذلك إشارة إلى أهمية العقل والنظر والتفكر في آياته فالمراد بالعقل عمله وثمرته .

---

(1) نظرية المعرفة في القرآن وتضميناتها التربوية ، أحمد الدغش ، ص 242 .

(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للبقاعي (193/6) .

10- أينما توجهت وحيثما نظرت تطالعك قدرة الله وعظمته ، فالتفكير السليم يقود إلى أن وجود التلاؤم بين أجزاء الشيء المصنوع والإبداع فيه يؤدي إلى هدف أو غاية من صنعــه وهــو دليل واضح وقاطع على وجود صانع له يتصف بالإرادة والقدرة والعلم ولا يدرك ذلك إلا ذو عقل سليم ، وعلم قويم ، وتفكير رشيد يهتدي بفتح بصره وبصيرته للنظر والتدبر والاعتبار فيها.

11- للتفكر ثمار عظيمة أذكر منها :

أ- محبة الله وذلك لإنعامه وإحسانه وعظمته .

ب-الازدراء بالنفس والشعور بالتقصير في حق الله وشكره ، فمهما فعل العبد من الأعمال لن يوفي حق شكر نعمة واحدة لله تعالى .

ت- المحافظة على النعم والحذر من أسباب زوالها .

المطلب الثاني : دوام شكر الله على عظيم نعمائه :

كل نعمة وراءها منعم ، والنعم كلها من الله وحده ، فقد عرض المولى ﷻ في كتابه المجيد من النعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى : ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا ...﴾ [النحل:18] وأمرنا بمشاهدة نعمه المبثوثة في سمائه وأرضه فقال : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ...﴾ [لقمان:20] ، وقوله : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:13] ، فلو تأملنا هذه النعم لوجدناها نعماً كثيرة عظيمة ، تدل على عناية الله تعالى و رحمته بالإنسان ، فعطاؤه ومنحه من آثار ربوبيته سبحانه ، وهذه النعم تدل على الخالق العظيم ولا ينكرها إلا جاحد للنعمة كافر به ، وعلى هذا يتوجب على العبد شكر المنعم ، ولأن الشكر قمة العبادة فقد قرنه الله بالذكر فقال : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:152] ، كما قرنه بالإيمان فقال : ﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء:147] ، ويعدد الله ﷻ نعمه الكونية على الإنسان ، فما أكثر هذه الآيات [1] ، ويكفي أن نعرف أن سورة طويلة وهي سورة الأنعام كلها تقريباً تتحدث عن هذا الموضوع وكذلك سورة النحل ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالحَقِّ يُفَصِّلُ الآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:5] ، وقوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآَيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:97] ، فالآيات القرآنية تفيض بذكر النعم التي تجعلنا

---

(1) انظر : سورة (الأنعام :65 – 96 ، إبراهيم :32-34 ، النحل : 4 ،15 – 18 ، الأنبياء :30- 33 ، 48 ، 65 – 69 ، 72، فاطر :3 ، 9، 27 – 28، ص93 ، النبأ:6-16) .

نخرج بهدايات عظيمة منها دوام شكر المنعم على إنعامه ، فقد حثنا – تبارك وتعالى – على القيام بالشكر في أكثر من موضع [1] أذكر منها قوله تعالى : ﴿... وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:152] ، وقوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر:3] .

المعنى الإجمالي :

"ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة لـه كمـا أنـه المستقل بالخلق والرزق ، فليفرد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثـان ، ولهذا قال تعالى : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ أي فكيف تؤفكون بعد هذا البيان ووضوح هـذا البرهان وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان" [2] .

يقول الإمام سيد قطب : " ونعمة الله على الناس لا تتطلب إلا مجرد الذكر ، فإذا هـي واضحة بينة يرونها ويحسونها ويلمسونها ، ولكنهم ينسون فلا يـذكرون ، وحـولهم السماء والأرض تفيضان عليهم بالنعم ، وتفيضان عليهم بالرزق ؛ وفي كل خطوة ، وفي كـل لحظـة فيض ينسكب من خيرات الله ونعمه من السماء والأرض يفيضها الخالق على خلقه ، فهل مـن خالق غيره يرزقهم بما في أيديهم من هـذا الفيض العميـم ؟ إنهم لا يملكون أن يقولوا هـذا ، وما كانوا يدعونه وهم في أغلظ شركهم وأضله ، فإذا لم يكن هناك خالق رازق غير الله ، فمـا لهم لا يذكرون ولا يشكرون ؟ وما لهم ينصرفون عن حمد الله والتوجه إليـه وحـده بالحمـد والابتهال ؟ إنه (لا إله إلا هو) فكيف يصرفون عن الإيمان بهذا الحق الذي لا مراء فيه (فـأنى تؤفكون ؟) وإنه لعجيب أن ينصرف منصرف عن مثل هذا الحق الذي يواجههم به ما بين أيديهم من الرزق ، وإنه لعجيب أن ينصـرف عن حمد الله وشكره من لا يجد مفراً مـن الاعتـراف بذلك الحق المبين" [3] .

والشكر تصـور النعمة وإظهارها ، ويكون الشكر على ثلاثة أضرب : شـكر يتعلـق بالقلب ، وشكر يتعلق باللسان ، وشكر يتعلق بالجوارح .

أما شكر اللسان : فهو بإظهار الشكر بحمد الله والثناء عليه ، وأن يعترف أن هذه النعمة من الله تعالى ، وأشار القرآن إلى ذلك بقوله تعالى : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضُّحى:11] ،

---

(1) انظر : سورة (النحل 114 ، العنكبوت :12) .

(2) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (601/3).

(3) في ظلال القرآن (2925/5) .

فعلى العبد أن يكون دائماً ذاكراً نعم ربه عليه وشاكراً له ، فقد روى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال : **(من لم يشكر الناس لم يشكر الله)**[1] .

وشكر القلب : أن يقصد الخير ويضمره للخلق كافة ، أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ الله ...﴾ [النحل:53] ، **وشكر الجوارح:** أن تشكر بعملك باستعمال نعم الله في طاعته والتوقي من الاستعانة بها على معصيته، فتستعمل كل جارحة من جوارحك في الخير، وأن تفيض من هذه النعم على من حرم منها [2] .

يقــول علي الطنطاوي : " فمن جمع شكر القلب بالرضا من الله ، وشكر العمــل بــأن يفيض على المحرومين من فضـــل المنعم ، وشكر اللسان بأن يكثر من حمد الله ، كــان مــن الشاكرين حقاً " [3] .

"**وتمام الشكر في ثلاثة أشياء :**

الأول : إذا أعطاك الله شيئاً فتنتظر من الذي أعطاك فتحمده عليه .

الثاني : أن ترضى بما أعطاك .

الثالث : ما دام منفعة ذلك الشيء معك وقوته في جسدك لا تعصه " [4] .

يقول الإمام الألوسي : " الشكر في الأصل اسم لمعرفة النعمة ، لأنها السبيل إلى معرفة المنعم ، وله ثلاث درجات ، لأنه إذا نظر إلى نعمة ، كالرزق و الخلق ينبعث منه شــوق إلـــى معرفة المنعم ، وهذه الحركة تسمى باليقظة ، والشكر القلبي ، والشكر المبهم ، لأن منعمه لــم يتضح له بعينــه وإنما عرف منعماً ما ، فهو منعم عليه ، فإذا تيقظ لهذا وفق لنعمة أكبر منهــا هي معرفة المنعم عليه ، هو الصمد ،الواسع الرحمة ، المثيب المعاقــب ، فتتحــرك جوارحــه لتعظيمه " [5] .

قال تعالى : ﴿وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الرُّوم:18] ، والحمد والشكر ليسوا بمعنى واحد ، فالحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة أو غيرها ، بينما الشكر هو مقابلة النعمة بالثناء ، والحمد يكون باللسان فقط ، بينما الشكر يكون باللسان والقلب

---

(1) سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ص445،حديث (1954)، قال الألباني :حديث صحيح

(2) انظر: (زاد الدعاة) عبد المنعم المغازي ،ص 26 – 27 ،(مختصر منهاج القاصدين) ، أحمد محمد المقدسي ص 230 ،(تنبيه الغافلين) أبي الليث الفقيه ،ص 352 ،(مكاشفة القلوب) أبو حامد الغزالي ، ص 189 .

(3) تعريف عام بدين الإسلام ، ص107 .

(4) تنبيه الغافلين ، أبو الليث الفقيه ، ص 352 .

(5) روح المعاني (4/ 263) .

والجوارح ، فبينهما عموم وخصوص من وجه ، والحمد في الأصل أعم من حيث متعلقاته فيعم الشكر وغيره ، ولكن أكثر ما يرد الشكر بلفظ الحمد فيكون الثناء على النعمة بلفظ الحمد ، إذاً لفظ الشكر هو الحمد [(1)] .

يقول محمد الغزالي : " إذا كـان الشكر جزءاً من معنى الحمد ، فإن شـكره – جـل شأنه– لا ينفك عن مدحه والثناء عليه و من هنا كان حمده عبودية كاملة " [(2)] .

وبالشكر تزيد النعم ، فشكر النعمة إيمان وضمان لدوامها ، فكما أن الاستغفار يجلب النعم ويزيدها ، قال تعالى : ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود:52] ، فالشكر كذلك يزيد النعم لقوله تعالى : ﴿... لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ...﴾ [إبراهيم:7] ، وقال : ﴿... فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:69] ، وقال تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:152] ، وبالتالي يتوجب علينا أن نشكر الله على ما أنعم علينا من النعم الكبرى والآلاء الجسيمة العظمى التي في السماء وفي غيرها ، فإن نعمه علينا سابغة و آلاءه متوالية متتابعة فهي لا تعد ولا تحصى ، ودفعه عنا النقم لا يعد ولا يستقصى قال تعالى : ﴿... وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل:114] ، وعلى العبد أن يطلب من الله أن يلهمه ذكرها ويعينه على شكرها ، فالشكر هبة من الله للمؤمن يعطيها إياه حينما يعلم منه الاستقامة على هديه واستعمال النعمة فيما خلقت لأجله، فقد دعا سليمان عليه السلام ربه أن يلهمه شكره فقال : ﴿... وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل:19] .

وكان النبي ﷺ يعلم أصحابه أن يجتهدوا في الدعاء ويسألون فيه الله شكر نعمته [(3)] فعن معاذ قال : **لقيني رسول الله ﷺ فقال : [يا معاذ إني أحبك ، فقلت: يا رسول الله ، وأنا والله أحبك، قال: فإني أوصيك بكلمات تقولهم في كل صلاة ، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك]** [(4)] ، يقول أبو الليث نصر الفقيه : "اعلم أن الحمد والشكر عبادة الأولين والآخرين ، وعبادة الملائكة ، وعبادة الأنبياء عليهم السلام ، وعبادة أهل الأرض ، وعبادة أهل الجنة ، فأما عبادة الأنبياء عليهم السلام فهو أن آدم عليه السلام لما عطس قال الحمد لله ، وأن نوحاً عليه السلام لما أغرق الله قومه وأنجاه ومن معه من المؤمنين أمره الله تعالى بأن يحمده فقال : ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الفُلْكِ فَقُلِ الحَمْدُ للهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون:28] ، وقال إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام :

---

(1) انظر : (شكر النعمة) محمود الأطرش ، ص 136 ، 137 .

(2) أركان الإيمان بين العقل والقلب ، ص 188 .

(3) انظر : (شكر النعمة) محمود الأطرش ، ص145 ، (زاد الدعاة) عبد المنعم المغازي ، ص28 .

(4) سنن أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار ، ص 234 ،حديث (1522) قال الألباني:حديث صحيح.

﴿الحَمْدُ للهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم:39] ، وقال داوود وسليمان –عليهما الصلاة والسلام– : ﴿وَلَقَدْ آَتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الحَمْدُ للهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ﴾ [النمل:15] " (1).

وروي أن النبي ﷺ قام حتى تفطرت رجلاه ، قالت عائشة – رضي الله عنهما– : [يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال يا عائشة : أفلا أكون عبداً شكوراً](2).

وروى الحسن عن النبي ﷺ أنه قال : **[ما أنعم الله على عبد من نعمة صغرت أو كبرت فقال الحمد لله إلا كان قد أعطى أفضل مما أخذ]** (3) .

يقول الإمام ابن القيم : " كما أن تلك النعم منه ومن مجرد فضله ، فذكرها وشكرها لا ينال إلا بتوفيقه ، فلا فلاح إلا بشكر النعم" (4) ، لذلك عندما نستشعر النعم النازلة من السماء يتوجب علينا أن نهتدي إلى دوام شكر الله على عظيم نعمائه.

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة:

1–دوام الشكر لله يحقق سر وجودنا في الدنيا وهي عبادة الله لننال رضاه .

2– الشكر أعلى درجات العبادة يتوصل العبد من خلال هذه النعمة إلى ربه فيتصل قلبه بالله ، وشكر النعم هو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً ، وعلى قلبه شهوداً ومحبة وعلى جوارحه انقياداً وطاعة .

3– شكر النعمة ضمان لدوامها والجحود والكفر بها نذير بزوالها .

4– شكر الله يحجب عذابه و عقابه لقوله تعالى : ﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ ...﴾ [النساء:147] .

5– الشكر عبادة الملائكة والأنبياء وأهل الأرض والسماء .

6– مهما شكر العبد ربه فلن يوفيه حقه ، فالعباد عاجزون عن إحصاء نعمة من نعم الله فكيف بشكرها ، فلو شكر العبد ربه ليل نهار ما قام بشكر المنعم على إنعامه ، قال تعالى : ﴿... اعْمَلُوا آَلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:13] .

---

(1) تنبيه الغافلين ، ص 350 .

(2) صحيح مسلم ، كتاب صفة يوم القيامة والجنة والنار ، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ص(1388) حديث (2820) .

(3) سنن ابن ماجه ، كتاب الآداب ، باب فضل الحامدين ، ص 628 ، حديث (3805) قال الألباني: حسن .

(4) الفوائد ، ص 209 .

7- من شكر الجوارح السجود فقد كان من هدي الحبيب المصطفى ﷺ وهدي أصحابه سجود الشكر عندما يجد نعمة تسره ، أو اندفاع نقمة ، كما ورد عن أبي بكر **[أن النبي ﷺ كان إذا أتاه أمر يسره ، خر لله ساجداً شكراً لله تعالى ، وقد سجد الرسول ﷺ شكراً لما جاءته البشرى من ربه أنه من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه]**[1] .

المطلب الثالث : دوام الرجاء والخوف من عقوبة الله والشعور بمراقبته :

يوجه الله ﷻ أنظار العباد إلى التفكر والتأمل في مصير الأمم السابقة ، وما نالها من العقاب والهلاك ، ويبين أن هذا الهلاك سنة شرعية وحق ثابت لمن تمردوا على شرع الله وعاثوا في الأرض الفساد ، فنالهم العذاب والنكال من الجليل المتعال قال تعالى : ﴿**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا**﴾ [فاطر:**44**] ، وقوله تعالى : ﴿**فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ * أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: **45-46**] ، فأمر الله بالسير لنشاهد آثار الأمم فيها فنعقل ونبصر هذه الآثار، فنخاف عقوبته ونرجو رحمته، وقد وضحتُ ذلك جليًا في المبحث الذي تحدثت فيه عن العقوبات النازلة من السماء ، على الأقوام الظالمة التي كفرت بالله ﷻ ورسله - عليهم السلام - ، وذكرت سابقًا هذه الأمم التي عاقبها الجليل وأهلكها فلم يبقِ منهم أحداً ، وسأوردها هنا مختصرة للتذكير ، فمن هذه الأقوام قوم لوط وعاد عاقبهم بريح صرصر عاتية تلقي عليهم الحصباء ، وثمود عاقبهم بالصيحة والصاعقة ، وقوم شعيب عاقبهم بالكسف ، وبني إسرائيل عاقبهم بالرجز ، وأبرهة وجيشه عاقبهم بالحجارة ، وقارون وفرعون وهامان عاقبهم كذلك بسبب كفرهم واستكبارهم في الأرض ، وعاقب بالحسبان من اغتر بماله ونسي شكر المنعم عليه .

ودعوة الله ﷻ إلى النظر في هذه العقوبات ترهيبًا للمخاطبين ولأخذ العبر والعظات ، حتى لا يؤخذوا بمثل ما أخذت به تلك الأمم ، التي نالت هذا العقاب بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم رسله، وبث الشكوك والشبهات ،وكثرة المعاصي والفساد، وكفرهم بنعم الله وعدم القيام بواجب شكرها، مما يوجب عليهم سخط الله وغضبه وعقوبته .

وتوجيه النظر في هذه الأقوام ، وفي الديار التي ورثت من تلك الأمم الهالكة هو أدعى للخوف والاعتبار ، فمن نظر في مصيرهم اهتدى إلى دوام الرجاء والخوف من عقوبة الله ،

---

(1) سنن ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة ، باب ماجاء في الصلاة والسجود عند الشكر ، ص 248 ، حديث (1394) قال الألباني حسن .

وشَعَر بمراقبته قال تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [سبأ:9] .

المعنى الإجمالي :

ألم ير هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة عظيم قدرة الله فيما بين أيديهم، وما خلفهم من السماء والأرض مما يبهر العقول ، وأنهما قد أحاطتا بهم ؟ إن نشأ نخسف بهم الأرض كما فعلنا بقارون ، أو ننزل عليهم قطعًا من العذاب كما فعلنا بقوم شعيب ، فقد أمطرت السماء عليهم ناراً فأحرقتهم، ليعلموا أنه قادر على أن يعذب بسمائه إن شاء ،ويعذب بأرضه إن شاء، فذلك دلالة ظاهرة لكل عبد فطنٍ منيب مقبل على الله راجع إليه بالتوبة، ومقر له بالتوحيد ، ومخلص له في العبادة (1) .

فإذا أراد العبد أن يَهم بمعصية عليه أن يستحضر آيات العقاب ، ويدرك أن المولى إذا عاقب كان عقابه شديداً ، قال تعالى : ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:12] ، وقال : ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ [هود:102- 103] ، وعليه أن يتأمل آيات الله في الكون التي تُشعر بالخوف من خسوف وكسوف وبرق قال تعالى: ﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرُّوم:24] ، وأن يستشعر مراقبة الله في السر والعلن ، فإنه لا يخفى عليه شيء قال تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران:5] ، وقال : ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:29] ، ولأنه لا يعجزه شيء لقوله : ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [العنكبوت:22] ، فإذا استحضر العبد كل هذه الآيات نهى نفسه عن المعاصي مخافة من عذاب الله ، ورجاء بالثواب لقوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآَثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى * فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى﴾ [النَّازعات: 37-41] ، والخوف لا يقتصر على العقاب فقط فهناك خوف أيضًا من جلال الله وعظمته .

يقول أحمــد بن قدامة المقدسي: " وقد يكون الخوف من صفــة المخوف وعظمته وجلاله ، إذ قد علم أن الله سبحانه لو أهلك العالمين لم يبال ، ولم يمنعه مانع، فبحسب معرفة

(1) انظر : (النكت والعيون) للماوردي (434/4) ، (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير (578/3) .

الإنسان بعيوب نفسه وبجلال الله تعالى واستغنائه ، وأنه لا يُسأل عما يفعل يكون خوفه " [1] ، فالخوف من أجّل أعمال القلوب قال تعالى : ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:**175**] ، وقال : ﴿... وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة:**40**] ، وحقيقة الخوف هو ارتعاد القلب، وغم يلحق النفس فيتوقع العقوبة لما عمل من ذنب ، والخوف المحمود هو الذي يحث على فعل الصالحات وترك المحرمات .

والخوف من عقوبة الله يَحْمِلُ العبدَ على القيام بعدة أمور أذكرها على النحو التالي :

1- الكف عن محارم الله وحدوده ، فيزجر القلب عما حرم الله من معاصي ومنكرات، ويحذر من الوقوع في أسباب السخط والغضب واللعنة من الله، فيمنع النفس من الشهوات خوف العقوبة .

2- الحرص على فعل الواجبات وعمل الصالحات ، فعن أبي هريرة ﷺ قال :قال رسول الله ﷺ: **[من خاف أدلج [2] ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة]** [3] .

3- تنقية قلبه من الشوائب مثل الكبر والحقد والحسد .

4- تجعله يستشعر مراقبة الله ومحاسبته فلا يقدم على المعصية فإنه لا يصح إيمان العبد ما لم يخف من عقوبة الله .

5- الحرص على الاستزادة من العلم بالله لأنه لو كان على علم بالله ﷻ وصفاته لازداد خوفاً منه، فأكثر الناس خشية العلماء قال تعالى: ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ ...﴾ [فاطر:**28**] .

6- الحفاظ على إيمانه وإسلامه وحماية نفسه من سوء الخاتمة والموت على غير الإسلام، فقد وصى إبراهيم ويعقوب – عليهما السلام – أبناءهم بالموت على الإسلام ، قال تعالى : ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:**132**] .

7- الاستعداد لما بعد الموت ، فإنه لا يصح إيمان العبد إلا بخوفه من الموت وما يتبعه من سكرات ، وما يتبعه من خوف من عذاب القبر، وخوف من أهوال يوم القيامة وعذاب يوم القيامة وعذاب النار [1] .

---

(1) مختصر منهاج القاصدين ، ص 252.

(2) أدلج : سير السحر أي ساروا من آخر الليل والمراد التشمير في الطاعة، انظر : (لسان العرب) لابن منظور (1407/2) .

(3) سنن الترمذي ،كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، ص 552 ، حديث (2450) ، قال الألباني : صحيح.

8- الحرص على الاطلاع على علامات الخوف وعلامات الرجاء والتحلي بها،

يقول أبو الليث نصـــر بن إبراهيم " روي أن مالك بن دينار- رحمه الله تعالى- قال : إذا عرف الرجل علامة الخــوف وعلامة الرجــاء ، فقد تمسك بالأمر الوثيق، أما علامة الخوف فاجتناب ما نهى الله عنه ، وأما علامة الرجاء فالعمل بما أمر الله به، وقيل للرجاء والخوف علامتان ، فعلامــة الرجــاء عملــك لله بما يرضى، وعلامــة الخــوف اجتنابــك ما نهى الله عنه .

ويقول: علامة خوف الله تتبين في سبعة أشياء :

الأول : تتبين في لسانه فيمتنع لسانه من الكذب والغيبة وكلام الفضول ويجعل لسانه مشغولًا بذكر الله وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم .

الثاني : أن يخــاف فــي أمر بطنه ، فلا يدخل في بطنه إلا طيبًا حلالًا ، ويأكل من الحلال مقدار حاجته .

الثالث : أن يخاف في أمر بصره فلا ينظر إلى الحرام ، ولا إلى الدنيا بعين الرغبة وإنما يكون نظره على وجه العبرة .

الرابع: أن يخاف في أمر يده ، فلا يمدن يده إلى الحرام، وإنما يمد يده إلى ما فيه طاعة الله .

الخامس : أن يخاف في أمر قدميه فلا يمشي في معصية الله .

السادس : أن يخاف في أمر قلبه فيخرج منه العداوة والبغضاء وحسد الإخوان، ويدخل فيه النصيحة والشفقة للمسلمين" (2) .

السابع : أن يكون خائفًا في أمر طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله ، ويخاف الرياء والنفاق فإذا فعل ذلك فهو من الذين قال الله فيهم : ﴿...**الآَخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [الزُّخرف:**35**] ، فإذا قام العبد بهذه الأمور خوفًا من عقوبة الله أثابه الله ﷻ بالمغفرة، فيسقط عنه الذنوب ويحرم الله عليه النار وينجيه منها قال رسول الله ﷺ : **(لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان نار جهنم)** (3) ويعده بالفوز بالجنة ، قال تعالى : ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾ [الرَّحمن:**46**] .

---

(1) قلب المؤمن بين الخوف والرجاء،خالد بن سعود البليهد (بتصرف) الشبكة العنكبوتية www.saaid.net\doat\binbalined\160.htm

(2) تنبيه الغافلين ، ص303 ، 311 .

(3) سنن الترمذي ، كتاب فضائل الجهاد عن رســول الله ﷺ ، بــاب ما جاء في فضل الجهاد في ســبيل الله ، ص 384 ، حديث (1633) ، قال الألباني : صحيح .

وفي الحديث القدسي : **(قال الله ﷻ : وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين ، إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة ، وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة)** (1)

فمن يخاف الله يغفر له المولى ولا يخذله ، فانظر ماذا فعل هذا الرجل مخافة الله ﷻ ، عن النبي ﷺ قال : **(أسرف رجل على نفسه فلما حضره الموت أوصى بنيه فقال : إذا أنا مت فاحرقوني ، ثم اسحقوني ، ثم اذروني في الريح في البحر ، فوالله لئن قدر عليّ ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً ، قال: ففعلوا ذلك به ، فقال الله للأرض أدي ما أخذت فإذا هو قائم فقال: ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يا رب أو مخافتك فغفر له ذلك)** (2) .

ونخرج من هذا الحديث برجاء رحمة الله وعدم القنوت من مغفرته لذنوبنا قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزُّمر:**53**] .

فالرجاء عمل قلبي أيضًا يرجى به رحمة الله لا عقابه ، فحقيقة الرجاء هو طمع المؤمن في نيل رضا الله وثوابه وهــذا يحمل المؤمن على عدم معصيته ، قال تعالى في الحديث القدسي : **(يا ابن ادم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض**
خطايا ثم لقيتني لا تشرك بالله شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة) (3) .

فينبغي أن يكون قلب المؤمن بين مقام الخوف والرجاء ، يقول الإمام النووي: " اعلم أن المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفاً راجيًا ، ويكون خوفه ورجاؤه سواء ، وفي حال المرض يتمخض الرجــاء، وقواعــد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك متظاهر على ذلك" (4) .

وقد جاءت الآيات بهذا المعنى قال تعالى (5) : ﴿ ... فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف:**99**] ، وقوله : ﴿ ... إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأعراف:**167**] .

---

(1) صحيح ابن حبان ، كتاب الرقائق ، باب حسن الظن بالله تعالى ، (406/2) ، حديث (640) ، قال شــعيب الأرنؤوط : إسناده حسن ، وقال الحاكم حديث على شرط الشيخين .

(2) مسند أحمد بن حنبل ، مسند المكثرين من الصحابة ، مسند أبي هريرة ﷺ (548/2) ، حــديث (7635) ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح .

(3) سنن الترمذي ، كتاب الدعوات ، باب فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده ، ص 804 ، حديث (3540) ، قال الألباني : صحيح .

(4) رياض الصالحين من كلام خير المرسلين ، ص 148 .

(5) انظر : سورة (آل عمران 106، يوسف87 ، الانفطار 113، 114، القارعة 7-9) .

ونلاحظ في هذه الآية اقتران الخوف والرجاء في آية واحدة ، وتأمل قوله تعالى : ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقَابِ وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة:98] ، حيث إنه في مقام التهديد والوعيد قدم ذكر شدة العقاب ، وفي حالة تحدثه عن نفسه وبيان كمال صفاته قال : ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ﴾ [الحجر: 49-50] ، فقدم ذكر المغفرة على ذكر العذاب لأنه يتحدث عن نفسه ﷻ وعن صفاته الكاملة ورحمته التي سبقت غضبه ، فالواجب على الإنسان أن يكون طبيب نفسه في كونه يغلب الخوف أو الرجاء ، إن رأى نفسه تميل إلى الرجاء وإلى التهاون بالواجبات ، وإلى انتهاك المحرمات استنادًا إلى مغفرة الله ورحمته فليعدل عن هذا الطريق ، وإن رأى أن عنده وسواساً وأن الله لا يقبل منه فإنه يعدل عن هذا الطريق ، وعليه أن يجمع بين الخوف والرجاء .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- يعد الخوف والرجاء من أركان العبادة وهما من أجل منازل العبودية وأنفعهما، فالخوف سراج القلب يبصر به الخير والشر فيبتعد عن مواضع المعاصي .

2- على الإنسان أن يوجه نظره لآثار هلاك الأمم السابقة نظرة فكرة وعبرة ، لا نظرة غفلة وعدم اعتبار.

3- بيان فضل الإنابة إلى الله والرجوع بالتوبة إليه من الذنب والمعصية .

4- علينا أن نتذكر دومًا أن الله شديد العقاب ، فإذا أخذ الظالم لم يدعه، وأن أخذه شديد ، فعلينا مراقبته في السر والعلن .

5- لفت الأنظار إلى قدرة الله المحيطة بالإنسان ليخشى الله تعالى ويرهبه ، فيؤمن به ويعبده حق عبادته .

6- أن كل شيء إذا خفته هربت منه إلا الله ﷻ إذا خفته هربت إليه .

7- أن يجمع المؤمن بين الخوف والرجاء، فإذا قرأ نصوص الوعيد والعذاب وأحوال المعاندين وما يلحقهم من عذاب أصابه القلق والخوف من دخوله فيهم ، وإذا قرأ نصوص الوعد والرجاء والنعيم وأحوال المتقين واتصافهم بالفلاح طار قلبه فرحًا واشتاق لبلوغ الجنة، وسأل الله أن يكون منهم ، فالعلم بعظم العذاب والعقاب يوجب الخوف ، والعلم بسعة الرحمة يوجب الرجاء ، ولهذا قال رسول الله ﷺ : **(لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ، ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد)** [1] .

(1) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه ، ص 1350 ، حديث (2755) .

المطلب الرابع : دوام التسبيح لله :

السماء مخلوق جميل متقن تسبح وتعلن عن حمد الصانع ، والثناء عليه بما تحمله من جمال وإتقان ، وكل شيء في الكون يسجد لله تعالى ويسبح له ، وهذه حقيقة ثابتة لا شك فيها ، ذكرها سبحانه في كتابه المجيد مبيناً تسبيح السموات السبع له في قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء:44] .

المعنى الإجمالي :

يخبر ﷻ أن السماوات والأرض ومن فيهن تسبح له وتنزهه تنزيهًا مقترنًا بالثناء والحمد له ، يقول الإمام ابن كثير:"يقول تعالى تقدسه السموات والأرض ومن فيهن، أي من المخلوقات وتنزهه، وتعظمه، وتبجله، وتكبره ، وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته و ألوهيته ، ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد ، وقوله تعالى : ﴿... وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ...﴾ ، أي وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس لأنها بخلاف لغاتكم ، وهذا عام في الحيوانات والجمادات والنبات" (1) ، وهذا هو المشهور فكل مخلوق له تسبيح يقوم به ،" فقد كان النبي ﷺ يسمع تسبيح الحصى بين يديه ، وكان داوود عليه السلام يسمع تسبيح الجبال، وترديدها لدعائه وصلاته ، وكل قد علم صلاته وتسبيحه على اختلاف ألسنتهم وأدوارهم، قد علم وسمع صلاتهم وتسبيحهم وهو العليم بكل ما كان وما يكون في هذا الكون" (2)

يقول الإمام الرازي : "اعلم أن الحي المكلف يسبح لله بوجهين :

الأول : بالقول كقوله باللسان سبحان الله .

والثاني : بدلالة أحواله على توحيد الله تعالى وتقديسه وعزته .

فأما الذي لا يكون مكلفاً مثل البهائم ، ومن لا يكون حيًا مثل الجمادات فهي إنما تسبح لله تعالى بالطريــق الثانـــي، لأن التسبيح بالطريق الأول لا يحصل إلا مع الفهم والعلم والإدراك والنطق ، وكل ذلك في الجماد محـــال، فلم يسبق حصول التسبيح في حقه إلا بالطريق الثاني" (3) .

وترى الباحثة : أن الإمام الرازي فسر تسبيح الجمادات بدلالة أحوالها على توحيد الله وتقديسه ونفى أن يكون للجمـــاد إدراكٌ وفهمٌ وعلمٌ ونطـــقٌ مع أن النص القرآني واضح في قوله : ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ ، فقد أخبرنا المولى أن لهم تسبيحاً لا ندركه ، لذا علينا أن

---

(1) تفسير القرآن العظيم (47/3 ، 48) .

(2) تفسير الآيات الكونية ، عبد الله شحاتة ، ص 180 .

(3) مفاتيح الغيب (218/20) .

نكتفي بظاهر الآية دون التأويل والبحث عن كيفية وصورة التسبيح ، فقد يكون لهذه المخلوقات إدراك لا نعلمه ويعلمه سبحانه وحده .

وهذا ما ذهب إليه محمود الألوسي بقوله : " والمقصود أن في هذه الآية دليلاً على أن السموات قد أودع الله فيها إدراكاً لا نعقله وهو مدار تسبيحها المقالي، كما أودع في سائر الموجودات مثل ذلك ، وعلى المؤمن أن يؤمن بما ورد" (1) .

وفي قوله : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ، بيان أن كل الموجودات تسبح بحمد ربها، وتسجد له : ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف:206] .

وتسبيح كائنات السماء حقيقــة نطــق بها الكتاب العزيز في أكثر من موضع أذكر منها ما يلي :

١- **تسبيح الملائكــة** : قــال تعالــى : ﴿... وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ...﴾ [الشُّورى:5] ، وقوله : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:30] ، وقــد ذكر الرسول ﷺ تسبيح الملائكة بقوله : **(أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك راكع أو ساجد يسبح الله تعالى)** (2) .

٢- **تسبيح الرعد** : قال تعالى : ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد:13] ، فتسبيح الرعد هنا حمداً ، وتسبيح الملائكة خوفًا وتعظيماً ، يقول عبد الله شحاتة : "وقد اختار التعبير أن يجعل صوت الرعد تسبيحًا للحمد ، إتباعاً لمنهج التصوير القرآني في مثل هذا السياق ، وخلق سمات الحياة وحركاتها على مشاهد الكون الصامتة لتشارك في المشهد بحركة من جنس حركة المشهد كله" (3) .

قلت : إذا كانت هذه الكائنات من أحياء وجمادات ، تسبح بحمد الله وفضله ، ألا يجدر بالإنسان الذي يعقل ويفهم وينعم من فضل الله أن يداوم على ذكره وتسبيحه وتعظيمه، كما تسبح له الملائكة ، والرعد، والجبال ، والحصى، والسماء ، وغير ذلك من الكائنات، فسبحان ربي العظيم ، كلمات خفيفة تحمل معنى جليلاً، فقد ذكر الرسول ﷺ أن التسبيح خفيف على اللسان

---

(1) ما دل عليه القرآن ، ص 89 .

(2) سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب في قول النبي ﷺ : "لو تعلمون ما أعلم لــضحكتم قلــيلاً" ، ص 523 ، حديث (2312) ، قال الألباني : حسن .

(3) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم (156/1) .

ثقيل في الميزان ، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : **(كلمتان خفيفتان علي اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده ،سبحان الله العظيم)** (1) .

فكما أن التسبيح حبيب إلى الرحمن ، فهو كذلك أحب إلى الرسول ﷺ مما طلعت عليه الشمس، فقد روى أبو هريرة ﷺ عن النبـــي ﷺ أنه قال : **(لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر أحبُ إليَّ مما طلعت عليه الشمس)** (2) .

"والتسبيح الحقيقي يكون بالقلب فهو أصفى وأعمق درجات الذكر والتسبيح ، ولا يستطيع الوصول إلى تلك الدرجة إلا من بلغ طهارة النفس وصفاء الروح، وامتلك القدرة على ترك شواغل الدنيا ، وحصر كل انتباهه على التركيز والتأمل بقلبه ، وأجمل التسبيح وأحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده" (3) .

وأجمل أوقات التسبيح ما يكون في التهجد لقوله تعالى : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء:**79**] ، ومن الملاحظ عند تتبع ألفاظ التسبيح في القرآن الكريم نجد أنها جاءت مرة بصيغة الماضي (4) : ﴿سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [الصَّف:**1**] ، فهل سبحت السموات والأرض مرة واحدة فقالت سبحان الله ثم سكتت عن التسبيح ؟ وللإجابة على هذا التساؤل أقول: لا إنما سبحت في الماضي وفي الحاضر لقوله تعالى(5): ﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [الجمعة:**1**] ، فهي لا تزال تسبح وما دام أن الكون كله سبح لله وما يزال يسبح فلم يبق إلا أنت يا ابن أدم (6) : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى:**1**] ، وكأن الحق سبحانه يقول: خذوا من السماء نموذجاً للتسبيح واقتدوا بها .

ومن خلال هذه الآيات نخرج بالهدايات الإلهية التي توحي بدوام التسبيح لله ﷻ والاستمرارية على ذكره وتنزيهه من كل سوء .

وبعد هذا العرض لتسبيح مخلوقات السماء للمولى ﷻ ، يجدر بنا أن نختم هذا الحديث بالتسبيح (سبحانك اللهم وبحمدك ، حمداً يليق بجلال وجهك وعظيم سلطانك).

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان والنذور ، باب إذا قال والله لا أتكلم اليوم فصلى أو قرأ أو سبح أو كبر أو حمد ، ص 1275 ، حديث (6682) .

(2) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، ص 1325 حديث (6741) .

(3) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، عبد الرحيم مارديني ، ص 192 .

(4) انظر : سورة (الحديد :1 ، الحشر : 1) .

(5) انظر : سورة (الإسراء : 44 ، النور : 41 ، الحشر : 24) .

(6) تفسير سورة النور ، هيفاء منصور ، ص 95 (بتصرف) .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

١- الإيمان بتسبيح السموات وجميع المخلوقات لله ﷻ وإن لم نفقه تسبيحهم .

٢- أن هذا الكون بكل ما فيه من مخلوقات في عبادة مستمرة وتسبيح وتحميد وتمجيد ، يدور في الفلك كله خشوعاً، وتقىً ، وإخلاصاً ، وهدىً دون كلل ولا ملل .

٣- أن تسبيح المخلوقات هو تنزيه المولى من كل عيب ونقص وسوء ، وعن الشريك والولد والعجز ، وهو إقرار من الجميع بوحدانية الله ﷻ .

٤- أن يتعاهد المؤمن على التسبيح دوماً دون انقطاع أو فتور ، وأن يكون لسانه رطبًا بذكر الله .

٥- بيان فضيلة التسبيح وهو قول المؤمن (سبحان الله وبحمده) لأن قائلها مائة مرة تُغفر له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر .

٦- مِن نعم الله على عباده أن جعل اللسان عضواً لا يصيبه الملل ولا التعب كبقية الجوارح ، ليداوم على التسبيح والذكر .

٧- أن الله ﷻ استفتح بعض السور بالتسبيح أذكر منها قوله : ﴿سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [الحديد:1] ، وقوله : ﴿سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [الحشر:1] ، وقوله : ﴿سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [الصَّف:1] ، ونلاحظ مطابقة نص الآية في السور التي استفتحت بالتسبيح، وهذا يدل على أهمية التسبيح وفضله وعلى مكانة المسبح عند الله ﷻ، وعلى عظمة الخالق المستحق لهذا التسبيح .

المطلب الخامس : دوام السجود والخضوع والانقياد لله :

الكون بكل ما فيه من مخلوقات خاضع لأمر الله وإرادته ، إذ أنه يعيش في ملكه ويسير وفق قانونه ، فهو عابد له إما اختيارًا أو كراهية ، فالمؤمن يعبد الله اختيارًا ويخضع له طاعة وإيماناً ، وغير المؤمن وإن كان شاردًا عن ربه تاركاً لعبادته فذرات جسده وكل ما فيه يعبده ﷻ ، بل ويسبحه ويخضع له ، لكننا بقصورنا وحواسنا لا نستشعر بهذا التسبيح والخضوع ولا نعقله ، فكل المخلوقات في هذا الكون خاضعة لجلال الله ، عابدة له عبادة لائقة بمقامه ، فالشمس ، والقمر ، والنجوم ، والشجر ، والدواب كلها خاضعة لله تسبحه وتسجد له سبحانه ، ولكل واحد منها عبوديته اللائقة به وقد أوردت نصوص القرآن الكريم آيات تدل على أن السجود ظاهرة عامة في جميع المخلوقات .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ...﴾ [الحج:18] .

المعنى الإجمالي :

هذه الآية تدل دلالة واضحة على أن هذا الكون كله بما في السموات وما فـــي الأرض وما بينهما من شمس وقمر ونجوم ، وما في الأرض من جبال وشجر ودواب وأناس يسجدون لله سبحانه ، بالكيفية التي يعلمها ويريدها الله ، والبشر لا يشاهدون كيفية هـــذا الـــسجود ، ولكـــن المؤمن العاقل المتأمل فيما حوله يدرك أن كل شيء في هذا الكون خاضع لخالقه ، سائر وفـــق أمره ، فقوله (ألم تر) الرؤية هنا رؤية القلب وهي للعلم والخطاب ، لكل من يتأتى منـــه ذلـــك يسجد له ويخضع لعظمته كل شيء طوعًا وكرهًا [1] .

والسجود على معنيين :

الأول: معنى حقيقي ، وهو سجود عبادة، بوضع الجبهة على الأرض وهو ما يحصل من العاقل المطيع ، وهذا السجود اختياري طوعاً لله وبه يستحق الثواب لقوله تعالى : ﴿فَاسْجُدُوا للهِ وَاعْبُدُوا﴾ [النَّجم:62] .

الثاني: معنى مجازي ، وهو التعظيم والخضوع والانقياد ، وهو ما يحصل من غير العاقـــل ، وهذا سجود تسخير وهو للجماد والنبات والحيوان ، وقد استعمل السجود بمعنييه في هذه الآية سجود التسخير والاختيار [2] .

وترى الباحثة : أن سجود المخلوقـــات لـــه أشكال معينة لا ندركها ولا نعقلها ولا يعلمها إلا الله ، وهـــذا السجود يوحـــي جوهره غاية الخضوع والتذلل بين يدي الله المعبود ، ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ اليَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا للهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ * وَللهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل:48- 49] ، وقوله : ﴿وَللهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالغُدُوِّ وَالآَصَالِ﴾ [الرعد:15] .

المعنى الإجمالي :

هذه الآية إخبار عن عظمة الله وسلطانه وقهره ، وأن كل الخلائق تدين له وتنقاد لجلاله وكبريائه فتخضع ، وخضوعها وتذللها وتسخيرها وفق ما أراد الله ، والمعنى: ألم ير هذا الخلق

(1) انظر: (تفسير القرآن العظيم) ، لابن كثير:(233/3) ، (فتح القدير) للشوكاني (3/ 552).
(2) انظر: (مفاتيح الغيب) للرازي (19/23-20) ، (آيات قرآنية من قصص الأنبياء) ، محمد سامي منير ، ص12.

أنه ما من جسم له ظل كشجرة، أو جبل تتمايل ظلاله يمينًا وشمالًا أن تمايلها هو سجودها لله عابدة خاضعة صاغرة ، وقد أخبر عن سجود الشجر بقوله تعالى : ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرَّحمن:6] ، فجميع الكائنات منقادة لمشيئة الله بالسجود ، وهي أقصى رمز للعبودية فتسجد الكائنات ويسجد ظلها معها عند انكسار الأشعة أوائل النهار وأواخره حسب سير الشمس في فلكها ، فالكون كله بما فيه من شخوص وظلال جاثية خاضعة طائعة مستسلمة لما يجري عليها من الأقدار[1] .

يقول الإمام النسفي : " المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم ، وبسجود غيرهم انقيادهم لإرادة الله ومعنى الانقياد يجمعها فلم يختلفا ، فلذا أجاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد ، وجئ (بما) إذا هو صالح للعقلاء وغيرهم ولو جئ بمن لتناول العقلاء" [2] .

"والسياق القرآني يعبر عن خضوع الأشياء لنواميس الله بالسجود ، وهو أقصى مظاهر الخضوع ويوجه إلى حركة الظلال المتفيئة – أي الراجعة بعد امتداد – وهي حركة لطيفة خفيفة ذات دبيب في المشاعر وئيد عميق، ويرسم المخلوقات داخرة أي خاضعة خاشعة طائعة ، ويضم إليها ما في السموات وما في الأرض من دابة ويضيف إلى الحشد الكوني الملائكة ، فإذا مشهد عجيب من الأشياء والظلال والدواب ومعهم الملائكة في مقام خشوع وخضوع وعبادة وسجود لا يستكبرون عن عبادة الله ولا يخالفون عن أمره ، والمنكرون المستكبرون من بني الإنسان وحدهم شواذ في هذا المقام العجيب" [3] .

وقد خص المولى سبحانه الملائكة الكرام بالذكر في هذه الآية بعد العموم مع كونهم من جملة ما في السموات لوجهين :

الأول : لفضلهم وشرفهم وكثرة عبادتهم فأضافهم بالشرف وميزهم بالذكر .

الثاني : لخروجهم عن الموصوفين بالدبيب إذ لهم أجنحة يطيرون بها [4] .

ونلاحظ أن المولى ﷻ خصص سجود الدواب والملائكة بالذكر في سورة الحج والنحل وذلك لحكمة جليلة وهي :" أن المولى بين في آية الحج أن الجمادات بأسرها منقادة لله تعالى ، وبين بآية النحل أن الحيوانات بأسرها منقادة لله تعالى ؛ لأن أخسها الدواب وأشرفها الملائكة فلما بين في أخسها ، وفي أشرفها كونها منقادة لله تعالى كان ذلك دليلاً على أنها بأسرها منقادة

---

(1) انظر: (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي المجلد الخامس (80/10) ، (212/9– 213) ، (أهداف القرآن ومقاصده في القرآن) عبد الله شحاتة (156\1) ، (دلائل التوحيد) عبد الله التليدي ، ص 143.

(2) مدارك التنزيل ومعالم التأويل (585/2).

(3) في ظلال القرآن ، سيد قطب (2173/4– 2174)

(4) انظر : (النكت والعيون) للماوردي (192/3) ، (معالم التنزيل) البغوي (24/4) ، (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي ، المجلد الخامس (81/14) .

خاضعة لله تعالى" [1] ، فلعل هذه الحكمة وهذه الآيات تكون دعوة للغافلين عن السجود عند التأمل والتدبر فيها .

ويتضح مما سبق :

1- أن الله ﷻ أثبت السجود لكل الكائنات وأن سجودهم حقيقي يليق بهذه المخلوقات كل بحسبه .

2- أن المولى عطف سجود الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب على سجود الملائكة والبشر، وهذا يدل على حقيقة هذا السجود للكائنات كلها .

3- أن السجود في نظر القرآن الكريم هو إظهار التذلل والخضوع في أية صورة تحقق ، وفي أي شكل وقع ، **ومن هذه الأشكال للسجود .**

أ- شكل السجود عند الإنسان ، وهو ما كان على الهيئة المعروفة بالهوي بوضع جبينه أو الذقن على الأرض، والسجود على الأعضاء السبعة لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا**﴾ [الإسراء:**107**] ، وغاية هذا السجود التذلل والخضوع بين يدي المعبود ، فعند السجود يستشعر الإنسان بعلو الله فيقول سبحان ربي الأعلى ، وينزه ربه عن السفول ، فإنه عال بذاته عال بصفاته ، ومن أجل هذا التواضع يضع الساجد فيه نفسه تعظيمًا لربه ، فهذا السجود يليق بالإنسان، فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .

ب- سجود الشمس تحت العرش ، فعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس : **(أتدري أين ذهبت ؟ قلت: الله ورسوله أعلم ، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، وتوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ، يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها)** [2] ، فللشمس سجود حقيقي يليق بها لا نعلم كيفيته ، والله وحده أعلم به .

ج- شكل سجود الكائنات التي لها ظل هو بفئ ظلالها وميلانها يمينًا وشمالًا .

4- أنه لا يلزم سجود جميع المخلوقات بالكيفية التي يسجد بها المسلمون على سبعة أعضاء فكل كائن له سجود يليق به .

إذن جميع ما في الكون بسمائه وأرضه وأفلاكه وكواكبه ودوابه وشجره وبره وبحره وملائكته وانسه كلها خاضع لله ، مطيع لأمره الكوني قال تعالى [3] : ﴿ **أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ**﴾ [آل عمران:**83**] ، وقوله : ﴿ **وَلَهُ مَنْ فِي**

---

(1) مفاتيح الغيب ، للرازي (44/20) .

(2) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة الشمس والقمر بحسبان ، ص 615 ، حديث (3199) .

(3) انظر : سورة (البقرة : 116 ، مريم : 93 ، الأنبياء : 19).

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ [الرُّوم:26] ، والإنسان صاحب القلب العامر بالإيمان أكثر الناس خشية وطاعة وقنوتاً وتعظيماً وإجلالاً لله ﷻ ، فتراه حيناً يرتع في رياض معاني القرآن لتخالط قلبه بشاشة الإيمان بحقائق وحدانية الله وعلوه وتفرده بالملك سبحانه ، وتراه حينًا آخراً ساجداً خاضعاً لخالقه ، مثل جميع المخلوقات فالكائنات كلها منقادة لله خاضعة لسلطانه ، تجري وفق إرادته وطوع أمره لا يستعصي عليه منها شيء ، تقوم بوظائفها ، وتؤدي نتائجها بنظام دقيق ، وتنزه خالقها عن النقص ، والعجز والعيب ، فكلما تدبر العاقل هذه المخلوقات علم أنها خلقت بالحق وللحق ، وأنها مسخرات ليس لها تدبير ولا استعصاء عن أمر مدبرها ، فالجميع مقرون بالخالق بفطرتهم .

فإذا كانت هذه المخلوقات خاضعة منقادة لله ، أليس من الأجدر بالمؤمن أن يخضع لأمر ربه دون تعنت أو تكلف ، وأن يتخذ هذا الكون بخضوعه مثالًا يقتدي به، ويهتدي بهديه .

فعندما خلق الله الكون أودع فيه آيات تدل على خضوع هذا الكون له لنخرج منها بهدايات إلهية تعلمنا دوام السجود والخضوع والانقياد لله ، فالشمس تخضع له من خلال التزامها بالقوانين التي أمرها الله بها ، فهي تدور حول نفسها وحول مركز المجرة بنظام بديع ، وهذا امتثال لأمر الله ، والشجر والحجر والقمر كل ما في الكون خاضع وساجد لله دون عصيان ، فإنك أنت الوحيد في هذا الكون الذي تخالف هذه القاعدة ، فتتقاعس عن الانقياد له ، ومن هنا ندرك الحكمة الربانية من خضوع ما في الكون له لنخرج بالهدايات التي بثها الله فيها .

وأقول: إن أجمل وألذ لحظة يعيشها الإنسان هي لحظة الانقياد والخضوع لله .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- وردت لفظة سجد في القرآن الكريم أربعاً وثلاثين مرة ، وهذا يطابق تمامًا عدد السجدات اليومية المفروضة ، فكل ركعة تحوي سجدتين ، والعلم بذلك يدفع الإنسان للمحافظة على صلاته وسجوده وعدم التفريط بها والتكاسل عنها .
2- أن الإنسان على علم بعبادته من قيام وركوع وسجود وغير ذلك ، وأن كيفية سجود باقي المخلوقات غيب بالنسبة له يعلمه الله وحده .
3- الواجب على المؤمن ألا يجعل من جهله بكيفية سجود بعض الكائنات مانعًا من التصديق والإيمان بهذا السجود ، بل الواجب عليه الإيمان بما أخبرنا الله به من سجود الكائنات له سبحانه .

4- أن الله ﷻ ذكر الشمس والقمر والنجوم بالسجود في سورة الحج : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج:**18**] ، وحفهم بالذكر لأنها قد عبدت من دون الله ، فبين المولى أنها تسجد لخالقها وخالق الكون بأسره فهذه الآية رادعة وزاجرة لعبدة الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من معبودات .

5- أن سجود المؤمن يتمثل في خضوع النفس لجلال الله وعظمتـــه ، والتـــودد إلـــى رحمتـــه بالعبودية المطلقة ، والانقياد لأوامره ونواهيه ، فيكون سبيلاً إلى الجنة وإلى أكثر منها وهو القرب من الله ، فهو المعراج الذي تكون فيه النفس قريبة بين يدي الله .

6- أن علامة الخضوع الكوني الشامل هى سيادة الإرادة الواحدة على الكون ، واتباع كل أجزاء العالم لتلك الإرادة العليا دون تمرد أو طغيان أو تردد، فأعلى مظاهر الخضوع هـــو كـــون العالم بأسره تحت أمر الله وقبضته مطيعة خاضعة لمشيئته .

المبحث الثالث

الهدايات الأخلاقية في آيات السماء

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : تعلم الطاعة من السماء .

المطلب الثاني : تعلم قيمة حمل الأمانة من السماء .

المبحث الثالث

الهدايات الأخلاقية في آيات السماء

من أراد علو بنيانه فعليه بتوثيق أساسه وإحكامه باتباع منهج القرآن في التعامل مع الآخرين ، فالأخلاق بنيان أساسه الإيمان ، قال تعالى : ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ...﴾ [التوبة:109] ، فقوة الإيمان المعاملة بأمانة مع الله ومع العباد ، وطاعتهم على الخير والمعروف، فالأمانة والطاعة من القيم النبيلة التي تجعل في تعلمها غاية سامية لخدمة المجتمع الإنساني بأسره، فالخُلق الحسن صفة الأنبياء ، ووصف به الحبيب المصطفى ﷺ ولقب بالصادق الأمين ، وعندما نجول بخاطرنا في هذا الكون ، ونعمل عقولنا في آيات السماء ونمعن النظر فيها نجد آيات صريحة نصت على طاعة وأمانة السماء لخالقها ، وهذا ما سأبينه خلال المطالب التالية :

المطلب الأول: تعلم الطاعة من السماء :

إن الخيال مهما يحلق في طيرانه واتساعه لو أراد أن يتصور سعة ملك الله وعظمته لارتد قليلاً وهو حسير، ولكننا نحاول أن نجول في الكون ونتأمل فيه كي نقطف بعض الهدايات، فنتأمل في خلق السماء بما فيها من مكنونات بهية ، وأسرار ندية أودعها الله فيها، فنتعلم منها الخضوع والطاعة لننال الفوز العظيم لقوله تعالى : ﴿... وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:71] ، فما أعظم ما تعلمنا إياه السماء .

قال تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصّلت:11] .

المعنى الإجمالي :

يأمر الله ﷻ السماء والأرض بالإتيان ، فتتمثل كل منهما ولا تمتنع عليه فوجدتا كما أرادها ، قال تعالى : ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة:117] ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[النحل:40].

يقول الإمام الطبري : " قال الله تعالى للسماء والأرض: جيئا بما خلقت فيكما، أما أنت يا سماء فأطلعي ما خلقت فيك من الشمس والقمر والنجوم ، وأما أنت يا أرض فأخرجي

ما خلقت فيك من الأشجار والثمار والنبات ، وتشققي عن الأنهار" [1] .

ويقول الإمام الماوردي : " قول الجمهور أنه قال ذلك لهما بعد خلقهما ، فعلى هذا يكون في معناه أربع تأويلات :

الأول :" معناه أعطيا الطاعة في السير المقدر لكما طوعاً أو كرهاً أي اختياراً أو إجباراً، قاله سعيد بن جبير .

الثاني: ائتيا عبادتي ومعرفتي طوعاً أو كرها باختيار أو غير اختيار.

الثالث: ائتيا بما فيكما طوعاً أو كرهاً .

الرابع: كونا كما أمرت من شدة ولين ، وحزن وسهل ، ومنيع وممكن" [2] .

فاختارت السماء والأرض طاعة رب العباد و"قالتا أتينا طائعين" ، **وفيه ثلاث أقاويل :**

الأول :" معناه أعطينا الطاعة .

الثاني: أتينا بما فينا ، قال ابن عباس : أتت السماء بما فيها من الشمس والقمر والنجوم، وأتت الأرض بما فيها من الأشجار والأنهار والثمار.

الثالث : معناه كما أراد الله أن نكون " [3] .

وترى الباحثة : أنه لا تعارض بين الأقوال السابقة فجميعها يدور حول الانقياد لأمر الله والخضوع والاستجابة له .

ويذكر القرآن الكريم مشهداً آخراً من مشاهد طاعة السماء ، عندما أمرها المولى أن تقلع وتمسك عن إنزال الماء بعد أن عذب قوم نوح عليه السلام .

قال تعالى : ﴿ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ المَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [هود:44] .

المعنى الإجمالي :

يوجه الله عز وجل الخطاب إلى السماء والأرض بصيغة العاقل ، ويناديهم ويأمرهم بما يؤمر به أهل التمييز والعقل ، فتستجيبا للأمر الفاصل فتبتلع الأرض الماء وتجف ، وتمسك السماء .

يقول الإمام الزمخشري: " أمرهم بما يؤمر به أهل التمييز والعقل في قوله ابلعي ماءك وأقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وأن السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كأنهم عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلاله وثوابه

---

(1) جامع البيان المجلد 13 (108/24) .

(2) النكت والعيون (172/5) .

(3) المرجع السابق .

وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريب" [1] .

وهذا مشهد ثالث أيضاً من مشاهد طاعة السماء ، فكما أطاعت مولاها في بداية الخلق ، تطيعه كذلك في نهاية الكون وفنائه ،

قال تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ [الانشقاق: 1-2] .

المعنى الإجمالي :

يخبر المولى سبحانه أنه في نهاية الكون تنشق السماء وتتصدع وتنفطر وتذوب فتصبح كالدهان استجابة لأمر ربها وطاعة له ، فكانت كما أمرها وحق لها أن تنقاد لأمره [2].

يقول الإمام الرازي : "أنه لم يوجد في جرم السماء ما يمنع من تأثير قدرة الله تعالى في شقها وتفريق أجزائها، فكانت في قبول ذلك التأثير كالعبد الطائع الذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المالك أنصت له وأذعن ولم يمتنع ، فقوله :﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت:11] يدل على نفاذ القدرة في الإيجاد والإبداع من غير ممانعة أصلاً، وقوله ههنا " وأذنت لربها وحقت " يدل على نفوذ القدرة في التفريق والإعدام والإفناء من غير ممانعة أصلاً " [3] .

فإذا كانت الجمادات تنقاد لخالقها ، وجميع المخلوقات في السماء والأرض طائعة قانتة لربها ، أليس من الأولى أن ينقاد من يدرك ويعقل، فحري بالإنسان أن يطيع ويخضع لله ، ومع ذلك نجد حالات كثيرة من عدم الطاعة في جانب البشر، وهذا ما يصفه لنا الإمام سيد قطب قائلاً : " إنها إيماءة عجيبة إلى انقياد هذا الكون للناموس ، وإلى اتصال حقيقة هذا الكون بخالقه اتصال الطاعة والاستسلام لكلمته ومشيئته ، فليس هناك إذاً إلا هذا الإنسان الذي يخضع للناموس كرهاً في أغلب الأحيان ، إنه خاضع حتماً لهذا الناموس ، لا يملك أن يخرج عنه وهو ترس صغير جداً في عجلة الكون الهائلة ، والقوانين الكونية الكلية تسري عليه رضي أم كره، ولكنه هو وحده الذي لا ينقاد طائعاً طاعة الأرض والسماء ، إنما يحاول أن يتفلت وينحرف عن المجرى الهين اللين ، فيصطدم بالنواميس التي لابد أن تغلبه ، وقد تحطمه وتسحقه فيستسلم خاضعاً غير طائع ، إلا عباد الله الذين تصطلح قلوبهم وكيانهم وحركاتهم وتصوراتهم وإرادتهم ورغباتهم واتجاهاتهم ، تصطلح كلها مع النواميس الكلية ، فتأتي طائعة وتسير هينة لينة ، مع عجلة الكون الهائلة ، متجهة إلى ربها مع الموكب ، متصلة بكل ما فيها من قوى ، وحينئذ تصنع الأعاجيب و تأتي بالخوارق لأنها مصطلحة مع الناموس ، مستمدة من قوته الهائلة ،

---

(1) الكشاف (405/2) .

(2) انظر : (أيسر التفاسير) للجزائري ، (543/5) .

(3) مفاتيح الغيب (103/31).

وهي منه وهو مشتمل عليها في الطريق إلى الله (طائعين) إننا نخضع كرهاً ، فليتنا نخضع طوعاً ، ليتنا نلبي تلبية الأرض والسماء ، في رضى وفي فرح باللقاء مع روح الوجود الخاضعة المطيعة الملبية المستسلمة لله رب العالمين " [1] .

اللطائف المستنبطة من الآيات السابقة :

1- طاعة السماء وامتثالها التام لأمر الله ، يعلمنا الاستسلام والخضوع له ، والعمل على رضاه من خلال الالتزام بالمنهج الرباني في حياتنا .

2- الهدف من الحوار مع السماء والأرض هو تصوير أثر قدرة الله في المقدورات وامتثالهم بالطاعة لأمره، وفيه بيان لعلو كبريائه وعظمة سلطانه .

3- قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ جمعها جمع من يعقل لخطابها بما يخاطب به العقلاء فهم سماوات وأرضون فأخبر عنهما وعمن فيهما .

4- يقول الإمام الرازي : " في قوله تعالى : ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي﴾ ، ﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ أن الحس يدل على عظمة هذه الأجسام وشدتها وقوتها فإذا شعر العقل بوجود موجد قاهر لهذه الأجسام مستول عليها متصرف فيها كيف شاء وأراد ، صار ذلك سبباً لوقوف القوة العقلية على كمال جلال الله تعالى وعلو قهره ، وكمال قدرته ومشيئته .

5- أن السماء والأرض من الجمادات فقوله :" وأوحى في كل سماء " مشعر بحسب الظاهر ، على أن أمره وتكليفه نافذ في الجمادات فعند هذا يحكم الوهم بأنه لما كان الأمر كذلك فلأن يكون أمره نافذاً على العقلاء كان أولى وليس مرادي منه أنه تعالى يأمر الجمادات فإن ذلك باطل بل المراد أن توجيه صيغة الأمر بحسب الظاهر على هذه الجمادات القوية الشديدة يقرر في الوهم نوع عظمته وجلاله تقريراً كاملاً" [2] .

المطلب الثاني : تعلم قيمة حمل الأمانة من السماء :

الأمانة خلق جميل من أخلاق الإسلام ، وفريضة عظيمة حملها الإنسان ، بينما أبت السماء حملها لعظمها وثقلها، فقد أمر الشارع الحكيم بحفظ الأمانة وأدائها ، لما في فعلها من الثواب وتركها من العقاب ، فقال عز في علاه : ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ...﴾ [النساء:58] ، وجعلها صفة جليلة من صفات عباد الله المؤمنين فقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون:8] .

---

(1) في ظلال القرآن (3114/5) .

(2) مفاتيح الغيب (234/17) .

وبالمقابل نهى عن الخيانة فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال:27] ، وقال ﷺ : **(أد الأمانـــة إلـــى من ائتمنك ولا تخن من خانك)** [1] ، وجعل عدم أدائها من صفات المنافق فقال ﷺ : **(آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان)**[2] ، وجعلها دليلاً على إيمان المرء وحسن خلقه فقال ﷺ : **(لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له)** [3] ، فعظم الله شأن الأمانة ولعظم شأنها عرضها على مخلوقات عظيمة،على السماوات والأرض والجبال فأبوا حملها .

قال تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:72] .

المعنى الإجمالي :

تبين الآية الكريمة ضخامة التبعة التي حملها الإنسان ، فقد أدركت السماء قيمـــة حمـــل الأمانة فأشفقت وخافت من عواقب حملها إذا ما قصرت في أدائها، وعرضت علـــى الإنـــسان فَقَبِل حملها مع ثقلها وضخامتها رغم ضعفه وجهله ، فعن ابن عباس قال ، قال رسول الله ﷺ : **(إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، قـــال : قيل لآدم أتأخذها بما فيها فإن أطعت غفرت وإن عصيت حذرتك ، قال : قبلت ، قال: فما كـــان إلا كما بين صلاة العصر إلى أن غربت الشمس حتى أصاب الذنب)** [4] .

وكانت نتيجة حمل الأمانة أن ظلم الإنسان نفسه لأنه تارك لأدائها ، مبالغ فـــي جهلـــه لعاقبة أمره .

واختلف العلماء في تحديد المراد بالأمانة على عدة أقوال :

يقول الإمام القرطبي : " الأمانة هي الفرائض التي ائتمن الله عليها العباد " [5] .

ويقول الإمام الماوردى: "فيها خمسة أقاويل :

---

(1) سنن أبو داود ، كتاب الإيمان والنذور ، باب في الرجل يأخذ حقه من تحـــت يـــده ، ص 536 ، حـــديث (3535) ، قال الألباني : حسن صحيح .

(2) صحيح البخاري ، كتاب:الإيمان ، باب علامة المنافق ، ص 20 ، حديث (33).

(3) مسند أحمد بن حنبل ، مسند المكثرين من الصحابة ، مسند أنس بن مالك ﷺ (135/3) ، حديث (12406) قال شعيب الأرنؤوط : حسن .

(4) المستدرك على الصحيحين ، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الأحزاب (458/2) ، حديث (3580)، قـــال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، وقال الذهبي في التلخيص :علـــي شـــرط البخاري ومسلم .

(5) الجامع لأحكام القرآن ، المجلد السابع (187/14) .

الأول : أن هذه الأمانة هي ما أمر الله سبحانه من طاعته ونهى عن معصيته .
الثاني : أنها القوانين والأحكام التي أوجبها الله على العباد وهو قريب من الأول ، قاله ابن عباس .
الثالث : هي ائتمان الرجال والنساء على الفروج .
الرابع : أنها الأمانات التي يأتمن الناس بعضهم بعضًا عليها وأولها ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله ، وولده حين أراد التوجه إلى أمر ربه فخان قابيل الأمانة في قتل أخيه هابيل .
الخامس : أن هذه الأمانة هي ما أودعه الله في السماوات والأرض والجبال والخلق من الدلائل على ربوبيته أن يظهرونها فأظهروها إلا الإنسان فإنه كتمها وجحدها ، قاله بعض المتكلمين"[(1)].

وترى الباحثة : أن مجمل الأقوال السابقة يدخل في مفهوم الأمانة ، وأرجح هذه الأقوال أن الأمانة هي التكاليف والفرائض الشرعية التي كلف الله تعالى بها عباده، من إخلاص في العبادة ،وأداء للطاعات ،والابتعاد عما نهى ، فهي كلمة واسعة المفهوم تشمل حق الله في العبادة ، وحق العباد فيما بينهم .

ويدخل فيها أنواع كثيرة منها:الأمانة الكبرى وهى الدين ، وتبليغ الدين أمانة كذلك، وكل ما أعطانا الله من نعم أمانة يجب حفظها ، فحفظ الجوارح من سمع وبصر ولسان ويد أمانة ، والعرض أمانة، والسر أمانة ، والمال أمانة فلا ينفق إلا فيما يرضي الله، والودائع أمانة ، والولد أمانة حفظه ورعايته وتربيته أمانة ، والعمل الذي توكل به أمانة وتضييعه خيانة، قال رسول الله ﷺ : **(إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة : قال : كيف إضاعتها يا رسول الله قال : إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)** [(2)] .

إن هذا ما تعلمنا إياه السماء أن نستشعر قيمة الأمانة ونجتهد في حملها وأن ندرك عظمها ونرعاها حق رعايتها، فمن رعاها نال الفوز العظيم ،ومن قصر في حملها نال العذاب الأليم .

اللطائف المستنبطة من الآية السابقة :

1- تجلت قدرة الله ﷻ بخلق إدراك للسماء يقدر قيمة حمل الأمانة، وتمييزًا ونطقًا ولكن هذا الإدراك لا يعلمه إلا هو سبحانه .
2- خص الله ﷻ السماء والأرض والجبال بالذكر لأنهم أشد الأمور وأحملها للأثقال ، أما السموات فلقوله تعالى : ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النَّبأ:12] .

---

(1) النكت والعيون (428/4-429) .
(2) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب رفع الأمانة ، ص 1245، حديث (6496) .

والأرض والجبال لا تخفى شدتها وصلابتها ، ثم إن هذه الأشياء لما كانت لها شدة وصلابة عرض الله تعالى الأمانة عليها واكتفى بشدتهن وقوتهن فامتنعن ، لأنهن وإن كن أقوياء إلا أن أمانة الله تعالى فوق قوتهن ، قال تعالى : ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآَنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ...﴾ [الحشر:21] ، وحملها الإنسان مع ضعفه الذي قال الله تعالى فيه : ﴿وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:28] ، ومع ذلك وعده بالإعانة على حفظ الأمانة بقوله : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطَّلاق:3] (1) .

3- رفض السماء لأمر الله لها بحمل الأمانة وهى خاضعة لسلطانه ، يوحى إلى أن هذا العرض عرض تخيير لا عرض إلزام ، ولو ألزمها الله لم تمتنع عن حملها فهي مطيعة لأمره خاضعة له .

4- قوله تعالى : ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ ، ﴿وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ﴾ " إشارة إلى أن فيه مشقة بخلاف ما لو قال فأبين أن يقبلنها وقبلها الإنسان ... وقوله : (وحملها) إشارة إلى أنه مما يستحق الأجر عليه أي على مجرد حمل الأمانة وإما على رعايتها حق الرعاية فيستحق الزيادة " (2) .

5- خوف السماء من حمل الأمانة إشارة إلى عظم الأمانة، ولعظمها عرضها المولى على أعظم ما خلق الله في الكون .

6- كل إنسان مؤتمن وقبول آدم وذريته حمل الأمانة يوجب عليه أداءها وعدم التهاون في حقها .

7- استهانة الإنسان في هذا الزمان بأمر الأمانة دليل على ظلمه لنفسه وجهله بقيمتها.

---

(1) مفاتيح الغيب : للرازي (236/25) بتصرف .

(2) المرجع السابق (237/25) .

الخاتمة

وفي الختام أحمد الله الحنان المنان، مبدع الأكوان ، وملهم البيـــان، ومنـــزل القــرآن ، ومسخر كل شيء بأمره لخدمة بني الإنسان ، أحمده أن شرفني بقراءة القرآن ، وحبــب إلـــيّ السهر في نوره وهديه ، وهيأ لي أن أمسك القلم لأكتب بمداده هذا البحث مستمدة منــه العــون والسداد ، فباسمه البدء والانتهاء .

فالوصول إلى خاتمة هذا البحث ضرورة يفرضها واقع البحث وقصور الباحثة، وإلا فإن القلب لا يكاد يستسيغ الصدور عن هذا المورد العذب إلا وفيه رغبة للمزيد ، ولسوف أوجز في هذه الخاتمة أهم النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها بفضل الله .

أولاً النتائج :

1- مائدة القرآن ستظل ممدودة بعطائها المتجدد ، فإن الله لا يحرم من فضلها كــل يــد أمينــة مخلصة ، تستبق إلى زاد التقوى ومورد الإيمان .

2- إن التفسير الموضوعي يعتبر من أعظم العلوم التي تعين على فهم القرآن الكريم ، وتعــين على معرفة معانيه ، والكشف عن أسراره ، واستخراج أحكامه.

3- كل ما ورد في القرآن الكريم مما يتعلق بالسماء هو حقائق علمية ثابتة ، وهي موضع تسليم وإيمان ويقين من المؤمن ، فلا نجعل حقائق القرآن موضع نظر لأنها قطعية الدلالة ، وكل ما يناقضها من نظريات لا يؤخذ بها .

4- قلما تخلو سورة من سور القرآن من ذكر آيات السماء ، أو لفتة إلي ظاهرة من ظواهرها ، أو ما يتعلق فيها ، وذكر السماء في أكثر من موضع لدلالة على عظم شأنها ، ورفعة قدرها ، وأن فيها أسراراً عجيبة قد يعجز الخلق عن معرفتها وإدراك كنهها وحقيقتها .

5- إن السماء لها عدة وجوه في القرآن الكريم لذا على قارئ القرآن المتأمل في آيات الـــسماء أن يميز بين السماء بمعناها الحقيقي (السموات السبع ذات البناء المحكم) ، وبين السماء التي بمعنى سقف البيت ، والتي بمعنى الفضاء الخارجي(الفلك)، والتي بمعنى السحب ، والتـــي بمعنى المطر ، والتي بمعنى الجو وما هو خاص بزرقة الطبقات العليا وهوائها ، وهي أول ما يفهــم الناس من لفظ السماء ومن وصفها ، وذلك حتى لا يلتبس عليه الأمر فيما عنــت به الآية.

6- إن السماء ليست زرقاء وإنما هي سوداء حالكة الظلمة ، فما نراه فوقنا كقبة زرقاء إنمـــا هي ظاهرة ضوئية وهمية ترجع إلى قاعدة تبعثر ضوء الشمس حول الأرض فقط ، نتيجة لوجود غلاف جوي لها .

7- إن الشمس والنجوم والكواكب ليست في السماء ، وإنما هي بين السماء والأرض في الفضاء الكوني (الفلك) ، زينت بها السماء، وزينة الشيء ليست جوهره .

8- يستطيع الإنسان أن يصل إلى القمر بواسطة المخترعات الحديثة ، ولكنه لا يستطيع أن ينفذ من أقطار السموات .

9- إن الله ﷻ خلـــق إدراكاً للسماء ، فهي تبكي ، وتتحدث ، وتطيع ، وتقـــدر قيمـــة الأمانـــة فترفض حملها .

10- إن الإسلام له أثر عظيم في علم الفلك حيث نقله من طور الخرافة والتخمـــين ومتابعـــة الأبراج لمعرفة الحظ وعبادة الكواكب، إلى طور الحقيقة وتحرير العقل من الخرافات .

11- وجود إشارات وحقائق علمية في القرآن لا يخرج القرآن الكريم عن هدفه الأساس كونـــه كتاب هداية وإرشاد ، لذا على علماء الفلك والطبيعـــة وأخـــص المحاضـــرين مـــنهم أن يبصروا طلاب العلم بما تم التوصل إليه من حقائق علمية ، وأن يكون تقديمهم لهذا العلم نابعاً من إيمانهم مضيفين إليه الهدايات الإلهية وربطها بوحدانية الخالق، ليكسبوا دروسهم ألواناً إيمانية جذابة للقلب والعقل ، تجمع بين المادة العلمية والحقائق القرآنية ، بدلاً مـــن كونها صفحات وفصول مستوردة من علم الغرب لا تزيد من إيمان مكتشفيها شيئًا .

12- أتت الحقائق العلمية في القرآن إشارات أو رموز ، لم تطرح بشكل تفصيلي ، فالقرآن لم يعرضها بأسلوب مقدمات ونتائج ،لأن الله ﷻ يعلم أن المستقبل سوف يكشف هذه الآيات في ضوء علوم عصرهم ، فكلما تطور العلم كشفوا حقائق علمية جديدة تفسر بها آيات القرآن مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصِّلت:53] .

13- السماء من الآيات التي وعد الخالق – سبحانه- أن يريها لنا في الآفاق ، فالسين في قوله ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ﴾ تفيد الاستقبال والاستمرارية ، والقرآن متجدد في كل عـــصر، وعملية الاكتشاف والتعرف على آيات الله في السماء ورؤيتها، عملية مستمرة متواصـــلة ،لا تتوقف إلى قيام الساعة فلكل عصر مستقبله .

14- إن الآيات القرآنية التي دعت الناس لتدبر قدرة الخالق من خلال قراءة صفحات الكـــون المحيط بنا، هي في حقيقتها دعوة للمسلمين لكي لا يكتفوا بحفظ القرآن دون تـــدبر، بـــل بحفظه وفهم معانيه ، ففهم القرآن أهم من حفظه .

15- إن القرآن الكريم عندما تحدث عن آيات السماء لم يقصد تحقيق نظريات علمية قائمة على التحليل المادي وقابلة للتعديل، إنما يقصد من ذكر آيات السماء إيقاظ العقول ، و هدايتها

ليستنهض بواجبها في كشف الحقائق الكونية لتصل أولاً وأخيرًا إلى معرفة الخالق العظيم .

16- إن السماء مصدر هداية وإرشاد ، ووسيلة من وسائل الدعوة إلي الله ، فهي من أعظم الوسائل المؤثرة على النفوس .

17- الوجود كله ينطق بوحدانية الله ، فما تم التوصل إليه من حقائق علمية ما هو إلا تأكيد على أن خالق الأكوان هو منزل القرآن ، وهذا هو دليل صدق الوحي والنبوة .

18- لم يتوسع أئمة السلف في تفسير القرآن الكريم بذكر الحقائق العلمية التي توصل إليها أهل العلم من الفلك والطبيعة وغيره ، مع أنهم بذلوا أقصى جهدهم في بلوغ الغاية التي مكنتهم من الوصول إليها علومهم ومعارفهم وأحوال مجتمعاتهم ، وخصائص بيئاتهم التي عاشوا فيها ، وهم بهذا الجهد قد أدوا واجبهم في حدود طاقتهم .

19- النظريات العلمية ما هي إلا نظريات قابلة للتعديل وليست مسلماً بها ، بينما القرآن الكريم يتحدث عن الإشارات العلمية كحقائق ثابتة لا تتغير ولا تتبدل فهو الدستور الهادي والجامع لكنوز العلم النافع .

20- إن القرآن عرض آيات السماء للعبرة والعظة ، وإعمال العقل فيها حتى يتوصلوا لمعرفة الخالق العظيم ، وكذلك دفعًا بكل مؤمن أن يتعلم ، وأن يحيط بأسرار هذا الكون العجيب .

21- الإشارات العلمية في القرآن من طب وفلك وغيره تصب في الهدف العام للقرآن وهو هداية البشرية جمعاء .

22- ما تم التوصل إليه من نظريات علمية ما زالت في طور الحدث والتخمين وقابلة للتعديل فأي إنسان لو كتب في موضوع ما ، لقال في غده لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد هذا لكان يستحسن ، ولو ترك بعض هذا لكان أجمل ، وهذا من أعظم العبر ودليل على استيلاء النقص والضعف على البشر ، فالعلم متجدد في كل عصر وحين .

23- حفظت آيات السماء بعناية فائقة وجهود واسعة، وأبحاث مستفيضة على أيدي أساتذة أعلام أفنوا أعمارهم في سبيل الحفاظ على التراث العلمي الجليل ، ومع كل هذه الجهود المبذولة في القديم والحديث فإن القرآن يبقي بحراً زاخراً يحتاج إلى من يغوص في أعماقه ، ليستخرج منه الدرر واللآلئ .

24- لم يكن حفظ وتخليد القرآن الكريم بمجرد بقاء ألفاظه وكلماته مكتوبة في المصاحف ، مقروءة بالألسنة متعبداً بها في المساجد ، إنما الحفظ والخلود بهذه النهضة العلمية التي أثبتت صدق الوحي والنبوة ، التي كانت مثاراً لأكبر حركة فكرية وعلمية عرفتها البشرية .

25- مهما قرأنا وكتبنا عن إعجاز القرآن ، فسوف يظل في النفس إحساس ينطـق بـسر لـم تكشف عنه كل هذه القراءات والكتابات ، وإن السر في إعجاز القرآن يكمن في عجزنـا أن ندرك ذلك الإعجاز، الذي تحدى الله به الإنس والجن على أن يأتوا بما فيه من بلاغة وحسن بيان.

ثانياً :التوصيات :

1- توصي الباحثة طلبة العلم الشرعي بالخوض في غمار القرآن ، وتفسيره تفسيراً علمياً يواكـب مستجدات العصر.

2- كما أوصيهم بالاعتكاف على خدمة كتاب الله ، وتسخير جُل طاقاتهم في فهم معانيـه ، وبيـان أسراره ، واستخراج أحكامه ، فعلم القرآن من أشرف وأعظم العلوم ، ومن أجل النعم وأبقاهـا ذكراً ، وأرفعها منارة ، وأنفعها ثماراً، وأرقاها تكريماً ، وأعمها فائدة ، وأزكاها مائدة .

3- أوصي قسم التفسير بكلية أصول الدين بتدريس مساق تفسير الآيـات الكونيـة وبيـان وجـه الإعجاز فيها ، كونها دليل على صدق الوحي والنبوة .

4- أوصي كلية أصول الدين بإنشاء موقع الكتروني للحقائق العلمية يكون منبراً تنشر فيه الدراسات والمجلات والأبحاث العلمية التي بحثت في هذا المجال، و عقد العديد من المـؤتمرات وورش العمل لمناقشة موضوع الإعجاز والحقائق العلمية ، ومواكبة المستجدات التي تم التوصل إليها .

5- أوصي بإنشاء مكتبة متخصصة في الإعجاز بجميع أنواعه ، لتكون مرجعاً للباحثين من داخل الجامعة وخارجها ، فلا بد من بذل مزيداً من الجهود لخدمة القرآن ، لذلك أقترح تصنيف آيات القرآن حسب التخصصات العلمية التي تناولتها ، ومحاولة عمل موسوعة علمية لكل تخصص ، وصولاً إلى ذلك الهدف السامي من إنشاء مكتبة علمية تحتوي على ما توصل العلم الحديث إليه، ومحاولة تدريس هذه الكتب في الكليات كل حسب تخصصه ، ليتمتع الطالب بحصيلة وحصانة علمية تجعله فخوراً بهذا الدين العظيم .

6- أوصي وزارة الأوقاف والشئون الدينية بعقد العديد من الدورات في الإعجاز ، وتطوير الـدعاة من الناحية العلمية وتزويدهم بما تم التوصل إليه من حقائق علمية ، ليساعد ذلك على إيجاد جيل قادر على فهم الدعوة بأسلوب جديد مواكب للعصر مدعم بالأدلة والبراهين الثابتة .

7- أوصي دولة رئيس الوزراء بتوفير المساعدة الكاملة واحتضان الباحثين والعلماء على اختلاف تخصصاتهم للحد من هجرة العقول العاملة خاصة في المجال الفلكي ، وذلك لما لاحظنـاه فـي الآونة الأخيرة من عمل الكثير من علمائنا المتميزين في مؤسسات ووكالات أجنبية مثل وكالـة ناسا الفضائية وغيرها من المؤسسات ، وذلك لعدم احتضانهم وتوفير الإمكانيات المناسبة لهم .

8- أوصي بعقد العديد من المسابقات للأبحاث العلمية التي تهتم بالإعجاز لتشجيع الباحثين، على أن يصاحب تكريمهم حملة إعلامية لتشجيع الطلبة على سبر أغوار البحث العلمي .

9- أوصي بالتأمل في الكون عامة ، والسماء خاصة التي تجذب كل صاحب حس مرهف أن يقف أمامها دارساً ومتأملاً عظمة العناية الربانية ، حينها لا يسع المتأمل فيها إلا أن يقول أشهد أن لا اله إلا الله ، لما يدرك من توافق بين آيات الله في كونه مع آيات الله في كتابه .

ختاماً : هذا ما يجيش في ذاتي أفضته من فؤادي إلى قلمي ، ليرشح على الأسطر مداداً يفوح به شذا الرجاء والتوسل للحق سبحانه، أن يكسو بحثي هذا ثوب القبول وأن ينفع به العاكفين على دراسة هذا العلم الجليل ، وأن يضعه في كفه الميزان فهذا جهد المُقِل ، قصدته ليغفر الله لي ، ويعفو عن الزلات ، فأسأله سبحانه أن يعينني على العمل بما علمت ، وأن يوفقني إلى الفوز بخدمة كتابه ، فعزائي في ذلك صدق التوجه .

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحثة

أمل الكحلوت

الفهـــارس

وتشتمل على الفهارس التالية :

أولاً : فهرس الآيات القرآنية .

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية .

ثالثاً : فهرس الأعلام المغمورين .

رابعاً : فهرس الأماكن والبلدان .

خامساً : فهرس المصادر والمراجع .

سادساً : فهرس الموضوعات .

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

.115	﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ... ﴾	17	147
.116	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ... ﴾	27	320
.117	﴿ وَإِذْ قَالُوا اللهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	32	26، 233

سورة التوبة

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.118	﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ... ﴾	26	146، 154
.119	﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ... ﴾	36	27
.120	﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ... فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ ... ﴾	40	154
.121	﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ ... وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾	42	271
.122	﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ... ﴾	109	316
.123	﴿ إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾	116	27

سورة يونس

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.124	﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ... ﴾	3	11
.125	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُورًا ... مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالحَقِّ ... ﴾	5	179، 262، 295
.126	﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾	6	11
.127	﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ... قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ ... ﴾	18	11

128.	﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ ... قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾	21	247
129.	﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ... وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ...﴾	22	242، 243، 247
130.	﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ...﴾	24	11
131.	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ... وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	31	12، 271
132.	﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ...﴾	55	12
133.	﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ... وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ...﴾	61	12، 108، 109، 275
134.	﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾	62-63	242
135.	﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ...﴾	68	12
136.	﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾	101	و، 58، 287، 288

سورة هود

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
137.	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ...﴾	6	79، 273
138.	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ...﴾	7	12، 40، 208
139.	﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ...﴾	44	12، 108، 317
140.	﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ ...﴾	52	62، 298
141.	﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾	67	235
142.	﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ...﴾	94	236
143.	﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى ...إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾	102- 103	301

.144	﴿ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ....﴾	107	13
.145	﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾	108	13
.146	﴿ وَللهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	123	13، 274

سورة يوسف

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.147	﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ ...﴾	101	13، 107
.148	﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا ...﴾	105	13، 287

سورة الرعد

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.149	﴿ اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ...﴾	2	27، 61، 179
.150	﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾	12	198، 205
.151	﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ ...﴾	13	171، 238،239، 307
.152	﴿ وَللهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾	15	27، 310
.153	﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ ...﴾	16	27، 260
.154	﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ...﴾	17	27، 35، 211

سورة إبراهيم

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.155	﴿ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾	2	13
.156	﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ...﴾	7	298
.157	﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	10	13
.158	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ ...﴾	19	13
.159	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ...﴾	24	4، 13
.160	﴿ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ...﴾	32	13، 142

161.	﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا ...﴾	34	
162.	﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ ...﴾	38	13، 108، 275
163.	﴿الحَمْدُ للهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾	39	299
164.	﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ ...﴾	48	14، 95، 108

سورة الحجر

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
165.	﴿مَا نُنَزِّلُ المَلَائِكَةَ إِلَّا بِالحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ﴾	8	147، 164
166.	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	9	160
167.	﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾	14–15	14، 63، 66، 117
168.	﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾	16	14، 69، 252
169.	﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾	17	83، 280
170.	﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾	18	252
171.	﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ...﴾	22	14، 195، 210
172.	﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	49	305
173.	﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ﴾	50	305
174.	﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾	74	231
175.	﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الحِجْرِ المُرْسَلِينَ*وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ* فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾	80، 83	235
176.	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ ...﴾	85	14، 261

سورة النحل

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
177.	﴿يُنَزِّلُ المَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾	2	165

178.	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	3	14
179.	﴿وَالخَيْلَ وَالبِغَالَ وَالحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	8	74
180.	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ ...﴾	10	14، 142، 210
181.	﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	12	184
182.	﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾	16	184، 189
183.	﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	18	139، 295
184.	﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	40	316
185.	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ...﴾	48	310
186.	﴿وَلِلهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالمَلَائِكَةُ ...﴾	49	14، 74، 75، 310
187.	﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللهِ تَتَّقُونَ﴾	52	14
188.	﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾	53	297
189.	﴿وَاللهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ...﴾	65	14، 286
190.	﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا...﴾	73	14
191.	﴿وَلِلهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا ...﴾	77	14
192.	﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ...﴾	79	14، 36، 286
193.	﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالحَقِّ لِيُثَبِّتَ ...﴾	102	165
194.	﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ ...﴾	114	298

سورة الإسراء

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
195.	﴿إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ ...﴾	9	162
196.	﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ...﴾	44	14، 306
197.	﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ...﴾	54	278، 280
198.	﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾	55	14، 157
199.	﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ البَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ...﴾	68	227، 244

200.	﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ ...﴾	69	243، 248
201.	﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الفَجْرِ ...﴾	78	166
202.	﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾	79	308
203.	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ...﴾	85	115
204.	﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِالله ...﴾	92	15، 227
205.	﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ...﴾	93	15، 117
206.	﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾	95	15، 75، 108
207.	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ...﴾	99	15، 259
208.	﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	102	15
209.	﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾	106	159
210.	﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾	107	312

سورة الكهف

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
211.	﴿الحَمْدُ لله الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾	1	162
212.	﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	14	15
213.	﴿قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	26	15
214.	﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾	40	15، 223، 225
215.	﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾	41	223، 225
216.	﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ ...﴾	45	15
217.	﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	51	15، 40، 47

سورة مريم

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.218	﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا ـَ ـْ قِيًّا﴾	16	169
.219	﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾	20	169
.220	﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا ...﴾	64	165
.221	﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ ...﴾	65	15
.222	﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا﴾	90	16
.223	﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾	93	16

سورة طه

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.224	﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ العُلَا﴾	4	16، 63، 108
.225	﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾	6	16
.226	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا ... وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ...﴾	53	16، 108

سورة الأنبياء

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.227	﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ العُلَا﴾	4	16، 275
.228	﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾	16	16، 262
.229	﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ...﴾	19	16
.230	﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْ ِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	22	259
.231	﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾	26–27	171
.232	﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ...﴾	30	16، 40، 43، 49، 207، 209
.233	﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾	32	16، 83، 84، 288
.234	﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ...﴾	33	176

235.	﴿قَالَ بَل رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ...﴾	56	16، 107، 260
236.	﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ...﴾	104	16

سورة الحج

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
237.	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ ... فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ...﴾	5	210
238.	﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ ... فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ ...﴾	15	27، 35
239.	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ ...﴾	18	27، 76، 310، 314
240.	﴿حُنَفَاءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ...﴾	31	27، 124
241.	﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ...﴾	45	300
242.	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ...﴾	46	300
243.	﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذَابِ ... وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾	47	56
244.	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ...﴾	63	27
245.	﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾	64	27
246.	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا ... وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ ...﴾	65	27، 59، 63، 108
247.	﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ...﴾	70	27

سورة المؤمنون

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
248.	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾	8	319
249.	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الخَلْقِ غَافِلِينَ﴾	17	65
250.	﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ ...﴾	18	16، 35، 71
251.	﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الفُلْكِ فَقُلِ الحَمْدُ للهِ ...﴾	28	298

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

	غَيْرُ اللهِ ...﴾		

سورة العنكبوت

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
285.	﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ ...﴾	22	18، 108، 278، 301
286.	﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ القَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾	34	18، 222
287.	﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ...﴾	40	234
288.	﴿خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	44	18
289.	﴿قُلْ كَفَى بِاللهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	52	18
290.	﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ... لَيَقُولُنَّ اللهُ ...﴾	61	18، 176
291.	﴿اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ...﴾	62	
292.	﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ ... قُلِ الحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	63	18، 260، 272

سورة الروم

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
293.	﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ ...﴾	8	18، 285
294.	﴿وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾	18	18، 297
295.	﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	22	18
296.	﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ...﴾	23	182
297.	﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ...﴾	24	19، 279، 286، 301
298.	﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ...﴾	25	19، 89

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سورة فاطر

	وَالعَمَلُ الصَّالِحُ ...﴾		
333.	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا ...﴾	27	20
334.	﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾	28	260، 271، 302
335.	﴿إِنَّ اللهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	38	20، 268
336.	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ ُ َ كَاءَكُمُ ... أَمْ لَهُمْ ِ ْ كٌ فِي السَّمَاوَاتِ ...﴾	40	21، 109
337.	﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ...﴾	41	21، 59، 102
338.	﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ... وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾	44	21،279، 300

سورة يس

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
339.	﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾	8	178
340.	﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾	28	21
341.	﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾	36	105
342.	﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ...﴾	81	21، 263، 266

سورة الصافات

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
343.	﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ المَشَارِقِ﴾	5	21،
344.	﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ﴾	6	21، 68، 69،251
345.	﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى المَلَإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾	8	164، 281
346.	﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾	10	251
347.	﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ المُسَبِّحُونَ﴾	164-166	164

سورة ص

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
21، 63، 117	10	﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ﴾	348.
21، 262	27	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ...﴾	349.
21	66	﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا العَزِيزُ الغَفَّارُ﴾	350.

سورة الزمر

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
21	5	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ ...﴾	351.
143	6	﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ ...﴾	352.
21، 286، 211	21	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ ...﴾	353.
21	38	﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ...﴾	354.
21	44	﴿قُلْ للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	355.
21	46	﴿قُلِ اللهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ...﴾	356.
304	53	﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا...﴾	357.
21، 78	63	﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ ...﴾	358.
21، 101، 109	67	﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ...﴾	359.
21، 110، 239	68	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ...﴾	360.
170	75	﴿وَتَرَى المَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَقِيلَ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾	361.

سورة غافر

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية	م
268	3	﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ...﴾	362.

363.	﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْ ـ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ...﴾	7	167
364.	﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ ...﴾	8	167
365.	﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ...﴾	9	167
366.	﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ...﴾	13	21، 136
367.	﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو العَرْ ـ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ...﴾	15	268
368.	﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ المُلْكُ ...﴾	16	94
369.	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَـ أَبْلُـ الأَسْبَابَ﴾	36	64
370.	﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ...﴾	37	21، 64
371.	﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ...﴾	57	21، 404، 263
372.	﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ...﴾	64	21، 58، 109، 139

سورة فصلت

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
373.	﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ... * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَا ـ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ... * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ...﴾	9–11	21، 47، 50 ، 53، 87، 89، 316، 318
374.	﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ...﴾	12	21،50–53، 65، 68
375.	﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾	13	236، 239، 241
376.	﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ ...﴾	16	246
377.	﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ العَذَابِ ...﴾	17	240
378.	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ...﴾	37	175، 176، 178
379.	﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَلَمْ	53	324

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾		

سورة الفتح

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
413.	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	4	27، 153
414.	﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾	7	27
415.	﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ...﴾	14	27
416.	﴿لَقَدْ رَ ِ َ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾	18	154

سورة الحجرات

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
417.	﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾	16	27
418.	﴿إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	18	27

سورة ق

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
419.	﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾	4	79
420.	﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾	6	23، 58، 62، 70، 288
421.	﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الحَصِيدِ﴾	9	23، 86، 87، 211
422.	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾	38	23، 49، 262

سورة الذاريات

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
423.	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾	7	23، 64،

			85، 269
424.	﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ...﴾	22-23	23، 138، 269
425.	﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾	24	169
426.	﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾	28	169
427.	﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾	32	231
428.	﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾	33	231
429.	﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾	34	231
430.	﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾	41-42	192، 244، 245
431.	﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ * فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾	43-44	240
432.	﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾	47	23، 37، 70
433.	﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	49	105
434.	﴿إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾	58	138

سورة الطور

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
435.	﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾	2-3	79
436.	﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾	4	78، 269
437.	﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾	5	62، 84، 269
438.	﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾	9	23، 96
439.	﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ﴾	36	23
440.	﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾	44	23، 228

سورة الواقعة

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
441.	﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ ...﴾	68-69	204

442.	﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ * فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾	74–76	187، 188

سورة الحديد

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
443.	﴿سَبَّحَ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	1	28، 76، 309
444.	﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ ...﴾	2	28
445.	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ ...﴾	4	28، 74، 112، 274
446.	﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى الله تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾	5	28
447.	﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ الله وَلله مِيرَاثُ...﴾	10	28، 94
448.	﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ...﴾	21	28، 60
449.	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ وَالمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ...﴾	25	142

سورة المجادلة

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
450.	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾	7	28

سورة الحشر

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
451.	﴿سَبَّحَ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾	1	28، 76، 309
452.	﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ...﴾	7	160
453.	﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا...﴾	21	322
454.	﴿هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى...﴾	24	28، 76

سورة الصف

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
455.	﴿سَبَّحَ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾	1	28، 34، 76، 308، 309

سورة الجمعة

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
456.	﴿ يُسَبِّحُ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ المَلِكِ ...﴾	1	28، 76، 308

سورة النجم

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
457.	﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾	1	186
458.	﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ المَأْوَى﴾	13–15	80
459.	﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا ...﴾	26	23، 163
460.	﴿ وَلله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا ...﴾	31	23
461.	﴿ فَاسْجُدُوا لله وَاعْبُدُوا﴾	62	310

سورة القمر

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
462.	﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾	11	23
463.	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾	19	246
464.	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ﴾	31	236
465.	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾	34	244، 247

سورة الرحمن

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
466.	﴿ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾	5	178
467.	﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾	6	311
468.	﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ﴾	7	28، 62، 269
469.	﴿ رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ﴾	17	181
470.	﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ﴾	22	74
471.	﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾	29	28، 75
472.	﴿ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	33	125، 250، 253

473.	﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾	35	127، 250
474.	﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾	37	99
475.	﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾	46	303

سورة المنافقون

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
476.	﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ...﴾	7	28، 77

سورة التغابن

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
477.	﴿يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ...﴾	1	28، 76
478.	﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ ...﴾	3	275
479.	﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	4	275

سورة الطلاق

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
480.	﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ للهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ...﴾	2-3	139، 322
481.	﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ...﴾	12	3، 28، 43، 114، 260، 275

سورة التحريم

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ...﴾	6	170

سورة الملك

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
482.	﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	1	266

سورة القلم

سورة الحاقة

سورة المعارج

سورة نوح

498.	﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾	11	23، 212
499.	﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾	15	23، 65
500.	﴿وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾	16	23، 65، 176

سورة الجن

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
501.	﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآَمَنَّا بِهِ ...﴾	1–2	254
502.	﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ...﴾	8–9	24، 163، 253، 281
503.	﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ ...﴾	17	125
504.	﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى...﴾	26–27	276

سورة المزمل

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
505.	﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾	18	3، 24

سورة المدثر

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
506.	﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾	17	125
507.	﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ * ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾	27–30	146، 162، 170

سورة القيامة

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
508.	﴿فَإِذَا بَرِقَ البَصَرُ * وَخَسَفَ القَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ﴾	7–9	179

سورة الإنسان

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
509.	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾	23	159

سورة المرسلات

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
510.	﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾	1–2	243، 248
511.	﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾	9	24، 99

سورة النبأ

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
512.	﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾	9–10	182
513.	﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾	11	182
514.	﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾	12	60، 82، 321
515.	﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾	19	24، 63، 99
516.	﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾	37	24

سورة النازعات

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
517.	﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا* وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾	1–2	166
518.	﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا *وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾	27–30	5,24، 53، 54، 55، 60، 63، 65
519.	﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى *وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى* فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى﴾	37–41	301

سورة عبس

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
520.	﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا*وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾	27–31	272

سورة التكوير

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
521.	﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾	1	103، 179

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.522	﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾	11	24، 100، 269
.523	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾	16-15	185

سورة الانفطار

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.524	﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾	1	24، 98، 102، 103، 269
.525	﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾	12-9	168

سورة المطففين

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.526	﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾	9-7	230

سورة الانشقاق

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.527	﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾	2-1	24، 97، 103، 318، 269

سورة البروج

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.528	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾	1	24، 189، 269
.529	﴿إِنَّ بَطْ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾	12	301

سورة الطارق

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.530	﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾	2-1	24، 269
.531	﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾	3	186
.532	﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾	11	24، 269، 208

سورة الأعلى

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.533	﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾	1	308
.534	﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾	19-18	156

سورة الغاشية

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.535	﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴾	17–18	و

سورة الشمس

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.536	﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا*وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا... ﴾	1–4	177، 182
.537	﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴾	5	24، 58، 269
.538	﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾	8	59

سورة القدر

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.539	﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾	4	114

سورة الفيل

م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
.540	﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾	4–5	230

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً : فهرس الأعلام المغمورين

رابعاً : فهرس الأماكن والبلدان

خامساً : فهرس المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : كتب التفسير.

1- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،(تفسير أبي السعود) : محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي ، ضبط وتخريج ، محمد صبحي حسن حلاق ، دار الفكر، بيروت، ط1 ،1421هـ - 2001م .

2- الأساس في التفسير : سعيد حوي ، دار السلام ، القاهرة ، ط1 ، 1405هـ- 1985م .

3- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 1403هـ - 1983م .

4- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) : ناصر الدين أبي سعيد عبد الله أبي عمر محمد الشيرازي البيضاوي ، تحقيق :عبد القادر عرفات العش حسونة ، دار الفكر/ بيروت، 1416هـ - 1996م .

5- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبو بكر الجزائري ، دار الفكر ، بيروت ، 1416هـ- 1996م .

6- البحر المحيط : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي ،الطبع زهير جعيد، دار الفكر، بيروت ، ط1، 1421هـ- 2001م .

7- التحرير والتنوير : محمد الطاهر ابن عاشور ، دار سحنون ، تونس .

8- التسهيل لعلوم التنزيل : لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ، ضبط وتصحيح : محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ،1415هـ-1995.

9- تفسير الجلالين : جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط1 ، 1422هـ - 2002م .

10- تفسير الشعراوي : محمد متولي الشعراوي ، دار النشر أخبار اليوم ، قطاع الثقافة (المكتبة الشاملة).

11- تفسير القرآن العظيم : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، تقديم : عبد القادر الأرنؤوط ، دار الفيحاء ، مكتبة دار السلام ، ط1 ،1413هـ -1992م.

12- تفسير القرآن الكريم : عبد الله شحاتة ، دار غريب ، القاهرة .

13- تفسير المنار، (تفسير القرآن الحكيم): محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ،1993هـ -1973م .

14- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : الأستاذ وهبة الزحيلي ، دار الفكر، دمشق، سوريا ، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان ، ط1،1991، إعادة 1418هـ- 1998م.
15- التفسير الميسر: جماعة من علماء التفاسير ،(المكتبة الشاملة) .
16- التفسير الوسيط : وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر، بيروت ، لبنان ، ط1، 1422هـ- 2001م .
17- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تقديم: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل ، محمد الصالح العثيمين ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، دار المنار ، القاهرة ، ط1، 1416هـ .
18- جامع البيان في تأويل آي القرآن : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تقديم: خليل الميس ، ضبط وتخريج وتوثيق ، صدقي جميل العطار ، دار الفكر، بيروت ، ط1،1421هـ- 2001م .
19- الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي ، تقديم: خليل محيي الدين الميس ، ضبط ومراجعة : صدقي جميل العطار ، تخريج : عرفات العشّا دار الفكر، بيروت ، ط1، 1424هـ - 2003م .
20- الجواهر الحسان في تفسير القرآن : عبد الرحمن الثعالبي ، تحقيق ، أبو محمد الغماري الأورسي الحسني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1416/1 - 1996م .
21- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ، دار الفكر ، بيروت ،1414هـ- 1993 م .
22- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ، قراءة وتصحيح محمد حسين العرب ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
23- زاد المسير في علم التفسير : لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1422هـ - 2001 م.
24- غرائب القرآن و رغائب الفرقان على مصحف التهجد ، نظام الدين الحسين بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري ، دار الصفوة ، القاهرة ، مصر ، ط1، 1416هـ - 1995 م.
25- صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني ، دار الصابوني ، القاهرة ،ط1 ، 1416هـ - 1996م .
26- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير : لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، تحقيق وتخريج : سيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ،ط1 ، 1427هـ - 2007م .

27- في ظلال القرآن : سيد قطب، دار الشروق ، الطبعة الشرعية الأولى ، ط35 ، 1425هـ - 2005م .
28- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل: لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، شرح وضبط : يوسف الحماوي، مكتبة مصر.
29- لباب التأويل في معاني التنزيل : علاء الدين علي بن محمد إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، ط1، 1415هـ - 1995م .
30- اللباب في علوم الكتاب : لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1419-1998(المكتبة الشاملة) .
31- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : لأبي محمد عبد الحسن بن غالب بن الأندلسي تحقيق : المجلس العلمي بفاس ، 1400هـ - 1980م .
32- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) : لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، تحقيق: سيد زكريا ، مكتبة نزار الباز ، المملكة العربية السعودية ، ط1، 1421هـ - 2000م .
33- معالم التنزيل في التفسير والتأويل : لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي ، ضبط وتصحيح : عبد السلام محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1415هـ - 1995م .
34- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) : الفخر الرازي ، دار الكتب العلمية ، طهران ، ط2
35- المقتطف من عيون التفاسير : مصطفى الحصن المنصوري ، تحقيق وتخريج : محمد علي الصابوني ، دار السلام ، القاهرة ، ط1 ، 1417هـ - 1996م .
36- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط 1، 1415هـ - 1995م .
37- النكت والعيون (تفسير الماوردي) : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، مراجعة : عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 1412هـ - 1992م .

ثالثاً : كتب الحديث .

1- الإحسان في تقريب ابن حبان : الإمام أبي حاتم محمد بن حبان الخراساني ، ترتيب : علاء الدين علي بن بلبان الفاسي ، تخريج : خليل بن مأمون شيخا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1425هـ - 2004م .
2- التلخيص :لابن الجوزي ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الرياض السعودية ، ط1، 1998 م.
3- رياض الصالحين من كلام خير المرسلين : يحيي بن شرف النووي، حققه وعلق عليه : محمود جميل ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط2 ، 1425ه - 2004م .
4- سلسلة الأحاديث الصحيحة : محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف الرياض، ط4، 1408هـ - 1988 م .
5- سنن ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد القرويني الشهير بابن ماجة ، حكم على أحاديثه : محمد ناصر الألباني ، اعتنى به ، أبو عبيدة مشهور بن حسن أل سلمان ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط1 .
6- سنن أبي داوود : لأبي داوود سليمان بن الأشعت السجستاني ، حكم على الأحاديث : محمد ناصر الألباني ، اعتنى به : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض، ط1 .
7- سنن البيهقي الكبرى : لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط3، 1424هـ - 2003م .
8- سنن الترمذي : للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، حكم على أحاديثه : محمد ناصر الدين الألباني ، اعتنى به : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة المعارف، الرياض ط1 .
9- سنن النسائي الكبرى : لأحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق : عبد الغفار البغدادي وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
10- السيرة النبوية : أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري ، تحقيق : محمد بيومي ، دار إحياء التراث العربي، ط2 ،1451هـ - 2000م .
11- شعب الإيمان : لأبي بكر احمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : أبي هاجر محمد السعيد بن البسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط1، 1410هـ - 1990م.
12- صحيح ابن حبان : لابن حبان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط2 ،1414هـ- 1993م.
13- صحيح البخاري : للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، اعتنى به : أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية ، ط1، 1419هـ - 1998م .

14- صحيح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فـؤاد عبد الباقي ، تخريج وترتيب : صدقي جميل العطار ، دار الفكر ، ط1، 1423 هـ - 2003م ، و دار إحياء التراث ، بيروت ، مكتبة الإيمان، المنصورة .
15- المستدرك على الصحيحين : أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق ، مصطفى عبد القادر عطا ، ، مكتبة نـزار مـصطفى البـاز ،مكـة المكرمـة ، ط1 ، 1420هـ-2000م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط2، 1422هـ - 2002م.
16- مسند أبي يعلى الموصلي : أحمد بن أحمد بن علي المثنى التميمي ، تحقيـق وتخـريج أحاديث : حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، لبنـان، بيـروت ،ط1405،1هـــ - 1985م.
17- مسند أحمد بن حنبل : أبو عبد الله احمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريـس الهـذلي الشيباني ، حكم على أحاديثه بالصحة أو الضعف منقولًا بعض ذلك من الـشيخ الألبـاني والشيخ شعيب الأرنؤوط ، بيت الأفكار الدولية .
18- مشكاة المصابيح : محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد ناصر الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1405هـ - 1985م .
19- المعجم الأوسط : أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تحقيق : محمد حـسن محمد حسن إسماعيل الشافعي ، ط1، 1420هـ - 1999م.
20- المعجم الكبير : لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيـق و تخـريج أحاديـث ، حمدي عبد المجيد السلفي ، دار إحياء التراث العربي، ط2 ،1405هـ - 1985م .
الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل النيسابوري

رابعاً : علوم القرآن .

1- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دار الحـديث ، القـاهرة، 1425هـ- 2004 م .
2- أسباب النزول : أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ، تحقيق : أيمن صالح شـعبان ، دار الحديث ، القاهرة ، 1424هـ-2003م .
3- أسباب النزول : للإمام السيوطي ، دراسة وتحقيق : حامد أحمد ماهر ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، ط1 ، 1423هـ-2002م .
4- أساس البلاغة : جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار صادر ، بيروت ، ط1399/1هـ - 1979م .

5- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : مجد الدين محمد بن يعقــوب الفيــروز آبادي ، تحقيق ، محمد علي النجار ، لجنة إحيــاء التــراث الإســلامي ،القــاهرة، ط1 ،1387هـ .
6- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركــشي ، تحقيــق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشــركائه ، ط1 ، 1376هـ- 1957م .
7- المفردات في غريب ألفاظ القرآن : أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعــروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، ط3 ، 1423هـ-2002م .
8- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز: أبي عبد الله الحسين بن محمد الدمغاني ، تقديم وتحقيق : عربي علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت_ لبنان .

خامسًا : كتب المعاجم .

1- تهذيب اللغة : لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق، أحمد عبد العليم البيروني، الدار المصرية ، القاهرة ، مصر ، ط1 ،1964 م .
2- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري ، دار العلم للملايــين ،بيروت ، ط2، 1979م .
3- العين: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي ، مؤسسة الأعلى ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،1988م .
4- القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق : مكتبــة تحقيــق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، مؤســسة الرســالة ، ط6 1419هـ - 1998م .
5- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) : لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسين الكفوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2، 1993م .
6- لسان العرب : جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الإفريقــي المصري ، حققه وعلق عليه ووضع حواشيه، عامر احمد حيدر ، راجعه : عبد المــنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003م .
7- مجمل اللغة : لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي ، دراسة وتحقيق ، زهيــر عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، 1986م.

8- المحيط في اللغة : إسماعيل بن عباد ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، عالم الكتب بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1994 م .
9- مختار الصحاح : الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القـادر الـرازي ، ترتيـب : محمود خاطر ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1994 م .
10- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، المكتبة الإسلامية ، الإدارة العامـة للمعجمـان وإحياء التراث ، إخراج : إبراهيم مصطفى ، محمد علي النجار ، ط3 .
11- معجم مفردات الإبدال والإعلال في القرآن الكريم: أحمد محمـد الخـراط ، دار القلـم ، دمشق، ط1، 1989م.
12- معجم مقاييس اللغة : أبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا ، دار الفكـر ، بيـروت ، لبنان، ط1 /1415هـ- 1994م .

سادساً : كتب التراجم .

1- اجتهادات في التفسير العلمي للقرآن الكريم : محمد عادل أبو الخير ، الكتاب الرابع "الرسالة" ط1 .
2- إحياء علوم الدين : أبو حامد الغزالي ، تحقيق : سيد بن ابراهيم بن صادق بن عمران ، دار الحديث ، القاهرة ، 1419هـ-1998م .
3- أركان الإيمان بين العقل و العلم ، محمد قطب.
4- الأسرار العلمية بآيات القرآن الكريم والحديث النبوي : علي السكري ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ،ط1 ، 2007م .
5- أسس المنهج القرآني في بحث العلوم الطبيعية : منتصر محمود مجاهد ، المعهد العالي للفكر الإسلامي ، القاهرة ،ط1 ، 1417هـ-1996م .
6- الإسلام وحقائق العلم : محمد قاسم ، دار البشير ، عمان ، الأردن ، ط4 ، 1429هـ- 2003
7- الإسلام يتحدى : وحيد الدين خان ، مترجم ظفر الدين خان ، مقدم عبد المنصور شاهين ، ط1 ، 1991 م .
8- الإشارات العلمية في القرآن الكريم : مدحت حافظ إبراهيم ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ط1، 1993م .
9- أضواء على إعجاز القرآن الكريم : عكرمة صبري ، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ، مصر ، ط1 ،1996 م .

10- الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ "دراسة تحليلية للإفراد والجمع في الألفاظ" : محمد الأمين الخضري ، مطبعة الحسن الإسلامية ، القاهرة ، ط1، 1993م .
11- الإعجاز الطبي في القرآن: السيد الجميلي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ط3، 1986م.
12- الإعجاز العلمي في الإسلام : محمد كامل عبد الصمد .
13- الإعجاز العلمي في القرآن "تأصيل فكري وتاريخ ومنهج" : سامي احمد الموصلي، دار النفائس .
14- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم (الكون والماء) : سليمان الطراونة ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان ،الأردن ، ط1 ، 1421هـ–2000م .
15- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، عبد السلام اللوح ، ط2 ، 1423ه–2002م ، مكتبة آفاق ، غزة –فلسطين .
16- الإعجاز القرآني : محمد عادل القلقيلي ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1997 م .
17- الإعجاز القرآني والتقدم العلمي : محمد عللوه ، دار الإشراق للنشر والطباعة ، دمشق ، ط1/ 1997م .
18- إعجاز الكلمة في القرآن الكريم : حسام البيطار، عمان ، الأردن ، ط1، 1426هـ – 2005 م .
19- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء بين العرب والمستعمرين المستشرقين): خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ط5، مايو 1980م .
20- أفلا تتفكرون : عبد العزيز بن ناصر الجليل ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط1 ، 1426هـ–2005م .
21- الإنسان والكون : الدكتور مرتضى أبو سمرة ، مطبعة رفيدي ، عمان ، الأردن ، ط1، مايو– 1989م .
22- أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم : عبد الله محمود شحاتة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1981م .
23- آيات قرآنية من قصص الأنبياء : محمد سامي منير ، دار غريب ، القاهرة .
24- آيات من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : جمال الدين حسين مهران ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1992 .
25- بدائع الفوائد: أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشتهر بابن قيم الجوزية ، راجعه وحققه : أحمد محمود خطاب ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، دار الفكر ، ط1 ، 1419هـ– 1999م .

26- البداية والنهاية : أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشـــي ، دار أبـــي حيان ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1996 م .
27- بستان الواعظين ورياض السامعين : للإمام ابن الجوزي ، تحقيق : حامد احمد الطاهر، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، ط1،1425هـ- 2004م .
28- تاريخ بغداد أو" مدينة السلام ": أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغـدادي ، تحقيــق : مــصطفى عبــد القــادر عطــا ، دار الكتــب العلميــة بيــروت، لبنــان ط2،1425هـ- 2004م .
29- تأملات في القرآن الكريم : أبو الحسن الندوي ، دار القلم ، دار الشامية ، ط2 ، 1999 م.
30- تأملات في آيات من القرآن الكريم : ياسين رشدي ، نهضة مصر ، القاهرة ، يونيه 1996م .
31- التبصرة : أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت،2004م .
32- تربية علماء الطبيعيات والكونيات المسلمين في القرون الخمسة الأولى : جمال محمد الهنيدي ، دار الوفاء ، المنصورة، ط1،1421هـ- 2000م .
33- تساؤلات كونية على دروب البحث العلمي : يمنى زهار ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ط1، 1402هـ- 1983م .
34- تعريف عام بدين الإسلام : تأليف : علي الطنطاوي
35- تفسير الآيات الكونية : عبد الله شحاتة ، دار الاعتصام ، القاهرة ، 1400هـ-1980م
36- التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن :حنفي احمد ، دار المعارف ، مصر .
37- تفسير سورة النور : هيفاء منصور ، عمان ، ط1، 1428هـ- 2007م .
38- التفسير والمفسرون : محمد الذهبي ، مكتبة وهبة ط7 ،1421هـ- 2000م .
39- التقابل والتماثل في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية): فايز عارف القرعان ، جدار للكتاب العالمي ،عمان ، الأردن، عالم الكتب الحديثة ، أربد، الأردن، ط 1، 2006م.
40- تقريب التهذيب : شهاب الدين احمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ، تقديم ومقابلة : محمد عوامة ، دار القلم ، سوريا ، حلب ، دار السلام ، القاهرة ، ط4، 1412هـ- 1992م.
41- تنبيه الغافلين : لأبي الليث نصر بن محمد بن احمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي، تحقيق : السيد العربي، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، ط1 ،1415هـ 1994م .

42- توحيد الخالق : عبد المجيد الزنداني ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، دار المجتمع للطباعة والنشر والتوزيع ، جدة ، ط1 ، 1405هـ-1985م .
43- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم : موريس بوكاى ، ترجمة : حسن خالد ، المكتب الإسلامي ، ط3 ، 1411هـ- 1990م .
44- حصاد المحابر في خطب المنابر: سعد بن سعيد بن عبد الله الحجري ، مؤسسة الريان، بيروت، ط1 ، 1426هـ- 2005م .
45- حضارات ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية : عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ط1 ، 1996م .
46- خطب مختارة : وزارة الأوقاف
47- دراسات قرآنية : سيد قطب ، دار الشروق .
48- دلائل التوحيد انطلاقًا من القرآن الكريم والكون : عبد الله عبد القادر التليدي ، دار ابن حزم ، لبنان ، بيروت ، ط1 ، 1420هـ- 1999م .
49- الرزق الحلال و حقيقة التوكل على الله: الحارث أسد المحاسبي ، دراسة و تحقيق: محمد عثمان الخشت ، مكتبة القرآن ، القاهرة .
50- زاد الدعاة : عبد المنعم المغازي ، مكتبة الإيمان ، المنصورة .
51- زاد المعاد في هدي خير العباد : شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن قيم الجوزية ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط1، 2004 م .

سابعاً :الكتب العلمية والثقافية .

1- سير أعلام النبلاء : شمس الدين محمد احمد عثمان الذهبي ، تحقيق وتخريج أحاديث : شعيب الأرنؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط11، 1422هـ - 2001م ،
2- السيرة النبوية : لابن هشام ، دار إحياء التراث العربي ، ط2 ، 1421هـ-2000م .
3- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي ، ذخائر التراث العربي ، دار أفاق الجديدة ، بيروت
4- شرح أسماء الله الحسنى : شمس الدين أبي عبد الله محمد ابن القيم الجوزي ، جمع و ترتيب :أحمد بن شعبان بن أحمد ، مكتبة الصفا، ط1، 1427هـ-2006م .
5- شرح أصول العقيدة الإسلامية : نسيم ياسين
6- شرح أصول العقيدة الطحاوية : نسيم ياسين ، مطبعة التقوى ،غزة ،الشاطئ ، ط2، 1420هـ -1999 م .

7- شكر النعمة في القرآن الكريم والسنة النبوية : محمود الأطرش ، دار الإيمان ، الإسكندرية
8- طبقات ابن سعد ، فهرس الأعلام المترجمين في الطبقات الكبرى لابن سعد ، محمد بن على، مقدم محمد عوامه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،1986 م .
9- طبقات الحفاظ : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، راجعه لجنة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1414هـ – 1992م .
10- الظواهر الجغرافية في القرآن : فوزي الشربيني ، عالم الكتب ، ط1 ، 1419هـ – 1998م .
11- العقائد الإسلامية : سيد سابق ، دار الكتاب العربي ، بيروت /لبنان .
12- العقل والعلم في القرآن الكريم : يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1، 1416هـ – 1996م .
13- عقيدة المؤمن : أبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط1، 1421هـ – 2000م .
14- علم الفلك النظري والتطبيقي ، رشدي راشد
15- علم الفلك والكون : عواد الزحلف ، دار المناهج ، عمان ، الأردن ،ط2 ، 1423هـ – 2003م .
16- العلوم الفلكية في القرآن الكريم : إبراهيم الغوري ، دار القلم العربي ، سوريا ، ط1، 1422هـ –2002 م
17- الفتاوى : محمد شلتوت ، دار الشروق ، القاهرة ، ط10، 1400هـ – 1980م .
18- الفوائد : لابن قيم الجوزية ، مراجعة وتحقيق : أحمد محمود خطاب، مكتبة الإيمان، المنصورة ، ط1 ، 1419هـ – 1999م .
19- قبس من معجزة القرآن : أحمد ذياب
20- القرآن إعجاز يتعاظم : شاكر الجبار ، مطبعة الحوادث بغداد ، ط1، 1985م.
21- القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين : محمد الصادق إبراهيم عرجون ، دار القلم، دمشق ، الشامية ، بيروت ، ط2 ،1410هـ – 1989م .
22- القرآن وإعجازه العلمي : محمد ابراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
23- القرآن والكون : محمد عبد الله الشرقاوي، دار الجيل ، بيروت، لبنان ، ط3 ،1991 م .
24- قصة الخلق : سميحة إبراهيم مسعود ، الزهراء للإعلام العربي ، ط1 ،1415هـ – 1994م .
25- كبرى اليقينيات الكونية : محمد سعيد البوطي ، دار الفكر ، بيروت ، ط8 ، 1421هـ –2000م .

26- كلمات من القرآن : جاسر خليل أبو صفية ، ط1 ،1424هـ-2003م ،دار الجوهرة / عمان .
27- كنوز قرآنية : هشام عبد الجواد الزهيري ، الدار العالمية للنشر، ط1، 1426هـ-2005م .
28- الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم : حميد مجول النعيمي ، الدار العربية للعلوم مكتبة الرائد العلمية بيروت ، لبنان ط1، 1421هـ- 2000م .
29- الكون والإعجاز العلمي للقرآن : منصور حسب النبي ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
30- الله جل جلاله : سعيد حوي ، دار السلام للطباعة و النشر و والتوزيع و الترجمة ، ط4 1418هـ -1998 .
31- الله والعلم الحديث : عبد الرزاق نوفل ، دار الشروق ، القاهرة ط1، 1410هـ-1990م
32- ما دل عليه القرآن :السيد محمود شكري الألوسي ، تحقيق ، محمد زهير الشاويش ، تخريج محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ،ط2 ، 1418هـ-1997م .
33- مختصر منهاج القاصدين : أحمد بن محمد عبد الرحمن بن قدامه المقدسي ، دار التربية ، بغداد ، ط1 ، 1420هـ- 1999م .
34- مدرسة الأنبياء ، عبر و أضواء : محمد مسلم الزين ، دار الفكر المعاصر ، بيروت / لبنان ، دار الفكر ، دمشق، سورية .
35- مشاهد يوم القيامة : سيد قطب ، دار الشروق .
36- مظاهر كونية في معالم قرآنية ، محمد محمود عبد الله ، دار مكتبة الحياة ، مؤسسة الخليل التجارية ، بيروت ، لبنان ط1، 1996م .
37- مع الله في السماء : أحمد زكي ، دار الهلال .
38- معاني السماء و الأرض في القرآن الكريم : أحمد الحوفي ، مؤسسة الخليج العربي
39- معجزة القرآن : محمد متولي الشعراوي ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة مصر، ط1 ،1988م .
40- معجزة القرآن : نعمت صدقي ، دار الإعتصام ، ط2 ، 1398هـ-1987م .
41- معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1900م .
42- معجم البلدان : شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، تحقيق : زيد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط1 ، 1410هـ- 1990م

43- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية : عمر رضا كحالة ،مكتبة المثنى ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي.
44- مفتاح دار السعادة : أبو عبد الله شمس الدين محمد الدمشقي ابن قيم الجوزية ، مراجعة محمود حسن الربيع ، مكتبة صمور، الإسكندرية ، مصر، ط3 ، 1970 م .
45- مقاصد القرآن الكريم : حسن البنا ، جمع وتحقيق : أحمد سيف الإسلام حسن البنا ، دار الوثيقة ،الكويت ط1 .
46- مكاشفة القلوب : أبو حامد الغزالي ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، ط1 ، 1420هـ- 1999م .
47- من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في ضوء الدراسات الجغرافية والفلكية والطبيعية: حسن أبو العنين ، مكتبة العبيكة ، الرياض ط1، 1416هـ- 1996م .
48- من الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم "دراسة ظاهرة الترادف اللفظي" : سيد صقر، دار الوفاء ط1، 2001م .
49- من أوجه إعجاز القرآن الكريم : نبيل محمد آل إسماعيل ، دار ابن حزم ، بيروت، ط1 2002م .
50- من آيات الإعجاز العلمي في القران : زغلول النجار ، مكتبة الشروق الدولية ،القاهرة ، ط1 ،1423هـ-2002م .
51- من توجيهات الإسلام : محمود شلتوت ، دار الشروق ،القاهرة ، ط8 ،1402هـ- 1982
52- من علم الفلك القرآني : عدنان الشريف ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط5 2001 م .
53- من وجوه الإعجاز القرآني : مصطفى الدباغ ، مكتبة المنار ، الزرقاء ، الأردن ، ط1 ، 1982م .
54- منهاج القاصدين : أحمد بن عبد الله بن قدامة المقدسي
55- منهاج المؤمن : مصطفى مراد ، دار الفجر للتراث ، ط1، 1422هـ- 2001م .
56- منهاج المسلم : أبي بكر الجزائري ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، ط1 ،1421هـ- 2000م .
57- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، عبد الرحيم مارديني ، دار محبة ، بيروت لبنان ، ط1 ، 2005 م .
58- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم و السنة النبوية : عبد الرحيم مارديني، دار المحبة ، دار دراية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2007 م .

59- المياه في القرآن : أحمد عامر الدليمي ، دار النفائس ، بيروت ، ط2 ، 2005م .
60- نظرية المعرفة في القرآن وتضميناتها التربوية : أحمد محمد الدغش ، ط1، 1422هـ- 2002م .
61- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : أبي الهباش شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر، بيروت .
62- اليهودية والمسيحية في الميزان : عماد الدين الشنطي ، ط1 ، 1425هـ-2004م .
63- اليوم الآخر في ظلال القرآن : أحمد فائز ، ط4 ، الشركة المتحدة للتوزيع .

ثامناً : المجلات العلمية .

1- الله والكون : حسن جاد الله ،مجلة الأزهر ،السنة 55 ، العدد الثالث .
2- الأبعاد التربوية لآيات الله الكونية ، عبد التواب عبد اللاه ، مجلة دراسات تربوية ، المجلد التاسع الجزء : 68 ، العدد (70) عام 1994م .
3- أخطار الصعود إلى السماء : د زين العابدين متولي ، مجلة الوعي الإسلامي ، العدد411 ، السنة 36 ، ذي القعدة 1420هـ- فبراير ، مارس 2000م .
4- ارتياد السماء في القرآن الكريم الدكتور: عبد الرحمن بن محمد الشهرى ، مجلة الأزهر ، الجزء العاشر ، العدد (10) ، السنة الثانية والسبعون ، يناير 2000م ذي القعدة 1420هـ .
5- أصل الكون ونهايته : الدكتور محمد احمد الشهاوي ، مجلة منبر الإسلام ، العدد (6) ، السنة 45 ، جمادي الآخرة 1407هـ- فبراير 1987م .
6- الإعجاز الكوني : خليل محمد سالم ، مجلة هدى الإسلام ، السنة الثانية ، العدد (1)، سنة 2.
7- الآيات الكونية أعلام هداية : الشيخ السيد عبد المقصود عسكر ، مجلة الأزهر ، الجزء السابع ، العدد (7) ، السنة الثالثة والسبعين ، رجب 1421هـ- اكتوبر2000م .
8- الآيات الكونية مفتاح سائر الكنوز العلمية : عبد الستار الهواري ، مجلة الأزهر ، الجزء الحادي عشر ، السنة الرابعة والخمسون ، ذي القعدة 1402ه أغسطس 1982م .
9- بداية الكون ونهايته في القرآن الكريم : فراس الاسطل ، مجلة الإمام ، العدد (3) ، مارس 2005م .
10- تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض : حسني حمدان ،مجلة منبر الإسلام ، العدد (6) ، السنة 60 .
11- الدلالة العميقة في الكلمة القرآنية :الدكتور عبد الصبور شاهين ، مجلة منبر الإسلام ، العدد (10) السنة 45 ، شوال 1407ه يونيو 1987م .

12- السحاب: محمد الفندي (مجلة منبر الإسلام) العـــدد(10) ، الـــسنة 45 ، شـــوال 1407ه يونيه 1987م .
13- السماء لماذا هي زرقاء ؟ الشمس لماذا هي صفراء ؟ المهندس : يوسف رباح عبد الجواد ، مجلة المهندس الفلسطيني ، العدد(19) ، كانون الثاني 1991م .
14- السماء والسماوات والأرض في القرآن : حسني حمدان ، مجلة منبر الإسلام ، العـــدد(8) ،السنة الستون .
15- في تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم : الأستاذ الدكتور محمد أحمـــد الغمـــراوي ، مجلة الأزهر ، الجزء الرابع ، العدد (7) ، السنة الخامسة والـــستون ربيـــع الآخـــر 1413ه أكتوبر 1992م.
16- قراءة إيمانية في كتاب الكون من البداية إلى النهاية : الأستاذ الدكتور أحمد فؤاد الباشـــا ، مجلة الأزهر ، الجزء التاسع ، العدد(9) ، السنة71 ، رمضان 1419ه ديسمبر 1999م .
17- الكون المتمدد وحدوده : الدكتور عبد الرحيم بدر ، مجلة أفاق العلميـــة ، العـــدد (26) ، تموز – آب 1990م .
18- مجاهل الكون : أحمد والي ، مجلة العلم ، العدد (226) .
19- المعجزات الكونية التي صاحبت مولد الرسول المصطفى ﷺ : عبده مباشر ، مجلة الشباب وعلوم المستقبل ، العدد (الأول) ، السنة الثامنة أغسطس .
20- المعجزات والحقائق الكونية في القرآن الكريم : يوسف جمعه ســـلامة ، نـــشرة أبحـــاث الجامعة الإسلامية ، العدد (الأول) ، المجلد الأول، مايو 1986م .
21- من آيات الله في الكون: "الجبال" محمد الفنـــدي ، مجلـــة منبـــر الإســـلام ، العـــدد 12 1-8-1987م .
22- من آيـــات الله في الكون: "المجموعة الشمسية" محمد الفندي ، مجلة منبر الإسلام ، العدد 6
23- من آيات الله في الكون: محمد الفندي ، مجلة منبر الإسلام ، العدد8 .
24- من آيات الله في الكون: محمد جمال الفندي ، مجلة منبر الإسلام ، العدد (7) ، السنة 45 ، رجب 1407هـــ- مارس 1987م .
25- نعمة الماء أصل الحياة وإكسيرها : أحمد فؤاد باشا ، مجلة الأزهر ، محرم 1415هـــــ- يونيه 1994م ، الجزء الأول ، السنة السابعة والستون .
26- نشأة الكون بين التأملات العلمية والحقيقة العلمية : يوسف محمود ، مجلة شبكة جامعـــة عجمان للعلوم والتكنولوجيا ، المجلد التاسع، العدد (الثاني) ، 1425هـــ- 2004م.

27-   هل في السماء أحياء : الدكتور أحمد الحوفي ، مجلة التصوف الإسلامي ، العـدد (42) ، ذي القعدة 1402ه سبتمبر 1982م
28-   والسماء ذات الحبك : فراس الأسطل ، مجلة الإمام ، العدد (5) .

ثامنًا : الرسائل العلمية :

1- الإعجاز العلمي في ضوء السنة النبوية : د. هشام زقوت ،"رسالة دكتوراة " .
2- التربية البيئية في القرآن الكريم : زياد السوسي "رسالة ماجستير" ، نوقشت في الجامعة الإسلامية ، غزة –فلسطين .
3- الماء في القرآن الكريم : فتحي العبادسة ، "رسالة ماجستير"، نوقشت في الجامعة الإسلامية ، غزة –فلسطين .

تاسعًا : مراجع الانترنت (الشبكة العنكبوتية) .

1- إسرائيل ترد على روايات مشاركة الملائكة في معركة غزة ، موقع المحيط www.moheet.com
2- أسلوب التقديم والتأخير المعنوي "مقاربة جمالية" : أسامة عبد العزيز جاب الله lbumonkz2005@yahoo.com3-4-2008
3- الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزىِ دلالتها : زغلول النجار ، www.islamicmedicine.org ، www.alrqsail.com
4- الإنسان في الارتفاعات العالية بين العلم الحديث والإعجاز العلمي في القرآن : صلاح الدين المغربي ، www.maknoon.com.
5- آيات الرحمن في معركة الفرقان : عبد الرحمن يوسف الجمل www.paldf.net
6- التقديم و التأخير بين السماوات و الأرض في آيات القرآن : 4-3-2008 forum.lahaonline.com الباحث المهندس: مراد عبد الوهاب الشوابكة
7- تفسير آية الحديد (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) :زغلول النجار، www.nooran.org
8- ضيق الصدور عند الصعود في السماء ، الباحث المهندس : مراد عبد الوهاب الشوابكة ، islammiracles@yahoo.com
9- قلب المؤمن بين الخوف والرجاء :خالد بن سعود البلهيد ، www.saaid.net .
10- الكون والإعجاز العلمي للقرآن : زغلول النجار ، www.elnaggarzr.com
11- مع الطب في القرآن الكريم: عبد الحميد دياب د احمد قرقوز مؤسسة علوم القرآن، دمشق www.qandcl.com
12- معجزة الإسراء والمعراج من منظور علمي : كارم السيد غنيم ، www.dahsha.com

13- من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : زغلول النجارwww.qannd cl.com
14- مواقع النجوم : أحمد المزين ، جمعية نهضة الطالب الفلسطيني ، www.nahdet.ps
15- النفاذ من أقطار السموات والأرض : زغلول النجار www.elnaggarzr.com
16- وأرسلنا الرياح لواقح www.55a.net
17- والسماء وما بناها : زغلول النجار ، الإثنين 23 من جمادى الأولى ، 1422هـ ، 13 من أغسطس 2001م ، السنة 126 ، العدد 41888 ، www.elnaggarzr.com

خامساً: فهرس الموضوعات

ملخص الرسالة
(السماء بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية)

شملت الرسالة على أربعة فصول وخاتمة .

الفصل الأول : السماء بين الاستعمالات اللغوية والقرآنية .

تناولت فيه الباحثة معنى السماء في اللغة والاصطلاح ، ولفظة السماء في السياق القرآني ، والاستعمالات القرآنية للفظة السماء .

الفصل الثاني : نشأة السماء وصفة خلقها وعلاقتها بالأرض .

تناولت فيه الباحثة نشأة السماء وتكوينها ، و شكل السماء وسعتها وصفات السماء وأفعالها ، وأحوال السماء يوم القيامة ، وعلاقة السماء بالأرض .

الفصل الثالث : نعم الله وعقوباته النازلة من السماء .

تناولت فيه الباحثة نعمة الإنزال من السماء ، والنعم المسخرة بين السماء والأرض ، وعقوبات الكافرين النازلة من السماء.

الفصل الرابع : الهدايات الإلهية في آيات السماء .

تناولت فيه الباحثة الهدايات العقدية في آيات السماء، والهدايات التعبدية ، في آيات السماء ، والهدايات الأخلاقية في لآيات السماء.

الخاتمة : وشملت على أهم النتائج والتوصيات التي خرجت بها الباحثة .

Thesis Summary

Heaven in light of Quranic Verses and Scientific facts

The thesis comprises four main chapters and a conclusion :-

Chapter 1:- Heaven as viewed in the language and the holy Quran.
In this chapter , the researcher addressed the meanings of heaven in the Arabic language and etymology, and the uses of the word "heaven" in the holy Quran.

Chapter 2:- The emergence of heaven , its creation, its relationship with the earth.
The researcher in this chapter dealt with the emergence and creation of the heaven, its shape and stretch, its characteristics and actions, its conditions in the day of resurrection. And the connection between heavens and earth.

Chapter 3:- favors and penalties of Allah descending from heaven.
The researcher in these chapter explained the favors and the bounties of Allah sent from heavens , the blessings wandering between heaven and the earth, and penalties fallen from heaven.

Chapter 4:- Diving guidance in the heavenly verses.
In this chapter, the researcher addressed the verses of heaven in Quran in relation to faith guidance, worship guidance, and manners or moral guidance.

Conclusion:-
This section included the important findings and conclusions of the study.